



Princeton University Library



32101 076415726

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

*This book is due on the latest date
stamped below. Please return or renew
by this date.*

خطاب

في التاريخ العام

للفاضل النبيل والسيد الجليل المطران بوسويت الشهير


ترجمه الى العربية شاكر افندي عون

وعبدالله افندي البستاني

من اعضاء الدائرة العلمية

طبع في المطبعة العمومية الكاثوليكية في بيروت

سنة ١٨٨٢



(Arab)

D21

• B745512

1882

المقدمة

الحمد لله الذي ألهم الخلف بكتابة أعمال السلف . وجعل التاريخ تذكرة للمتقدمين
 ونصرة للمتأخرين وبعد فلا يذهب عن ذوي الاستبصار أن فن التاريخ ذو جده
 عظيم يندرج به المرء الى ادراك الطول والعمق ويتكسب به عن المرات التي التفت
 بكثيرين الى ماوي الصلة غير انه غذا عزيزا في امصارنا يكاد لا يكون امرا مذكورا .
 مع ان علماء الغرب بسطوا له من العناية مهادا رحبا وأثاروا فيه شائو كل فكرة
 وقادة فجمات مولفانهم فيه صادقة الرواية يطيش سم النقاد لديها ويرتاح اليها كل
 بصير متشوق الى الانباء الحالية . فأدى بنا الامران تعدي كتبهم ونستظهر بها الدين
 بق الاخبار المخططة ولا سيما سوابق العصور وما وقع فيها من نأصل الشعوب وتقلبات
 الدول . على ان ترجمة الكتب الكبيرة تستغرق من الزمان مدي فسيحا وتبذل في
 سبيل طبعها نفقات وافرة . فبعد ان صرف الروية في امر ذلك ذو الهمة الباذخة
 والعزيمة الراحة من لا يلقى به فتور عن إذاعة العرفان في اصنافنا العربية العالم
 العامل والمخير الفاضل السيد يوسف الدبس رئيس اساقفة بيروت ورئيس الدائرة
 العلمية ورأى ان من انفع الكتب في هذا الباب الكتاب النفيس الذي وضعه
 لولي عهد ملك الفرنس الحبر النبيل والسيد الجليل بوسويت الشهير استغف مدينة
 (مو) اوعز اليها بترجمته من الافرنسية الى العربية فتلقينا ايعازه بالاضافة والروض
 ونظنلنا على ذلك الشان راوحين تحت عبء باهظ لا يقوم به من كان نظيرنا لشعورنا
 باننا قاصرون عن توشي هذه المانة . ولا ريب ان هذا الكتاب كشاف اسرار البلاغة
 وصانع عجب المعاني ايج صياغة فلفظ سلك به مولفه المالك الغريب وسبك في
 قالب عجيب . فانه اوعب فيه بوجيز العبارة وخفية الاشارة الحوادث الدينية والمدنية
 من لدن ادم ابي البشر الى عهد كرلوس الاكبر . ففي الجزء الاول منه ابات ان لم
 يطرأ حادث في الكائنات الا باذن فاطر الارض والسماوات . وان احتدام الحروب
 الرائعة وتغير عادات الشعوب في الشعوب السياسية والادبية ما يؤدي الى الغاية

التي وضعها عز وجل . وفي الجزء الثماني أنبأنا بموافقة الحوادث الدينية ان العناية
 الصمدية قادت النوع الانساني من حال الى اخرى فواصلتهم الى المسيح الذي هبط
 الى الارض فسن شريعة ازالة بدلاً من الشريعة الموسوية . وفي الجزء الثالث اشعرنا
 بارتفاع الممالك وهبوطها ان العناية الالهية كانت تدبر الامور لتكون نوطنة لاذاعة
 الانجيل والدين المسيحي وان الممالك الكبيرة أصبحت في غنى عن توحيد الشرائع
 والمعادن واللسان بعد ان نوطدت اركان الدين على البسطة . وقصارى القول ان
 هذا الكتاب بمثابة تبصرة للتأخرين وتذكير للتقدمين فنسأل الله ان ينفع به مطالعيه
 وأنا لارجوهم ان يعاملونا بالرفق ويسدوا على ما يعتدون من الاغلاط سحاف الدهر
 والمعذرة فان لله العصمة وليس لغیر الكمال

خطاب

* في التاريخ العام *

* بيط لدى ولي عهد فرنسا *

مقدمة

في غاية تأليف هذا التاريخ ونجزه الى ثلاثة اجزاء

ان التاريخ ولو قدر انه غير مأجور على نفقة لامة الناس فلا تدفع للملوك ان يضربوا بينهم وبين مطالعته ستاراً . فانهم لا يعثرون على وسيلة ينشروا فيها ما طوته الالهواء والاغراض وحجب الایام وحادثاتها والآراء سديك او خاملة . وليست مؤلفات التاريخ من سوى ما لوفات اعمال الخالية . ولا تحرز الا ما يعود عليهم بالنفع العظيم . وان فني لم ان الاختبار يقع لم ابواب المصانعة والحكمة للجوا صروج الاحكام عادلين فمن اهم الشؤون ان لا يبدؤوا ظرياً بل يقتضي ان يسبقوا الى ما عانوا منه في سالف الدهر ما يهكون فيه وهم متغصون في تعيم احكامهم طول ايامهم المتواتر . ولا يبدؤهم ان عكوفهم على علم التاريخ نتيجة توثيقهم الى تعزيز ولائهم دون ان يقالوا في ترهات الخطر المبين لدى وقوفهم على المحوادث الغابرة فذلك يصدم عن ولاء احوال يشرفون بها على المخاطر بشفقة مرئوسهم والثناء بحمد الخاص الى مهاوي الانقلاص . حتى اذا ما حامت بطور بصائرهم على ما كان مطوياً من مساوي الملوك الظاعين ورأوا ان اطروقات الثناء عليهم كانت منظومة في اسلاك الذمان عنت لم بذلك عبرة وخامرهم الاستحياء بمسرة زاهنة سببها المصانعة والتدليس وعلموا ان السوء قد موكول اليه ما يترتب من الاهلية والاستحقاق

ومن الامور التي تبعث على الاستحياء وهي التي لا تعي في دائرها الملوك فقط بل تمتد الى افراد الانسان الذين يزابلون مغاور الخشونة ويتطرقون الى مسالك المدينة

ان تذهب عن المرء معرفة شومون الذين هم من طينته والعلم باحوال ذات بال.
 طرأت على تواتر الايام في العالم . وان لم يقف المرء في التاريخ على مباينة الازمنة عن
 بعضها ركب من الشطط والعمور ووم ان البشر كانوا في عهد النواميس الطبيعية او في
 عهد النواميس الموسوية كما يرام الان في عهد الشريعة الانجيلية . ولا يبعد عنه ان
 يذكر الفرس ايام كانت تحتالم ايادي الذلة مدحورين في عهد الاسكندر العظيم مثل
 ان يذكرهم رافعين لواء الغيبة والظفر في زمان قورش الملك . ويرى ان بلاد اليونان
 كانت تترعرع فيها اغصان الحرية في ايام الملك فيلبوس المكوني مثل ان كانت في
 ايام تيمستوكل وولسياد وان الرومانيين كانت الشهامة بهم في هامهم ايام الامبراطورين
 مثل ان كانت بهم في عهد القناصل وان البيعة كانت رائعة في مجبوحه الأمن والسكينة
 في عهد ديوكليسيانوس مثل ان كانت في عهد الملك قسطنطين . وان فرنسا التي
 احترم فيها وطنس النعماء الالهية يوم كان على صهوة عرشها الملكا كارلوس التاسع
 وهنريكس الثالث قد نبأت من الصولة مكانة باذخة مثلما كانت في عهد الملك
 لويس الرابع عشر فلا ريب انها خلت في عهد هذا الملك المحصور من ادران الشقاق
 ونهضت به من حضض الخسف الى ذرى الجند والعزة فاصبحت على اوربا قاطبة
 مستظهرة . فيامولاي ان ما طالما استقرت من التاريخ قدوة وحديقة كان ذريعة تفيد
 من تلك القوائل . اما نحن فلن يبرح عنا ان نحيط عليك بتاريخ شعب الله الذي هو
 ركن الدين وعاده . وقد رحمت قدما في معرفة تاريخ اليونان والرومان ولم تغادر
 ذاهلا عن فرنسا العظمى التي انت مندوب ان توسع خطا سعاديها

وقد دار في خلدنا ان نرفع اليك خلاصة سلسلة الاعصار خيفة ان تبلى لديك
 ما علقه من التاريخ بما سئلته منه اذ لا يقيبك عنك ان نسبة التاريخ الكلي بالنظر الى
 كل بلد وشعب كسيرة رسوم المخطوط الكلية بالنظر الى الجزئية . فانك لا ترى في الرسوم
 الجزئية سوى ما تحيط به دائرة الرسم من مملكة واحدة او اقليم واحد لكنك تقف في
 الرسوم الكلية على معرفة اجزاء الارض بالنسبة الى مجموعها فيعود عليك ذلك بنائنا
 كبرى تربك مثلاً ما تكون باريس او اقليم (ايل دي فرنس) بالنسبة الى المملكة
 الافرنسية وما تكون ملك المملكة بالنسبة الى اوربا وما تكون اوربا بالنسبة الى البسيطة
 فمن ذلك دليل على ان التاريخ الجزئية تدني المطالع من معرفة تسلسل الاشياء مفصلة

منوطه بشعب واحد . فالذي يحبك معرفة في الامور الكنية ما يكون رابطاً بين تاريخ واخرو ولا يبرز ذلك الى حيز الوجود سوى تاريخ مختصر يحوي تسلسل الاجيال كلها فيبرق عليها طائر الذهن لحمة واحدة فيكون فيه مطمح عظيم لنظرك ولا سيما اذ ترى فيه الاجيال الغابرة تعود اليك في برهة دانية وتعلم كيف تتعاقب الممالك ولم تعبت بالدين برائن الدثار منذ بدء العالم الى هذه الايام بعد ان تعاقبت عليه ممالك متناوبة ويلزمك ان لا تطوي كتباً عن ان تستظهر هذين الامرين اعني الدين والحكم السياسي اللذين هما محور تدور عليهما الاحوال البشرية . فكل من سرح طرف طرفه في هذا التاريخ الموجز وتفرس في ما اودع من الحوادث انضمت له سلسلة الاعصار ونظام الكون ورأى ان علة بين الامور المظنة فحسب انه قابض على ازمة الدنيا بأسرها وتخيّل لديه انه يجالح خطّة جليلة الضيقة متبعاً الى الوقوف على كنه الاعصار الدائرة كمن يرى في الرسم الكلية انه بزايل المكانة التي في مستط راحه والموضع الذي يكون فيه خالماً فيجرب جوارده فكما الامصار كانه ويستقصي مجارها الزاخرة وارضها الشاسعة ولكي تتفرق حافظته على معرفة الحال بتقصي له ان يستظهر حاضرات المدائن ويبرزو اليها ما يكتنفها كلاً حسب مسافرو ويعكف في تسلسل الاجيال على الاعصار الخالية وينبهي لما اشهر من ازميتها الاصلية بالحداديات الكبرى فيجعلها موضوعاً ينسب اليه سائر ما وذلك ما يدعى محطاً يكون للمرء موقفاً يتشرف منه الى الطواري السابغة واللاحقة ويأمن بذلك ان يجتف عن الجادة القوية الى العنور في تاريخ الازمنة اما الان فلا تنصرف الهمة عن استقصاء بعض اعصار اودعها التاريخ القديم وهي

اولاً	آدم او التكوين
ثانياً	نوح او الطوفان
ثالثاً	دعوة ابراهيم او بداءة معاهدة الله للبشر
رابعاً	موسى او السنة المكتوبة
خامساً	افتتاح تروادة
سادساً	سليمان او بناء الهيكل
سابعاً	روميلوس او تاسيس رومة
ثامناً	قورش او انفاذ شعب الله من سبي بابل

ثامناً سبيون أو اغتيال قوطاجنة

عاشراً مولد يسوع المسيح

حادى عشر قسطنطين أو سلام البيعة

ثاني عشر كارلوس العظيم أو شهيد الامبراطورية الجديدة

ولقد جعلت لك شهيد الامبراطورية الجديدة في عهد الملك كارلوس العظيم
 كتابه للتاريخ القديم اذ يخلي من انقراض دولة الرومان القديمة وبناء طيولم يكن من
 المزم الآ أن اوفقت في هذا الزمن الذي يتلقى التاريخ امام اهميته بالبرة والكرامة وتنبك
 عما يليه بجزء اخر يجعلك تدرج الى هذا العصر الفهر الذي تكمل راسه باعمال ايك
 الماثورة . وإن اقتداءك بواعوذجا يوطد آمالنا على ان ننال مجدداً جديداً . ولقد سؤل
 لي الخاطر بعد ان ابنت لك من هذا التاريخ منصداً جليلاً أن لا اسمح عن ثلاثة
 اشياء يتوفر لنا منها كبير عائدة وهي . علي ان افري معك الاعتدال التي احاط بها ملكك
 واكتشف لك بوجيز الكلام الغشاء عن حوادث خطيرة تدعوك ان تبطها بكل من
 هذه الازمة وإن اعوذ ذمك على ان يلقى الحوادث الى محالها عاكفاً على نظام الازمة
 وما ان تضاري الامر أن افترق بالجماعة التي تملك بواتر الحجب تسلسل الامور
 الدينية والممالك العظيمة بعد ان طابقت الحوادث التي تختص بالدين والممالك على
 تسير الاعوام اعتدبت الى ان اعوذ مدققاً بنوع خاص الى كل ما يبتنا عن حجة الدين
 المستقر وما يوصلنا الى معرفة الاسباب التي دارت بها رضى التقلبات في الدول العظمى
 ولا ننمكن من ذلك الا بعد ان نحرز الاحوال التي تتعلق بهذه الامور حسب
 مسير الاعوام الفانية حتى اذا ما انبريت لمطالعة ما تروم من التاريخ قديماً او حديثاً
 دانت لديك الفاتنة وعرفت لكل امر مندور عاقبة كبيرة وخامرك العجب العجائب
 من توالي الاحكام الالهية في الامور الدينية تتقف اذ ذاك على تسلسل الاحوال البشرية
 وما يقتضي لتدبيرها من البصر والحكمة الشاهقة

الجزء الاول

في الاعصار او نسل الاجيال

العصر الاول

في ادم او التكوين

الاجل الاول للعالم

مشهد عظيم في ذا العصر تحارده الفكر فان الله فطر فيه السموات والارضين
يكنو السامية وبرأ الانسان على مثال (٤-٤٠٠) (١) ٤٦٣ (٢) ومنه بدا تاريخ
موسى مبرزاً آيات الحكمة فيصلاً للحق وأقدم المورخين وأقام لما سطر وما علم وما نص
من الناموس عاداً قوماً ذلك عصر يعان ان لبث الانسان كانوا في طي انساب
واحداً متصلة من المرأة وان عقد الزفاف ورباط الالفة البشرية موقوفين على ذلك
وان الانساب منسقة الى ذروة الكمال ما دام لصورة الله حافظاً وان الله يحرق له
الحوانات طراً وان عصر الشعراء الذهبي يستودع ذكرى المبرة والسعادة اللتين اقصاهما
عن ابونا الالين في الفردوس نفص الوصية العالمة وان روح الخناس الخائنة ولجت داخل
اللعنان فهبط ابوانا ميوطاً لحق بنسلبها اجمعين واقام ذو العدل العقاب عدلاً في ذرية
نسل الانساب الاول واضرم نيران رجزة على الجنس البشري ثم وعدهم بالنداء وعداً
اولاً فلم يكونوا الا لينسوا من الطاغى القديم وعسوا عليه مستظلمين

وفد امتد بساط الارض واخذت الناس ترح على كثرراً وزادت جرائر العابرين
فأرى قايين البكر الناس المحدثين دماء مهرة امامهم فكان اول القاتلين (٣)
(٢٨٧٥-٤٨٣٢) فشرعت الرذائل تترصد للفضائل من ذلك الوقت اضطهاداً
شديداً فاجلعت من ثم لدى الابصار مياينة السجاي في الاخوين فكان هابيل برأ صدوقاً

(١) حسب واي يوسويت (٢) حسب كتاب يقال له فن تحقيق الاعوام

(٣) تكوين فصل ٤ ع ١ و ٢ و ٤ و ٨

يعيش راعياً للمواشي أقدم قربانه لله نحاز من لدنه قبولاً وكان قايماً غائصاً في عباب
 الخنة والدعاة أقام القربان لله فالج عليه عناكب الاهمال مردولاً فبعثه الحمد على
 الايقاع باخيه قتلاً فغابة الله اليماً وزارت الشعلة في ضميره وبلأ وشوراً مستتراً فاخذ
 يوم على وجهه تائباً ليتوارى من غضب الجنس البشري له وانتقامه منه فشداد ذلك العتل
 الثيم مدينة في اول المدائن ليلوذ بها متولياً من حتى الجنس البشري منه واخترع بنوه
 بعض ما تدور به رجي صناعتهم وحكمت فيهم الاموال النسبة عفا وعمايت الجنس
 البشري على الشر والملاات القلوب مكرراً غريباً لكما برز ثمة فصرأ عن ذلك الفساد
 اعتاباً لثبت طابوا سريرة واخضوا التوبة لله وتخلص اخنوخ من بين الملاء الذين
 لا يصفقون ان يكون في حوزهم صاعداً من بينهم بامر لا يقره عن الخوارق
 (٣٠١٧ - ٣١٧٨) وانزل اولاد الله عن اولاد الانسان اي الذين يرفضون لاحكام
 الجسد عن يرفضون لاحكام النفس بيد انهم امتزجوا فيما بعد واخذوا يعنون مسندين
 فهاج عليهم الغضب من لدنه تعالى فاعتد هلاكهم بحكمه العادل واوعز الى عبث نوح ان
 انذرهم هلاكاً رائماً ان لبوا معصين عن السابطة القوية (٢٤٦٨ - ٢٤٢٨) فلم
 يرفعوا عن غيهم بل فصلدت قلوبهم فانزل عليهم السيل مدراراً واغرقهم في غمر
 الطوفان هالكون (٢٤٤٨ - ٢٣٠٨) وانذ من ذلك نوحاً وآل بيته ليكونوا ذخراً
 يولد منه جنس البشر. فذلك ما حدث سنة ١٦٥٦ سنة وتلك بداءة التواريخ طراً
 ولاحقت قدرة الهيم المتعال وانصحت حكمته الرفيعة وجودته الفائقة واصبح عطف الارار
 معجوداً تحت اكافه وحليف الارجاس مرضوضاً تحت اثقال تنمى غير انه لم يباس من
 اياب الاثيم الى التوبة. وبدا للانسان امسى مثابة من العظمة والرفعة لدن فطريه وانتاز
 بخلو منه دخل ولجة المناسد وظهر جنوحه الى البغضاء والحمد فامتار سيف الظلم
 واتسرها كان مطرباً من الاسباب الداعية الى اصلاء نيران المظالم والفتن والنجار
 القول تبينت مبادئ الدين والآداب

وانذ نوح مع النوع الانساني اثار الصنائع التي كان بنو الانسان يارسونها منذ
 فطرتهم وهي قوام للعاش والملاذ لو التي قد اخترعوها فيما بعد فاماً الصنائع التي كانوا
 يعرفونها بداءة بدء وهي فن الزراعة والرعاة وليس الكساء وربما فن البناء ايضاً فقد
 بلوح انهم تعلموها من الباري ولهذا لا ترى بداءة هذه الفنون في ارجاء المشرق حيث

امتدت الاجناس البشرية (١)

اما خبر الطوفان العام فقد تدولته الاسن في افطار البسيطة كلها واصبحت السفينة التي كانت ملجأ لنوح وآلوه تلج بذكرها الالسة في الشرق ولسيا في الانحاء التي استوت عليها بعد نضوب الماء فمن الحوادث كلها مسطرة في باطن تاريخ السنين ومروية في تقاليد الشعوب الفارطة فان الاعصار ليست عربية من المطابقة لبعضها فما حدث من الشومون في الاعصار الآتية ينسب الى ما طرأ في الاجيال الماضية

العصر الثاني

في الكلام عن نوح او الطوفان

(الاجل الثاني للعالم)

اخذت آجال الناس تنصر بعد الطوفان ٢٢٤٨-٢٢٠٨ وطلقوا يستبدلون امر المعيشة (٢٢٠٧-٢٢٤٧) فتهربوا لم قوتاً جديداً بعد ان كانوا يلتمسون ثمار الحقل . ومع الله نوحاً بهض وصايا شافها وذميت من البرية خلال الفضة فشرعوا يتشاعنون خيلاء وكبراً فعلنوا بينون لم برحاً في بابل شافها بتلح روق السماء فتلججت السنتهم متلبلة (٢١٠٧-٢٢٤٧) فدل ذلك البناء على استغراقهم في مبات الكبرياء وخول آرائهم معاً . ولعبت باولاد نوح الثلاثة اكث الفرقي فتفاضوا في بطون الارض فاجترأت بهم اجترأه اولاً . وكانوا اصولاً تفرعت منها الامم والشعوب وترطبت السنة الالام بذكرهم خالداً .

اما يافنت فقد امتلأت اقاصي الغرب من نسله واستمر معروفاً ما بينهم بلنصب يابنت الشهير . واشهر حام وابنة كنعان ما بين المصريين والفينيقين . ونشر العبرانيون ذكر سام اصل نشأتهم مدى الدوران

وبعد ان افترق بنو الطينة في بطاح الارض نشأ رجل يقال له نمرود كان ذا خلقه شرسة فاخذ يكبح في ان يفتح المدائن فكان اول الفاعين وهكذا كان ابتداء

الفتوحات ورفع لواء حكمه فوق بابل (١) حيث كان المردون حاربون عزمًا
لا يشوبه الوهن أن يبنوا ذلك المبرج الذي أخطأ المسم يودون مرامهم
وقامت في ذلك المحين أعمة نينوى العظوى وتأسست بعض ممالك قديمة كانت حاضرة
في تلك الأزمنة فقد كان في مصر وحدها أربع ممالك وهي ناب وناو ومنيس وفانيس التي
كانت قاعدة لمصر السفلى ويمكن لنا أن نغزو إلى ذلك العصر ابتداء نوايس
المصريين ورفعة اهرامهم التي لم يطوما إلى الآن كروور الأيام وابتداء نشأة المراد
الفلسكية المنبوطة بهم وبالكلدانيين (٢٨٩٤-٢٢٢٢) ولذلك نرى أن رهبان النجوم
لا يخطئ ذلك المحين وإن الكلدانيين الذين ملكوا ناصية ذاك الفن وفاقوا سوام يود
خولوا كليستين إياه لينبئ لاريسطو ذخراً

لابد من أن يكون كل شيء قد ابتداءً ودليل ذلك أنه لا يثبت أحد تاريخاً قديماً إلا
يعترفه سواء كان في ما عبر من الأعصار أو فيما سباني منها على آثار بيته تدل على أن
العالم حادث وأنه يرى قيو كيف تسن الشرائع وتحدث الأخلاق وتكون الممالك وأنه
يخرج من دبابي الجهالة رويداً رويداً ويهد له الاختيار سبيلاً يجهل بصيراً بالأمور
واحمل لعبه التدبير وبؤمه من الاستطاعة على اختراع الصنائع أو تحسينها

وكذا كثر البشر فوق بساط الأرض أصبحت تنجلي رويداً رويداً فاهم كانوا من
قبل يدوخون قن الجبال الراححة ويطنون الوهاد ويعبرون الأنهار والبحار ويشيدون
مواطن جديدة تنهم من لواقع البحر وتوافج البرد فان الأرض لم تكن إذ ذاك إلا نواو فتمت
نوبها السمع ورفلت يبرد قياً لما رونا وجمالاً . فقد جذست عن عاتقها الأشجار وامست
مزدرة عاوسرماً ترتقي فيه الموائس وتربة تقام عليها الدساكر والقرى والمدائن واخذ يني
الانسان يتعلمون أن يقتصوا نزع الحيوان قد جنوا بعض ما اقتصوا واستخدموه قية لهم وطلقوا
بصارعون الضواري ويناون اقوياتها فبال بذلك صناديدم اعلام الظفر ويعهم ذلك
على اختراع اسلحة تدبهم فيما بعد الحان يتقاتلون بها فذاع جهش ذكر ورود وسبق الابطال
بافتتاح الغلطات فدعاه الكتاب المقدس جياراً صياداً .

وكا ان الانسان كانت له الجرأة على انقحام الحيواناب وتدجينها اقضى يود ذكاوه

الى تخليق الفار وتاهيل النبات واخضاع المعادن لمنفعة واستخدم رويداً رويداً من ثم الطبيعة باسرها . ولما كان من الطبع ان الوقت يدرجه الى اختراع اشياء حجة قد ابرح تقدم الايام كثيراً منها من بالهوان ما ابتلاه نوح من الصنائع الاولى لئلا كان مرغياً بكامله حيث نوى النوع الانساني اولاً لئلا اصحبت الايام تقال له كلما كانوا يتقاصون عن تلك الاشياء فصار من مبادر الامر اما ان يشقوا اليها عاكفين على فعلها لوان الذين رحلت في ادمغتهم يطرحون بها اليهم وينبأ عليهم نرى ان كل شيء قد تلى من تلك الامصار التي ما برحت منقطعة . ولما كانت مبادئ الصناعة حجة ما بينهم كان الناس يتسبون كل يوم اموراً ذات بال لم يروا لم مندوحة عنها . وفضلاً عن ذلك فان معرفة الله وذكر التكوين لم يكونوا يبدلون عليها حجاب النسيان في بادئ الامر لئلا همزوها في ما بعد الى وهاد الاهمال وغادروها نسياً منسياً واخذت الشفادات تناسى ونفسيها حجاب الظلام وقفها خربلات لم تزع منها سوى تصورات سمجة ففشت الالهة وذلك ما بعث الاله الحق على دعوة ابراهيم

العصر الثالث

في دعوة ابراهيم او معاهدة الله للبشر

(الاجل الثالث للعالم)

لما رأى الله ان الشعوب كانت تتجمع بهم امواؤم الى غيا في المجد والانتكار وانهم ركبوا مطايا الكفر والطغيان جانحين عن جادة الحق اصطفى له شعباً من بينهم متورعاً بذلل فيهم تلك الخلال السبعة وذلك بعد ان توالى على الطرفان اربعة اية وست وعشرون سنة فاختر من بينهم ابراهيم خليلاً صلياً له ليكون جرثومة يخرج منها المؤمنون (٢٢٦٦-١٩٢١) فاعز اليه ان يوافي ارض كنعان حيث يكرس فيها عبادته ووعد بان نسله ينمو كثيراً فينفق نجوم السماء ويمال البحار عدداً وانه ينفخ في الارض التي ولد فيها لتكون مغوى له ولما اثر اخلاقه من بعد واعظم من ذلك ان يسوع المسيح ياتي من ذريته فيكون بركة علوية تحمل على الشعب الذي يرح فوق بساط الارض فلاربع في ان يسوع المسيح هو الذي ابرز له ابراهيم ما اثر الاكرام بشخص المحرم ملك صادق الذي مثله واسدى اليه

عشر النعمة التي التزعتها من الملوك الذين ارهبهم محالب الظفر ومن لدنة وحده قد
حظي بالبركة

ولا يخفى ان ابراهيم كان عظيم الشوكة غائصاً في لجة العرف ورغد العيش وبالكفا
من حطام الدنيا وحذاقيرها مالا يجاوزه ذور العروش السنية ومع ذلك فلم يدع
لعوائد القذبة بواعث تحمله على ارارها في زوايا الاهمال فلم يكن متأنفاً بالملبوس
والمطعم وكان ذا عيشة رعائية سذجاً يذلة لم يكن يفادر الكرم جانباً يوم كان
يقري المضيقين

وبعث اليه العلي صديقاً (٢٢٦٧-١٨٥٦) وانذر الملائكة بمآرب الرب فاذهن
للانذار مومناً ولاحت عليه سمات النقي والبر والامانة ونهض في عصره ايناخوس اقدم
ملوك اليونان قاطبة وشاد مملكة ارغوس.

وقد خلف ابراهيم ابنه اسحق وحفيده يعقوب اللذان لم يكونا الا ليقديا بامانة
ذلك الاب الصدوق فانها كانتا عاتنين عيشته الرعائية واعاد الله عليها المواعيد
ذاتها التي وعده بها وفادها في كل شيء كما كانت يفتقد برحمته العلوية فبارك اسحق
يعقوب الاصغر بدلاً من اخيه عيسو البكر (٢١٢٦-١٧٥٩) وان حسب الناس ذلك
زعمائهم وشططاً فانه قد اتم مآرب العلي وفرر ميراث الشعوب ولم يكن ذلك الا
امراً مقدوراً.

واما عيسو فقد لبس بادوم فخرج منه قوم يقال لهم الادوميون. واما يعقوب
فكان برعاء الله وياخذ يده ففارق اخاه عيسو بكل ما يجمع اليه فكره. وازحف عليه الملك
فقاتله قتالاً ممثلاً لاسراراً ودعاه من بعد ذلك اسرائيل فقيل لاختلاف اسرائيليين ونشأ
منه اثني عشر اياً كانوا رؤساء اثنتي عشرة قبيلة عبرانية ومنهم لاوي فجاء له اخلاف يقال
لهم لاويون فانهم كانوا يهتمون في خدمة الاسرار الالهية.

ومنهم يهوذا الذي نشأ منه النسل الملوكي ويسوع المسيح ملك الملوك وسيد السادات
ويوسف الذي ارتقت عليه عواطف ابيه فانه ارقاه الى اعلى مكانة من الاعزاز والاکرام
فوق سائر اخوته.

وعلياً ان نستلفت الانظار الى هذه المدرجة العظيمة لثري ان الحكمة الالهية ابرزت
اسراراً جديدة. فيوضح بر يوسف وطيب سريرته وفرط حكمته واذلالته الرذائل بحسام

ذكائه الثاقب وإعظامه بمنازاعها في خوته وإحلامه السرية والنبوة وصبره عرضة
 لحسد أخوته كما كان قابين (١٧٢٨ - ٢٠٩٧) وبيع هذا الإله الصالح وإصراره على
 الأمانة فهو سيده . وعناقته الغريب الذي سبب له اضطهاداً عظيماً (١٧١٧ - ٢٠٩٢)
 وحمية مغلولاً وثباته ونبواته وخلاصه العجيب من دركات السجين وتعبيره لإحلام فرعون
 (٢٣٠٩ - ٢٧١٥) واستيهاله والمعيبة السامة واستقامته ورعاية الله له التي أتاحت له
 السلطة مستغرة إيان حل وتبصره في ما سياتي من عواقب الأمور وأرواه السديكة وقبضة
 في مصر السفلى على زمام السلطة المطلقة التي مكنته من إنفاذ أيده وأمره

أما بنو إسرائيل فقد نالوا الرضى والاعزاز من لدن تعالى واتخذوا مصر موطناً لهم
 وقد كانت قاعدتها وقتئذٍ مدينة تماريس وكان ملوكها يلبثون بالفراغة ٢٠٧٦ - ١٧٠٦
 وبادهت المنية يعقوب ٢٠٥٩ - ١٦٨٦ وتباً عند احتضاره نبوة داثة الصمت أبان
 لأولاده فيها الحالة التي يتطرق إليها أخلاقهم وإيان ليهودازن المخلص الذي ينشأ من
 نسله فلم يمر على سرة يعقوب زمن قصير إلا أصبحوا شعباً يهد به الأرض فأخذت
 قلوب المصريين عليهم حسداً وثباتاً وطفنوا بعمالهم بالأسامة والبحور وبطرحوت
 الرحمة عنهم جانباً فأقام الله لهم موسى نصيراً ١٧٢٥ - ١٥٧١ واستلفت اليه انظار ابنة
 فرعون الهاغا فانفذته من مياه النيل وأخترته ابناً وقامت بأعباء ثلثين حسب حكمة
 المصريين وقد كان المصريون إذ ذاك يسرون هاجرين من أرضهم إلى أرجاء مختلفه
 من اليونان . فتأد سبكروس نخلة من مصر إلى هنالك بنت اثنتي عشرة مدينة أو
 بالأحرى اثنتي عشرة قرية ١٦٤٢ - ١٥٥٦ تألفت منها مملكة اثينا ففر فيها نوايس
 وطلون والآلهة التي يؤدون لها العبادة في مصر وحدث في تسالية بعد ذلك بوجيز من
 الزمن طوفان ديكاليون فتوسم اليونانيون أنه الطوفان العرمي وانسع نطاق الحكم لميلان
 بن دكاليون في جهة فيثية من بلاد تسالية فأتى اليه اليونان في تلك الأمصار فتلقوا
 بالهيلانيين بعد أن كانوا يتقبلون بالكريك وأما اللانيون فلم ينجسوا بذلك بل لبثوا
 يلبثونهم بالاسم القديم وبغربة من ذلك العصر أرغل كادموس بن اجينور بخله فيثية
 إلى بلاد اليونان آخذاً معه آلهة سورية وفيثية فوطد أركان تاي في بلاد هوسياً وأما موسى
 فقد كان وقتئذٍ يبلغ أشده متدبراً فاقا وصل إلى من الأربعين من أجله نبذ ورآه
 الثرف والنعيم في البلاط الملوكي واستهضه مآثر الرحمة والرافة ليزجرح الانتفال التي

كانت نقي اخوة الاسرائيليين (١٥٢١-١٦٨٥) قصدوا للاختطاف الويلة رجاء ان
 يلصم من تلك الحبال المكينة لكنهم لم يكونوا ليغتموا فرصة غيرته ويقعدوا جراً له مجاً لم
 بل اجموا عليه غضب فرعون قوله مديراً من تلك الاقطار الى جهة مدين من بلاد
 العرب فعاد له بلادي اناحه له النخوة لانتقاد المضطهدين فهذا الرجل العظيم سواء كان
 يمز رجاءه من خلاص شعبه او يتطرزماً بتدبه الى ذلك قد عهدك في رعاية الضمان
 عند حميد بنمواربعين سنة الى ان رأى العليقة ملهبة ١٤٥١-١٦٤٦ في البادية فناداه
 الله انا ابائو منها واثمة الى مصر ليرفع نهر الجور عن اعناق اخوته فظهرت حيثما مبرته
 ودمامة اخلافه وجرأته وعجائبه وصلادة قلب فرعون والرزايا المائلة التي اصطفها الله
 عليه والذبح وعبور البحر الاحمر وفرعون والمصريون تلبس بهم ابدي الجحيم غارقين وانتقاد
 شعب الله من وهاد المسكنة فائزين

العصر الرابع

في الكلام عن موسى او السنة المكتوبة

(الاجل الرابع للعالم)

برزت السنة الى حيز الوجود فبدت على ابدي موسى ساطعة وذلك بعد دعوة ابراهيم
 السنة الاربعماية والثلاثين وفاقاً السنة الثمانية والست والخمسين بعد الطوفان والسنة التي
 نزع فيها الشعب المبراني من اراضي مصر ١٦٤٥-١٤٩١ فان هذا الفارح طام جداً
 لانه الوساطة الكبرى التي تدل على كل الارضة الفارح منذ موسى حتى يسوع المسيح
 وانه ليدعى زمان السنة المكتوبة تميزاً له من زمان السنة الطبيعية الذي لم يكن فيه
 للبشر وقتشذ من شكمة سوى العقل الطبيعي واحاديث آباؤهم

ولما اراح الله شعبه من اعنات المصريين وجورهم وانتادهم الى الارض التي اصطفها
 متمدنى بعدونه وواتزل عليهم قبل ان يعطوها السنة التي قضى عليهم برعايتها وكتب
 مبادئها يد على لوحين عليها لموسى فوق ذروة جبل سيناء وهي الوصايا العشر التي تترصد
 عليها عبادة ذي العزة والرحوت وتوقف عليها دائرة الهيئة الاجتماعية
 والتي عليه توامس اخرى شاد حسب متطوقها فيه الهد رمزاً الى الزمان

الذي سياتي والثابت وما يدل على ان النبي كان يقطعه عجائب المخارقة التي كانت
تبدو وانبأه ايضاً بمكانة هارون اخيه الباذخ وكهنته العظيم وحبريه الوحيدة التي انبطلت
بعهدو وعهدة اخلاقه وطفوس تكرر بسهم وهمة كسائهم الرمزية ووظائف الكهنة اولاد
هارون ووظائف اللاويين والفرائض الدينية التي يجب عليهم حفظها ولاسيما القواعد التي
تشكلت بضمين عوائد شعبه المصطفى وحسن ادارتهم الداخلية والخارجية وقد تواطأ من
نفسه لان يكون شارعهم اما الشعب فقد استمروا يطوون البوادي والقفار وازغوا عن
عجبة العدل متردين فاعتقدوا لم اصناماً يعبدونها فانذرهم الله عذاباً آلياً معاقباً ثم عاملهم
بالحنس ورحوماً معزياً وقد كانت يخدمهم بناتوه يثقفهم رويداً رويداً بكل واسطة تعود
عليهم بالنفع العظيم وبعد ان فتكت يهرون بمخالبة الردي نبواً ولكه ايلعازار مكانة
الحبرية رصيناً ١٦٠٥-١٤٥٢ وهذا ديب القيرة شيخ فواد فونيس بن اليعازار فوعده
الله بان يكون الكهنتوت في حوزة اخلاقه وفي ذاك الحين استمر المصريون ينشرون
مخلائهم في جهات متغايرة ولاسيما في بلاد اليونان حيث دانوس المصري سلب الملك من
الملوك الذين من ذرية ابوخوس واستوى ملكاً على عرش ارغوس واما العبرانيون ففي
نهاية تسارهم في البطاح والبقاقي اصلوا نهران العجاء واغتموا التصرع بدعاء موسى مصلياً
معزلاً وبعد ذلك مات ذلك الفاضل القريب ١٦٠٥-١٤٥١ وترك للاسرائيليين كامل
تاريخهم فانه انا الله نقر في تاليفه مدققاً ولوعاه كل ما حدث منذ بدء العالم الى يوم
موتوه وقد افقه من بعد يسوع وخلفاؤه واجترأوا الى حملة اسفار منها سفر يسوع وسفر
القضاة واسفار الملوك الاربعة

اما ذلك التاريخ فقد اوعب الياقوت كاملاً وقسم الى خمسة اسفار نحو مبادئ
الدين وبعد ان اغتائه طائفة الموت زارت مواقد الحرب في عهد يسوع ١٥٩٩-١٤٤٥
وفتح الارض المقدسة مظفرًا وقسمها الى اقسام فعنا الشعب وغرد وعوقب وتوطد مراراً
متباينة ولدن ذلك جدّ عُمُيْل في منازلة اعدائوه فانصر فائزاً ورفع عن شعبه نهر العبودية
الذي القاه على عواتهم كوشان ملك ارام ١٥٥٤-١٤٠٥ وبعد ان تقادم على ذلك
من الخوول ثمانون ظهّر اهود على عجلوت ملك مواب ١٤٩٦-١٢٢٥ وفي وشك
ذلك الزمن حكم في يلبونيزيا يلبوس الفريحياني ابن ططال فتسمت تلك البلاد
الشهيرة من ذاك الوقت باسم ١٢٢٠-١٢٢٢

وقدم الكلدانيون للحكم باعال عبادة الهة وهبط الاسرائيليون الذين لم يرفعوا
 جملاً الى حضيق العبودية فان يابن ملك كنعان ضيق عليهم سعة الازنياع وهم
 اذلاء منكبين ١٤١٦-١٤٠٥ اما النيشة دُبُورَة التي كانت قاضية للشعب وباراق بن
 اينوم فقد استظفروا على سيمارا قائد شعب ذلك الملك العتي واحبطا سمية مديراً
 ١٢٨٥-١٢٩٦ وبعد ان مر من ذلك الآن اربعون عاماً فاز جدعون دون قتال
 واقفى آثار المديانيين واعمل بهم السيف البائر ١٢٤٩-١٢٤٥ وقتل ابنه ايبالك
 اخوه واختلس السلطة فدانت له صاغرة ١٢٠٦-١٢٢٦ وكان ملكاً جائراً الارعى
 للعدل جانباً فترعت السلطة من يمينه وهلك غير ماجور عليه واما يفتاح ١١٨٧-١٢٤٤
 فقد خضب انتصاره يهريق دهر لا يصفه الله الثوبة عنه الا بسره الهية لا يطرقي اساعنا
 البيا عنه ولا نحن الى كهو بنوصلين وقد طراً في ذلك الحين اشياء كثيرة بين الوثنيين
 يصير اليها السمع لانه على حسب تاريخ هيرودوت الذي ترجمت صحه على غيره يجب
 ان نخصر تاريخ نبوس بن باعال واشاة الاولى لدولة انور بحماية واربعة عشرة سنة
 قبل تسييد مدينة رومية وفي عهد دبورة ١١٦٨-١٢٦٧ فان هذه الدولة العظيمة
 الشوكية والسامية العزة قد كان مركز صولتها في ينوى المدينة التي كانت شهيرة وقديمة (١)
 ومد اليها الملك نبوس بن فارجيبا ابنة وزين ظاهرها . فان المؤرخين الذين يزعمون
 ان دولة الاثوريين قد استمرت ألفاً وثلاثمائة سنة باخذون على ذلك دليلاً قديمة المدينة
 واما هيرودوت فانه يقول ان اجلا لم يعبر اكثر من خمماية وعشرين سنة واعتبر
 ذلك وقت بنوخ مكانها وسادة لطلتها في عهد نبوس بن باعال الذي جعل شوكتها
 ممتدة في اسيا العليا وقد تسيدت او تجددت مدينة صور في عهد هذا الملك الظافر
 واصبحت في غاية قصوى من الشهرة بسبب مهاراة قاطناتها في سلك البحار وبسبب الرحل
 الذين جالحوها وامتلوا في انتظار العالم . وبعد عهد ايبالك بقليل من الزمن
 ١٢٣٠-١٢٥٢ لاحت اعمال هرقل البطل الصندي ابن انثيتريون وبدت الحروب
 التي الهب شرارها نازي ملك اثينا الذي احرق في مدينة واحدة كل الدساكر والقرى
 التي بناها سيكروبس ومن لاينا قوانين سادت لدى الناس شهرة في عهد يفتاح بنما

كانت ممبراميس ارملة نينوس ووليه ابنها نينياس توسع مملكة الاثوريين بكثرة فتوحاتها
 هبت النار المحرقة في ابيه تروادة الشهيرة التي تمحيا في سالف الزمن اليونان في عهد
 لومودون ملكها الثالث شهوت دائرة باليونان انفسهم واصبحت كأن لم تكن شيئاً مذكوراً
 وذلك في عهد بريام بن لومودون بعد ان حاصرها اولئك اليونانيون عشر
 سنوات ١٢٧٠ - ١١٨٤

العصر الخامس

في الكلام عن افتتاح مدينة تروادة

(الاجل الخامس للعالم)

في نحو السنة الثلاثية والثاني بعد ان جلا اخسأه الله عن مصر ستة الالف والمائة
 والاربع والستين ٢٠٢٨ - ١١٦٤ بعد الطوفان عشت بتروادة ايدي الدثار فاصبح طود
 عزها مذكوكا مابطلة ميوطاً وانما فكان عصر ستوطها مهماً وسبب اهمته اما ان يكون
 بالحوادث الرائع الذي انشده الشاعران المختبران اكبر شعراء اغريقيا واطاليا اولامكانية
 ما نراه الى ذاك الحين انه ام ما يطرأ في تلك الاحقاب التي تدعى خرافية او بطلية
 فبسبب تسميتها خرافية موقوف على ان الحوادث التاريخية كانت وتنتزح مكنتة بالخرافات
 وسبب تسميتها بطلية موقوف على اولئك الذين دعاهم الشعراء اولاد الالهة واطالاً ولم
 تكن ايام حياتهم قاصبة عن فتوح تروادة العظيمة فقد بدا في عصر لومودون ابو بريام
 ابطال القوازون الذهبية وم جازون وهرقل اورفا وكاستور وبولكس ومن كان
 مشهوراً من نظرائهم في ايامهم السالفة ونشأ في عصر بريام يوم ان حوصرت تروادة
 حصاراً نهائياً اشيل واكامنوس ومييلانوس وعولوس ومكتور وسريدون بن جريئار
 وانه بن الزهراء الذي يفتخر الرومانيون اصل نشأهم واطالاً اخرون قد كانت شعوب
 عظيمة واقوام حجة يفتخرون بانهم اليهم يعترون فيناء عليه اصبح ذلك العصر يستاهل
 ان يعزى اليه احراز الحوادث ذات التحقيق والمغلة التي جرت في ايام المختزعات
 الباطلة

اما الكتاب الاقدس فقد ابدأنا عن م اشدياساً وعظمة منهم فانه ذكر لنا قوة

شمعون ووهة الثريين ١١٥٢-١١٧٧ وعالي المحر الاعظم الذي نال الدرجة النصوى
 من المبرة والزامة ولقد بادعته الذلة والحمول بجرائر اولاده الخاملين ١١٥٢-١١٧٦
 وحمول من تدثر بدثار العدل نبيا عفا الازار مصطفى من العلي بسمع الملوك
 ١٠٨٠-١٠٩٥ وشاول الملك من كان اول من دانت له الامرة على اصفياء الله فغار
 مظفرا وقم القرابين منعظا لا يطلب من النعمة اذنا يعاصي او امر الله معتذرا بالدين
 فلم يكن عذره مقبولا فاذله الله مردولا وجعله هاربا مابطئا الى اسفل الحضيض
 وكودروس ملك اثينا في عصره من استات ضحية عن شعبه فكان لم بذلك فوز وغلبة
 وتنازع من بين الملك والده ميدون وتله فاعظم حينئذ الاثينيون الفرصة والفرا السلطة
 الملكية واعلموا ان لا يكون عليهم سوى جويطار ملكا واقاموا له ولاء وازعن دعوم
 اركوست وقسروم على ان يستمروا مبرزين لم حسابا على كل ما يمشمون من مهام
 الامر وكان اول من قبض على شكية الملك ميدون بن كديس ودان الحكم له صيته
 من بعده زمانا مديدا وتناثرت التخللات من اثينا الى انحاء اسيا الصغرى فدمت تلك
 الانحاء ابوة وفي ذلك العصر نفسه كانت عند الرجل الاهوليون فدمت من ثم اسيا
 الصغرى منعة من المدائن اليونانية وبعد ان شرب شاول كأس الخوف
 ١٠٤٠-١٠٥٥ نهض داود فائقا على اريكة الملك وقد كان في بادىء الامر راعيا
 للضئان عيبا وجعل جليات الجبار صريعا واستظهر على كل اعداء الرب فرجت له
 ساحات العولة فانتحى فتمت مينا وشبا صاحكا ورعا وكان اهلا لاهرار مكتونات الشهيد
 للعن الصدية وقصارى الامراته كان راضحا لمشيئة الله كادعاه هو نفسه وشط بعد تد
 مجرما نائبا فاحال ريقاه لحد الرب ١٠٢٣-١٠٢٤ وخلف هذا الملك الصالح الجالح
 الى الحرب سليمان ولده الحكيم عادلا وراغبا في الهدى والسكينة ١٠٠١-١٠١٤ فلم
 تغضب يده بالدماء المرافقة ولذلك كاف قميما بان يشهد هيكل الله عظيما

العصر السادس

في الكلام عن سليمان او اتمام بناء الهيكل

(الاجل الخامس للعالم)

ان سليمان ام بناه الهيكل لله ١٠٠٤-١٠١٢ في تشرين الثاني سنة ثلاثة الاف
بعد الخليفة وفاقاً لسنة اربعماية وثماني وثمانين بعد نزوح شعب الله من مصر وان قوبل
زمن الفاريخ دهنها معه دنوباً نقل ان سليمان انجز بناء الهيكل سنة مائتين وخمسين
قبل تسييد رومية سنة المائة والثمانين بعد افتتاح تروادة سنة الالف قبل المسيح فاقام
بأعباء تكريمه بعظمة وورع عظيمين وكانت معجزات احكامه في امسى مكانة من الشهرة
وشاهت احكامه بالثريب والمعائب لانه تعصى النساء عاشقاً فحدثت النوار عتله وضعف
قلبه وقصدت نفواه وتعدى لعبادة الاوثان جاحداً فالظلي الله عليه غمطاً عادلاً ثم حامله
بالرفق والرحمة كرامةً للذكر داود الصدوق عبده لكه لم يترك عتابه لنكرانه الجليل
نسباً منسياً بل جزاً بعد موته مملكته على عهد ولدك رجوعاً فان ذلك الملك العاني تكبر
وطغى فاحسره الله عذبة اسباط اقصاصه بأربعام عن المم وملكم ٩٦٢-٩٧٥ وصددم
عن الذهاب الى هيكل اورشليم ليقدموا فيه الترابين خيفة ان يودوا الطاعة والرضوخ
لملك يهوذا ولهذا اقام لهم آكلة عجولاً من ذهب دعاها آكلة اسرائيل طعناً في ان لا يرى الشعب
ذلك امراً غريباً لكن هذا الصدد حمله على ان يرضى الشرعة الموسوية التي كان يقوم
بتاويلها حسب اماله وكان يحض شعب على رعاية الجبابب الاوفر من الناموس نظاماً
مدنياً ودينياً فكانت خمسة الاسفار لموسى مرفعة المثلث مرغية من اولئك الاسباط الضالين
المنفصلين فانصب لذلك مملكة اسرائيل التي اصبح الكفر فيها سائداً فغنا أهلها مقسدين
وانصبت لمملكة يهوذا جبال البغضاء والشقاء واما مملكة يهوذا فقد كانت لاتتخذ الدين
جانباً وان كانت تلم به كوارث المجد والكفر الذمير ولقد كان وقتئذ ملوك مصر يصعدون
الى اطواد المغرب والشوكة فان اربعة المالك كانت مخافة الى مملكة تاب وقد ذهب
الناس الى ان سينوسيريس الفاتح الذي ذاع صيته لدى المصريين هو اسراك نفسه
الذي قواه الله على ان يبذل رجوعاً العتاب الرهيب لسبب كثر المشرط ٩٥٨-٩٧١

وإن أيام البرّين رجوعهم قد اقتصروا على الأسباط المنفصلين في أيام ملكه انتصاراً عظيماً .
 وأما ذلك آسأ ٢٢٧ — ٢٤٤ فقد كان متديناً ورعاً ونال في الكتب المقدسة اطروفة
 من الثناء على ذلك غير أنه كان يثق بالأطباء يوم كان ممنوعاً بالأمراض الملفة أكثر مما كان
 يثق بنعمة الله . وقد بنى عمري ملك اسرائيل في عصر مدينة السامرة ٩١٤ — ٩٢٤ وجعلها
 مقراً لصدته الملكية واحكم بعد ذلك يوشافاط ٩٠٤ — ٩١٤ فازدهرت في عصره
 ادواح الذهب والبرونزية قسطاس العدل ونهد السبل لسلك التجار وسادت صناعة
 الحرب فتوسم آل اليهودية فيه احكاماً داوودية وقد كان في عرض حكمه احاب وامرأته
 ايزابل مسدلين لواء السلطة فوق اسرائيل وكادحين في انتهاك حرمة الهيئة يزوران
 عن طريق الهداية الى الترهات الباطلة وينهاftان على الكفر والنجود فضلاً عما كانا يستندان
 بعبادة ياربعام الوثنية ٨٦٠ — ٨٦٩ فتنتكت بهما براثن اليرموس صاغرين وهويا الى
 دركات الشقاء . هالكين اما الله فقد اتى لما في فكره عقاباً رائعاً فاراد ان يثار نابوت
 الصديق الذي قتله لسمعه عن ان يسمها سمرذا ارت آياته حسباً تامره السنة الموسومة
 فاندريها بنم عبده اليها النبي عذاباً فاخذ الملك احاب يترصد بهلاً بيقه من غائلة
 الردي فلم يجده ذلك شعاعاً فانه هلك مقتولاً ٨٦٧ — ٨٨٨ وقد نشبت في ذاك
 الوقت مدينة قمرطاجة ٨٦٠ — ٨٦٢ فشادتها ديدون السورية على ضفة البحر
 الرومي حيث تكون محطاً لرحال التجارة وتكون لها السيادة البحرية . ولقد عسر علينا ان
 نعرف الوقت الذي بوخفت اعلام الحكم الجمهوري في تلك المدينة لكننا نعد ان
 امتزاج الصوريين بالافريقيين جعلها مثابة سامية للتجارة والصدام . وأما المورخون
 الاقدمون الذين وقفوا على ايان بنائها وعلموا ان ذلك كان قبل اندراس تروادة العظمى
 فقد يؤخذ من كلامهم ان ديدون جعلتها في غاية السعة وقوتها وان بنائها لم يكن
 موقوفاً عليها . وأما مملكة يهوذا فقد بادعتها الشعوب المتعاقبة لان عتالها بنت احاب
 وايزابل اتت الى بيت يوشافاط ياوحال الكفر والفساد ٨٨٠ — ٨٨٥ . وأما ياربعام
 فقد نبذ وراء ظهره اعمال ابيه وعمه في ما يقوم بهتو حمرة فحلت عليه يد الرب وكانت
 ايام حكمه قصاراً ومات شرمية ٨٧٦ — ٨٨٥ وقد كانت معجزات الرب فيه خلال
 تلك العتافات جليلة الوقع بل كان اجلاً مصروقاً في سيل انفاذ الاسرائيليين الذين
 كان يدعم الله الى التوبة فاهم عبديه ايليا واليشع ان ياتياهم بالمعجزات فتنبأ اوتيا

بالمجانس الينة فلم تدمت بذلك خلاصاً فند وأنها ابصارهم وعجت عنها بصائرهم فلم
 يتوبوا . فان ذنبك النبيين نبأ في عهد الملك احاب وخمسة من خلفائه واشتهر اذ ذاك
 هوميروس وذاع صيت ازبود الشاعر من قبله ثلاثين سنة فارتعز اليها عن تلك العوايد
 القديمة والسذاجة القائمة التي هي حرية بان تكون ذات بال ونشر بقدمية الآثار ومن
 ذلك قائدة "كبرى تبعا على اليقين بعظمة اثار الكتاب المقدس وقدميته وان امورا
 رهيبة قد حدثت في ملكة يهوذا واسرائيل فان الملك يامو قد حقق من ايزابل حلفاً
 بعث على الابتاع بها فامر بطرحها من قمة برج حاطر الى اسفل ٨٧٦-٨٨٤ ولم تجدها
 المحلل التي كانت تنهرج بها فنعماً فانه قد امر بها ان تداس تحت سنايك خيلك وقتل ايضاً
 ملك اسرائيل المدعو بورام بن احاب فانقرضت كل سداة احاب وكانت السلالة
 الملوكة في يهوذا قد اوشكت ان تنكس بها ابدي الإيابة والافتراض لان احزياً الملك
 الذي ابيه بورام ملك يهوذا وامه عتاليا قد فصرج بدمائه قتلاً في سامرة هو وسائر
 اخوته بحجة انه كان بمن وثاق الاخاء بينه وبين اولاد احاب ولما تناقلت الالسن ذلك
 الخبر واصبح شائعاً في اورشليم ازمنت عتاليا على ان تنيد كل من تراه باقياً من بيت الملك
 حتى انها فتكت باولادها فتكاً ذريعاً وقد بعثها على ذلك الكلف بركوب تحت اورشليم
 بعد موت بنينا اما يواش ابن احزيا فند نجا من مكائد جدته بوساطة يوشاباع اخو
 امرأة يوياداع رئيس الكهنة التي وارته في مخدع الرب وبذلك الوسيلة الماثورة انفذت
 هذا السور الثمين من نسل داود . وكانت عتاليا في دعة واعلمت ان لها كانت تنكر
 ان ابدي المدة قد اغتاله مثل اخوته . وفي تلك الايام كان ليكورك بمن شرائع باهظة
 على مدينة لبيدبون وقد اصابته سهام اللوم والتنبذ لانه جعل موضوع كل تلك الشرائع
 الحروب الهائلة اقتداء بميوس الملك غير آت بنظامات يترتب عليها آداب النساء بل
 كان يحمل الشبان في شظف شديد من العيش رجاء ان ذلك يكسبهم فيما بعد قوة على
 الانحدار الى كل معيمة راقية وقد كانت عتاليا وفتنذ يخلوها الجور في اليهودية لا يتحش
 احد لما ضلها فخالصت ان عرش ملكها لا بل لانيها لبثت حاكمة ست سنوات ولم يثر عليها
 احد لكانما الرب احد لما في هيكله من يوم بالانتقام منها جزاء لنفسها بما فعلت فان يواش
 لما بلغ من العمر سبعة اعوام ٨٧٠-٧٧٨ رفع امره يوياداع الكاهن الى بعض ظهراء الجيش
 الذين نصح نفوسهم اليه واستنصر اللاويين على تصديده فوق سرير الملك فصعد اذ ذاك

ملكاً في الهيكل قدانت له الرعية ووثقوا بوحشية لداود ويوشافاط ولما ذاع النبا عنه
 اسرعت عناليا على تنعيم المتعالمين له لكنها بدت اليها الاكث فشد وثاقها وقيدت
 الى حيث غودرت تستقي صاب الردى الروام عنديا على جرائرها المستكرمة اما يواش
 فاستوى بعدها على صورة السلطة واعظم بحرى السنة الموسوية برعى زمامها طالما كان
 يوياداع الكامن حياً فبعد ان فتكت بواظفار المنيه افسد المصانعون فبعد الاوثان
 فشق ذلك على ذكرها الحبر ابن يويادع ولراد ان يوبه فاعوز الى يواش ان ارشفه
 بالحجارة رجماً ففعل ذلك نابذاً كل مبرأت ابيه ٨٢٢-٨٤٠ ولا ريب في ان تلك
 الجريئة تأتي بعدها العقاب صارماً فان السريان اوسعوه في السنة الثانية تهرجاً واعنائاً
 وامته الشعب وقته آل بيت فخلعه ابنه امصياً قطعاً على راس العرش سالكا احسن
 منه ٨٢١-٨٢٩ واما مملكة اسرائيل فقد ومن حولها وطولها لكثرة ما ارهتها عتاء ملوك
 سوريا وما توالى عليها من الحروب الاهلية لكنها بعد ان اوشكت ان تكون طامسة نهضت
 في عهد الملك باروبوعام الثاني الذي جرّده السلوة على سلفاءه بنفواه ٨١٧-٨٢٥ واما
 عزريّا اوامازياس بن امصيا فلم تكن احكامه في يهوذا باقل شوكة ومصال منه
 ٨٠٣-٨١٠ لكنها عراء بعد ذلك داء البرص مضياً واقيم عليه الغرب كانبائنا
 الكتاب المقدس نظراً الركون في اواخر حياتهم من الجراء على ان يخلص وظائف
 الكهنة بتقديم كياه الجور على المذبح المطري عالماً ان ذلك من الامور التي لا يسوغ
 لغير الكهنة ان يقوم باعبائها فانزى عن الناس محترماً طيقاً لما نصته شريعة موسى وان
 يكن ملكاً فخلعه ابنه يوناث واستوى على طوبى العز عادلاً بسوس البلاد بكل دراهم
 ودراهم وقد شرع الانبياء في عصر الملك عزريّا ان يكتبوا نبوتهم اكتباً في اسفار
 خاصة ويتركونها في الهيكل رغبة في ان تكون آثاراً قديمة للاجيال الآتية واعظم هوشاع
 واشعيا واما النبوات الصغيرة التي كانت تلى شفاهاً على السامع فقد اثبتت حسب
 المعتاد مع حوادث العصر في دفاتر الهيكل وتجددت في سنة ٧٨٦ العام الاملياك
 التي انشأها مرفل بعد ان كانت مطوية في غابر الايام مائة زمناً مبدأ فتأق لنا
 حسب الاوليات باعادة القاب الاملياك ومن فاك المحرر كان حسان اعوام
 اليونانيين والى كان انتهاء الآجال التي بصفها فزون العالم انها خرافية فان التواريخ
 الدنيوية كانت الى ذاك الحد مشوّهات بالخرافات ولم يكن لها نظام سديد ومن ثم

حصل شروع في قصص الحوادث التاريخية بكل غمرة وتدقيق واشهرت الألعاب الاولى بانتصار كوريب وكانت اذ ذاك تقعد كل خمسة اعوام او بعد مضي اربع سنوات كاملة ولقد كان يصير الاحتفال في امام اليونانيين في بادىء الامر في يوزايم في ايد وكل من دانت له النصر ظافراً قابلاً للمشاهدون بتصفيق الاكف وضجج الاحتسان يضعون على راسه اكليلاً وبناء عليه كانت تلك الألعاب مرجعية بمعنى الاعتبار لانهم كانوا يزدادون بها قوة وهذياً وفي ذلك الوقت كانت ابطالها ترفل بانواب الخشونة والتغول وكانت للبلوك الالبيين الذين من اخلاف اينة حيازة على مدينة الب واما قول فقد كانت له صولة الملك على الانوريين وزعم الناس انه كان اباً للملك سردانابل الذي يلتبه الفرقيون حسب عادتهم بساردان بول اي ساردان بن بول وظن ايضا ان الملك بول او بول الذي اعترى سرير الملك في نيتا ناب هو وشعبه عن سيئاتهم تنفيذاً للانذار الذي اوعز به اليهم يوناس النبي وقد حملت هذا الملك الثورة التي تعانها الملوك الاسرائيليون على ان يشن عليهم الغارة ٧٥٨-٧٧١ م ان منيع اخذ جذوة غضبه فاقامه سردانابل على اربعة الملوك فجازاه منيع على ذلك بالنف وزنة ابريزية وفي عهد ابو سردانابل واخر ولاء لسكرتيرين على الالبيين اخذ هؤلاء الذين قد اغرمهم المادة بان يجمعوا حيناً بعد حين الى الحالة الجمهورية يوجزون الادارة الاركونية وافضى بهم الامر بعد ذلك الى ان يمحروها في عشرين سنوات وكانت اول من حكم على ذلك النمط شاروبس

واما روميلوس ورغيوس اللذان هما من ذرية ملوك الب لاهما اليها فقد اقاما ثانية نيهنور جدها حاكماً على مملكة الب وهو الذي كان اخوه اميلوس قد تزوج الملك من بك ومن ثم شادا اعمدة رومية في عهد يونام الذي كان وقتئذ منبراً تحت يهودا.

العصر السابع

روميلوس او تشيد مدينة رومية

ان مدينة رومية التي كانت تروم ان تجمل العالم تحت حيازتها وتكون مقراً للدين نرعاء حشية انها قد تأسست في ثالث سنة من الاولبياد السادس وفي نحو سنة

اربعية وثلاثين بعد فحرج مدينة تروادة العظمى التي يعتقد الرومانيون انها جرثومة
 لاجسادهم وفي سنة سبعة وثلاث وخمسين قبل المسيح ٧٥٤-٧٥٣ وان روميلوس الذي
 ترعرع بين الرعاة الفساة المفلول مارنا على الحروب قد كرس هذه المدينة لاله الحرب
 الذي كان الناس يزعمون بواله ابوه وقد حدث في حوت بناء رومية طوس مملكة
 الاثوريين الاولى وذلك بسبب خمول رأي سردينا بال وومن قواه ٧٥٦-٧٤٨ لان
 الماديين الذين كانت تطيب نفوسهم بزيور معبر الحرب طفوا وتمردوا على ذلك الملك
 المقتل واصبحوا المتزوجا باسمه ولدى الرعية وكان السبب في انارتهم طرد ارباس والهم
 فلما شرعية ثورة الفاترين وتمردم اقتلوا بهم هاتحين وجامروا بعدم الرضوخ فلما
 راي ذلك منهم صغرت لديه نفسه وكبر الامر عليه فذهب الى عاصمته نينوا والتي بنفسه
 الى النار وخصبنا ونسأوا فأتوا حجة حريقا فتكونت من خراب هذه الدوكة ثلاث ممالك
 عظيمة واما مملكة الماديين التي كانت عرضة للتشكيل فقد اتى عنها ارباس او ارباس
 المدعى لدى البعض بنول نيرالترفاق وبعد ان شوتهما النظامات الفاسدة فبض
 رماها ملوك اشداء وفضلاً عن ذلك في الحال بعد حكم سردانا بال ٧٤٧-٧٥٦
 نشأت للاثوريين مملكة اخرى استمرت نينوا حاضرة لها ومملكة اخرى لبابل فانها
 لمملكة تنافلت ذكرهما موطنات المورخين الديوريين واشهرنا في صفحات التاريخ
 المقدس فمملكة نينوا الثانية شادها تجلت بن فلاسر وبناه على ذلك دعي حسب
 عادة الشرقيين تجلت فلاسر ولقب بنينوس الحديث واما مملكة بابل فقد شادها
 بالادان الذي يلقب اليونان بلزيس لكنه مشهور بلقب نابونصر ولقد كان ذائع
 الصيت واشهر لدى بوليموس والملكيين الذين يحفلون حسابان سنهم من عهد .

ومن الامور التي ترفعت اهميتها ان تنوه ان الحسبان او تعداد الحمول اصطلاح
 يعتقد بنو الانسان بندي في وقت مومجل قد اشهر بمجداث ذات بال حملت الناس
 على ان تنسب اليه ولقد كان احاز ملك يهوذا غاصاً في لجة الكفر والشقاء فانقلب
 الى هذه الضيق والازمة الشديدة فقد ضايقه راسين ملك سوريا وفاقح بن رمليا ملك
 اسرائيل بالزحف عليه فناصره شديداً ولم يحلمها على ارغام انهو الدعوة من العزة
 الصمدية فبدلاً من ان يستنصر الله الذي اثار عليهم هذين العدوين ليعاقبه على شره النجاء
 الى تجلت فلاسر ملك الاثوريين الاول ٧٣٥-٧٤٠ فاومن هذا الملك مملكة اسرائيل

وطبق معاقل مملكة سوريا فاضحلت به اضحلالاً وفي الوقت نفسه هب مملكة
يهودا التي كانت قد استعبدته ولذلك هب ملوك انور مستنظفين واحدوا الى بلاد
اسرائيل فاقبحن فتحها شلتانين تحت فلأسر وجعلها عافية دارة ٧١٨—٧٢١
اما هوش ملك اسرائيل فقد كان يامل ان سياكون اوسو ملك ايتوريا الذي فتح مصر
ان ياخذ يده يده انه ولو كان عظيم اليأس والصولة فقد ضاق ذرعاً عن ان ينفذ من
ايدي شلتانصر واما الاسباط العشرة فلما اخضعت عبادة الرب في درجات الثلاثي
والاهمال سيقوا الى نينوا وتبددوا ايدي سبا بين الوثنيين ونواروا عن الوجوه فلم يبق
للعيون سبيلاً لان ترى لم اثر او عينا وبني منهم عددٌ تَزَرُّ ظلٌ متزجراً باولاد يهودا
فانضموا جميعهم قسماً صغيراً من مملكة اليهودية وفي خلال ذلك مات روميلوس
٧١٥ وقد كان ذلك البائل الصنديد يقضي ايامه في مقاومة الصعاب لا ينغم نائبة الا
اذها ونال بها لواء النصر ولقد كانت في عرض عاقته على تاجيج نهران الحروب بشيد
قواعد الدين ومن نوايس الموثوق يستنوت بها ولما سادت السكينة وخلفت
الوبة السلام في عهد نيا خافنو اتخذ له ذرية بتذرع بها الى نحة اعمال روميلوس
فوطد اركان الدين ودمت اخلاق الرومانيين بعد ان كانت في حالة الخشونة والفتور
وقد انشأ في ايامه المهاجرون الذين اتوا من قورنته ومن بعض مدائن اخرى في بلاد
اليونان سيراكيز في جزيرة سيبيليا وكرونون وتارنت ولربما يكونون قد شادوا مدناً اخرى
في انحاء ايطاليا التي لقبها رحل اقدم منهم قاطنون في تلك الانحاء ببلاد يونان المظلي
وفي ذاك العصر كانت حرقيا افضل الملوك طراً واعلم بعد داود حاكماً في يهوذا
فخاص في اورشليم شخاريب بن شلتانصر وخطبه وضيق عليه مجيشو العظيم لحنفا ملك
الرب اباد الجيش في ليلة واحدة ٧٠٧-٧١٠ ولما رأى حرقيا تلك النعمة التي بعث
بها اليه العلي رَفِخَ وعرف مقدار المنة فتعبد لله هو وشعبه بامانة صادقة وسريرة
خالصة وبعد ان اتفقت يد الرب نفسه ٦٩٤-٦٩٨ نسي شعب اليهودية في عهد ابنه
منسى الناصر المجمل خالفهم واخذوا يفسدون في الارض ويغدرسون باوطال المنكرات
وزادت قبائحهم واخذ في ذلك العصر الحكم الجمهوري بنويين الاتيين الذين طفقوا
بتقريب الاركونت كل سنة وكان اول من نظم زمام ذلك المصال كرهون ٦٨٤-٦٨٧
ويضا كانت التبايح والكفر تمتد في اليهودية كانت شوكة ملوك الانور بين المزمعين ان

ببقوا منهم تعزز في عهد الملك آصرحزون بن سخارب وضم هذا الملك مملكة بابل
الى مدينة تيمنا ومد شوكة في اشبا الكبرى كما كانت انفا شوكة الاثوريين ٦٨٠-٦٨١
اما الماديون فقد شرعوا ان يعزروا شوكتهم ويدهبوا بها المشوفين اليها فانشأ ملكهم
الاول ديموس الذي يزعم بعض المؤرخين انه ارفكساد المذكور في سفر يهوديت مدينة
اكتنان المشهورة واتهم له ركبا لمملكة عظمى فاصطفاه الماديون عليهم ملكا جزاء على ما
اتاهم به من الامتنان ورجاء ان يدرك كل شغب اثبت بينهم من علم النظام وقد اصبحوا
وم تحت قيادته لم الثقة على اذلال ما يجاورهم من الاعداء لكنهم ملكهم كان غير رحيم
وشوكتهم غير ممتدة واما مدينة رومية فقد كانت في ذلك الوقت ماثلة الى النوع على مهل
في عهد توليس اوشليوس ملكها الثالث ٦٧١ ونكست اعلام مدينة الب بانتصار
الاورياس على الكورياس وانحاز سكانها الى رومية الفائزة وتوسعت بذلك دائرتها ونفوت
شوكتها وكان اول من ألحق الى توسيع المدينة على ذاك النمط رومولوس فانه احاز اليها
الساكنين وكل الشعوب الذين ذللهم اباضي الغلبة فبعد ان انضموا الى قلب المدينة
لاحقت على اجنتهم مآت السرور والجذل وجعلوا ما تحشوه من المتائد والاعنات
لسيا منسيا واصبحوا رعاة امناء لرومية . وكانت هذه المدينة تنظم جنودها وتحصن داخلها
كلما كانت تزداد بفنوحاتها وقد شرعت تعتمتع بوثاق ذلك النظام في عهد الملك
اوشليوس فان ذلك قد جرهما الى ان يملك العالم قاطبة

واما مملكة مصر فبعد ان لعبت بها ابدي الشقاق واحدت بها النواصب من
كل جانب نهضت من حضض الخسف والخبول وتجددت قوتها في عهد الملك
بساتيك ٦٧١-٦٧٠ وهذا الملك الذي قام بناصر اليونانيون والكاريون وطلبهم
في مصر وقد كانت لا تطأها ارجل الاجبي الى ذاك الحين لكنها ذلك زال منها بعد
ان سلم حكمها هذا الملك الرصين وبسبب ذلك جعل الصلات التجارية بين المصريين
واليونانيين ومن ثم اصبح تاريخ مصر صادق الرواية حقا بعد ان كان مشحونا بالخزعبلات
التي كان يفتريها الكهنة كما قال هروثوت

وقد كان ملوك الاثوريين يبنون شوكة واختدارا الى ان اصبحوا رعية واهابا للشرق
كافة وقد ظهر على اركسفا ملك الماديين في موقعة عظيمة ساوسر يشان بن اصرحزون
الذي روي عنه انه يختصر المنوع عنه في سفر يهوديت ٦٥٧-٦٥٥ وان هذا الملك

المستولي عليه وإن لم يكن ديوجيس نفسه أول من أقام أعمدة أكيانان فمن المفضل أن
يكون ابنه قراهورت أو افراهورت الذي أقام أسوارها ولما رأى ذلك الملك الآشوري
الجبار أن المنفعة دانت له والنور أصبح رقاً يلي مقالة سولت له نفسه على أن يفتح الأرض
برمنها ٦٥٤-٦٥٦ فجدد بطوي الأرضين إلى أن وصل نهر الفرات فعبه ومغرق في
البلاد عائياً من الموضع الذي خرج منه إلى أن وصل إلى اليهودية وأما اليهود ولو كانوا
في أيامهم السالفة اجماعاً ضدّهم غوط الله بكثرة جرائمهم وهدوا الأصنام امتثالاً لنسب منسى
الملك لكنهم تابوا فيما بعد وأباه وبناه عليه قد تراءف عليهم الرب وأظلم تحت ستر
حمائمه ولذلك قد توقف بمختصر وقائد جيشه الينا عن الفتح بواسطة امرأة صديقتها
عن أقام ذلك ولو كان ديوجيس قد شكل تحت صدمات الاثوريين فإن الماديين
اصبحوا بعد موتو يبرجون في لم النجاش والتقدم في عهد خلنائو وبينما ان افراهورت ابنه
وحفيده يقيم في الفرس ويحذر ان على بساط الأرض فاتحين من اسيا الصغرى إلى شواطئ
نهر المليس كانت مملكة يهوذا قد شاهدت نهاية ولا آمون الثاني ابن منسى ٦٤٠-٦٤٢
وكان يوشيا بن آمون براً فاضلاً صديقاً من صفرس وقد اخذ وقتئذٍ يحلج الشوائب
التي اتى بها مجد الملوك اسلافه ٦٢٩-٦٤١ وقد انتصب انكوس مارسوس على عرش
رومية التي تاهرت على ان تنبع بعض شعوب لاثنية : وتضم اليها اعداءها لتجعلهم من
قائديها وتكتنفهم تحت أسوارها وأما سكان مدينة فية فقد تكبدوا خسائر جمة في عهد
خلنائو الملك روميلوس الذي اذاعهم في ما مضى شدة الهول والنصب وقد اخذ انكوس
مارسيوس يد قترحاته في البلاد إلى ان وصل إلى ساحل البحر الذي بداني رومية واقام اذ
ذاك على ضفته مدينة وسى لدى مصب النهر وفي ذلك الحبث اغارنيولا صار على مملكة
بابل ٦٢٦ بيد ان هذا الخائن الذي اقامه شيلادان اوساراك وسلطه قيادة جيشوا مل
ان يرهق سياكار ملك الماديين قد اتحد مع استياج بن سياكار وقبض عليه في
نيوا وادمرها بعد ان كانت متسلطة على المشرق وذاتمة الصولة في اقطار البسيطة وجلس
اذ ذاك على عرش مولده . وكانت بابل ترقل برداء النية والتخبر في عهد هذا الفاتح
المطاع . ولما تكثر الغنيان والفساد في اليهودية اصحبت عرضة لما يدهاها من الغوائل
ولهذا خوف عليها من كل نائية ملحة وسنة ٦٢٢-٦٢٤ توقف غضب الرب عن ان
يباده يهوذا نظراً لما كان عليه يوشيا الملك من خفض الجناح وطول الاناة بيد ان

المفاعد فمشت في عهد اولاد ٦٠٩-٦١٠ وبعد ان مات نبو بولصر خلفه ابنه
 نبو كودنصر الثاني وانه كان مينا بنوق اباه ترويهما ٦٠٥-٦٠٧ ولقد تمادى
 باعتزاق النفس والخيلاء وحسنة الايام المرعبة التي القى بها - عبر الثواب ففتح فتوحات
 عظيمة شرقاً وغرباً ولقد سولت له الحوياء على ان كل من يبطاً الارض لابد ان يكون
 تحت يده عبيدية بابل وتم ذلك الوعيد والانذار فان اورشليم فكت ابوابها له لما رآته
 متبلاً عليها وولجها ثلاث مرات اولاً في ابتداء ملكواي في السنة الرابعة من حكم يوبانيم
 الملك ومن ذاك الان يجري تعداد السبعين عاماً لسي بابل الموعر اليها في سنن ارباب
 النبي وثانها في عهد الملك جكونياس ابويابكين بن يوبانيم ٥٦٨-٥٦٩ واخيراً في عهد
 صديقاً الملك في سنة المرق طبق اسوار المدينة ولمس معاقها طاحرق الميكل
 واستأسر الملك الى بابل وسرايا الكاهن واكثر الشعب ٥٨٧-٥٨٨-٥٩٨ وقد كانت
 أشهر هؤلاء الاسرى حزقيال ودانيال والثنية الثلاثة الذين لم يكن من وسع نبو كودنصر
 ان يجعلهم يعبدون مثاله ولا ان يحرقهم بالنوب الاتون وكانت في ذاك الان بلاد اليونان
 زاهية زاهرة وحكاوما السبعة بتأرج ذكرهم في ارجاء الكون وكان سولون احد الحكماء
 السبعة بمن نوابس للآتينيين قبل اندراس اورشليم بزمان قليل ٥١٤ وقد كانت
 يجعل للحرية ركنا هو المدل وفي ذلك الان هاجرت اول نخلة من الرجل القوسيين
 القاطنين بلاد ابونيا الى مرسيليا ولما نظفر ترکان القديم ملك رومية وبرح باسم عظيم
 من بلاد توسكان واخذ بزين حاضرة ملكه ويدخر لها عمارات كثيرة انقطع ويريد ملكه
 ٥٧٨ وجاء في عصر الغوليون وكان مقدمة طليعتهم يلوغيس فحلوا في نواحي نهر الين
 في ايطاليا ولقد كان في اثناء ذلك اخوه سموفوس قاصداً جرمانيا وتحت قيادته نخلة
 كبيرة من تلك الامة ٥٦٦ واما سرفيوس تليوس خليفة ترکان القديم فقد نظم الاهلين
 ورتب لنفوسهم حساباً وعليه اصبحت رومية ذات نظام بين كيت خاص واما نبو كودنصر
 فقد حسن مدينة بابل وزينها ولا ريب في ان بابل كانت في ذاك الان تجذب اليها
 غناء الشرق وغنائم اورشليم بل انها لم تلبث متحمة بتلك الغضارة اياماً مدينة فانها انحطت
 عن مقامها السامي وعمورت الى دركات الدل وقد شاهد ملكها الجبار المهاب قبل
 انقضاء اجله خرابها الذي كان على واشك الحدوث ٥٦٣ فان ابنة اخيه بروداك الذي
 منته رعاياه لكثرة رفاثه لم تدم له ايام السلطة فان نيريكيثورصره قتله واخلس بذلك

ملكه ٥٦٠ وقد كان في الحين ذاته يزيستراط يتصدى لاختلاس السلطة السامية في
 اوما وليست تحت يد ثلاثين عالماً رقياً عن نواب الدهر ورزاياه وغلثها بعد ذلك
 لاولاد، فلم يكن لذلك نرجح لصور ان يعمل شوكة الماديين التي كانت لا تبرح نغمة في
 الشرق ولهذا شهر عليهم الحرب وبها كانت احتياج بن سياكار الاول يتخذ للمدافعة
 الهائلة بران الردي فحقه انه سياكار الثاني الذي بدعه دانوال داربوس ملك
 الماديين فاخذ جيتته يغطي طرق المدافعة فاقام قورش ابن اخيه متدناً قائداً على
 جيشه ابن كيمس ملك الترس الذي كان وقتئذ خاضعاً لسلطة الماديين ٥٥٦ ولم
 يتد عن المعرفة ان شهرة قورش التي بانت في حروب متباينة سارت بها الركبان ودوخت
 الاقطار ولا مصار في زمان حين احتياج فعملت اكثر ملوك الشرق برزحون تحت راية
 الملك سياكار سنة ٥٤٨ قبض قورش على كرزوس ملك ليديا في عاصمته وسلبه
 خريته العظيمة وبدد الذين يخالون ملك بابل على اليهود وجعل شوكتهم سائفة في
 سوريا واسيا الصغرى ٥٤٢ ثم تقدم الى بابل ونجحها ٥٣٨ واطلق لحاله سياكار السلطة
 عليها ولما اصبح هذا الملك في امان لانعاله وامانة كافاه بان زف اليه ابنته ورثته الوحيدة
 وفي عهد الملك سياكار ٥٣٦-٥٣٧ كان دانيال النبي الذي ظهر الله ليكون نبياً
 يعمل غوامض الخفيات ذائع الصيت كما كان في عهد اسلافه فرأى ان كثيرين من
 الملوك والممالك كعابرين السابلات امامه ورأى اخيراً سبعين اسبوعاً كانت دليلاً على
 وقت مجي المسح وحالة اليهود فان تلك الاسابيع تدل على الاعوام ومحصل مجموعها
 اربعماية وتسعون عاماً وكان ذلك الحسبان يستعمله اليهود الذين كانوا ينادرون السنة
 السابعة دون شغل مثل ما كانوا لا يهتمون في الاشغال النهار السابع وبعد ان مضت
 تلك الروما بايام وجيزة عبت اظافر الحمام بالملك سياكار ٥٣٦ والملك كبير ابي
 قورش واما الملك قورش المصور فقد ضم مملكة الترس التي كانت الى ذاك الحين
 متكورة العرفان الى مملكة الماديين التي جعلتها فتوحاتها من السعة غاية كبرى وبناء
 عليه اصبح قورش مستولياً على كل الشرق واقام له مملكة تستصغر عندها الممالك
 ومن الامور التي تسلفت اليها الاحداق لتسلسل الازمة ان تعلم ان هذا النافع
 اصدر الاوامر من اول ملكه الى من هم تحت امرته ليجددوا في اورشليم الهيكل ويشيوا
 اليهود الى اليهودية اما الان فليس علينا الا ان نرشح حائر الطرف في هذا الان فترام

زماناً اصبح حسابه من المعوصات فيعسر جداً انطباق التاريخ الديني فيه على التاريخ
 المقدس وإذا حققت ودققت بإسدي رأيت ان ما اخبرته عن قورش يباين كثيراً ما
 طالته عن جوستان المورخ الذي لا يذكر البتة مملكة الانوريين الثانية ولا الملوك
 الذين تسامت شهرتهم عندهم وذاعت ذكراهم في بابل والكتاب الاقدس وقصارى الامر
 ان ما انبأك عنه لا يطابق ما يوعز اليه هذا المورخ بشأن المالك الثالث ومن مملكة
 الانوريين الاولى التي افترضت في عهد الملك مردانا بال ومملكة الماديين التي افترضت
 لدى موت استواج جد قورش ومملكة النرس التي اقامها قورش وتمسها اسكندر
 المكشوني ويمكن لك ان تستقرى ما نصه ديودور واكثر مولفي اليونان واللاتين الذين
 تداولت ايدينا تأليفهم فانك ترى ما يروونه لا يطابق ما نص الكتاب الاقدس فينزع
 لديك جلياً ان ما اجمروه يقاس على ما اجراه جوستان ومن تصفح التاريخ الديني
 ورأى ما بينها وبين الكتاب الاقدس مباينة واضحة ليس له حق للدهشة من ذلك فانه
 اذا نحى الامر بعين البصرة رأى ان تلك التواريخ نفسها ليس يخلو بعضها من ان
 يباين البعض الاخر ودليل ذلك ان اليونان رووا عن قورش روايات مختلفة وان
 هيرودوت بنوه عن ثلاث منها عنا تلك التي اعتمدها هو نفسه ولم يثبت في مولده انه
 تلقاها من رواية اكثر ثقة منه اقدمين وقد نبه ان قد اختلفت الروايات على موت
 قورش فاعقد هيرودوت رواية زعم انها تقارب الصدق دون ان يثبت لنا عنها حجة
 بيضاء واما اكرينوفون الذي دوخ بلاد النرس مرافقاً قورش الشاب اخا ارتمشستما
 الملك الملقب بممنون قد نشوف الى كل اعماله قورش التدم وتلق ترجمه حياته من تواريخ
 النرس وكل ما رووا عنه ومن كان ذا خبرة في الآثار القديمة لا يبالغ ان يجاري
 القديس ابروخيوس بايثار كرينوفون الفيلسوف الحكيم العريق في مهارة القيادة على
 كينزياس الذي لا ثمة برواياته التاريخية وعنه روى اكثر اليونان الذين اخذ عنهم
 جوستان واكثر مورخي اللاتين ويوشع ايضاً على هيرودوت ولو كان مورخاً بغيري
 الامور بكل ضبط وايقان وان ما حملني على ان اعتمد ان هذا التاريخ المتماثل الذي
 لا يخلو عن مدار صدق الرواية يحوى صفة اخرى تزيد فائدة وهي انطباقه على الكتاب
 المقدس الذي قد ساد على كل التواريخ اليونانية لسبب قدميه وابعازه عن ارتباط
 الشعوب اليهودية بالشرقيين فذلك يزيد كمالاً فضلاً عما تقرر انه منبعث من

أما ثلاث الممالك الأولى فإن كل ما رواه عنها اليونانيون ظهر مشتبهاً لدى اعتقدها
فإن افلاطون لدى كلامه عن كنية مصر يلوح أن اليونانيين يميلون بوجه عام الآثار
القدسية وإن ما كتبوه بخصوص الأنوريين لا يحسه أروطو إلا خزعبلات وما ذلك
إلا لأنهم قد ألفوا مؤخرًا ولما أرادوا أن يأتوا أهلهم الذين يملون إلى أرياح النفوس
بثاليف يتفكرون بها اعتدوا على توارخ ليست ثابتة النقل وعكفوا على أن يمتثلوا عبارات
كتاباتهم دون أن يهتموا بالمصادر الحقة التي لا يشوبها ريب وجهان .

وما لاربية فيه أن كنية ترتب الممالك الثلاث الأولى ببيان واقعي الأمر فإن
اليونانيين بعد أن انقضت ساردانياً والأتوريون يذكرون دولة الماديين ثم يعقبونها بدولة
الفرس كأن الماديين خلفوا صولة أتور وكان دولة فارس سمت إلى ذروة السيادة
عقب أن حطمت شوكة الماديين . لكننا دخيلة الأمر بعكس ذلك فقد يلوح مفرراً
أن أرياس لما أثار الماديين بمرددين على ساردانياً لم يستخدم من الأمر إلا أن
يطلق لم زمام العتق دون أن يخضع لم دولة أتور . وقد يبرز هيرودت نفسه بين حين
استقلالهم وحين ملكتهم الأولى ديجوساس وكانت فتحة الزمن بين ذينك الحيزين نحواً من
أربعين عاماً حسبما قومه أرياب فن حسبان الأعوام . ومن الأمور الحقة حسب رأي هذا
المؤرخ العظيم وراي كزوفون ضارين صفحا عن التنبؤ عن غيرها أن قد كان الزمن
الذي يعزى لدولة الماديين يرى في بلاد أتور ملوك أشداء عظام الصولة يتبهم الشرق
طراً وقورش الملك هو الذي قوض بابل فانتحوا ولو قدّر أن أكثر مولتي اليونان واللاتين
الذين تبعوه لا يذكرون ملوك بابل ولا ينفون هك المملكة القوية في مرتبة الممالك
القوية الذين يدنون منا النبأ عنهم وإن لم نعد في تأليفهم على أمر عامر يتعلق بهؤلاء
الملوك المشهورين كتجلت فلصر وسلمنصر وسخرس ونبو خوذنصر والملوك الذي بنوه
عنهم الكتاب المقدس والتواريخ الشرقية فليس علينا أن نعزو ذلك إلا إلى جهل
اليونان الذين يجهدون في أن يعتمدوا على النصيحة أكثر من اعتمادهم على تحري الحقيقة
في رواياتهم أو أن نعزو إلى فقدان كتبهم التي ربما كانت محررة ومدققة

وذلك أن هيرودوت كان قد اعان الله يبرز إلى عالم الوجود تاريخاً يتعلق بمملكة
الأتوريين ومع ذلك فلم مرة عياناً فليس لنا به علم مل نصر عن الوصول إلى أرياح

يد التندان قد اغتاله او الخروف لم تسخ له بتاليه ولو قدرنا وجود ذلك التاريخ لنقدرنا
 انه يتضمن الكلام عن ملوك دولة الاثوريين الثانية لان احدهم سخر يب قد ذكر عنه
 انه كملك للاثوريين والغرب في موافقات هذا المؤلف المتصاة البنا وقد قتل سترابون
 الذي كان في عهد اوغسطوس ما جروه مكاسبين المورخ القديم والداني من عصر
 الاسكندر بشان فتوحات نيوخوذ نصر ملك الكلدانيين المشهورة ميماً انه عبر اوروا
 ووصل اسبانيا بالاسلحة الى عواميد هرقل واما ملك اثور الذي يدعوه المؤلف دميان
 ثيلفاموس فهو دون ربة الذي يدعوه الكتاب المقدس نجلت ويرى في بتولياموس
 تعداد الملوك الذين حكموا في المالك العظيم ومنهم جم غفير من الملوك الاثوريين الذين
 يجهل معرفتهم اليونانيون ويسهل مطابقتهم للكتاب المقدس ولو استقرنا كل ما رواه
 مورخوا سوريا كروز وايدانوس ونقولا الدمشقي لضاق دوننا المقام باسماب العبارة
 فاذا خزلنا ازيبوس القيصري وبوسيفوس المورخ بذات ذات قائمة عسبة سمحت بها
 انكارها وافكار غيرها الذين كانت تاليفهم لم يبرح في ذاك العصر واث ما يذكرونه
 ينطبق على كلام الكتاب المقدس بالنظر الى الامور الشرقية القديمة ولا سيما على تواريخ
 الاثوريين

واذا احققنا النظر في دولة الماديين التي يحسبها اكثر المورخين الديونيين في
 المرتبة الثانية اذ يعدون المالك العظيم ويجعلونها كلها منفصلة عن دولة الفرس فانما
 نرى اذ ذاك ان الكتاب المقدس يجعلها دولة واحدة ولذلك ترى ياسيدي ان
 تسلسل الحوادث ذاعها بحملك على ان تستقصي هذا النمط فضلاً عن استنادك على
 الكتاب المقدس وان الماديين وان كانوا وصلوا الى درجات الشوكة والعظمة قبل
 قورش الملك فان بابل كانت لما شوكة عظيمة تسود قوة واقداراً واما قورش فانه
 كثر على بل كره ضائع عليها الماديون والفرس فتحققها فتحققاً ميماً وقضت له الاقدار بان
 يسي ملكاً على الفصيين بخلافة شرعية تطبيقاً لما اوعزنا اليه فيما مضى حسب ما رواه
 كزوفون ولند اتضح ان تلك الملكة العظيمة التي اقام عيادها ذلك الاصيد السول
 قد تانبت باسم الامتين وبناء على ذلك فقد اصبحت دولة الماديين ودولة الفرس امراً
 واحداً قسراً عن مجد احشوروش الذي جعل اسم الفرس مغلياً
 وقد يسوغ لنا التقديران ملوك الماديين قبل ان يرحلوا ببابل وتحتوا مغلقها اتسع

نطاق حكمهم من جهة عمارات اليونان في اسيا الصغرى فذاع كبا ذكراهم لدى
اليونانيين وعزوا اليهم الاحكام في اسيا الكبرى وايضا انهم الملوك كل الملوك ولم يبنوا في
خربة البابل لغيرهم من ملوك الشرق اذوية

ومع ذلك فان ملوك نينوا وبابل الذين تسامت عظمتهم واصبحوا ذوي شوكة
تفوق شوكة الماديين لم تزل في ما وصلنا اليه من تواريخ اليونان ذكرا يثا وما ذلك الا
لانهم كانوا منكوبين لديهم وما يؤيد مصداق المثال ان العصر الذي خلى منذ سردنبال
الى قورش نموه الى الماديين وحدهم . ولهذا لا نخذ الفكرة باسدي حتى تقابل ما بين
التاريخ الديوني والتاريخ المقدس لان التاريخ المقدس ليس فهو شيء من متعلقات
الاثوريين الا كلمة مفردة ليست منصودة ولا يعرض بذكر نبوس موصلي دولتهم ولا باحد
من خلفائهم الا قول . وما ذلك الا لان تاريخهم لا علاقة له بتاريخ شعب الله واما دولة
الاثوريين الثانية فليس عندنا من النبأ عنها ما نريد الا ان جلاء فلا نلته هل اليونان
جهلوا امرها او البسوها رداء الدولة الاولى لسبب ما شطوا عنها معرفة وهذا ولرب
منتقدا ما قيل يستند على مولتي اليونان الذين سوت لم النفوس على ان ينظروا الممالك
الاولى الثلاث حسب احوالهم وامامهم وطلنوا بذكر كون ان الماديين يخلطون الاثوريين
الاقدمين دون ان يذكروا البنا الدولة الثانية التي انبأ عنها التاريخ المقدس انها موثلة
الحمد وقيمة المثابة . واذا كان الامر على هذا التمهط فكون منا الرد على ذلك الاستناد
قائلين ان اليونانيين لم يعرفوا من ذلك التاريخ فصلا يبطونه بهذا المعنى وانهم يناقضون
بما بروه ما اودعه الكتاب المقدس وما نصه المؤرخون المسترعون المدقون الذين
هم من ابراهيم والهم يشعرون

وبما يجاز القول فحل هذا المشكل قائلين ان المؤرخين الدينيين كانت اعصارهم
ومحالم اقرب من سوام من الممالك الشرقية وقصلا عن ذلك احرزوا تاريخا لشعب الله
الذين لم يكونوا متفرزين في شوقهم عن الممالك العظيمة وان لم يكن التاريخ المقدس
جميلا الا بهن السمة فكفاه بان يقضى به على اليونان ومن قنهم من اللاتين
بالصمت عظيلا .

ومع ذلك فلواصروا على ان يرعوا تلك الممالك الثلاث نظاما ويحسبوا الماديين
في المرتبة الثانية ويجعلوا ملوك بابل رازحين تحت نير شوكم رضوخا مقربين ان اولئك

يزحرون عن عوائدهم بعد مائة سنة انتقال العبودية من مدين لرعوا بنوع تسلسل
 التاريخ المقدس ولكن هذا ليس مطابق لما نصه المؤرخون الديونيون العظام الذين
 يدعون من اجابم التاريخ الذي يكون فيه دولة النرس والماديين في ملك واحد
 ومن الامور التي توجب المقال بان التاريخ القديمة عربة عن الجلاء والوضوح هوان
 ملوك الشرق جرهم العادة الى ان يتلبسوا باسماء كثيرة والقاب حجة تسمى المنشوفين اليهم
 اسماءهم الخاصة وان كان الناس يتلقون بها ويلفظونها بانواع مختلفة حسب اختلاف
 اللهجات وبناء على ذلك لم يبق لتلك التاريخ الا ادلة نادرة تدل عليها فاصبحت
 في حيز الاجهام ولا ريب في ان اختلاف اللفظ بتلك الاقواب ارجى حجاب الرية وهوش
 اسماءهم بالثابا بالثاب ولهذا شق علينا جدا ان نثبت في تاريخ اليونان الملوك
 الذين تلقوا باسم احشوروش وهوامس بهذه اليونانيون ويعرفه الشرقيون. ومن ذا
 الذي يحتاج فكره ان كياكار هوامس احشوروش نفسه فانه مركب من كلمة كي اي سيد
 ومن اككار كلمة تدل على لقبه فاذا امتزجا معا تحول بحسب اختلاف الترجمة الى
 كسوروش او احشوروش

وقد تلتب ثلاثة ملوك او اربعة بلقطة احشوروش وهم ملقبون بخلائها وبدل على
 ذلك ان داريوس المادي قد كان ياتب باسباروس او احشوروش ودلائل كثيرة
 كانت تدل على انه كان ملقباً باحد هذين الاسمين
 ولو لم يصر الإلماح بان نبو قودونصر ونبو قودونصر ونبو قودونصر اسماء
 لشي واحد لشي على الذهن الوفوف على الحقيقة يذ ان ذلك لم يخامر بهتان ولا
 غمبه فان لفظه نابو هي اسم مطلق لكل من الالهة التي يعبدها الناس في بابل وقد
 جرت العادة بان يضيفوها الى اسماء الملوك حسب روح اللغات ويعتبرها الشريف لخدمة
 ما يطرأ عليها من اختلاف اللهجات فان ساراكوت هو سخريب نفسه ولوزياس هو
 ازادياس وسيدساس هو مانانياس ويواكيم هو سيلم وقد ظن ان سو اوسيا هو سياكون
 ملك الحبش وامرحدون الذي يلفظ بانواع مختلفة هكذا: ارز حدون او ارورحدون
 بدعوه الكوتيون اسفر ويظهر ان سردانيال هو الملك نفسه الذي دعاه بعض
 المؤرخين ساراك ويعرف هذا الاسم عند اليونان باسم نونوس كوتكوليروس وانه لاسم
 خفيت عن المحققين حقيقته. وقد نوهنا سابقا ان سردانيال هو ساردان بن قول اوبول

ومن يعلم ان قولاً المذكور في الكتاب المقدس ليس هو الملك فلصّر نفسه فان أسماء
الملوك بعد ان تافلتها اقلام المترجمين اخذوا تحريف بعترها فمنهم من كان يختصر الالفاظ
ومنهم من كان يطيلها ويردّها بما يقتضيه اسلوب اللغة وعلى ذلك لا يعد ان يكون
تجلت فلصراي تجلت بن فلصّر احد اولاد قول الذي هو اشد من اخيه سردانيال
ولذلك رعى جزءاً من الملكة التي اختلعت من بيت ابيه وليس بصغير علينا ان تأتي
بجدول عظيم يتضمن كثيراً من الشرقيين الذين بذكرهم التاريخ أسماء مختلفة فذلك
مزية قد اتها الملايين فانهم قد ازالوا اساس ملك حجة عن دافعة وضعا بان العفولها الالفاظ
والكنى الصافا غير مفرق وبناه عليه فقد اصبح لقب او غطس والاقريني علين لتعصر
او كضيان وسيون واصبح المبروتون قياصرة فكل ذلك لا يعرف جانباً شيء من الرب
ولا ينال الدفق في شاة نعماً كبيراً وبالعمري من ذا الذي يغالي في لغة الاستغراب
عندما يسمع بعدد الحمول الذي يعزوه المصريون اليهم فليس له اذ ذاك الا ان
يتصلح تاريخ هيرودت الذي يؤكد لنا بتدقيق ونحري كما انق المقال ان تولد
المصريين ليست لهات وثوق الا منذ زمن بساتينك اي نحواً من ستاية اوسماية
سنة قبل المسيح

ولا ريب ان من اشكلت علوه معرفة الزمن المعزى الى دولة الانوريين الاولى ليس
علوه الا ان يعلم ان هيرودت ذهب الى انه محصور في مدة خمساية وعشرين سنة وواقفه
على ذلك ايون ودايموس الكارناس الذي ناسبت معارفه في فن التاريخ وطال باعه
في تاليفه وان استمر احد بعد ذلك جانفاً عن دائرة الحساب السائر قصد ان يستنري
الحوادث حادثة بعد حادثة والتواريخ التي يخالها حقة تاريخاً بعد تاريخ فيمكن له ان
يفالي في الحساب السبعيني الذي غادرته اليعة حسب الاوطار والاممال لتسبه الخواطر
الى الملوك الذين دارت رحى احكامهم في تينوا والى الممنين التي كانت تقاتلها بروق
جولم وطولم والى سلالات ملوك مصر باي نوع يود تنظيمها وتاريخ بلاد الصين دون
ان يتأني له جلالة

وليس من دأني يا سيدي ان اموه قيا بعد على افكارك بصعوبات حساب التاريخ
الذي لا تجدك منه منفعة يد ان الصعوبة التي طرأت لدينا هنا تعني على ايضاحها
لانها ذات بال واما الان فبعد ان غالبنا في سرد ما تقتضيه غايانا الماثورة جذت بنا

الفكرة الى ان تنشي الى تسلسل الاعصار مدققين .

العصر الثامن

في قورش او عود اليهود من سبي بابل

(الاجل السادس للعالم)

ان الملك قورش لما اتبرى الى رفع عماد دولة الفرس دبت الفيرة في نواده جاهداً واصدر الامر الى ظهوره وحواشي حسب اصطفاه العلي له لينفذ شعبه من مغالب الرق ويشيد هيكله الاقدس وقد كان ذلك في سنة ٢١٨ بعد بناء مدينة رومية سنة ٥٢٦ قبل المسيح سنة ٧٠ بعد سبي بابل . ولما ذاعت اوامره في الاقطار والاعصار وقرعت عواقبها ابواب الاذان عاد زربابل ويشوع بن صادق عظيم الكهنة بالاسرى فسادوا الهيكل الثاني واقاموا رديم المذبح واما الصخرة الذين طالما اخدمت في ائنتهم نيران المسد عليهم فقد رغبوا في ان يضافروهم على ذلك العمل المبرور متفقين معهم بوحدة الكلفة والرأي ولذلك هروا الى زروبا بل طالعين اليوان يرون لم يساعداه على بناء الهيكل بحجة انهم يعبدون اله اسرائيل . وان خططوا بعبادة عبادة الهتهم الكذبة اكما اولاد يهر فاشمت منهم نفوسهم نحرًا وعبادًا وانفوا من تلك العبادة المجترقة فرفضوا طلبهم واقاموا علو نكيرًا ٥٢٥ فلما تحقق ذلك لديهم ورأوا خيبة مسعاهم جدوا في احياء الخثيلة والمخداع ونصب حيائل المكر وظاهروا بالعنف والجور . واما في رومية فبهتة من ذلك الان عزم سرفوس نوليوس بعد ان اوسع اسوارها وابذل خيما ان يعمل الحكم فيها جمهوريًا لكن مسعاه اصبح حابطًا فانه قتل وهو خائف في غرب ذلك المكر براي ابنته واوامر صهره تركوين المتجبر ٥٢٢ تحكم حينئذ هذا الجائر عاتيًا واستمر طويلاً يعثو في الارض مفسدًا واما دولة الفرس فاستمرت تقوى يوماً بعد يوم وامتدت شوكتها في الاحياء والامحاء وتعمز مصالما في قلوب الاولياء فتحت المدائن وقضلا عن انها رفعت لواء سطوتها فوق اقاليمها الجمة في اسيا الكبرى رخصت لشوكها اسيا السلي الشاسعة البرور وظاظات لما روبرس الاعراب والسرمان ومع حرص المصريين على شرائهم رخصوا الى سننها وحافظها على نظامها ومبادئها وكان الفخ ٥٢٥ بواسطة كيش

بن قورش يد أن ذلك الملك الذميم لم يحيَ طويلاً بعد موت اخيه اسمرديس الذي
 قتله خبنة نثيمًا لما بدا له في حلم ذي غموض ٥٢٢
 وأما اسمرديس الجوسي فقد تولى الملك حبة بلشب اسمرديس اخي كمييس ولما نفي
 عنه غشاء الفاق توأمر على قتله سبعة من الامراء فامرقوا دمه غير ماسوق عليه
 واستوى واخذ منهم مكانه على الفرس ملكاً ٥٢١ يدى داربوس بن همناسب
 ونص كثيراً في نواحيه انه مفرد في الشاغل وتزاعة النفس وانه اوجد بي الطيرة ودلائل
 كثيرة تدل على انه احشوروش الملك المذكور في سفر استير وقد تم في غرة ملكه
 الهبكل بعد ان كان السمرة ذريعة للقاعد عن انجاءه مراراً كثيرة ومن ذلك الزمن
 تسعرت لمب البغضاء والتي بين تينك الامتين فاخذت اورشليم والسامرة شتاظراف
 وترصد كل الشحنة للآخرى وفي عهد الملك داربوس نشأت الحربة في رومية واينما
 ولاح مجد اليونان العظيم لدى القاصي والداني وانذ ارموديوس واريستوجيتون
 الاثينيان مبيت شعبهما من عنو هيبارك بن يوزيسترث وجوره لكما نصدي لما ظهراه
 المقربون لديه واما توها بمرار الحسام ٥١٢ واما هيباس اخو هيبارك فقد شمر عن مساعد
 الغربة لبني مكانه اخيه فحبط مساه وطرد الشعب ممهاً ٥٠٦ - ٥١٠ ولم تعد اذن
 تسمع مجور آل يوزيسترث واعشافهم . ولما نلص شعب اثينا من وثاق العبودية اقاموا
 تماثيل تذكراً لمخذبهم اللذين زحزحوا عن عوانتهم اقبال المكروه وبعد ذلك
 ازهرت حالة الجمهورية واما هيباس فاذا رأى ان لا امل له بالعود الى وطنه الا باعانة
 الملك داربوس تراه عليه ملتجئاً فراه على اية التماس الى بلاد اليونان فانتحاه في
 الوقت الذي طرد فيه هيباس كانت رومية تفرح ويتهزق عنها رداء الظلم واذا رأى
 الناس استبداد تركوين الجبار وما سولت له نفسه من اليوس والسوء كرهوا الحكم
 الموركي كل الكراهية وانقاد ابنه سكستوس الى هناك المكرمة وارتاب الفخشاء فكان
 ذلك علة تنفيذ دثاريت فان ليكريس اتى اغنصيا عراها النجل والاشخياء وشق عليها
 الامر فانفجرت فاثار نجيها وخطاب برنيوس الشعب على كل سلالة وقاموا على قدم
 وساق وتواثبوا على الملوك فطردوه مروعين وشيدوا حكم القناصل حسب قصد سرفيوس
 توليوس ٥٠٦ لكما الشعب تغيرت في صدورهم بنابيع الحمى فوهنت قوى السلطة
 وتقلصت الشوكة ومنذ تاسست الفصلية الاولى اساء المرتوسون الظن بلاربوس الذي

ذاع صيته بنصره المبين وقوة بأسه في مساورة العدو ولكظم حق الاهلين من نوابس
 يصبر بوجها احالة الدعاوى من مجلس التدوين والتناصل الى الشعب اذا مست
 الجرمية احد الاهالي ليكون عليهم اقامة العقاب في حق جريرته واما الملوك المجاورون
 فلما سمعوا بطرد التركوبين وجسوا من ذلك خيفة وقالوا ان هذه النقلة امتهان لنا
 وخرق لحرية نوابسنا ولذلك اتهموا الى ان يكونوا لم يحايبت واما يورسينا ملك
 السكثريين القاطنين اثروريا فقد امتشاط من ذلك حقاً وتقلد بالسلاح المبرح وكرّ
 على رومية متحفاً ٥٠٧ ولما اصيحت المدينة على وشك الدثار ولوشكت ابوابها ان تنفتح للعدو
 نضاً هو راسيوس كوكليس الضامي وهم على الاعلاء بقلب اقسى من الصخرة الصماء وقناه
 الرومانيون رافعين الوية النصر واظهروا بسالة احبت لم حريتهم بعد ان كادت تفشل
 ومن الامور العجيبة ان شاباً من المدينة يدعى سفولا احرق يد بسعير النار عقاباً لما لانها
 لم تصب يورسيناً ونالت كليله الفتاة الشهيرة العظي على ما ابدت من الجرأة الفاتكة في
 مضار القتال وادهمت يورسينا نغمه بخرط بسالتها فاقضى به الامر حنظله الى ان بدع
 المدينة مضروباً طليها سرادق الامان فتركها وشائها وبني تركوبين واهل بيته لانهصر
 لم ولا معين واما ايباس الذي تخرش للاخذ بناصر الملك داريوس فقد كان امه في
 الفجاج وطيداً ٥٠٠ لان بلاد الفرس تخفرت لاسماده على نوال الغنيمة فصارت من
 ذلك رهبة في القلوب واستنظر الناس شوب نار محرقة في اثينا وبها كان داريوس
 يأتى تلك الحرب الهائلة اوشكت رومية ان يموي الى دركات التحول هالكة بعد
 ان كانت دافعت عن نفسها ضد الاجانب فان الحمد الذي ناصل فيها عزز العداوة
 والبغضاء بين الاعيان والشعب فان سلطة القناصل الباطلة ولو دسها فلادبوس
 يفر به فقد بقيت ثمة على عوانق الاهلين الذين كانوا كثيري الحرص على استقلال
 الحرية ولذلك تزعجوا من المدينة ونوطوا جبل افنتين ٤٦٢ فقد حاولوا ان ينهضوا لم
 بالوعد فكان ذلك عبثاً لكما كلام مينيوس اكريبا المؤثر الرائق حملهم على الانشاء
 لاخوف عليهم ولا لم يحزنون. فالتزم حنظله الاعيان ان يروا لذلك الداء دواء ويتصموا
 للشعب بحامين ضد القناصل يدافعون عن حقوقهم ودعوا اذ ذاك الشريعة التي صار
 بموجبها هذا القضاء مقدسة ومن ذاك الان صار المحامون للشعب واعلن داريوس الحرب
 على اليونان واما صهر ماردونيوس فقد جاز اسيا متوجهاً انه يجمع اليونانيين بكثرة جيوشه

فوافاه ملباد الى سهول مرتون ومئة عشرة الف محارب من الالبيين فزارت الحرب
بين الفريقين فدارت الدائرة على داربوس وأذيق مر النكال ٤٦٠ وكانت وقتئذ
رومية تظفر بأعدائها الجاورين ولم يكن يخشى عليها الا من شقاق أهلها

وكان في ذلك الوقت رجل له الفرة الصرفة لحربه الاعيان يقال له كوربولان
وهو من اعظم قادة الجيش فيدلاً من ان تؤدى له الكرامة ويثاب على خدمته المخلصة
لوطه حكم عليه بالطرد من حزب الشعب فشق عليه ذلك جداً وعول على خراب
بلاده فجدد له عسكرياً من الفولسك ٤٨٦ وزحف على رومية واتاهم بالنكبات الوحلة
واغلق عليها طرق الامان مضيقاً لكنها امة طلبت اليه ان يكلم عنها فخطه فكف عن
الذريع بها ٤٨٨

واما بلاد اليونان فقد نالت السكينة عقيب موقعة مرتون لكن تلك السيادة لم
تبق فيها مدبناً فان كركساس بن داربوس وخليفته وحيد قورش لانه اطوس عزم
على ان ياخذ ثار الفرس واية من اليونانيين فجهز من المراكب المائة احد عشر كوة
اوسعة عشر كوة على مذهب البعض من المؤرخين والى من الالبيين

وزحف على اليونان وناجحت موانع الهجاء بعد ان سبر جراً للآ وما بين سنة فيها
عسكرياً كلهم فصار فصلت الاسلحة وأبرقت الاسلحة ولطائرت الهامات عن المناكب وانساع
الدم على القبرا غمره ومسيلا اما هوندياس ملك سبرنا الذي لم يكن معه سوى ثلاثمائة
مقاتل فقد قتل من جيش الفرس عشرين الفا في مضيق جبال الترمويل ثم قتل
ورفاقاً طراً ٤٨٠ واما كركساس فقد فبست فؤاده البحرية باراه تيمستوكل الالبي في
تلك السنة عند جزيرة سلاميني ثم رجع عابراً بجزر الملبسون والرعية والخشية ففنون انه
ولم يجل من ذلك الحين حول الآ نصدي لجيشه الارضي ٤٧٩ عند بلاته بوزانيا ملك
لاسيد يونيا ولريستيد الالبي المدعو الصديق واعلاء وبثائيد ماردونيوس حذاً المحسام
واتصرا عليه وكان ذلك وقت انشقاق الصباح ولما امسى ذلك النهار الراجع وشب يونانيوا
اسيا الصغرى الذين كانوا قد اتوا عن عوانتهم بزعابودية الفرس واهلكوا من فارس
ثلاثين الف راجل في موقعة ميكال تحت قيادة ليونيدس

فناشع ذلك القائد الاصيد خبراً معناه ان ماردونيوس وجيشه تنكروا في بلاد
اليونان وما ذلك الا ليلي الجراة في قلوب جنوده لكما الاقدار جعلت ذلك الخبر

صادقاً ولم يعلم ان كان علة بوقوعه موكولاً الى تواتر الانبياء او الى الصدفة القريبة . ولدن ذلك قطع كل يونان اسيا الصغرى رباط العبودية ورفعوا فوق رؤوسهم راية الحرية ودوخوا الاقطار والامصار وتسلقوا على جبال الفينة والامصار . وقبل ذلك الحين جرعوا الفرجحيين الاشداء وقتلوا صاب الذلة في صقليا صاغرين اذ بعثهم المطامع الدانية على ان يوسعوا نطاق سلطانهم اجابة لما حضمهم عليه الفرس فكان ذلك وسيلة لازهاقهم والاباق بهم يذ انهم قسراً عما احيط بهم من النكبات كانوا لا يبرحون يجددون مقاصد في نوال تلك الجزيرة التي تفوي شوكتهم البحرية التي نهافت على طائفتها جمهوريتهم ولم تكن تلك الجزيرة تناط وقتئذ الا بعنة اليونان ولم تكن محدقة الا لجهة الشرق والفرس ولما كان الفرس مستولين على جزيرة قبرص استغرت الفيرة بوزانياس وملكها من حباله العبودية ٤٧٧-٤٧٤ ومن ثم قصد ان يجعل وطنه رادحاً تحت نير عبوديته فحبط بذلك معاه قسراً عما وعده الملك كركساس من النجاح وقد وقعت الخيانة في حق من فاق الجميع بؤادته فكانت صابئة المفرطة علة لموت ٤٧٧-٤٧٤ وقتل اريتان رئيس شرطة الملك كركساس في تلك السنة عيها وامرقله اما لان هذا الخائن ودّ الاستواء على عرش سوك او انه خاف قسوة الرافعة لانه لم ينفذ بسرعة او امره الجائرة اما ارتعشتا القلب باليد الطويلة ابن كركساس فقد دانت له هامة الحكم ولم يلبث ان يتولّى سرير الخلافة الا بعث اليه نيميستوكل بكتاب ماله ان يوارره على اليونان لانه كان متنبهاً من مبيت شعبه ٤٧١-٤٧٣ فتلاين الملك وتساهل في امر هذا القائد الماهر وقربه اليه ورثب له راتباً يقوم باوده ونظر اليه بعين الرعاية قسراً عن اوليائه المحاسدين وضم الى اكناف حمايو الشعب اليهودي ٤٦٧ وفي السنة العشرين من ملكه المشهورة بما يعزى اليها من المحوادث الهمة اصدر امراً الى تخميا ان يقيم اورشليم من حصص دنارها ويرفع اسوارها ٤٥٤ وامر ارتعشتا بشأن ذلك بخلف عن امر قورش لان امر قورش موعز به الى اقامة الهيكل وامر ارتعشتا الى المدينة وان الاربع مائة والتسعين سنة من حساب الاسابيع تبدأ منذ صدور ذلك الامر المذكور الذي تنبأ عنه دانيال وهو مذكور في نبوته وان هذا التاريخ المهم مركن على اساس غير مزعزع وقد نص في تاريخ اريستوس ان نيميستوكل صار ثنية في اخر سنة من الاوليات السادسة والسبعين وذلك بطابق سنة ٢٨٠ من تأسيس رومية وفي غيره انه ابعد قبل ذلك الزمن قليل من المحوّل

ولما كانت المباني جزية بعثنا الظروف الزمنية على ان نعهد تاريخ ايزيبوس . وهن
الظروف التي اعتمدها ايزيبوس مأخوذة من تاريخ اتوسيديد المورخ الصادق الذي
قد تهر مولفه من ثمانية الجئان واشهر في ثبات النقل وصدق الرواية وقد كان معاصراً
لنيمستوكل فضلاً عن كونه قريباً من ابناء اترايه فقد وصل اليها النبا منه ان نيمستوكل
بعث بكتايو الى ملك الفرس ارغششتا في عزة ملكه وليس من مآرب كورنوليوس نبوس
المؤلف القديم العظيم ان نيس الربة احداً في ان هذا التاريخ معول عليه بالاستناد على
قول تيسيديد وصادق مقالو تيث البراهين السديفة فان موثقاً اقدم من تيسيديد
هو شارون من لمساد الذي يذكر المورخ بلونارك تصفح المتفرون مقالته فراهه منطبقاً
على ما اثبت في باطن تاريخه وبلونارك نفسه يقول ان تواريخ الفرس اجمع تنطبق على ما بنصه
هذان المورخان ومع هذا كله فانه لم يستند على شيء من مقالها ولم يبرز لنا ادلة على صم
اعتماده عليها واما المورخون الذين حصروا حكم ارغششتا ثمانى او تسع سنوات بعد الحقن
المذكور فليسوا من ارباب ذلك العصر وليس عندهم من الحجج البينة ما يؤيد اراهم
فتصارى الامر ان ابتدا حكم هذا الملك لا بد من ان يكون في اواخر الاوليات السادسة
والسبعين وفي مقربة من وقت تشيد رومية ٢٨٠ وبناء على ذلك يتبع ان السنة العشرين
من حكمه تنطبق على اخر سنة من الاوليات الحادية والثمانين ونحو ٣٠٠ سنة من تشيد
رومية وفضلاً عن ذلك فان المورخون الذين حصروا قبل هذا الحقن المعتمد عليه حكم
ارغششتا لطائفتين من المؤلفين قد توهموا ان اباء قد شاركوا في ملكه لما بعث اليه
نيمستوكل بتلك الرسالة وفي كل حال نرى ان تاريخها لم يشوه بشيء من البهتان والماين
بل ديدته الغري والتدقيق وصدق الرواية وهذا الركن ما سوس وما بقي من الحساب
سهل صعبة وان تسلسل الاحوال يجملة لديك محسوماً وبعدان صدر امر الملك ارغششتا
على اليهود بنون مدينتهم ويرفعون اسوارها فابداً لما تبياً دانيال (١١) وكان نحميا
يدبرهم ذلك العمل بمكته وحصافة عقله وقوة جنانه قسراً عن السمع والغرب
والعرويين والشعب يجهد كادحاً في احياء هذا العمل الماتور وكان الياسيب الحكام
العظيم بنوهم يملكو وكان الاوليات المحدثون الذي اصطفوا لان يكونوا حاكين الشعب

قد زادوا البلبلة والاضطراب

ورومية التي تشيدت في عهد الملوك كانت في احتياج عظيم الى شرايع هامة تسير
 بموجبها جمهورية حسنة ولما اشتهر اليونان بعداد الاحكام اكثر من الانتصار اتخذهم
 الرومانيون انموذجا لم وطفقوا يقتدون بهم ويتعلمون حكمتهم فسيروا مبعوثين الى المدن
 اليونانية ولاسيما اثينا لياتوم بشرائعها المناسبة لاحكامهم الجمهورية ٤٠٣-٤٠٢ وفي السنة
 الثانية ٤٠١ اقاموا عشرة قولاة اولى ابنة وصولوا واطلقوا لم السلطة ولشهر باسم ديمسفير فسوا
 لم شرائع كتبوها على اثني عشر لوحا على نسق الشرائع اليونانية وقد جعلوها ركنا للشرعة
 الرومانية فلما نظر اليهم الشعب ورأوا فيه حسن الطوبى وعدم الجور في نص الشرائع
 تركوهم يتفقدون السلطة المطلقة لكتهم لم يقولوا في دائرة العدالة بل جفوا عن تلك السابلة
 وامسوا بعثون وبظلمون ٤٠٠ فكثرت حشدة في رومية القلائل والشعب وتواصلت
 الاحن والفساد ولول ما سبب ذلك فساد ايوس كلوريوس احد هولاء (الديمسفير)
 اي الولاة العشرة. ولما فرجيني فقد نصباها ايوس وانشاء شرفها وهياها فاختذت
 الثورة عليها اباهما ورغب في اهلاكها فقتلها خفية ان تقتصها حائل الهوى ولما اهرق دم
 ايكراس الثانية هاج الرومانيون ولزبدوا وطردوا الديمسفير بكل حقارة وامتهان
 وفي اثناء ما كانت تن شرائع رومية ويحدثها ذوا الامر في عهد الديمسفير كان عزرا
 العالم بشرعة الله ونحميا القابض على زمام الشعوب الابية الى اليهودية يعلمان الشعب
 ويبعثانهم على رعاية شريعة موسى تستأبها لاثها كانا اول من يعكف على رعايتها واول
 بند من اصلاحها هوان الرجال ولاسيما الكهنة مندوبون ان يغادروا القساء
 القريبات اللاهي اتخذوهن قسرا عما حرمة الشريعة ولما عزرا فقد عكف على الكتب
 القدسية وجعل لها امتساقا ونحما كل الشقيج واحرز روايات شعب الله القدسية والى
 منها سفرى اخبار الايام واصل اليها تاريخ عصره الذي انه نحميا ويكتبها بنهي هذا
 التاريخ القديم الذي باشه موسى وما زال المؤلفون الذين اتوا فيها بعد حتى الان الذي
 نهضت فيه اورشليم من دنارها يسموثة بكل جذ وكبح وبما كان عزرا ونحميا يمان
 السفر الاخير من هذا الخالف العظيم كان هيرودوت الذي بدعه المؤرخون
 اللدنيوبون ابا التاريخ قد شرع يكتب تاريخه وعلى هذا يلتقي مؤرخو الكتاب المقدس
 الآخرون باول مؤلف لتاريخ اليونان ولما برز هذا التاريخ الى عالم الوجود تبين ان

تاريخ شعب الله تقدم عليه خمسة عشر جيلاً من عهد ابراهيم ولقد تصفحنا تاريخ اليهودوت
الذي اتصل لدينا ونقرأ في هواسه لثري لنا فيه نبة عن تاريخ اليهود لمخطط اسعانا
وسقط سهمنا دون الغرض المرام وما ذلك الا لان اليونان لم يكونوا ينتمون الى
العص عن الشعوب الذين كانوا يعرفونهم بسبب الصلات الحرة او التجارية او بسبب
شهرتهم . واما اليهودية فبعد ان عثت بها ايدي الباب كادت تكون طينة الحيرة بعد
طوبسها ومع هذا فلم تستأهل ان يرزوا اليها باحداق بصائرهم وفي ذلك الزمان المشهورة
بشوائب الاكدار والحوادث المدهشة اخذت اللغة العبرانية تخرج باللغة الكلدانية التي
كانت لغة بابل لما كان الشعب العبراني فيها في اغلال الاسر . ولقد كان التسم الاكبر
من الشعب يتفهمها كما يظهر من ثلاثة عزرا كتب الشريعة واما الجماعة امام الرجال
والنساء وكل ذي فهم . . . فقرأوا في سفر تورا الله مبلغين المعنى حتي فهموا القراءة
(١) ومنذ ذلك الان اخذت نعتل حيناً بعد حين فلم تقدم عليها احوام كثيرة الا
ولم تعد لغة سائرة لان اليهود قد تعلموا لغة سبي بابل اللغة الكلدانية وبعد ذلك
بسبب اتصالهم مع الكلدانيين لانها كانت تضاهي لغتهم مادة ولغة وبناء على
ذلك بعثتهم الضرورة على ان يغمروا احرف لغتهم العبرانية وطفقوا يكتبون
الافاظ العبرانية باحرف كلدانية لسهولة تراكيب الفاظها وشروع استعمالها فيها ومنهم
جرى هذا التجهردون عنه وصعوبة ان يارب بخارج احرف اللغتين ومنذ ذاك الوقت
لم تتناول اليهود الكتب المقدسة الا بالاحرف الكلدانية .

يذانة وجد في ايماننا هذه خمسة اسفار موسى في ايدي السبع مكتوبة باحرف
عبرانية قديمة كالاحرف التي على النصوص (اي الابتونيات) واما تار التي تنبي عن
الاجيال الدابنة وهذه الاسفار لا تختلف عما هو في ايادي اليهود الا في محل واحد بلا حظ
محل العبادة لله ومع هذا فقد حكم على ذلك بالتروير فان السبع يزعمون ان الله اوعز اليهم
بانماهم على جبل اريزايام بالقرب من السامرة وقال اليهود لابد من ان يكون ذلك
في اورشليم

وقد يرى ايضا بعض مبيانات جزيئة وضخ ان الايام الاقدم من الذين منهم واسايروس

وأبرونيوس طالعا هذه الآثار السامرية وجد في النسخة التي تداوها الأيدي في هذا
 المحين كل السمات التي رسم الأبابها النسخة التي تكلموا فيها قيايدي أنني مندوب أن
 اتفهم لك بأوجز العبارة عن تاريخ السامريين وأسفارهم الخمسة رجاء أن تدمر آثار شعب
 الله القدوس ولذلك يقتضي أن تذكر أن يارب عام إبان عشرة أسباط عن مملكة يهوذا
 ليؤلف منها مملكة إسرائيل التي حاضرها السامرة ٩٢٤-٩١٤ وذلك في عهد رحبعام
 بن سليمان بعد أن اغتالت سليمان المنة ٩٧٥-٩٦٢ وكان ذلك عقاباً على آثامه . ولما
 قضى على هؤلاء الأسباط بالانفصال شق عليهم الأمر ونفذوا جانباً الكتب المقدسة التي
 كانت من عهد سليمان وداود وتغاضوا عن تقدمه الترابين في هيكل اورشليم ولم يعشوا
 بأوامر دينك الملوك الذين أحدهما هبأ الهيكل وأعدوا الأخر شادة وكرة

أما مدينة رومية فقد أسست ٢٢٥٠ بعد الفكيون ٤٢٠٩-٢٢٥٠ وبعد
 أن مضى عليها ثلاث وثلاثون سنة من بنائها أي ٢٢٧٢ بعد الفكيون
 سبق عشرة الأسباط المنفصلون عن يهوذا أسرى إلى نينوى وتشتتوا أيدي
 سبأين الوثنيين

وبعث حصرثون ملك اثور في عهد بالكوتيين (١) إلى السامرة لينظروها
 ٦٧٧-٦٧٢ وقد كانوا قبلاً اثوريين فدعوا قيا بعد سامريين وقد اجتمعوا عبادهم
 بين الله العلي والاصنام وفهم الملك حصرثون كاهناً إسرائيلياً دمت مجاباهم وعلمهم
 عبادة اله المثل أي معرفة النواميس الموسوية لكنه لم يجهم الأسفار المقدسة التي سمعت
 إليها عشرة الأسباط بكل رضى ووفار وتكلموا عن الأسفار المقدسة الأخرى
 لأسباب ذكرناها آنفاً. فعلى ذلك ارتفع هؤلاء الشعوب من أفاويق ذاك التعليم ولشوا
 يثابرون على البقاء التي كانت كامنة في صدور عشرة الأسباط ضد اليهود . ولما
 لائن قورش اليهود وأباح لهم أن يقيموا هيكل اورشليم ٥٢٥ تصدى لهم الصمق سراً
 معارضين مشروعمهم وتظاهروا علناً أنهم يرغبون في الاشتراك معهم بذلك الصنع المحمد
 بحجة أنهم يعبدون الله إسرائيل وهم لا يتكلمون بربودون العبادة والعجود لاصنامهم ولشوا
 معارضونهم وبصامونهم لما أخذوا يرفعون أسوار مدينتهم تحت قيادة مخدومها فكثرت

الشجاعة بين الاثنين واصبحت كل امة تساور الاخرى وتنتظر اليها شزراً
 وهذا اولئك الاقوام لا يسلكون السابلة التي يطرقتا اليهود واجتهدوا في ان
 لا يقتنوا بهم في امر من الامور. ولذلك لم يغيروا الاحرف العبرانية باحرف كلدانية وبناء
 عليه بقيت خمسة اسفار موسى مكتوبة. بينهم بالاحرف العبرانية القديمة كما اسلفنا في ما
 مضى وهرعوا الى الملك اسكندر يستاذنونهم ببناء الهيكل على جبل غرزائم ٢٢٢ فاستأذن
 عليه عبيدهم منسى اخو يديوس الكاهن الاعظم وفرقة الدخلة عن لسان الثوم فحاز
 الطلب لدن الملك قبولاً. وقد لاح ان السمرة طفتوا يرفعون في ايامه عن عبادة الالهة
 الافاكة واصبحوا لا يهابون اليهود وتنتهز الآبامر واحد وهو انهم لا يهودون عبادة
 الله في اورشليم فلما ذل الامر بل على جبل غرزائم ومن ذلك تجاور العلة التي لاجلها حرقوا
 في اسفار موسى الكلام الذي يوعز الى الجبل فصد ان يودوا لدى الابصار ان القديس
 والفكر يسلبا منوطين باورشليم بل ي. ولست العداوة والتفلي بين الامموت فزع
 السامريون ان هيكل جبل غرزائم يستأثر بذاته ولا تكون العلاقة بين وبين هيكل
 اورشليم فكثرت المناظرة والمنازعة ونبت تخمد نار المشاحنة الى ان ركب متن خلافة
 مصر الملك بتولماوى فيلومينور فطرحوا حينئذ الدعوى لدى ارباب الحل والعقد واخذت
 الادلة والبراهين تدور على رحاما فكسبها اليهود استناداً على توازن الاحوال والفتايل
 البينة وهدر لم الحكم من لدن الملك نفسه واما السمرة ففي عرض اضطرار انتبه خووس
 ومالك سوريا اليهود آل بهم الامران ينجاروا اليهم فانبرى لم يوحنا ميركان ابن سيمان
 وفتح بلادهم وطمس هيكلهم على جبل غرزائم ١٢٠١٢٩ يذانه لم يمكن له ان يصددهم عن
 ان يستروا عابدين الله على ذاك الجبل حيث كان هيكلهم ولا ان يعيدهم ردهم في هيكل
 اورشليم فليثوا معتصمين بعروة تلك العبادة في عهد المسيح الذي قضى بالحكم عليهم
 فتثروا من ذاك الحين في محلين اول ثلاثة في الشرق. فدوخ الامصار احد سواحها فغير
 بهم واتانا بنسفة من خمسة اسفار موسى تدعى سامرية فانفتحت لدينا قديمها ومن ذلك
 تلف على البواعث التي حملتهم على ان يستروا على تلك الحال وتجرع اليهود في عهد
 الملك ارتمششتا كوموس الطائفة والامان واما سيمون بن ملسياد قايد جيوش الانبيين
 قاغصب الملك ارتمششتا على ان يبرم صلحاً بخرق ناموسة. وقد قنط من ذاك الحين ان
 يظهر على اليونانيين بالارهاب والاذلال فنهاقت على ان ينهز نهزة شفافهم. ودخيلة الامر

أن قد حدث نفور عظيم بين الآثينيين والاسيديومنيين وغرت صدور الامتين بالحسد
 واخذتا تنقسمان كل بلاد اليونان واوقد باريكليس الآثيني نيران الحرب في شبه جزيرة
 البلوينز ٤٢١ فاشتهر اذ ذاك تيرامي وترازبول والسبياد والآثينيون وبعثت القيرة
 براريداس وميندار اللاسيديمونيين على ان يذودا عن الوطن فهلكا قتيلين . فاستمرت
 تلك الحرب ثعمر موقدها سبع وعشرين سنة وكانت تمنحها حصة للاسيديمونيين فادهم
 رقلوا برداء النصر والاستظهار لان داربوس النفل امي البندوق ابن ارغخشستا كان يتوهم
 بناصرهم وساور اثينا قائد جنود لاسيدمونيا البحرية ليزنذر فاذانها عذاب الهون وفجعا
 وغير همة حكومتها فدمر الترس انهم عززوا اللاسيديمونيين وانج لم شوكة عظيمة
 ولاسيا اذ منعت وثاق اخائهم لقورش اليافع ٤٠٤ يوم تمرد على ارغخشستا الملقب بممنون
 لفرط المعية فمردوا لم بذلك رهبة واحترسا من وقوع العاتلة لان قورش اليافع لما
 كان في مهاد البحر احتمالت امه باد براتيس على اخراجه منه فخلص من الادام والاعلال
 واخذ يتوقع الزمن لاخذ ثاره فامال اليه الولاة لفرط حناؤهم وتلفوا وطوى اسيا الصغرى
 وكرّ مقاتلاً اخاء فوج مملكته هجوماً وجرحه يده واخذت به الخيلاء كل ماخذ قاصع
 شديد الحذرواة ظاناً ان النصر طوع بيذ فمات قتيل الجسارة والجرأة اما عشرة الالاف
 من اليونانيين الذين كانوا يناضلون معه فابوا الى اوطانهم اياها عجيباً اذ كان يتولى قهادهم
 في غاية سرهم كرتوفون الفيلسوف والمجهذ الفضال والثائد الجري الذي ألف تاريخ
 رجوعهم . وواصل اللاسيديمونيين الحمل على مملكة الترس التي اذافها اجز بلاوس
 صاب التاوبق والارهاب في اسيا الصغرى فغزاة النجا الى الاباب الى وطنه لما شعر
 بالشقاق السائد بين اليونانيين ٢٩٦ وفي ذلك الوقت زحف الرومانيون تحت قيادة
 كميل على مدينة في فناصرها عشرين سنوات وفجروها بعد نجاحات متباينة وكانت تلك
 المدينة لقباعي رومية بالسودد والجهد . وبعد ان فاز كميل بالنصر الممين صوب
 اسنة فوي على مدينة اخرى يقال لها فليسبك فعلق يضيق عليها محاصراً فأما احد معلمي
 الصبية مسلماً اليه اولاد اعيان المدينة امل ان يحظى من لدنه باسمي المكالنة فذبت الشهامة
 في راس الثائد واعاده الى المدينة متكللاً مهاتاً فظهر اولو المدينة امتنانهم منه وسلوه
 نفوسهم والمدينة راضحين ٢٩٤ فلم يشأ الرومانيون ان يفوزوا غدرآ ولا يغيثوا الوقت
 للنصر بواسطة ذلك الخائن اللئيم الذي خدع اولئك الاحداث المذبح ثم دخل

الفلويون السنونيون ايطاليا واحاطوا بمدينة كلويوم ٢٩١ وحاصروها فاستظفروا على
الرومانيين في معركة اليها الشهيرة ٢٩٠ واستولوا على رومية واحرقوها وبها كانت
الرومانيون يدافعون عن نفوسهم في الكيثلول كان كبل المنفي منهم يصلح شوونهم في
الخارج واستمر الفلويون متوثبين رومية سبعة اشهر ولما اقتبوا الى ان يجالوا عن ابراهيم
وبهاجروا الى انحاء اخرى نزحوا من البلاد واصحبوا معهم الهام والغنائم . وفي اثنا
الدورة التي احدثت بين اليونان اشهر ايامينونداس الصياني بعدلوا واستقاموا وانتصاراته
٢٧١ ومن مبادئ المالوفة ان لا يمين ولو مزلا . واشهرت اعماله الماثورة في اواخر حكم الملك
ممنون وتحت ادارة هذا القائد المفضل نال الهبانيون التوزيع على السدمونيين ونكسوا
شوكهم واما ملوك مكوتيا فقد اخذت سلطتهم تبدو في عهد الملك فيلبوس ابي اسكندر
الكبير ٣٥٩

اما فيلبوس فقسراً عن نصدي ملكي الفرس له اخوس وابنه ارسيد وما باده من
الوانع التي سببها له في اثينا ديموستينوس بفرط فصاحته وذوده الشديد عن الحرية
ظهر على اليونانيين مدة عشرين سنة واثلمهم يوماً ودانت له السلطة المطلقة بعد ان قبض
على عنان النصر في موقعة كيروفي حيث تنكس الاثينيين والمقدونيين معهم ٣٣٨ واذ كان
يصول على الاعلاء ويجول ويتلقى صدامهم بمن تحملك حانت منه الفتاة فرأى ابنه
الاسكندر وهو في سن الثاني عشرة من عمره يفرق صفوف الهبانيين فاقتد لذلك سروراً
وهواه الجنود كانت بينهم الفرقة المندسة التي تدعى جنودها الاصحاب وكانت يتناجح
فكرها مراراً ان تنكحها من الامور المستعجلة . وعلى ذلك استولى فيلبوس على بلاد اليونان
كافة وكان يضاف ابنه الذي كان منتهى آمال واطواره واخذ من ثم يصلح الشومون
ويتقدم على المقاصد الحسنة ولم يهجم في بادئ الامر الا بتقويض اركان دولة الفرس
فاغرى اليونان بان يولجوا قيادة جيشهم العام ٣٣٧ ومع ذلك بقي دثار مملكة
الفرس الى ان يقوم بعينه الاسكندر . وفي ذاك الحين وثب على فيلبوس الملك احد
خطري المدينة وقتله في غضون حلة زفافه ٣٣٦ وما ذلك الا لانه كان قد قضى
عليه جوراً واعسافاً وفي تلك السنة عينها ابتدر باغواس الحضي لقتل ارساس ملك
الفرس ونصب مكانه داربوس بن اوزام الملقب بتودومانوس الذي يحملنا فرط باه
على اعتقاد الراي الاحق وهو المثلل بوانه من السلالة الملوكية . وعلى ذلك عكف على

توة الملكة ملكان ذوا بسالة وها داريوس بن ارزام واسكندر بن قيليوس فقد كان هذان الملكان يتناظران وتقر صدورهما حسداً وانجلي لدى الناس انهما لم يلبدا الا ليتنازعا في امتلاك العالم . اما اسكندر فقد ازمع على ان يبط مقدمة على مملكته قبل ان يكر على خصمه حاملاً قنار بادىء بدء اياه وقهر الشعوب الذين طغوا عليه وغردوا واستهانوا حدائقه وحطم اليونانيين الذين - ولت لم نفوسهم عبثاً على ان يطرحوا عن مناكبهم نير عبوديته وجعل مدينة تاب طامسة دارية ٢٢٥ ولم يعرض الا عن مواخنة عنزة بندان الذي رست اشعاره في البلدان اليونانية ولما قوي واصبح مظفراً بتلك الامامع الماثلة زحف على داريوس متولياً قيادة اليونان وواقعه مرات ثلاثاً فاذا عرق القرية ونفحة مزالاً ودخل بابل وسوز قاتراً ٢٢٠ وجعل برسبولس حاضرة الترس عاقبة دارسة وبسط فتوحاته الى بلاد الهند ٢٢٧

وبعد ان قرى النياقي ودوخ الخواصر مدثراً بشعار الفوز عاد الى بابل ومات فيها وهو في سن الثلاث والثلاثين سنة ٢٢٤ وزفت في ذلك الان ابنه سنابلا السامري الذي تولى بلاد اليهود بأمر من داريوس الى منسى اخي الكاهن العظيم لما وفد شرارة الشعب بين اليهود فرغب اليه اخوه بادوس ومجلس اورشليم ان يطلق هذه المرأة الغربية فاني ذلك وانجاز الى العمرة ففناه كثير من اليهود ليكونوا ناصحين عن تلك الاحكام وعزم منسى منذ ذاك الحين على ان يقي هيكله بالقرب من سامرة على جبل غرزام الذي يراه السامريون مقدساً وعدا كاهناً فيه . ولما كان حرم منسياً الى داريوس وحائراً من لدنه النعمة ونرف العيش وعده بان يجعله مستظلاً تحت ستر حمايته غير ان الاقدار الطارئة كانت أشد عسده لانه اذ بدا الاسكندر غادر سنابلا ملك الترس واتاه بجريته من الجنود ليقيم بناصرة وعو محاصر صور ٢٢٢ ومناه على ذلك احسن مثواه واثاله كل ما شاء وغنى واقيم بذلك هيكل غرزام وقبضت مطامع منسى على غاياتها

اما اليهود الذين استمروا مصرين على مواخاة الترس فقد اتفوا من اسكندر واجمعوا على ان لا يوردوا له الجزية التي طلبها فزحف عليهم قاصداً الانتقام منهم في اورشليم فشمع بذلك الحبر الاعظم والكهنة قبادروا الى لقاء امامهم الشعب واخبروا بانواب يافقه فكظم اذ ذاك غيظه وعاملهم بالرفق والعناية ولما استقر به وبهم المنام اسدوا لديه نبوات النبي دانيال التي نبي عن انتصاره فرنا اليهم بعين الرعاية ونظم كلنا رغبوا اليه

فيه فانتقلوا له اوداء اصفياء كما كانوا للملك الفرسي
وفي عرض الفتوحات التي كان يقوم الاسكندر باعبائها كانت رومية شامخة الحرب
على السنينيين الذين يناوحوها وكانت تضيق ذرعها عن ان تلحقهم باعظم قادما بايروس
كبر وور ٢٢٤-٢٢٦-٢٢٥-٢٢٤

وبعد ان اغتالت اسكندر برائن الردي تجزأت مملكته اجزاء وذلك لان مرد بكاس
وبولماوس بن لاغوس وابتيكون وسلاكوس ولينماك وانتيباطروايت كساندر وكل
العادة الذين نزلوا تحت يده على اتمام الممالك حملوا بعد موته على مملكته وقادوها
بالاخفة وجعلوا كل مراتب ابي انسابه وابنه ٢١٨ وامه ٢١٦ واولاده ٢١١ وشقائده
٢٠٩ فحمية لمطامعهم فانساح في ذاك الحين الدم مدرازا ولم يكن يرى الا معامع مشوطة
بالدم الناسع ومواقع لم ير مثلا من مواقع وشعوب كثير من اسيا الصغرى وما يحاورها
عضدتهم تلك الكوارث والبلابل على الاستقلال فبقوا المعافل المحصنة والممالك المحسنة
مثل مملكة اليون وبركاهم ويتنفي . ولما كانت ارضهم خصبة ودانية القطوف اثروا واصبحوا
في ما بعد ممالك قوية غنية والنت في ذاك الزمن نفسه ارمينيا عن عانتها ببر عبودية
المكدونيين واصبحت مملكة عظيمة منيرة رجة البرور والبلدان وشيد متريدات وابنه
الملك باسمه مملكة كبادوك وكانت مصر اعظم الممالك التي شيدت في تلك الاحزاب
وقد اقامها بتولماوس ٢٢٢ بن لاغوس وملوكها بدعون للاغديين وسوريا التي وطد
اركانها سيكوس ٢١٢ وملوكها بدعون السلوبيديين وكانت تخر لصولها اقاليم في اسيا
العليا اراضيها رجة وغنية كانت من ذي قبل تخاضعة الى عهدة الفرسي وعلى هذا نرى
ان كل قاطني الشرق رغبوا اليونانيين وتعلقوا لغتهم واما قادة جيوش الاسكندر فقد
كانوا يعثرون ويجورون على بلاد اليونان نفسها واصبحت مقدونية التي نشأت منها
سلاطين الشرق فريسة لمن يتوأ عرشها وتطارد اولاد كساندر منها فطرد ديمتريوس
بولوريسيت بن انتيكونوس بيروس ملك الميرت ٢٩٤ الذي كان قد حل في قسم
من هذه المملكة ٢٩٦ ثم طرده ييروس المذكور ٢٨٩-٢٨٧ فطرد ييروس لينماك
٢٨٦ فطرد لينماك (٢٨٢-٢٨١) سلاكوس الذي قتله بتولماوس سيرانوس المطرود
من مصر وذلك عدما غير مكتثر بما افضى به عليه ٢٨٠-٢٨١ ولم يلبث ذاك
الحائن ان توأ مقدونية الا باغته الغوليون حاملين وجندله قتيلا في معركة تعانها

الترقيان ٢٨٠ - ٢٧٩ وفي أثناء الثورات الشرقية اتى الغوليون الى اسيا الصغرى بتقديم
القائد برنوس وتوطنوا غلانيا التي دعت باسمهم ومحموا من ثم على مقدونية قسليوها ووقعوا
الربعة والفسحيرة في كل بلاد اليونان ولما حملوا على هيكل ديلف ٢٧٨ بغزونه
رجع جيشهم الفهري هالكين وكانت هذه الامة تحرك من كل الجهات ولم
تفر بشيء.

وقبل الحرب التي زارت في ديلف بفيل من المحول ٢٨٢ اثار السمينيون
والبروسيون والاترييون الغوليين القاطنين ايطاليا بان يرحلوا على الرومانيين
وبريوعوم فانقضوا عليهم واكثروا قتلهم وجرحهم لكنهم لم يكتفوا بما قتلوا وعرفوا بل
نظامي الى قتل السفرا فاستشاط من ذلك الرومانيون واعادوا كيدهم الى غورم لانهم تجددوا
في مضار الوغى واثروهم مائة الضواري وتكلموا اي تشكيل ودخلوا اراضيهم وما جرب البعض
منهم اليها وحملوا عليهم مرتين اخريين قهروهم واغصوا الباقين على ابرام الصلح ٢٨٣
ولما طرد غوليو الشرق من بلاد اليونان ٢٧٨ - ٢٧٧ اغار على مقدونية دون مانع
انتيكونوس غوناناس ابن ديمريوس بوليورسيست الذي كان حاكماً بلاد اليونان منذ
١٢ سنة دون هذه وسكة اذ كان يروس مشغولاً في جهة اخرى . ولما طرد يروس من
هذه المملكة حمله المطامع على ان يفتح ايطاليا وذلك بعد ان استدعاه الترمينيون
لاغايتهم ٢٨٠ لان الرومانيين ظهروا عليهم وعلى السمينين فلم يكن بهم وقتلهم سند الا على
يروس فراع يروس الرومانيين بافبالو التي كانت تربية لان بولوا مدحورين وغلب
عليهم في مواقع سبت لة خراباً ٢٧٩ واما الفصل فابريسيوس فاعلن الى الرومانيين
ان الظهور على يروس ليس من الامور المستحيلة وكان ذلك الملك والفصل بمنازعان
في كرم النفس منازعة اكثر منها في الاخلة فاعاد يروس الى الفصل الاسرى كافة
دون فدية قائلاً لة ان الحرب تكون بالحديد لا بالفضة وبعت فابريسيوس الى يروس
بطييه الخائف الذي وكل على نفسه قتل سيد الملك بالم ٢٧٨ . ومن ذلك الوقت
ذاع دين اليهود وظهروا لدى جميع اليونانيين وكانوا عاندين بالرغبة والطائفة حسب
شراهم وملوك سوريا يستلقون انظارهم اليهم ووطن كثير منهم في اسيا الصغرى
انتيوخوس المسمى الاله خيد سلاكوس فامتدوا من هناك الى بلاد اليونان وتغلبوا في
كل الجهات بخنوق الاهالي وحرقتهم وكان قد وطمهم قبلاً في مصر بتوماوس بن

لاغوس . وفي عهد ابنه بتولماوس فيلادلفوس ٢٧٧ ترجمت كتبهم الى اللغة اليونانية وعرفت اذ ذاك هذه الترجمة بالترجمة السبعينية وترجموها كانوا الشيوخ العلماء الذين بعثهم اليعازر الكاهن العظيم الى الملك اجابة لامر صدر منه اليه . وقد زعم البعض انهم لم يترجموا الا خمسة اسفار الشريعة وان ما تبقى من الكتب القديمة ترجم الى اللغة اليونانية في عهد اليهود الذين كانوا في مصر واليونان . اذ من الممكن ان يكونوا قد نسوا لغتهم العبرانية القديمة واللغة الكلدانية التي تعلموها وقت سي بابل . وقد اختلفوا لم لغة جديدة مزوجة من العبرانية واليونانية كتبت بها الترجمة السبعينية والمهد الجديد يقال لها اللغة الهلانية . ولما امتد اليهود على وجه البسيطة وتداولت انباءهم السنة البرابا شاع صيتهم في العالم كله فامته ملوك الشرق وقدموا فيه المحرفات والترايب . واما الفريزيون فقد كانوا يرتقبون العواقب التي تقيم من الحرب بين يروس والرومانيين واما القنصل كيريس فقد قمع الملك ٢٧٥ واجاه الى عبور البحر والاشناء الى بلاد الايبرول يستكن الا زمانا قصيرا لانه عول على الاغارة على مقدونية رجاء ان يعوض عن خسائره في ايطاليا . وحصر انيكونوس كورناتاس في نسالونيك وضيق عليه ووضع يده على ملكته ٢٧٤ ثم تنوى انيكونوس لما كانت المطامع النفسية تمت يروس على الحمل على اللاسيدمونيين والارجيين فالتقى الملكان معا في مدينة ارغوس حيث احزاب مختلفة استصرغوها فدخلوا المدينة من باين مختلطين ونشأت فيها موقعة تفشع منها الابدان فدنا من الملك يروس شاب وجرحه في يده جرحا بليفا ففناه مطاردا قصد الانتقام فرائه ام الشاب وهي على سطح صرحها فاهوت عليه حجرا من فوق اخذت به انفاة ٢٧٢ ولما ملصت الظروف انيكونوس من احواله عدوه الالد انشى راجعا الى مقدونية التي بقيت منوطة بهذه سلاله غريب ثقلات عظيمة . ومعاهدة الاثني عشر صدت هذه الملكة عن سعة ارضها وقد كانت هذه المعاهدة كبحن الحرية الاخير في بلاد اليونان ومنها نشأ البطالان اللذان رفعوا راية السوءود والفخر فوق اليونانيين وهما ارنوس وفيلومين

واما التراتونيون الذين كان يروس يهدم باسماه ايام مواعيد عرقية استنصروا بعد موته اهل قرطاجنة . ومع هذا فقد خابت امالهم لان الرومانيين قد تكسوم والبروسيين والسيليبس الذين كانوا يواخوهم وبعد حرب استمرت اثني وسبعين سنة رشح السنينيون للرومانيين واقتحام قرب ذلك التراتونيون وكل الشعوب المجاورين

الذين لم يمكن لهم المصادمة والدفاع وعلى هذا أصبح كل الشعوب الفاطنين ايطاليا
يخضعون لشريعة رومية وخشي الغوليون الذين داهمهم مراراً الجيوش الرومانية ان
يبدوا ثورة مرة اخرى . وبعد ان تقدم على تلك الحروب المستمرة اربع مائة وثمانون من
الحوول استولى الرومانيون على ايطاليا وطفقوا يترقبون الشعوب الخارجية ويعادون
الفرطحيين الذين يجاورونهم لما نالوا من القوة بفنوحهم صفية حيث كانوا ياتون ليسوا
الاغارة عليهم وعلى ايطاليا فجأة ان يقوموا بناصر الترابين

وكانت وقتئذ جمهورية قرطاجة مستولية على ضفتي بحر الروم وشاطئ افريقيا
ومتدة في افريقية من جهة بوغاز المحيط ومتصلة بواصلة البوغاز الى شاطئ البحر من
جهة اسبانيا والمملكة البحر والنجارة . وقد اغارت على جزيرتي كورسيكا وسردينيا ودافع
الصقليون كل الدفاع لكنهم فاسوا بذلك عيائهم وقد طالما اندرت ايطاليا عذاباً وبلاءً .
وماك علة حروب مع قرطاجنا نشأت قسراً عن المعاهدة التي نكحتها القرطاجان ٢٦٤

فحرب قرطاجة الاولى علمت الرومانيين القتال في البحر ٢٦٠ وقد اقتبسوا فناً مجهولاً
ضاغرم فوراً على نوال التور فان التصل دويليوس الذي جاءه اولاً في البحر منجسماً
المشاق ظفر بالاعداء فرعى ذلك المجد رغوولوس وزحف على شواطئ افريقية حيث
استخدم كل جيشه في سبيل مساورة الافق الهائلة . واصبحت قرطاجة في ازمة شديدة ولم
يتقدها من غائلة تلك الحرب الهائلة الاكراتيب اللسدوني فانه انتفض على القائد
الروماني ففقه واقتاده اسيراً ٢٥٥ وأما رغوولوس فان حبه اناله شرفاً اكثر منه في
انتصاره وفوزه لانه بعث يواي رومية لكي يسعى في تبديل الاسرى وليس له كفى
سوى كلامه فلما رجع مجلس الندوة بآراء من شأنه الايباس لكل من يتبع اسيراً ثم انتهى
ليوت بقضاء محنهم وأما الاسطول الروماني فقد غرق مربي غرقاً مرعباً فالتجأ
الرومانيون ان يقادروا سلطة البحر للفرطحيين وبقي الانتصار زماناً طويلاً في ريب بين
الامتين واوشك الرومانيون ان يفتخروا وبذلوا لولا ان ينظروا الى امر مستعبراهم
ويصلحوها وقد حصلوا على غيمة النصر في معركة واحدة اتم حربيها التصل لوتاسيوس
٢٤١ وأرغم الفرطحيون على ان يودوا الجزية وأخرجوا من صقليا وكل الجزائر التي بين
صقليا وايطاليا وتسلط الرومانيون على صقليا برمنها الا ما كان يناط بمهدة ملك كان
عاقباً معهم الاخاء وهو نيدون ملك سيراكوز . وبعد ان انتهت تلك الحرب الرائعة اخذ

ذوو المناصب السنية يماطلون المجنود يدفع روايتهم فحاشوا من ذلك وثاروا طالبين حقوقهم فاشتكت قرطاجنة اذ ذاك ان عوي الى مهاوي التاخر واسعدم على ذلك اغلب مدن دولهم فاصبحت المدينة على جرف هار من الدمار والويل لولا ان اميلكار وحده الملقب بباركاس لم يثبدها من ذلك لانه وجد محل على عاتقه مستفاداً الحرب الاخيرة مع الرومانيين ومكن آل وطو من ان يوزوا بالمقردين المرة الثانية ٢٣٩

وبسبب هذه الحرب فقد القرطاجيون جزيرة سردينيا فان محافظيها المقردين فتحوا ابوابها للرومانيين. وخشية من ان يطرأ طاريء وتسرع حرب جديدة مع الرومانيين سلم القرطاجيون الجزيرة المهم قسراً عنهم واثلثت عليهم الجزية وسولت لم نفوسهم على ان يحافظوا في اسبانيا على سلطتهم التي اوعها تروا الامالي. ولهذا جاز اميلكار تلك البلاد مصحوباً بابنه انيبال الذي كان له من الاجل تسع سنوات قات هناك في موقعة تيبلا ٢٣٩-٢٢٠ وفي اثناء ما اضرم نار الفجاء تسعة اعوام بشدة العطش والبسالة كانت ابنة انيبال الحديث السن تعلم فن الحرب تحت دراية وشايج بوساطة البغضاء الدوية في فوادهم ضد الرومانيين. وبعد موتو خلتها صهر ازدروبال وقبض على عنان السلطة بدرابة ودراية وشاد مدينة قرطجة الجديدة التي كانت بسبب مركزها حاملة اسبانيا على الخضوع للقرطاجيين

وكانت حينئذ الرومانيون يضرمون نار الوشي على نونا ملكة الليريا التي كانت تعدي على السفن في كل جهات البحر دون مانع، ولما كانت الخيلاء اخذتها كل ماخذ لشكيرة الغنائم التي سلبها من اليونان والايبروت اهانته الرومانيين وقبضت سفرهم فتناهضوا عليها حالاً وقهروها ٢٢٩ ولم يقروا تحت سلطتها الا جزءاً صغيراً من الليريا ٢٢٨ وزرعوا من يدها جزيرة كورفو التي كانت قد اختلسها والنوا حرمهم في بلاد اليونان بسنارة بعثوها اليها رسماً فذاغت شوكتهم مرة اولى في تلك الامصار

وكان نجاح ازدروبال يجي في قلوبهم الحمى واما القويليون الناطلون ابطاليا فكانوا يصدونهم عن الانعام في احوال اسبانيا ولقد كان القرطاجيون راعين في بحيرة السكينة والسلام منذ خمس واربعين سنة وكان الشبان الذين بلغوا اشدّهم في ذاك الحين لا يفتكرون في ما خسروا ثقتاً من الانعام والمهام ولذلك اخذوا ينظرون الى رومة بعين القلى ويهددون بها عناداً مبرحاً. اما الرومانيون فلما نهبوا اولئك القويليين

الجلوريين المشاغين فكروا في ان ينالوا طائفة من جهة الترطيين ولذلك ابرموا عهداً مع ازدروبال واعداً اياهم انه لا يعبر البتة وراء نهر الابر - واحتمت في ذلك الحين تارة بين الرومانيين والقوطيين بحث من اليتيم ٢٢٤ وانضم الترزيانيون (١) الى السيزيلانيين (٢) وقامت الحرب هاتجة زائرة فتكلم الرومانيون بالصرايين ٢٢٤ واسروا من وسط المعركة كونكوليتانوس احد ملوك القوطيين . وملك اخر منهم يقال له ابروهستوس اخذ به الكمد كل ماخذ فاقصر - فحشفر عبر الرومانيون الظاهرون عبر البومة اولى وعولوا على ان يستولوا على كل نواحي النهر التي كانت القوطيون يسيطرون عليها منذ اجيال عديدة وكان النصر يرافهم ايام رحلوا او حلوا وفتحوا مدينة ميلان وقصارى الكلام ان اكثرية البلاد رخصت لشوكهم

وفي ذاك الحين توفي ازدروبال ٢٢١-٢٢٠ وخطه انيبال وهو في سن الخمس والعشرين فاجع الكل حينئذ على الحرب وعزم انيبال على ان يفتح اسبانيا لا يكثرث بما تنص المعاهدات السابقة فنقض الساكوتيين وشكوا امرهم للرومانيين الذين كان وثاق الاخاء شديداً بينهم ٢١٩ فسمع الرومانيون الشكوى بكل اصفاء وبشوا يسفروا الى قرطجة ٢١٩ واما الترطيين الذين كانت قد اضططحت احوالهم فلم يعشوا بالتسليم ولما كان الحشد على الرومانيين متأصلاً فيهم لكونهم اخذوا منهم صفلياً وسردنيا وثقلوا عليهم الخراج فحينئذ الوقت لاختار ولذلك لم يفر الحرب الذي كان يرغب في تسليم انيبال وكان هذا القائد الجريء يزور الى كل امر بعين البصيرة فارسل سفراء سراً الى ايطاليا ليقرروا له ميعاد القوطيين الفاطنين فيها واذ كانت هذه الامة غير قادرة ان تبهر امراً بذاتها فحينئذ الوقت عند مرور ذلك القائد لشخص من هاري حالها الثعسة . فعبّر انيبال حينئذ نهر الابر وجاز جبال اليراني وكل بلاد القوطيين الفاطنين وراء جبال الالب وعبر جبال الالب نفسها وحمل على ايطاليا بغتة فاخذ القوطيون يدافعون اشد الدفاع عن حريتهم غير متفاعدين عن اكنار الجحود فنكس الرومانيون اربع مرات وظن الجميع ان دنار رومية قريب ٢١٦-٢١٧-٢١٨ وانقازت صفلياً الى المظفر الفائز لان ابروهستوس ملك سيراكوز اعلن انه صدق للرومانيين ٢١٥ واكثرية

(١) القوطيون الفاطنون وراء جبال الالب (٢) الفاطنون جهة الالب من ايطاليا

شعوب إيطاليا عرضوا عليهم ولاح ان لم يبق لهذه الدولة ثقال ولا عضد في اسبانيا بعد ان قتل سييون واخوه ٢١٢ ولدى تلك الآزمة نالت رومية راية الفرج بعد الياس ونجحت من مكائد المعندين فان ثلاثة من اعيانها وهم فايوس مكسيموس ومرسيلوس وسييون الشاب قد اقتدوا من محالب العدو ونضوا عنها لفاع العار. فان فايوس مكسيموس كان صبوراً على ملاقاته الثابتات ثابت القدم عند الصدام ولم يكن يخفل بالاباء الذائعة بين البرايا فقبض على زمام القيادة وطلق مجارب انيال بكل بسالة ونظام. ومرسيلوس حمل انيال على ان يرفع الحصار عن مدينة نول ٢١٤ ففتح مدينة سيراكوز ٢١٢ ونفوت الجنود باعماله. ولما رومية فاضها العجب والدهشة من ذينك البائسين فشعرت ان في سييون الشاب امراً اعظم من ذلك فان آراءه المدينة التي عنها لبحاجة اثبتت ما سمع عنه انه من نسل الالهة وان له معهم حق المناوضة. ولما كان في اجل الاربع والعشرين سنة غول على ان يذهب الى اسبانيا ٢١١ حيث قتل ابيه وعمو فاجتث نفسه ان يحمل على قرطجة المدينة كأن ذلك الهام سماوي ٢١٠ واملقت جنوده على المدينة ففقوها عنوة وكان كل من براه بواخي الشعب الروماني واخلي له القرطجون اسبانيا مقاديرها له ٢٦٠ ولدى نزوله الى شواطئ افريقية طأ طأ له الملوك صاغرين. ولما رأت قرطجة ان الويتها منكسة من كل الانحاء انشعرت رهبة وفاجأها الكرب ٢٠٢ فاستصرخت انيال لياخذ يدها ويكون لها نصيراً فذهب استصراخها أذراج الرياح فلم يمكن له ان يذود عن آل وطنه. فسييون ظهر عليهم وابرم عليهم شروطاً ٢٠٢ فقلقب بالافريقي جزاء لما صنع وبعد ان تقلب الرومانيون على الفوليين والافريقين لم يبق شيء يرهيم ويهلم ومن ذاك الحين شرعوا يجاربون دون خشية ورهبة

وفي اثناء الحرب الاولى سيف قرطجة سطا بمحودوت والي بكتريان على اثيوخوس الملقب بالاله ابن اثيوخوس سوتر ملك سوريا واخلى منه الف مدينة ٢٥٠-٢٥٦ واتخذ اغلب الشرقيين ذلك الصنع انموذجاً لم. فنهض البريتون عاتين متمردين تحت قيادة ارزاس الذي شاد مملكة امتدت على مهل في كل اسيا العليا وكان ملوك سوريا ومصر لا يتمكون الا في ان يبيد بعضهم بعضاً بالقوة او الخداع وكانت موضوع نزاعهم دمشق وارضها المدعوة سيلي سوريا او سوريا السفلى التي على ثغور الملكين. وكانت

حينئذ إدارة الأمور في أسيا منفصلة عن أوربا وفي ذلك الآن كانت رياض الفلسفة زاهرة زاهرة لدى اليونانيين وكان للذهبان الإبطاليك والأيونيكي نشأتهما جهابذة سامون وأناس لا يعول عليهم دعاء اليونان بحجي العلم وشرع فوثاغورس يشيد في عهد الملك ثورس وابنه كبير المذهب الإبطاليك في بلاد اليونان العظمى قرب مدينة نابولي وكان تاليس الميلاني يثبت نحو ذلك العصر عنه المذهب الأيونيكي ونشأ من هذه المذاهب الفلاسفة الكرام وهم هرقليطس وديموقريطس وأسيديوكس وبرمبندس واثاكرأكورس الذي أبان لدى سوكس حرب البلوبونيز أن العالم فطره روح أركي. وبعد ذلك الآن نشأ سقراط وحضر الفلسفة في فحص السجاياء الحسنة وأضحى إذ ذاك أباً للفلسفة الأدبية وأبد تليخ افلاطون مذهب الأفاديين وأصبح أريسطو تلميذ افلاطون ومعلم الاسكندر رئيساً للمذهب المشاء. وفي عهد خليفة الاسكندر أصبح زنون الملقب بسنيان من مدينة في جزيرة قبرص في ممقط راحة أساس المتوسمين وإن كان يسوغ أن ندعو الذين يمجّدون العناية الصمدية والواجبات الانسانية فلاسفة فايكور الاثينالي أصبح رئيس الفلاسفة الذين يهتمون اليه ويعرفون بالتفصيل بالملة وبعد ابوقراط ابوالطب من الفلاسفة الكرام زاهرة بين أقرانه في تلك الاحيان السعيدة لدى اليونان وكانت في العصر نفسه عند الرومانيين نوع اخر من الفلاسفة لا يتوقف على المجدل والمحطابة بل على النفاة والفاقة وأشغال الحقول والحرب ويو كانوا يحوزون الفخر لم ولوطهم والاسم الروماني وفتليون على ايطاليا وقرطجة

العصر التاسع

في سبيون اودثار قرطجة

رضخت قرطجة للرومانيين سنة الخمسمائة والأثني عشر والخمسين بعد تشييد رومية ونحو ٢٥٠ بعد تشييد مملكة الفرس ونحو ٢٠٢ قبل المسيح فقد كان انيبال يدير خفية الاعناء طالما امكه ولم يخيم من تمكاته الا انه بعث اخذاته الاقدمين والحديدين على تخيم الثنائيات السود والنهاقت على الهلاك كانه سب الهلاك لوطو وشخصه. فان قبلوس ملك مقدونية الذي كان الإخاء بينه وبين القرطجيين تنكك وداهمته

قوة المتصل فلبينوس وأصبح ملوك مقدونية تدار عليهم دوائر الضيق وأخلص اليونانيون من تحت اثنال رقم ١٦٦ وأزعج الرومانيون على ابادنة انيبال الذي كانوا يرهونه حتى بعد انكساره . بيد ان هذا القائد الباسل بعد ان التقى الى ان يولي من وطنه مديراً آثار عليهم الشرقيين وأتى بالحلمهم الى اسما ١٦٥

واذاخذ انيبال بيتاً براهين مدينة على انتيوخوس الملقب بالعظيم يحذر من شوكتهم كل الاحذار ولم يلبث ان شهر عليهم الحرب ٨٩٢ غير انه لم يعبأ بما اصابه انيبال فتفكر براً وهجراً وأغضب على ان يرضخ لما اوعز اليه بولسيوس سيبون اخو سيبون الاقرباني وجعلت جبال الكوروس حتماً . وأما انيبال فبعد ان ولي مديراً من بلاد الرومانيين اتخذ بوزانياس ملك بني ثمالالة فبعث اليه الرومانيون بن سناه سماً فأماته ١٨٢ واصبحوا رهبة في كل الارض لا يتحملون على دولهم دولة فتقاطرت اليهم الملوك واسدوا اليهم اولادهم تاميناً ومكث انتيوخوس ملك سوريا الملقب بابيقات ابن انتيوخوس الاعظم زماناً مديناً في رومية مرهوناً لكن في نحو اخر حكم اخيه البكر سيلاكوس فيلوباتور بدله الرومانيون ١٧٦ بدنييروس ابن الملك وكان له من العمر عشرين سنوات . وفي عرض ذلك اغتالت الميتة سيلاكوس واختلس انتيوخوس ملكة حين ١٢٥ وكانت وقتئذ الرومانيون يذكرون في شموون مقدونية ١٧٣ حيث الملك يرمي كات يثلي مجاوره ولم يكن براعي حرمة الشروط التي التفت على ايه فيلبوس . ولما ذلك اصبح شعب الله تحذقه الابصار ولم يوال الامتهان والاضطهاد فان انتيوخوس ايماناً كان يحكم كانه معنوه مجنون ولا ينظر الى اليهود الا شراً وعول على هدم هيكلهم وإتلاف شريعة موسى وكل الامة اليهودية ١٧٠-١٧١ لكنها سلطة الرومانيين صده عن ان يتجاوز معبر فانهم كانوا يباشرون تاجيح الحرب على يرمي الذي اشهر بكونه سريع التصدد بطيء العمل ففرضه مواخوه لحسنه وجنوده لجبايته فقبض على سلطته المتصل بولوس اميلوس واغضبه على ان ياتي امامه صاعراً ١٦٨ وأما جسيوس ملك الليريا فقد عقد حبل المواخاة مع يروس وعاهد على الدفاع وال هجوم فلم يجده ذلك نفعاً فان قائد جنود الرومانيين تملك وتخذ من بعد ذلك اسيراً فاصبحت ملكة مقدونية ولابة من السلطنة الرومانية بعد ان استمرت ملكة مستقلة مدة سبعماية سنة ونشأ منها مائة مائتين سنة ملوك لليونان وسائر المشرق

وكان اثيوخوس الملك يزداد حنفاً وغيظاً على شعب الله ١٦٧ فظهرت اذ ذاك
 مقاومة كاهن من نسل قيه اقتفاء بالغيرة يقال له متيا ويدت اوامس التي غادرها بعد
 موته لخلاص شعبه ١٦٦ . وظهر ابنه يهوذا الملقب بالمكابي على اعدائو الكثيري العدد
 ١٦٥ وما المكابيون وتكرس الهيكل ثانية بعد ان دسّ الوثنيون ١٦٤ وحكم يهوذا
 وبدا عهد الكهنوت المقرر ثانية ومات اثيوخوس ميتة ذريعة بعد ان ثاب توبة
 لا يقابلها المجهنم بالرضوان والرحمة . فان الله كان عليه غصوباً لكثرة ما كان عتلاً زنياً .
 وخلفه ابنه اثيوخوس اوباتور القاصر وكان متهماً استاذاً ليزياس . وفي التاء صغره
 دخل الهاجس في غفل ديمتريوس سوتر المزهون في رومية ان يشق العرش الملوكي
 لكما جلس التدوة لم ينزله العود الى مملكته لان السياسة الرومانية كانت تؤثر على
 ذلك ملكاً قاصراً . وفي اضطهاد شعب الله مستمراً في عهد اثيوخوس اوباتور والنصر
 المبين به يهوذا المكابي يونيه كيف شاء ١٦٣ واخذ الشقاق يحجى في مملكة سوريا
 ١٦٢ فان ديمتريوس فرّ مديراً من رومية ورضخت له الرعية صاغرة واثيوخوس القاصر
 قُتل هو ووصية ليزياس . واما اليهود فلم يقابلوا بالاساءة في عهد ديمتريوس اقل ما
 كانوا يقابلون في عهد سلفائهم . وقد آلمهم لان قواد جنوده اوقعهم يهوذا المكابي
 وقعلت يد التابيد نيكاتور الجبار بالهيكل الذي كان يذره بها خراباً برباباً . وبعد ذلك
 بقليل من الزمن ضاق يهوذا ذرعاً من كثرة الاعداء فقتل وهو يدافع دفاعاً غربياً ١٦١
 فخلقه بالمنصب والشهرة اخوه يونانان ولما ضابته العدو وسد عليه ابواب النجاة لم يكل عباءة
 وانهر الرومانيون الزمن لينكسوا الوية ملوك سوريا فاظلموا اليهود تحت محاف باسمهم
 وكان يهوذا قد واخاهم فاستمروا على الاخاء محافظين . ولما كان الرومانيون رهبة للقاصي
 والداني كان شعب الله لا يسهم ضمير ما داموا متسككين في بطاح حمايتهم ولقد كانت
 سوريا تمجد من كثرة الرزايا زماناً طويلاً واقام سكان انطاكية على العرش ملكاً
 اسكندر بالاس الذي كان يدعي بانه ابن اثيوخوس ايفان ١٥٤ وقد كان ملوك مصر
 اعداء الداء للدولة السورية ولهذا هما فتوا على ان يكون لهم ضلع في الانقسام رغبة في
 نوال الفائتة من ذلك فانحاز بتولموس فيلوميتور الى الملك بالاس واستعرت نيران الحرب
 شديدة . ففضت الاقدار على ديمتريوس سوتر فجندل قليلاً ١٥٠ ولم يخلقه للاخذ بدمو
 الا ولدان حديثا السن يقال لاحدهما ديمتريوس نيكاتور وللاخر اثيوخوس سيداناس

وعلى هذا بقي المختلس غير مذکور ولا موات وزُنت اليه كهو ياترا ائمة ملك مصر واما بالاس فقد ناجته نفسه انه فاز بكل شيء فخاض في بحر النساد قاصع ممتهنا لدى كل الرعية. وفي الوقت نفسه فض فيلومينور الدعوى المشهورة بين السامريين واليهود ١٥٠ وكان لا يبرح المشتون المناقضون شعبياته يخازون الى اعدائه. ولكي يجعلوا التبرخوس ايمان يحوم فيهم بعين الرضى كرسوا هيكلهم على جبل غرزام لجوئير المضياف ١٦٧ وزيادة على ما كانوا قد نسوا طوحوا في المشتة تطوحتا وعقوا يرمون بعد ذاك الحين امام الملك بتولماس فيلومينور في الاسكندرية ان هيكلهم له حتى الاوبرية على هيكل اورشليم فبادر الثريقان الى حلة المحاكمة وآلى كل فريق بتقطع راسه ان لم يات بالبينة الصادقة من ابات شريعة موسى على صحة الدعوى. لمختص الحق لليهود وعوقب السامريون يقطع الروموس حسب اليهود وسع ذلك الملك لاثيناس من نسل الكهنة بان يبني في مصر هيكل هياو يولاس على رسم هيكل اورشليم فصدر الحكم من مجلس اورشليم ان هذا المشروع مناقض لمطوق الشريعة

وفي ذلك الوقت كانت قرطجة تعزك وتنجيم بكل عناية ومشفة ما اثنتا به سبيون الافريقي الظافر ولهذا عزم الرومانيون على نطيسها. ومن ذلك انشبت الحرب في قرطجة من ثلاثة ١٤٩ — ١٤٨ ولما اصبح ديمتريوس تكاثور بانعا فمس سيق ان يتبوأ ثانية عرش اجداده. وملاينة المختلس جعلته يتأمل بذلك فوزا ١٤٦

ولما علم بالاس بشبوية ديمتريوس وما آل الامر الى القضاء اضطرب من ذلك جدا فانصب جهوه فيلومينور مناقضا له لان بالاس لم يدعه يتولى على مملكته المورية وطلقة عرسه كهو ياترا التي طالما اغراها الطبع بان تزف الى عذره. ثم قتل هذا الملك جنوده بعد ان تفتقر في المعركة ومات فيلومينور بعد قليل من الحين لكثرة ما اتخن من الجروح. وبناء على ذلك غلصت سوريا من مخالف عدوين الدين وقضى التندر على مدبعتين عظيمتين اصحبت عرضتين للذئار في آن واحد. فان سبيون اميليان بعد ان فتح قرطجة اطلب فيها النار فاحرقها وقرر بهذا الفوز لقب الافريقي في عائلته وادى انه اهل لان يكون وريث جن سبيون العظيم وجرى على مدينة قورثية ما جرى على قرطجة وتلاشت جمهورية الاشبين في الوقت نفسه. فان الفصل مومبوس طبق اسوار هذه المدينة لانها

كانت مقر الخلاعات والزخارف اليونانية وقد كان فيها تماثيل غنية لا يعرف لها قيمة عند الرومانيين نقلها الى رومية . فان الرومانيين كانوا لا يفتنون فنون اليونان وصناعاتهم ولقد كانوا يفتنون بمعرفة فن الحرب والسياسة والزراعة . وفي أثناء الرضايا التي كانت تلم بسوريا كان اليهود يفتنون بالنقود والبأس وكانت كل من الحزبين يزدحم لانتقاله يونانان اليه وكان نيكاتور الظاهر يعاملهم معاملة اخر ١٤٤ ولم يلبث طويلاً الا جوزي على ذلك جزاء مشكوراً . فان اليهود لما رأوا ان الشعوب ثاروا عليه امرعوا اليه متقذبة من ايدي القضاة المتمردين فاقبل هذا الملك يونانان بالانعام ولكنه لما علم انه ثبت في ملكه رجع الى مشرب اياتو وعلق يلقب الاذى على اليهود كالصايق . فبدت حينئذ البلايا والنايات في سوريا ثانية فان ديدودوط الملقب بترغفون اثنى على العرش الملوكي ولبدأ من اولاد بالاس وسماه انتيوخوس الاله واستمر له وصياً مد بضاضه واخذ ديمتريوس يعزو ويجور في الرعية فهاج الشعب ضده ثائرين وجاهزوا بالعصيان . واصبحت بلاد سوريا مضطربة في اقوال الحروب الراتعة وانتهز الفرصة يوناناس وجدد المعاهدة مع الرومانيين ١٤٤ - ١٤٣ وقبل ان قتله ترغفون مع اولاده مخالفة لسلامه كان التجاح يابى كيف شاء . وظلته اخوه سيمان ارضن المكايين واسددهم طالعا فضاقره الرومانيون كما كانوا يضاقرون السلافة

واما ترغفون فلم تكن خيافته للملك انتاخرافل ما كانت ليونانان فانه اقامت هذا الولد بواسطة احد الاطباء بحجة ان الملك المحدث مريض بالحصاة . فعانى يعالجه معالجتها فاماته ولم يكن مريضاً بذلك ابداً . وبناء على ذلك وضع ترغفون يده على قسم من المملكة ورغب سيمان في ان ينجح الى ديمتريوس نيكاتور الملك الشرعي ونال منه حرية وطه القى تصدى لحرقها ترغفون المتمردين فدافع عنها اشده الدفاع ١٤٢ لم تطرد السوريين من المعقل الذي حلوا فيه في اورشليم واخرجهم من كل محال اليهودية

والا التي عن عولتي اليهود نير عيودية الوثنيين يسالة سيمان قلده الحنوق الملوكية وحافظوا عليها لنسله . وقبل ديمتريوس نيكاتور ذلك النظام المحدث ولدى ذلك بدت مملكة شعب الله الجديدة وولاية الاسمونيين المقتربة بالسلطة الكهنوتية وفي ذلك الحين كانت دولة البرتيين تتد في بلاد بكتريان والهند بانتصارات الملك

متريدات انهم الارزاسيددين واسلمهم . وبينما كان متريدات زاحفاً على شواطئ القرات
اصبح ديمتريوس تيكاتور الذي استخضع الشعوب الذين داهمهم متريدات يبي آماله على ان
يخضع البريين الذين طالما اعتدوا السريان عاينهم من ديارهم . فجاز بذلك احبائهم ولما
تم بالرجوع الى سوريا امل ان يعي تريغون نصب له احد قادة جيوش متريدات
فخفا فوقع فيه فلبث اسيراً عند البريين ١٤١ وصد عن تريغون اصحابه بقية لان كبرياءه
انقلبتهم يوماً وجعلتهم لايتأسون على ارتفاع انقذ . وفي مدة اسر ملكهم الشرعي خضع
الموريون لحكم امراء كلبوترا ولولاده ولكنهم الجئوا الى ان بقيوا لهؤلاء الملوك النصر
محمياً . وذلك الالتزام كان منوطاً طبعاً باتيوخوس سيدريس اخي ديمتريوس فجهدت
كلوترا بان تجعل جميع الرعية يعترفون به وقد صنعت لكثير من ذلك لانها لما شعرت
ان فرهوت اخا متريدات وخطبته كان يعامل تيكاتور معاملة ملك وانه روجه يستو
رود وغوته اقتربت في نفسها باتيوخوس سيدريس واخذت من ثم تحكم بكل اصناف
الاثام والجرائم فحمل اتيوخوس الملك الجديد على تريغون وانضم اليه سيمان لكها الجائر
بعد ان طرد من كل مستحقاته ثم حياته حياً يستحق ١٢٩ وأما اتيوخوس فلما تسلط
على المملكة لسي حاله خدما سيمان وقت اصطلاً نار الحرب وفتلة ١٣٥ وبينما كان
يحرز اليه كل قوات سوريا ليناصل اليهود خلف يوحنا هيركان ابن سيمان اباه في
الحربية وخضع كل الشعب له خصوصاً كاملاً ودافع في حصار اورشليم بكل جرأة وبساله
وأما الحرب التي عهك فيها اتيوخوس ضد البريين رجاء ان يخلص اخاه من وثاق
الاسر جعلته يلقى على اليهود شروطاً ليست باهضة

ولدن وشك ابرام الصلح رأى الرومانيون لم اعداء الذاء اشداء بنفادون
المقات ويصادمون الثابتات عذام تختار يكثرها الابصار ولما كان امونوس من
العبيد محمداً امام العبدى في صفية وافضى الامر بالدولة الرومانية ان تستعمل كل
قوتها لهم . وبعد ذلك المحن شبت نار الفتنة في رومية بسبب ارث اتاكوس ملك بركام
الذي اقامه له الشعب الروماني حياً اوصى قبل موته ١٣٢ فاخذت البلابل نسب في
المدينة . ومن ثم اخذت ثورة الكريك واصبح الشعب الذي نشأ في عرض ذود
طياربوس كركوس احداً عيان رومية ذريعة الى حلاكه وذلك بامر صدر من مجلس
الدولة وكان من تولى هذه القلة سيبيون تريكا واماسيون اميليانوس فقد كان ومن

نظام الجنود وهذا الرجل الذي كان قد هدم قرطاجنة هدم أيضاً في اسبانيا ١٩٢
مدينة نوماس التي كانت موضوع رهبة الرومانيين

وأما البرنيون فلم يكن لهم أن يصدوا انتيوخوس سيدانيس الذي دارت النصر
لجنوده فصرّا عن فسادهم الناشئ عن تبرّج غريباً وبدت من يوحنا هيركان الذي
كان قنّاه في تلك الحرب الرائعة مع اليهود بمائة لانتصاهم بمائة وطلق الملك يحترم
دين اليهود وعبادتهم وتأييداً لذلك فإنه أوقف جيشه ليكون لهم فرصة يمتثلون بها
بأحداً عبادهم

وقد رفع كل شيء أمام سيدانيس خضوعاً والتجاً الملك فرامورت الى ان يرجع
ثغور مملكته الى اصلها القديم لم يأس من النجاح في اموره واخذ يهين ان اسره
ديمتريوس يكون بواسطة الكبرى لتحسين احواله امكن شن الاغارة على مملكة
سوريا. وحدث في هذه الظروف لديمتريوس احوال متباينة فأوّلها كانوا يطلقون سبيل
وأوّلها كانوا يهجرون عليه حتماً كان يفتوى الامل او الخوف في قلب حميه ولما مكر
فرامورت انه لم يبق له غناه الا بهلك يجره في سوريا بواسطة ديمتريوس اطلق له
عتان الحربية تاماً

فغابرت حيث شقّ الشومون ١٣٠ فان سيدانيس الذي لم يكن عنده شيء من
الجلد على احوال المصاريف الباهظة الا بالسلب رأى الشعب ثائرين عليه طراً قائمين
على قدم وساق فملك هو وجيشه الذي نظّر مراراً عديدة وبعد فرامورت الى
ديمتريوس يطلب اليه الحضور فكان ذلك عبثاً فان هذا الملك كان قد عاد الى
المملكة ورجعت اليه امرأته كهوبانرا التي لم تكن تود الا ان تكون بيدها الامر. وأما
رودوغوت فقد وقعت في مهاوي النسيان واعتلم هذه الفرصة هيركان ونزع مدينة سيشيم
من السامريين وطس ميكل عزيزهم وذلك بعد ما شاده سانابلا تايي سنة. ولم يكن
ذلك الدثار مانعاً للسمع عن ان يسفروا عابدين على ذاك الطود ولست الامتان
قاطعتين رباط اللفة والاتحاد. وبعد ان مضى على ذلك الحين عام ضم هيركان كل
بلاد ادم الى مملكة اليهود بانتصاره وجعلهم يتبعون شريعة موسى ويتقبلون الختان
١٢٩ واستقر الرومانيون بمحامون عن هيركان واغصوا السوريين على ان يعبدوا له
كل المدن التي نزعوها منه ١٢٨ وأما ديمتريوس نيكاتور فلم يرع طويلاً الطائفة والسلام

لكثرة ما كان عنه من الكبر والعسف فتار عليه الشعب فصد العصيان . ولكي يوحى
 نيران الفتنة اقام المضرين الذين هم اعداء للسوريين ملكاً اخر وهو اسكندر زيبنا ابن
 بالاس ١٢٥ فتشكل جيش ديمريوس وتوحدت كهويثرائها تال سلطة الحكم باسم اولادها
 اكثر منها في عهد زوجها فنتله ولم تحسن معاملة ابنها البكر سلاكوس الذي شاء ان
 يتولى السلطة بالرغم عن انها ١٢٤ واما ابنها الثاني انتيوخوس فكان قد حل على
 العصاة وقهرهم ورجع مظفراً فدنست منه والدته وقدست اليه كاساً منعمة مما فظفت لما
 استبطنت واربعها على شربها فشربتها فماتت فتية المجنابة ١٢٠ - ١٢١ ولدى موثا
 تأصل النفور والشتاق بين اولادها الذين اولدتهم بزوجها الاخوين ديمريوس نيكاتور
 وانتيوخوس سيدانيس وبقيت مملكة سوريا مضطربة واهنة القوى لا تستطيع وعيد اليهود .
 وقع ادى ذلك يوحنا هيركان السامع ١٠٦ لكه لم يكن له ان يهدي السامريين الى
 الايمان الحق ثم عشت يوايدي المتون بعد ذلك الحداث بخمس سنوات ١٠٧ - ١٠٤
 وبقيت اليهودية ساكنة راضحة لعهد ولديه اريستوبول واسكندر جاني الذين تعاقبا بدوال
 السلطة بدون ان يلقها ملوك سوريا ١٠٦ - ١٠٣ وكان الرومانيون لا يتصدون ملك
 الملكة الغنية بل غادروما ثلاثي بذاتها لما كانت تندد عساكرهم في جهة الغرب . وفي عرض
 الحرب التي شبت بين ديمريوس نيكاتور وزيبنا ١٢٥ كانوا قد اخذوا بنسطون وراجل
 الالب . وسير سكستوس الذي ظهر على الغوليين الملقين بسليابين الى مدينة آيسر مهاجرين لم
 يرالوا بلقيون باسمه ١٢٤ وقد كان الغوليون يدافعون عن نفوسهم بوهن فان فابيوس قهر
 اللبروج ١٢٢ - ١٢٣ وسابر الشعوب المجاورين وفي نفس تلك السنة التي فيها ارغم
 جريوس امه على ان تشرب كاساً فيها سم احييت الغول التريونية الى مقاطعة رومانية
 ولقيت هناك ١٢١ - ١٢٠ ولقد كانت الدولة الرومانية تمتد وتغل في كل الارضين
 رويداً رويداً وتخوض كل البحور المتعارفة . لكن بمقدار ما كانت هيئة الجمهورية تبدو في
 الخارج عظيمة لعظم فتوحاتها كانت داخلها سيئة وذلك ثامت من مطامع اهاليها المتعارفة
 ومنازعاتهم المدنية لان اشرف الرومانيين واشهرهم اصبح اعظم مضرة للدولة الرومانية واني
 الكراك الاخوان بانفسامات لم تنو الا بانها الحكم الجمهوري واما كايوس اخوطياربوس
 فقد شق عليه ان يتاسى على موت اخيه العظيم بتلك الهيئة الدموية فتأصب هاتجا للانقام
 بجماعة بعثت الناس على ان يخالوا ان روح اخيه تحركت فيه . فاخذ يدسح الاهلين بالصلاح

ضد بعضهم ولما تم على ان يوفي كل شيء مات ميتة اخيه التي كان يود لو يستمرها متفقا
وقد كانت الرشوة بائنة في رومية فان جوكورنا ملك نوميديا ١٠٩ الذي انطع بمائة
اخوته الذين كانوا تحت حماية الشعب الروماني دافع عن نفسه بالرشوة اكثر منها بالسلاح
١١٢-١١٦-١١٤-١١٤ وماريوس الذي فاز به اخيراً لم يكن له
وسيلة للقبض على عنان الصولة والسلطة الا باثارة الشعب على الاعيان ١٠٦

وقامت العبدى من اخرى على قدم وساق وجاهرط بالعصيان في صتاليا ١٠٣
فلم تكلف ثورهم الثانية الرومانيين اقل دم من ثورهم الاولى . وتقلب ماريوس على
المونونيين والسبيريين والام الاخرى الشالية التي كانت قد ولجت غالبا واسبانيا وإيطاليا
١٠٢ وعنت له فرصت بانتصاره لبيروزاياً بجزيرة الارضين ١٠٠ . واما ميتلوس الذي
مانع عن ذلك فقد التجأ الى ان يتناعد عن ذلك الشأن بسبب الظروف ولم ينجح نار
الشقاق الابدن سانوريتوس محامي الشعب ويبا كان الرومانيون يدافعون عن كبادوسيا
ضد متريدات ملك البونيين ويقعون هذا العدو الالد لدولتهم وبلاد اليونان التي
تخرشت له ٩٤-٨٨ كانت ايطاليا التي اعتادت خوض ٨٦ المعامع بسبب ما نجست
من الحرب مع رومية او عليها تمرد عليها ونشكت الدولة الرومانية ان تلاشى ٩١
وفي الوقت نفسه كانت السلطة الرومانية تتزق بسبب غضب ماريوس وسيل ٨٧-٨٨
الذين احدهما امام الغرب والشمال رهبة والآخر ظفر باليونان واسيا واصبح سيلانكل
وطه الذي انقله اوقار الرق والجودية ٨٢ وقد امكن له ان يفاد السلطة المطلقة
اختيارياً ٧٩ لكن لم يكن له ان يدرا غوائل مثاله السيئ لان كلاً كان
يود السلطة

وسر توريوس المحزب لماريوس بكل جرأة جند عساكر في اسبانيا ٧٧-٧٤ واتحد
مع متريدات ٧٦-٧٢ فلم يمكن للقوة السرية ان تظهر على هذا القائد البسول ولا ان
تضيق عليه مذهبا ولم يستطع ميموس قهر ذلك المحزب الا بيث الشقاق بين اعضائه
واما سبارتكوس الفارع بالحسام في المراح ناجته نفسه ان يتخذ السلطة المطلقة بين
المجوش ولقد كان هذا العبد برهق البرتوريين والقتاصل منذار ما كان متريدات
يعي ليكرلوس ٧١ وتسمرت نار الوغى بسبارتكوس واحزايه حتى اصبحت خطراً على
الدولة الرومانية . وتعرض على كراسوس اتحادها والجماع الامر ان يسير ضد العبدى

ميموس الكبير

وقد كان ليكيلوس يرقل برقاء النصر في الشرق ٦٨ واجتاز الرومانيون نهر الفرات
 وشق على قائدهم غير المتكلم من العدد اغصاب جوده على تادية فريضهم وكان
 متريدات الذي تمكس مرأحة وهو غير ايس من الفرج يعزز ويتقوى
 وبدا ان حضور ميموس كان لابد منه لاهاد سفير الحرب ولما ارسل يعني متريدات
 طرد من البحار القرصان الذين يدخونها من ضقات سوريا الى عوامد هرقل ٦٧
 وتبين حينئذ ان مجده اصبح كاملاً. وقهر هذا الملك الشديد البأس واعسف لومينا التي
 اصلعها متريدات بلحا واباريا والباينا اللتين قامتا بناصع وسوريا التي مزقت
 احشائها الاحزاب الداخلية ٦٥ واليهودية ٦٣ حيث الانقسام المتسع نطاقه بين
 الاسمانيين لم تذر لميركان الثاني ابن اكدر جاتي من السلطة الا خيالاً وقصارى
 الكلام انه اخضع كل الشرق. بيد انه لم ير عملاً يتم فيه احتلال الظنر بكل اعدائه
 الا لولا ان التصل شيشرون لم يخلص المدينة من شوب النار التي اعد لها كاتيل
 وعصابة من خطيري رومية. وقد اصبح هذا الحزب المهائل كاهيا المقهور بنصاحة
 شيشرون الخليلب اكار من انكساره بالحملة انطونيوس رصده في القونسلانو. ومع ذلك
 فقد بنيت الحرية في رومية مزعزعة الاركان فان ميموس كان متولياً ادارة مجلس
 الدولة وكانت المداولات في المسألة يدبر رجاءاً دولاب لسانه

ولما فتح جولوس قيصر غالبا وارفع لشوكة وطنه هذه البلاد التي في اكثر افادة
 من كل فتوحاتها ٥٩-٥٨ هان عليه هذه الخدمة ان يشيد سلطته في وطنه ولهذا عزم
 اولاً ان يساوي في الجهد ميموس ثم يفوقه. وكان كراسوس ينجس في ان يضاهي ذلك
 الخطيرين في الكرامة والجهد فلما يضاهيها في الصولة ففكر ان غناء الجسم يضاهي على
 ذلك ولهذا شمر الحرب على البرتين دون تبصر في العاقبة ٥٤ فكان ذلك الدأب
 كيداً في حلقه وشراة تهب في وطنه ٥٢ وامسح الارزلبد المظفرون الرومانيين
 يهزئون بما يطمعون وينذرون في حصة قائدهم. ولما القوا لطلعي التي سبها انكسار
 كراسوس فلم تكن العار الذي من الاسم الروماني بل ذلك منات من البغضاء بين
 ميموس وقيصر ولقد كانت سلطة كراسوس حائراً بين الشوكتين لكن ذلك لم يلبث
 طويلاً بعد موته فان المحصبين المستولين على كل الثروات الرومانية اصبحوا مطلق العنان

وانقطع حبل نزاعها في معركة دموية ففرل قيصر يبرد النصر وبدأت قواته في وقت واحد في مصر ٤٥ واسيا ٤٧ وموريتانيا ٤٦ واسبانيا ٤٥ ولما فاز في كل الحال اصبح مسلطاً في رومية وكل السلطنة الرومانية ٤٤ وأما بريتوس وكامبوس فموتت لما انفسها على ان يقتلاه ليزحرجا عن عاتق وطبقها انتال عبوديته فقتلاه كانه ظالم قسراً عن حمله وحجته صويت على رومية سهام الجور والتوفسنتت ثانية بين ابدي مركوس الطونينوس وليدوس واكتوفيان القيصر الشاب حفيد جولوس قيصر وابنه بالذخيرة واصبح هؤلاء الثلاثة المعتمنون عن طريق السكية يلقون الرهبة في القلوب وهذه الحال كانت كريح زرع ترزعج اركان السلام واجتثتوا المملكة الرومانية فتخذ قيصر ايطاليا وظهرت عليه علام الدعة والحلم بعد ان كان انثا عاتياً ذمياً وعلق بيدي انه حق للاعمال السيئة بشر كاله في السلطنة وكل من بقي من الجمهوريين تلاثى فهو وبوتوس وكيموس ٤٢ ولما آباد الطونينوس وقيصر يدوس ٢٦ تباريا في حلبة القتال واخذوا يضاذلان ٢١ فانتطت حينئذ كل القوات الرومانية البحر فحاز قيصر النصر في معركة اكسيك ٢١ وتبددت كل قوات مصر والشرق التي كانت قد استاقها انطونينوس وراه نصده عنه اخذانه جنوباً ونفرت عنه كهوياترا التي لاجلها اتلف ماله وقوته ولم لتصر هرودوس الادباني المديون له بكل شيء ٣٠ وانذلك لبست متبوعا عرش مملكة اليهود وخضع النكل له صاعرين فتفتت له مدينة الاسكندرية ابوابها واصبحت مصر اقلياً من الدولة الرومانية ولما ايسست كهوياترا من رعاية هذه المملكة انقرت بعد انطونينوس وبدأت رومية ذراعها نحو قيصر الذي استقر وحده يامر ويهي في الدولة الرومانية باسم اغوستس ولقب امبراطور ٢٧ وسنة ٢٥-٢٤ ذكّل بالقرب من جبال اليرباني شعوب الكهبريين والستوريين العتاة الجائرين وطلبت مملكة الحبش اليه ابرام الصلح ٢٢ وذعر البريتون منه رهبة فاعادوا اليه الوية الرومانيين التي نزعوها من كراسوس وكل الاسرى وطلب الهنديون ان يربطوا وثاق الاخاء بينهم وبينه واذعر صليل السلطنة الرومانيين كل من وطأ الارض حتى بلاد الرابينين او الغريزيين الذين ضاقت عليهم جبالهم ولم يمكن لها ان تكون لهم مترباً يفهم من الغوائل وخضعت له بلاد بنونيا ١٢ وارعد فرائص جرمانيا ٢ ورضخت الامم الناطقة ضلالت القزيرلنواميسو ولما رفل يبره الظفر برأ وجرأ فقل اياب فيكل جاسوس وكان حينئذ كل العالم رابعين

في مجيئة الاس والطاية من ملكو ولد اذ ذاك يسوع المسيح سنة ٧٥٤-٧٥٤ بعد
تشييد رومية

العصر العاشر

في مولد يسوع المسيح

* الاجل السابع والاخير للعالم *

ما قد نظرنا الى الازمة المطلوبة من آباءنا وهو ما في المسيح هذه النظرة مشقة من
المسيح واسمأمل يسوع ان يثلب بها لانه كان كاهناً وملكاً ونبياً وقد تبانت آراءه
المورخين على وقت ميلاده بيد انها قد اتفقت على صحتها بوضع سنين قبل حسابنا السائر
واما نحن فعمدنا عليه بسهولة ماخذنا الا لا نتوقف بالخص عن ذلك ومما يمكن من
الامر فحسبنا العرفان انه ولد سنة ٤٠٠ او ٤٦٦ بعد التكوين وذهب بعض المورخين
الى ان ميلاده كان قبل ذلك بنيل من الزمن وذهب غورم الى انه كان بعد
وذهب اخرون الى ان ميلاده كان في تلك السنة عنها ، وهذا الاختلاف ينشأ من
عدم التحري في تاريخ التكوين او في ميلاد المسيح وعلى كل فان نحو ذلك الحين
اي السنة الالف بعد تكريس الهيكل سنة ٧٥٤ بعد تشييد رومية فحسب يسوع المسيح ابن
الله في الازلية وابن ابراهيم وداود في الزمان من كاسب عزاء ، وذلك العصر دعاه
المورخون اعظم الاعصار لسبب هذا الحادث العظيم ولان المسيحيين كانت تخذونه من
اجيال عديدة مصدراً لحسابان سليم ولا ريب في ان هذا العصر في غاية الغرابة فانه
موافق لعود الدولة الرومانية الى السيادة الملكية في عهد اوغسطس

وازهت في ذلك العصر الثنون قاطبة وتسامى الشعر اللاتيني الى اعلى درجة من
اليهودية والكمال بواسطة فرجيليوس وهوراسيوس وكان الملك اوغسطس يغويها ويجزل
اكرامها ويوقن لها بالدخول اسامه

ومات بعد المسيح هيرودس واجترأ الولاده ملكه من بعد واستولى الرومانيون
على القسم الاوفر من تلك السلطنة سنة الثامنة
وتكامل حكم اوغسطس بالسودد والمجد السنة ١٤ وخلفه بطاريوس الذي تحق

بالذخيرة ابتالة . واصبحت السلطة تدارها السلالة القيصريّة ونجست رومية مشقات
عظوى لكثرة ما اعتدّ طباريوس بسياسة وجار لكهما الطائفة كانت في غير الحال
في اعلى السيادة . واما جرمانيكوس ابن اخي طباريوس فقد كدح وجهد في اتحاد نار
الفتنة التي سرها الجيوش المهردون وبند السلطة الملوكية ظهرياً وقهر ارمينوس الجبار
ووصل بتوجهاته الى صفات نهر الالب ١٦ وبذلك رضي عنه الشعوب بواسطة اعماله
واخلصوا له السريخ وحشد عه البربري المتوعر الذي امانه غياً او سماً ١٩ وامدات
مضى على حكم طباريوس اربعة حنول ظهر بوحنا الممدان ٢٨ واعتمد يسوع المسيح بد
هذا السابق الالهى ٣٠ واعترف الالب بالازلي بابيه الحبيب بصوت ساروي . وحل على
يسوع الروح القدس بهيئة حمامة وديعة وظهر اذ ذاك كل الثالث الاقدس . ولما كمل
السبعون اسبوعاً لدانيال الذي على المسيح بنذر ولقد كان الاسبوع الاخير ام الاسابيع
كلها واعظما وما هو دانيال عن غيره حيث كان فيه العبادة على وثك التنفير ولان
الذبايح القدوة كانت في وسطه قرية الزوال ٨ ويمكن لنا ان ندعو اسبوع الاسرار
لان ثابت ارساله المسيح قد كان . وظهرت يو نعاليد بجانب شتى وموته ٢٢ الذي
حدث في السنة الرابعة من اذاره وتوافق تلك السنة للسنة الاخيرة من اسبوع دانيال
الاخير واجتزئت بموت يسوع المسيح الى جزئين

وبناء عليه لا يكون حساب الاسبوع من التقاضيا المشككة او بالاحرى هو مصنوع
طبعاً فليس علينا الا ان نصيب الى اربعماية وثلاث وخمسين سنة خلت منذ ثلثاية سنة
من تشييد رومية وعشرين سنة من حكم الملك ارمخشينا الثلاثين السنة الاولى من بداءة
الحساب السائر وهي التي تصل الى السنة الخامسة عشر من ملك طباريوس ومعبودية
المخلص فيكون الحاصل من مجموع هذه السنين اربعماية وثلاث وثمانين سنة ومن سبع
السنوات الباقية الى ثمة الارعماية والتسعين سنة تكون السنة الرابعة الوسطى في التي
ماث فيها المسيح فعلى ذلك يكون كل ما تنبأ عنه دانيال ظاهراً في الحد المعين بكل
صراحة (١) . وليس لنا من الامر ما يعشتا على كل ذلك التنفير ولا نحي . بلحنا ان
نعتمد في كل تلك الصعوبة ما اوعز اليه دانيال لان المورخين المذتهين يكفهم ان

يروا في بضع نقاط نشأت بين الطرفين ما تنصت به حتى ان الذين يجمعون ايام اولي
تجمع بينه بان يحصروا بداعة محكم ارتحشنا او موت الخلف فبيل ذلك او بعينه لا
يتأيسون في حسابهم وان الذين يرغبون في ترويض هذا الامر الصريح بتراخ حسابات
تاريخية يخاصون من شغفهم الذي لا يجد لهم نفعاً

وهناك ما يقتضي معرفته لاجتناب الاشكال في المؤرخين الذين يبين وادراك الآثار
اليهودية على قدر الحاجة . ولا عبرة بالبحث عما يباقي باق حساب التاريخ . وعدم القوي
في تاريخ سنة العالم وني المسح يبعث على عدم ادراك سنة ميلاد المسيح قبل او بعد . ومما
كان الامر من تصحيف مقالنا وكانت الالة مشفرة فيه بنه ان ذلك لا يبعث بنواي المار
الرية . ومع ذلك كن قوم السلوك بالسيدي بحساب التاريخ لتلا تشكل تلك الحوادث
ودع العلماء يتنازعون فانهم في كل واحد يهيمون . ولا نقاب من يذهب الى ان في التاريخ
اللدوية كل عجائب المسح ورسله . وسوف نرى ان في التاريخ حقائق شئ اكثر مما يحالون
كالسكوف الذي حدث لدى موت الخلف فان الظلة المدلجة التي غشت رداء الارض
وقمت صليو في رابعة النهار قد احسبها المؤرخون الوثنيون الذين نقلوا ذلك الحادث
الواجب التذكركم قوا اعتياداً بما اما المسيحيون الغابرون الذين اذكروا ذلك الحادث
العظيم امام الرومانيين فقد اعتبروه كبري نقلاً مؤرخوم المدقون واثبتوها
في السجلات العامة واثبتوا ان الشمس لا يبعث بها السكوف في السنة التي مات فيها المسيح
نحرت الهلال في غاية كماله . وان طراً شئ من ذلك فلا يكون الا من خوارق العادة
وقد تصحفا نفس القول في تاريخ فليبون معتوق الملك ادرانوس وقوله ميتوث في
العصر الذي كانت ابدي العامة تتداول تاريخه وقفاه بذلك نالوس المؤرخ السرياني
وأشير في تاريخ فليبون الى السنة الرابعة من ما بين واثنين من الاوليناد بانها معتبرة
كالسنة التي مات فيها الخلف

وقد نهض المسح من التبر اليوم الثالث شياً للارسل وبدا امام تلاميذه وصعد الى
السماء بمشهد منهم . وبعث اليهم بالروح القدس ونوطدت حيث قد اركان البيعة واخذ
الاضطهاد يسود ورجع القديس اسطفانوس والقديس بولس آب الى حجر الايمان
وبعد ان مضى على ذاك الحديث قليل من الزمن مات طباريوس ٢٧ وادهش
الناس ابنه بالدخيرة كاليولا مخشوته وعنه البربري وارغم الرعية على ان يعبدوه

ويضعوا تمثاله في هيكل اورشليم ٤٠ فقتله شيرياس وانفذ العالم من هذه الآفة ٤١
ثم تولى زمام الامر كلوديوس قسراً عن حمولة وبله وخرقت عرضه امراته بمسالينا
التي كان يطلبها بعد امانتها ٤٨ وتأهل باكرين بنت جيرمانيكوس ٤٦ وفحمت الرسل
جميع اورشليم ٥٠ فتكتم فيه بطرس على حسب عادته اولاً. وان الوثنيين الذين آمنوا وسعوا
على الحقبة الثوبة نخلصوا من رعاية الشريعة الموسوية بموجب نص الجمع وأبرز الحكم
باسم الروح القدس والبيعة القدسة واذاغ بولس وبرنابا حكمه في الامصار والاسما. ويعتوا
المؤمنين على ان يكونوا له راضين وهكذا كانت هيئة الجمع الاول

وكان كلوديوس في ذلك الحين قد حرم ابنة برناتيكوس ميراثه ونفذ نبرون من
اكرين ابنته بالذخيرة فحمت من ذلك امراته وعاطلة كاساً من السم فمات ٤٥ فخلقه
ابنه نبرون فبرح بها والنقل على الملكة جوراً واما كوريلون فقد جعل وحث ولاه نبرون
مرتفعاً الى طبقات الجبل والسودد بظهوره على البرتين والادوميتين. واخذ في ذلك
الحين نبرون يوقد نيران الحرب على اليهود ٦٦ ويضطهد المسيحيين وبذلك كان
امبراطوراً اولاً جرت له الوقاحة وصداقة الوجه الى اضطهاد البيعة وامات في رومية الرسولين
بطرس وبولس ٦٦-٦٧ ولما كان في ذلك الحين يحور على كل بني الاسان تألمت ضد
القلوب من كل صنع وناد واذا علم ان مجلس الندوة قضى عليه بان يموت ذريعتاً فغير
الانصار ٦٨ واصبح كل جسد يمتد له امبراطوراً وانضم حبل النجاة قرب رومية
وزارت فيها معامع هائلة دموية قتل بها غلباً وتون وقينطوس ٦٩ واكتست الدولة
المبرحة في عهد قريازيان جلباب الازتياح ٧٠ بعد ان كانت تصنفها اكف الاضطراب
لكنها اليهود وصلوا لدى ذلك الى جرفه هار من القلب وفحمت اورشليم ابوابها فاندثرت
اي اندثار واجلعت افعوا النار واصبح طينوس بن قريازيان وظيفته سروراً فتدبر نفور
العالم وتطيل بوالنفوس. وضمت ايامه كانتا لم تكن مذكورة لانها لم تكن ترقى خلال الخبر
ثم حيي نبرون متفصلاً بحجم دوشمان وتمزج حيتله الاضطهاد ٩٣ وبعد ان اخرج القديس
يوحنا من الزيت السخنان اقصي الى جزيرة بطلموس فكتب ثمة روماء ٩٥ وبعد ان مضت
على ذلك مدة كتب انجيله وهو معمر تسعين عاماً وانصف بعد ذلك بكونه انجيلياً ورسولاً
ونبياً واستمر اضطهاد المسيحيين منذ ذلك الوقت يذبح ويسود سواه كان ينوي السدة
ملوك اصنياء ام ملوك اشيياء. فتارة كان الملوك والاولياء المنفوضون المقربون ينبرون

الشعوب ويسبّون اليهم لوامر تعذبهم على ذلك الاضطهاد وثارة كان الشعب يثور عليهم
 وينقم منهم ويرفعهم وهم صابرون. وآتت كان مجلس الدولة يبرز القضاء مبرماً باغاثا المسيحيين
 واذا لم يوجب لوامر من الملوك او بحضورهم نفسا الاضطهاد واصبح عاماً حيث ذر وانساع
 الدم على الارض غديراً. وحمل المجاهدون على ان يهدموا البيعة فهاجوا وازيدوا وديت
 الحق فيهم ديباً مستمراً. وعلقت الاضطهادات تنال حتى بعد حين. ولذلك قد حسب
 المؤرخون الكتابيون الاضطهادات فكانت عشرين في عهد عشرين من الملوك ولم
 يأس المسيحيون من نوال الاضطهاد طول ذلك العناء. ولم نسل لم النفوس على ائانة
 الثورة في غضون النيام وتعتيمهم. وقد كان الكرب من الاساقفة وذوي القربى اكثر
 من سواهم وكانت كيسة رومية معرضة للاضطهاد اكثر من غيرها فخرق فيها ايدي
 المجاهدين الظالمين. فقتل من الباباوات كثير فاقبعت دمام الانجيل الطاهر الذي
 كانوا يندرون به ومات دومميانوس قتيلاً وعلقت الدولة تستن في عهد نيرفا ٦٦
 ولما كان هذا الملك قد اشرف على الزوال نظراً لما اعتراه من الهرم لم يمكن له اصلاح
 شؤون المملكة فرغب في ان تسود فيها الطائفة والسكينة. ولذلك اصطفى طراجانوس
 وريث ملكه وظيفة له ٩٧ واذا كانت الدولة الرومانية مستكنة داخلها وهي مضفة
 ذبول النصر خارجاً استمرت تزو الى ذلك الملك العظيم بعين الاعتبار ٩٨ وان من
 اقواله التي تداولها السنة القوم ان الرعية لا يد لها من ان تود ان يتصف من مناقب
 الملك بما يود ان يرى في الملك لولم يكن ملكاً. وقمع الداسين وذلل ملكهم ديسمال
 ١٠٧-١٠٦-١٠٢ ولوس فتوحاته في الشرق ١١٦-١١٥ واقام على البرزين ملكاً
 وجعل الرعية تستولي على قلوبهم اجمعين ومهم الى السلطة الرومانية. ولله دره من ملك
 سعيد لولان اغنياق الخمره وصباية حملاء على ان يتطي متن امور تطرح بالعدل جانباً.
 وخلف هذا الحكم الجدير بالنفع للدولة الرومانية حكم الملك ادرمانوس الذي نجاذبه
 طرفان من الحسنى والبوسى فرعى النظام في النياتى ١٢٠ وبقي مونساً جدياً عائناً
 عيشة قروية ١٢٢ وخفف عن عواقي الاهل انقال الخراج ١٢٥ فاقبعت اغاثا
 الفنون في بلاد اليونان التي هي منهل ذلك ١٢٦ وراع البربر بالاسلح والسلطة ١٣٠
 وانهض مدينة اورشليم من هذه اليباب ودعاها باسمه ١٣٥ فلبت حيث بالها. لكنه طرد
 منها اليهود الذين لبوا بقرودون على الدولة ويثرون فكان عليهم شديد الانتقام لابعادهم

بالثروة ولا يرفق ١٨. وهناك حكمة اثنائي يمجرون ويهاضون على جهد الصباية والغرام واصبح
 انطونيوس المردول المتأله علة لعامة طول حياته ١٢١ واصطحب من لما اذخر ابناء له
 انطونيوس الصالح الذي تولى مركوس اوريليوس الحكم الفيلسوف ١٢٨ ولقد كان ذلك
 الملك كان يربح فيها خيلان حيدتان ١٦١ - ١٢٩ فان الابن لم تكن نفيه تمنح الا الى
 ابرام الاخاء والصلح ولم تاخته عن الاثارة سنة الكرى اذا اضيق الامر الى ايجاد نار
 الوغى. وكان الابن يماور العدو في ساحة القتال ويتهلك في ان يعين ربط الصلح بين
 الدولة الرومانية ومنازلها فان اياه قد اوعز اليه ان يفضل انقاذ واحد من رعيته على
 اوراق دماء الف من اعدائه الكاشحين. ولطالما ضرم البرنين ١٦٢ والمركومانيون
 ١٦٦ واغرام بيسالكو. اما المركومانيون فهم قتل جرمانية فمهم مركوس اوريليوس ادي
 مؤنوه وفضائل هذين الملكين بعنت الرومانيين على ان يتألموا باسم انطونيوس. ولا جرم
 ان يجد هذا الاسم لم يكن خاملاً بتتق لوسيوس فرسيوس اخي مركوس اوريليوس
 ورعيته في الملك اوبسرة لومود ابو وخطبته ١٨٠ اما لومود فلم يستأجل ان يكون ولداً
 لايه الاروي فانه بعد تسمية غير مشتمين باعماله ولذلك اقام علوه مجلس الدولة والذهب
 تكبراً وقد كاشحن بالصفينة وفنشته ولتة وتدماره الاصلية ١٨٠ وخطبه برتيماكس وكان
 باسلاً ذاتاً عن النظام الهندي عزيزاً ولذلك لم يتعد عن ان يكون هدفاً للثائرين
 الذين اناموه على العرش الملوكي فسرأ عن ملكه وطرح الجنود الملكة الرومانية وفنشد
 في سوق الشراء فانبرى المستريح ديدوس جوليانوس ليشربها فتأله سفاريوس الافريقي
 انتقاماً وكذا واخذ يدم برتيماكس وجد في السرى طاورياً بساط الارض شرقاً وغرباً
 ونال راية الظفر في سوريا وغاليا ١٦٧ - ١٩٤ - ١٩٥ وبريطانيا العظمى ٢٠٧ - ٢٠٩
 ولقد بارى قبصر في النور والفتوحات لكنه لم يكن نظيره حلياً حازماً ٢٠٧ وميت بين
 اولاده نيسة الفتاى فلم يكن له اخادها ولما توفاه الله ونسب حالاً ابنة البكر باسيان على
 اخيه جينا وقتله في حجرهما جوليا ٢١٢ ولقد كان تسنه باسكدر نسيماً كاذباً. واستمر
 طول ايام حياته يفاشي الصروف الرزية بتهلك حرمة السكينة قاتلاً عائياً فمات مؤناً
 ذريعاً. ولم يكن يعياً بما زرع له ابوه فانه كان قد امال له قلوب الجنود والشعوب بسمية
 انطونيوس فيله ذلك الاسم غير حافل به ولا مكترث به ٢١٨
 واما هيليوغابال السرياني (او الغابال ابنه او المزعوم كابيه) فقد شتمت منه النفوس

وأنت منة اليوم مزبلين المودة التي بينهم عليها لفيه انطونيوس الذي سبب له الظهور على
 ماكرينوس . ثم جرت رذائله الى ان يجمع كاس الحمام وظفه ذو قرايه اسكندر - غاريوس
 بن ماما فلم يبق لسوء بخت العالم على الارض طويلاً بل قضى عليه بعد ان حكم فيللاً .
 فكانت موته للناس خيراً وقد طالما انبأ انه كان يشق عليه قمع جوده النافرين
 اكثر من قمع اعدائهم الكاثنيين . وكان امه التي كانت تقوده باعماله كانت ذرية لجن
 ويشوخ مكانه كذلك كانت علة هلاكه ٢٢٥ وقيل في عهد ارنستينا الفارسي البابل
 سين اربان الذي كان اخر ملوك البربيين وقام يناصر دولة فارس فرفع منارها مرة
 اخرى في الشرق ٢٢٢-٢٢٤

وفي ذاك الحين نازرت اركان البيعة الحديثة في كل الارض ولم تقف في الشرق
 حيث بدت اي في فلسطين وسورية ومصر واسيا الصغرى واليونان بل
 انها انتشرت في ايطاليا وبيت الشعب العالية الحفنة الاجناس وكل مناطق
 اسبانيا وافرنسيا وجرمانيا وكل انحاء بريطانيا العظمى حيث لم تطرق ايضاً
 اسلحة الجنود الرومانية . وامتدت الى خارج الدولة الرومانية في ارمينية وفارس والهند
 والبلدان الهندية كبلاد العربانيين والدايين والنعم والمغاربة واليهوديين وكل الجزائر
 المجهولة . ولقد تمت بدماء الشهداء والتي الى ضواحي الوحش اسف انطاكية القديس
 اغناطيوس في عهد ثريانوس ١١٧-١١٦ واما مركوس اوريليوس فقد كان لا يتردد
 عن ان يمدد على المسيحيين لكثرة ما كان يرفع اليه عنهم المتسددون فمد على
 محامي الدين المسيحي القديس يوستينوس الحكيم وامانه قتيلاً ١٦٢ وقضى بالحرق في
 عهد هذا الملك نفسه على القديس بوليكرينوس اسقف ازمير وتلميذ القديس يوحنا وهو
 في سن ثمانين سنة ١٦٧ وتجنب الشهداء مصائب شتى وعذابات كثيرة في ليون
 وفيما اقتداء باسقفهم القديس فونات الذي كان يبلغ من العمر تسعين
 سنة وانتشر مجد بيعة غاليا في العالم كله . واما خليفة القديس فونات القديس
 ايريناوس تلميذ بوليكرينوس فقد اقتدى بسالفه ومات شهيداً في عهد سناريوس هو
 وجم عظيم من المؤمنين ٢٠٢ فكثيراً ما كان المسيحيون ينتمون الصهداء الثمناً الى
 ان تولوا من الاضطهاد ارباباً وبناء على ذلك بذكر ان مرقوس اوريليوس بعد ان
 دوح بلاد جرمانيا وصل بعساكره الى مفازة ميا فاختار الظلمة ويومجوده كل ماخذ

فاعز الى فرقة من المسيحيين ان استغيثوا من ربكم عسى ان ياتينا بالقيمت من عند
 مدبراً فننالوا من لدني المحسى وتكونوا من المفرين فخرنا على الارض جيئاً وطفوا
 يحاربون الى الله فاستجاب الدعاء وغاث البادية بخطر غزير شفعه بانتفاض الصاعقات
 المرميات لاعدائه فارزوى الملك والجند وبغتهم هذه العجوبة على ان يلتوا الفرقة
 باسم صاعقية فراف الملكهم واصل اليهم المسار فكانوا يؤايقون واعرزوا الى مجلس الندوة
 ان يرفق بالمسيحيين. واسباب شتى كانت ذريعة الى توقيف الاضطهاد الى وقت ما او
 نطفه لكما السخرة الا فاكون توافدوا اليه واخذوا ينمون تلك العجائب الى الله وانه
 امطها باستصراخه ربه وان لم يكن ذلك بخاطر على بال الوثنيين. فاصاع الملك لكلامهم
 وتوم ان منهم مفرغ في انا الوثنيين ولذلك لم يقال ان باده المسيحيين بالاضطهاد
 والى وليست بهتهم طالما كان بين الحديث اليه عنهم المفسدون ويورثون ما بينهم وبينه
 واستمر حقد الوثنيين عليهم محمداً والملك يمدل عليهم بانتمون ودماءهم تنصب في كل
 اشياء الملكة يد انهم لم يتقاعدوا عن ادمانهم الارشاد والانداز في عرض ثوابهم واذلالهم
 ففي عهد سفاريوس وبعد بقلول من الحين ثلاث في البيعة اوارت توليانوس الكاهن
 القبطي ورعاها وائر الدافع عنها بنفسه فبعثت فيه حمة لكه بعد ان كانت تخاصي القلوب
 وتغريو القل اصبح مرشوقاً بسهام الفت والتفديد فان الكبرياء اضلت بصبرته عن روبة
 الهدى فخرج من حجر الكنية وتخذ موشانوس المنسي الدجال مثالا له ودبدناً لاعماله
 ٢٠-٢١ وكان في ذلك الحين قد بحث الكاهن المنفصال القديس اكليمندوس الاسكندري
 عن آثار الوثنيين القديمة فصداد حاضها اما اوريجانوس بن لاندوس الذي قد كان وقتئذ
 عالماً نعتز به الكنيسة منذ نعومة اظفاره وعلم حقائق عظيمة بخامرها من الضلال شي لا كبير ولقد
 كان الفيلسوف امونيوس يستهم باسم الدين المسيحي فامر زله من فلسفة افلاطون ادلة
 وحججاً يترتب عليها نتيحة واستحق رفته الشان والكرامة من كل من يعرفه حتى من الوثنيين
 ايضاً. وفي ذلك الان قامت شيع كثيرة منها الغنوسية يكون وتباع والتيناوس وغيرهم من
 الجاحدين وتصدوا لحرق شان البيعة والانجيل بالثرهات والتفديدات الباطلة فانبرى
 اليهم القديس ايريناوس وعلق بقاويهم بتفديدات البيع الرسولية وسلطتها ولاسيما بالاستناد على
 كنيسة رومية اعظم الكنائس التي شادها القديسان الرسولان بطرس وبولس. وهالك ما قال

عنها ترتيلانوس ان البيعة راحة الاركان لا يزعمها المتدعون ولا تنكس اعلامها اذا
ناوشتها المشقة او اوقف اشهر علمائها الاحوذيين . وان لها من العادات المقدسة ما يثبت
اليها الاطراء من القاصين عنها

ولقد كانت الدولة الرومانية تخطط بخط عشوائي فان اسكندر بعد ان اغتالكه مغالب
المون ٢٢٥ تولى قاتلة الجائز مكسيبنوس في مقابلته مع انه كان من اخلاف التونيين
اولي العجبة والخشونة . واقام مجلس الدولة من الملوك اربعة بمقابلته ماتوا طرأاً مدة ستين
غير كاملين منهم غورد يانوس وابنه القربان لدى الرومانيين ٢٢٧-٢٢٦ واما ابنها
غورد يانوس الياغ فقد كانت بضاضته لانصد ٢٢٨ عن ابرار الحكمة المخارقة التي
يفسر عنها الكهول المحكون فاصبح مجناً للدولة الرومانية التي اوهنتها الانقسامات
وفسكت بها ايدي المجائرين . فوشب على النرس اعدائهم ٢٤٢ ونزع من ايديهم كثيراً
ما غفروه من الهائم منها وما سلوه لكنه لم ينجي طويلاً فان فيلبوس القرني نازل هذا
الملك الصالح ولبه روحه ٢٥٤ ولما شعر بتولية ملكين اقامهما مجلس الدولة انحاز الى
صابور ملك النرس خشية ان يعتاه واورم معه صلحاً خرق عرضه وحمله الفخس والشين
٢٤٤-٢٤٥ وقد تفرران هذا الملك هو اول الرومانيين الذين غادروا بعض اراض
من المملكة بموجب معاهدة ومعالجة

وقد روي انه لما سعى على السيلب التوم جد في حيل الله وتخذ الكعبة له مثلاً
مستمسكاً به ورمي الوثني والحق يقال انه طرح بالصف جانباً واحتفل ملاذاً للمسيحيين
يستنصرونه فكأنه لداسيوس الذي اهرق دمه وجدد الاضطهاد بكل قسوة . وبناء عليه
اخذ العائون يلجون بانياء الله ويفطرونهم

اما البيعة فقد كانت تمتد في الامصار كافة ولا سيما في غالبا يدرأ عنها الملك داس
النواب الدامسة فتتور عليه بزهوق الروح ٢٥١ فكان ذلك عليها وبلاً وثبوراً . واما
غالبوس وقوليز يانوس اللذان خلفاه فلم يلها عن الايقاع بالبيعة - وى موالاتهم للملك
ولم يكن لاولي يانوس امر سوى بروزو فانيطت السلطة المطلقة بيده فالير يانوس
٢٥٢-٢٥٤ فجدد من الهبة جاداً واخذ يعطى شومون المملكة بكل اقدم وجرأة وهو في
حيز الهرم . لكنه لم يكن جائراً الا على ابناء بيعة الله ٢٥٧ ونال في عهده البابا القديس
اسطفانوس والقديس فيري يانوس اسقف قرطاجا اكلي الشهادة قسراً عن خصامها

الذي لم يقطع من بينها وثاق الإخاء ٢٥٨ ولم يكن ضلال القديس فيريانس الذي كان يشد على معمودية المراهقة تكبراً لم ينقذ ولا بالكيسة ٢٥٦ واستمر تقليد الكرسي الرسولي مرجعاً بقوته الخاصة قسراً عن تحجج الناسك وتحجج بعض انام لم اهمية اخذوا يوريدون مثاله . ولما لبث الجدل قائماً مستمراً نشأ منه كبير مضرة فان سبالوس قد مزج ثلاثة الاقاييم معاً . فقد ذهب الى ان العلي له اقنوم واحد مثلك الاسماء ٢٥٧ فذلك تعلم تعرف البيعة بفرايو الثالثة . واما القديس دنيوس استغ اسكدرية لدى البابا سكتوس الثاني كل غي ذلك المتدع وضلاله اما البابا فقد اتفق الذي تكبده سانه القديس اسطفانوس فني مجاعداً الى ان يتر المضطهدون راسه واخذوا يرمون شماسه القديس لورنسوس ويحملونه ما لا يستطيع عليه صبراً . وحينئذ اخذ البربريشيون الاغارة على الدولة الرومانية ٢٦٠-٢٥٨ . فان البرغوليين وشعوباً أخرى جرمانية والفرنجن الذين كانوا يلبثون في ما غير مجيبيين وشعوباً أخرى من الشعوب الذين يقطنون شواطئ اليون توكسان وراء نهر الدانوب تراخوا برمنهم الى اوربا واندفعوا بحرقون واغار القرس والشبنون الاسبويون على الناحية الشرقية منها وطفقوا بذلن الصواب ويندون . وقبض وقتل القرس على الملك فاليريانوس غدراً واستأسروهم مائاً ذليلاً يكابد طول حياته الثبور والمضاق وسبقوا من بعد ذلك جلة بعد ان مزقوه كل ممزق واحقدموه العوبة لانهيم علامة للنصر وركوب منق التلاع . اما مضاف في الملك ابنة غليانوس فقد كان ضامل الراي هوبياً للاوريقعد المجن عن العمياء فكان ذلك سبباً لانتطاطه الى حضيض الدلة مدحوراً ٢٦٠-٢٦١ وزاحم الملكة الرومانية ثلاثون رجلاً من الظلة العنة وانضموها قسمة ضنرى . واما مدينة تدمر القديمة التي شادها الملك سليمان فكان قطان عرشها ملكاً عسوقاً يدعى اودينات بنوق كل الظلام الاتنين عسماً وثأريقاً فانه ضوق على البربر وعسف من ايديهم الامصار الشرقية واستوى على العرش ملكاً بحوله وطولو . ومن الامور التي نهت على الدهشة ان امراته زئوبا كانت عاكفة على الحسيارمة امام الجيوش وبعد ان زهنت رويحة تربت عليها قيادة الجنود فاشهرت بقوة النواد وزراعة النبس وفي اليقين انها كانت محرزة الجمال والصفاء والمعارف والبسالة وربا كوديبوس الثاني ٢٦٨ الى الملكة الرومانية وقناه اورليانوس ٢٧٠ ولوحها خطاً فلاحها ونجاحتها فرغلت بيرد المر بعد

ان كانت صاغرة ذليلة . وفي غضون تعنتها الوثنيين والجرمانيين بانتصارات عليه كانت زنوبيا الملكة الارمنية ترى لبنيها ما فتح ابوم من المدائن وكانت راضية عن الديانة اليهودية . فاعتم بولس السموزاني بان يحلها تستملك عن تلك الديانة قصد ان تعتق الدين المسيحي فاختلق لها مذهباً على حسب الدين اليهودي قريباً يتعلق بالبحث عن اقنوم المسيح وخيله اليها انه انساني محض وبعد ان اسر تعليمه زمناً نفي القضاة عنه في مجمع انطاكية وحكم عليه . وقد كان اسثناً زموقاً في مدينة انطاكية بنهاضت على القاء النصب وامانة السكينة واما الملكة زنوبيا فقد دافعت سبع الحرب التي اجمعا اورليان ٢٧٤ متوجهة اليها تنال بذلك النصر القيمة فحبط مسعاهما لان اورليان نازحاً غير مستغف بها وفاز لدى قتالها بلواء الظهور عليها ٢٧٤ وفي عرض تلك الحروب المستمرة لم يطور كنيها عن ان يرعى للحد الحربية الرسوم الرومانية واما ان ادارة فيالتي كثيرة داخلاً وخارجاً دون ان تفك الدولة موقوفة على ان الجنود لابد من تبارم على انقضاء النظام وخشونة العيش القديين

اما الرئيس فقد جدوا في ان يذيع باسمه ويقيم الرأع منهم على بلاد الروم . وقد ثبت انهم ليسوا من معتد واحد بل انهم قتل جرمانيون كانوا يقيمون في شواطئ الرين . ومن اسمهم دليل على انهم كانوا يسكنون في مجبوحة الحربية فاصبهم اريمانوس مستظراً قبل ان يتبوا سرور الملك . ولما غلبت امر قومه نصهم لهم وتجرعوا البومى طول ايام حكمه ولقد تقرر انه كان عيلاً عاتياً لا يملك عن امر ياق الدماء فقيهمته الى الوجوه وصار الناس يكرهون له بالفضاء والنجاء وقصارى الكلام ان شدة جوره وصعكته في اوراق دماء العباد بعثاء على ان يجرع كأس الحمام ٢٧٥

وكل روماء الجيش الذين كانوا يحسون منه خيفة ويتوهمون انه سيادهم بالخطر الويل تأملت عليه قلوبهم للشك في واقم عليهم كاتم اسرارهم واثقوا به فجدلوه قليلاً . ولما اصبح من الغابرين نقاعد الجنود عن ان يجرعوا ولم ملكاً خشي ان يكون من يتقونه احد قنايله . واذابت لمجلس الدولة حقوق الخبرة التدم القصب تسميوس ملكاً مكانه وفي الفين ان هذا الملك كان شجاعاً وقوراً مهيباً لا تاخت عن النصيلة منه . يد انه اقام على الجيش من انسابه رئيساً مستكبراً جائراً غفرت منه القلوب وتارت عليه الجيوش فازفقوا روحه وروح ذلك الرئيس العاتي وكان ذلك في الشهر السادس من

ملكوا ٢٧٦ وعلى ذلك لم يحزن من الاستيلاء على العرش سوى يسوع دمو على بساط
الارض . واما اخوة فلوريانوس فقد تم بيان يرث اخاه حكاما لانه كان اخص ورثته
فانكر ذلك على الرومانيين فاماتوه بحمد الحسام ونصبوا على السدة برويوس
الذي قهر الجيوش على ان يعيشوا طرا كالجنود الذين هم مخفرون بسلك النظام
فعزيزت احكامه واصبحت السيادة صاغرة لولايا والسلطة لامر وسلطانه فان الجرمانيين
والفرنسيين تراخفوا في قتاله قصد ان يدخلوا بلاد غاليا فالتفاهم الى مضار النزاع
وخرق صفوفهم فخاصوا من امامو مدبرين فقتلوا البربر غربا وشرقا باس الرومانيين
وربعوا لم الحمة ربة من الغائلة ٢٨٠-٢٧٨ ومن ثم رغب في ابرام الصلح واخذ يوافق
الرعية بان الدولة ليس لها اية الى جود مجنة فبدت من الجيوش يوازر وتخذوا
كلامه باعنا على الاستشارة ولما بدتهم منه الارهاق والتذليل ثاروا عليه مشتهين . وبعد
ان مضت على ذلك حبة من الزمن اسفوا عليه ورأوا انهم اجمعوا بوعدا وعدوانا
فأثروا من بعده كاروس خليفة له وكان بطلا صديدا مستمينا لدى المراك بود
الانماك في تنظيم الجنود ٢٨٢-٢٨٣

وبعد ان استمر به منصب الملك ثار مخلوقه وقع البربر الذين كانوا قد انتفوا
بعد موت برويوس ومضى من ثم الى الشرق ليضرب الفرس مصحوبا بابنه الثاني
نومريانوس . ووصل الى ابنه البكر كارينوس مناصبة الاعداء في ناحية الشمال وكان
قد لقبه بقيص (هو لقب اقرب مدرجة للوصول الى رتبة الملك) اما الشرقيون فقد
هالتهم حرب كاروس جدا لان الشعوب القاطنين بين النهرين تقاطعوا له تقاطعة
الدلالة ولم يكن للفرس الذين كان الشقاق بينهم سائدا ان ترسخ امامه اقدامهم بل مرق
شملهم فنفروا ابادي سبا . وبينما كان يخفص نفوس المستكبرين ويسفل لديه كل طامع
رفيع استأثر به الله بصاعقه بنفة قبل انتهاء مسيره فاصبح ابنه نوميانوس من بعده رثا
بواصل بيكانو الليل بالنهار فاوشكت مقتلاه ان تنح لكثرة فيضان الدموع . لكن من
سير الامور بغياس البصيرة يشمران الغراء بالترشح الى مدارج الملك يبعث على النسوة
والنساء فان حياء آية بدلا من ان يكسب لآكثا و يربو اليه بعين الرعاية والرفق
اغراء بقتلو الطامع في الملك ٢٨٤ فتطير ديوكليسيانوس من ذلك الجبل العظيم وثار
القتل بقتل قاتله ومن ثم رجع في دست الخلافة التي كان يتبناها من صميم فواده . واما

كاربنوس فقد كان هيباً وكلاً نجوينان الحث في فواده ولكنه لما قته ما وصل اليه ديوكلميانوس ثقوى وبرز الى مخار التثال فاستحال بطلاً دعيماً واحرب الحرب حيثئذ عليه فتحة وشعث عساكره . واذ رأى جنود عدوه تنقلوا منهزمين قفاهم مطارداً فتصدى له اذ ذاك احد انصاره وقتله كيداً وانتقاماً بحجة انه اغتصب امراته ٢٨٥ فتخلصت الدولة الرومانية من وثاق اعظم الظلة المتمردين والبناة المنسدين

واما ديوكلميانوس فقد تولى الامرة اما بحوله وضوله واما بتكبر فائق ولما اعتز على سرير الولاة شخ بانفه صلوا فزحف عليه المكاثون داخلاً وخارجاً وقتلوا عليه ابواب الطوبى من كل جانب فضاقت عليه عند ذاك المذاهب . واذ لم يجد للفرار سبيلاً ولت له النفس على اقامة مكلميانوس امبراطوراً يسمع على تعبئة الاعداء عن ملكه ٢٨٦ غمرته استيق لنفسه السلطان والامر فتمزز حيثئذ السكان فوق الاسرة وانثيا لكليها وازعن لتباً كلاً منها بقصر فكان من رشح لتلك المرتبة السامية قونستنسوس فلورس وغاليريوس ٢٩٢ - ٢٩١ واتصبا حيثئذ طراً للدفاع عن الاوطان فلقوا من الاعداء عرق الثرية . وثار رومة على ديوكلميانوس طالبة الحرية فهاجر منها الى نيقومودية حيث اقام مدة لمرشو الباذخ واغرى الرعية بان يعبدوه حسب عادة الشرقيين . وفي غضون ذلك ظهر غاليريوس على الفرس فجالوا عن مناوهم وغادروا للرومانيين اقاليم جمة ومالك كثيرة ٢٩٧ - ٣٠٢ وبعد ان رأى ان النصر حازها جرأته اعتز على قومه ورام ان يغاز عن الرعية فامتنع لقب قيصر وعلق بوعد مكلميانوس بالامر الويل واما ديوكلميانوس فقد عراه دآء عيالاً اوهم علة فاضطر صهره غاليريوس الى ان ينقح عن العرش الملوكي ففعل مكلميانوس اسوة تسن بها . وبعد ذلك أئيط الملك بهمة قونستنسوس فلوروس وغاليريوس ٣٠٥ - ٣٠٤ ونحور المكان المعتزلان قيصرين حديثين يقال لهما سفاريوس ومكلميانوس

ونالت بلاد غاليا واسبايا وبريطانية العظى نرف العيش وغضارة التعم زماناً وجيزاً في عهد قونستنسوس فلوروس وكان هذا الملك لا يجنف عن المحبة النوعية بل كان يراعي حرمة العدل ويعامل الرعية بحسب العناية . وقد انتهت الظمراء والحواشي بانة ثابت العزم على استناط بيت المال فابان لم ان عنده خزائن شتى نقدتها الرعية اختيارياً لدى الاقتضاء . وكانت سائر الامصار يتجشم اهلها مشاق الجور والعنف لكثرة

ما كان يعنهم الملوك والقيصرة وكان اولوا المناصب المنوعة يكثرون طالما يكثروا الملوك فزادت المظالم زيادة جاوزت الحد.

وفي ابان ذلك ذهب بين الناس صوت قسطنطين الشاب ابن قونستنسوس قلوروس فاخذت الالسة تلهج بالاضطراء عليه وتشوف به القوم الى سوء دة تقليم . يد انه كان وقتئذ تحت سلطة غاليريوس فاخذ هذا الملك الدميم بطرح به الى مناوور الخطر والملاك فاعراه يوماً بمائة ضواري الوحش في ملعب كثر فيه المتطلعون . فلم يكن لديه الاستعداد من الوحش اكثر منه من غاليريوس . فاسرع الناس من امامه مدبراً واثق اياه فرآه مشرفاً على الترع . وفي الحين عمه ٢٠٦ اصبح صهر غاليريوس مكسانس بن مكسيميانوس ملكاً في رومية رثماً عن حبه . فاخذت تيران الشقاق وتسرعت جذوة القضاة والخناء فعاد ذلك على الدولة بالامور الويلة . وقد بعث الى رومية تبعاً للعادة بصورة قسطنطين الذي خلف اياه فجاهر مكسانس بعدم قبولها (فقبول الصور كان دليلاً على الاعتراف بسلطة الملوك المحدثين) فاخذت التآمبات الحربية تقوم عند الملكين . ومن جهة اخرى سهر غاليريوس التبرص فسار يوس الى رومية للاستحباب بمكسانس فضيق عليه مذاهب النجاة واستقط عليه الرعدة والفتنة ٢٠٧ فتمنى اذ ذاك ان يكون له عضد يقوم بنصره فاستصرخ اياه مكسيميانوس لياخذ يده فبرز ذلك الشيخ الهرم المطاع من كه حيث هو قسراً عنه وكبح في ان يطرد حربة ديوقليانوس من المدينة التي كانت بمختر ارضها في سالونية فذهب جهده في ذلك درج الرياح

ولما شعر الجنود بان مكسيميانوس امتطى صهوة الملك من اخرى شقوا عصا الطاعة لسناريوس واتوا امامه صاعرين وقتل ذلك الهرم بسناريوس . وفي الحين ذاته لما ايقن ان غاليريوس ثابت القدم في مضار العراك زف اليه فوستا الى قسطنطين رجاء ان يجنازه له نصراً . فدرى بذلك غاليريوس فاقام ليسينيوس امبراطوراً يضاهه على مقاومة العدو فوغر من ذلك مكسيميانوس حسداً لانه كان مثقلاً الرتبة القيصرية التي لما حق الاولوية في المجدول على مدرجة الملك اكثر من غيرها من المناصب الرفيعة ولذلك تسرع عليه الخضوع ليسينيوس . فجاهر بالعصيان واسمر مستقلاً في الشرق ولم يبق لغاليريوس من حكمة سوى الليريا التي اتخذها ثملاً وطناً بعد ان طرد من ايطاليا . اما

الشعوب الذين تلبثوا متمكنين في الغرب فقد دائلوا لمكسيميانوس وابنه مكسانس وصهر
 قسطنطين يتدان مكسيميانوس لم يرغب في ان يشاركه في الملك احد اولاده اوسوام
 ولذلك عن له ان يوقع بابه مكسانس فتصده الى رومية لينزعها من يده ويطرده
 منها . فحبط بذلك مساعاه لانه اصبح مظهرًا به لاظهارًا ولما اضاف قسطنطين في غالبا
 استبرغور خثفه فرآه منطويًا على الكشاحه وجانحًا الى القدر والحديعة وبعد ان كثر
 العدوان وقسا العنفي عوّل مكسيميانوس على ان يجناز ابته فوستا امل ان يستقرها على
 بعلم . فغلقت ندامه وتواربه وهو غير عالم بما استبظت فلما بطن قسطنطين ما ازمع عليه
 مكسيميانوس من قتله اصبح احد خصبه في حرب عنيفة لذلك فوثب على الخصي
 مكسيميانوس وقتله فابقن اذ ذلك قسطنطين منه القدر والوقية فاجهد النفس في قتله
 فعلم مكسيميانوس بذلك فقهر الانهار ٢١٠ فدرى بذلك مكسانس مولوده فجد في ان
 يثار اياه فعالن بالعداوة قسطنطين واحربت عليه الحرب شديدة فجد قسطنطين جيوشه
 وزحف على رومية ٢١٢ واكب على الثرى غايل مكسيميانوس وديوقليسيانوس فذهب
 قلب ديوقليسيانوس من ذلك شعاعًا واشرف من كثرة التكد والتم على الملاك فمات
 واهن الجسم كثيرًا . واما رومية فقد جدت في ذاك الآن ان تلاشي الدين المسيحي ولذلك
 اخذت تعجده في سبيل اضلاله فكان جهدها وسيلة لتفويته وتشيده وقد روى
 المؤرخون ان غاليريوس كان محندًا للابتناع واصلاً للتساد والاضطهاد للذين طرأ على
 الدين المسيحي اخبرًا . فانه قبل ان الجأ ديوقليسيانوس الى الاعتزال عن منصب الملك
 بسنتين بهته على ابراز القسوة ضد المسيحيين وبذل الهمة في سبيل اعنائهم وارتعافهم وانتهاك
 حرمة مذهبهم ٢٠٢-٢٠٣ واما مكسيميانوس فقد كان يانف منهم كل الأنفة ولذلك لم
 يكن ليندفع عن اذلالهم والابتاع بهم . ولقد طالما اثار عليهم اولى الامر والسائقين ومع ذلك
 كله فلم يصل الى ما وصل اليه مكسيميانوس وغاليريوس من الخشونة والعنف فانها كانتا
 بينهما كل يوم في اختلاف ذريع يتذرعان بها الى الاجتاف بالمسيحيين وتأويقهم وحملها
 الحيلة اللينة على خرق عرض المذارى الايكار اللاتي لم يباهه الضد عنافهن اقل من
 اوائهن . وجد كثيرًا في البحث عن الكتب القدسية قصد ازلتها وازهاها اثرها وبناء عليه
 لم يكن المسيحيون يجثثون على ان يدخلوها الى مساكنهم او تدواها ايديهم ولم يتوال على
 ذلك الاضطهاد الرائع حولا الا نمرز البغي والتساد وليت المسيحيون يحصون بالصبر

مستبشرين بالعروة الوثقى . ولما رأى الشعوب ان لم في الحيرة رميًا تدخلت قلوبهم دهشة
وتعجباً وعلوا لهم على الحق المبين فصرعوا اليهم سرايات يندبون بدينهم وبعد ذلك لم
يبق لغاليريوس ميل يمكنه من الظهور عليهم فبعث يو داء عيالا التي يد الى الملكة
فمات تائباً كانطيريوس الى الله متائباً كاذباً ٢١١ واما مكسيموس فقد استمر عاني
القلب بعنت المسيحيين وبرزحهم الياً وادعوى قسطنطين الكبير الظاهر عن غرته
واتاب الى بارثو صالحاً فتدين بدين المسيح جواراً ٢١٢

العصر الحادي عشر

في الكلام عن قسطنطين او سلام البيعة

ان قسطنطين الملك قد جمع الى الدين المسيحي مستسكاً بوسنة ثلاث مائة واثني
عشرة من ميلاد الرب فانه لما اخذ بتأصب مأكسانس في رومية فافلاً عليه ابواب المناصب
والمنزلة بدا له في الجوامع اعين الجميع صليب نوراني مكتوب عليه ان النصر بيد
مأنه وشيك فاقن ان ذلك عدة من الله له وراه في الحلم ايضاً فلم يكن من بعده
مستريباً ولما غدا بعد ليلى على الحرب قضى له الهى حسب وعده فافاز به بالنصر على
العدو الالند فخلص رومية من عبودية مكسانس والبيعة من اضطهاده ولدن ذلك رفع
الصليب فوق هام الشعوب كانه يترعة في الدولة الرومانية وبنيها من غوائل الدهر
وحدثنا ٢١٢ فلم يرض على ذلك حين قصير الا فخر ليسينوس المخاز الى قسطنطين
مكسيموس وافضى يو الى مقاساة الوبل والنبور فكانت نهاية اجله كناية اجل
غاليريوس فحمل للبيعة بعد ذلك اماماً وطائفة واستوثق بنوعا منه لغوسهم فخطرت
بقسطنطين الذي لم يمت ان ارتفاع الاخطار باقحام الاخطار . ودان له الاستظهار والنصر
ايمان رجل وايمان حل وقمع البربريانه وبأس اولاده . اما ليسينوس فقد امسك
الشعبة في قلوب وترقص لفرصتها فاستحق واخذ ياده البيعة بالقصد القديم فنهض اليه
قسطنطين واذكي عليه نيران الحرب برأ وجرأ فاذهل والحجاء الى ان يهوي عن سرير
الملكة الرومانية ومن ثمة لم يلبث ان عشت به برائن المنية ٢٢٤ .

وفي ذلك الحين التأم المجمع الاول العام في مدينة نيقية ٢٢٥ من بلاد بيقية باسم

من الملك قسطنطين فوضى اليه ثلاثمائة وثمانية عشر ألفاً ليربط بعدهم امر البيعة .
فحرموا اربوس الكاهن مجده الوهي ابن الله وانشأوا قاعدة الايمان بان اجمعوا على ان
الاب والابن حيان في الجوهر . فكان كنية البيعة الرومانية الذين يسميهم البابا القديس
سيلستروس لم صدر المقام في ذلك الالتئام وكان من زمة وكلاء الكرسي الرسولي احد
مورخي اليونان القدماء وكان الجميع معتقداً تحت رئاسة اربوس اسقف غوردو الشهير
فتصاغر امامه قسطنطين راضياً لاحكامه معتقداً انها منزلة من لدن الله . اما الارويوسيون
فقد اصرروا على غريمهم وضلالم كهاناً وظاهروا بالرضوخ امام الملك يصامعون ويدعون
ومن الامور المبررة ان الملكة كانت في عهد قسطنطين راقية في مجبوعة الامن
والارتياح . وجنا كان هذا الملك يظبط على ادامة الطهارة ساقية في احياء الملكة
باسرها اذ دبت الفتنة والمشاحنة بين سراه فصر فارت فوستا زوجته انهمت ٢٢٦
كريستوس ابن ضرتهما بانه جد في انت يعاشرها فحن جفاً من ذلك ابوه وطرح
بالرحمة الالدية جانباً وعامله بالتسوة اشد معاملة واما هي فقد بدا لدى الجميع اقبها
وعلموا انها اختلعت لزوجها ذلك النبا الفاحش اخلاقاً فلم تنقاد عليها الايام الا نالت
جزاء ما فعلت فانها ولجت يوماً الحمام لتستحم ففدرا الله عليها ان توت فيه خبيثة فعار
ذلك الامر قسطنطين فاسخيا امام القوم لذهاب مكرها وخضاعها بين الخاصة والعامة
بيد ان ذلك لم يخلص مقامه فان والدته غسسته من الفضائل ونكته من الشرف ما يسه
ما عرفته يو فوستا طول ايامه فانها اكتشفت في خراب اورشليم القديمة عود الصليب
الذي تكررت عجايبه والقبور المقدس وقد ازان قسطنطين وهيلانة مدينة اورشليم الحديثة
التي كان قد اقامها اوريانوس والمخارة التي ولد فيها مختص العالم وكل الحال المقدسة
بها كل حسنة . وبعد ان نالت على ذلك الحين اربعة من الحمول ربح قسطنطين
مدينة يزرانس ودعاها القسطنطينية وجعلها مركزاً ثانياً للدولة ٢٣٠ واما البيعة فقد
كانت في عهده مضروباً عليها سرداق السلام والطهارة لكنها لم تدم لما تلك الحال لانها
كانت في بلاد فارس عرصة لمناصبة المتدعين . وكثيرون من بينها استغزهم الله
مشهدين ٢٢٦ - ٢٢٦ ولما كان حريصاً على الثمومين العظيمة مرفعاً عن الخصائص
بيته الشهامة على ان يكلم غبط صابور ملك الفرس عن البيعة وينها ويدينه يدين
المسيح فاصبح كانه ارتكب امراً غير مطيع الفاتنة لان جدته في ذلك الشأن ذهب عبقاً

يدّ أنه استمر بخلص السبي في ان يمد للمسيحين سبل الامان فلم يتمكن الا من ان
يحمل لم يلجأ في دائرة حكمه . واستأثره رحمة المولى ٢٢٧ راضياً عنه لما جدّ في ماله البر
والحق عت الإزار لا يشوبه وزر ولا شين ولكنه قبل ان اغتاله الموت شطر الملكة ثلاثة
اجراء بين اولاده قسطنطين وقسطنس وقسطنطية فلم تطل مدة احكامهم حتى ذك
بينهم نيران المكاشحة والفتن فان قبة الحرب أضربت بين قسطنطين وابنيه قسطنطية
لانها اختلقت على بعض تخوم في ملكيتها ٢٤٠ فدارت حثيرة على قسطنطين الدائرة وقتل
في تلك الحرب المائلة . وكما ان قسطنطية كان يكافح اخاه قسطنطين ويتهي له ما اوصله
اليه كذلك كان يكافح اخاه قسطنس بالبغضاء فانه لما رآه يلجأ بايمان نهية وبيادي
المنهاتين علو بالاضطهاد والارهاب برز محامياً وعلق بعائلته وعيناً واغتيالاً ومع ذلك
فان القديس اثنا عشر بطريرك الاسكندرية والحامي عن ايمان نهية كان قد ضاق
ذرعاً لكثرة تجشؤ المشاق الويلة فنجبت اليه من ذلك عجباً عجائباً . وطرده قسطنطية
من كرسي البطريركية مهاتاً ممهتاً . لكنها البابا جوليس الاول أمر به ان يعود الى
مقره نظيفاً للقانون فصدق على الامر قسطنطية فانفق البطريرك الى ابرشنة راجعاً
واما ذلك الملك الصالح فلم يجي على الارض زماناً طويلاً بل استعز الله بان قتله
ما غسانس الجائر عدواً ٢٥٠ فلما علم قسطنس بذلك أثر على ان يقتله بان يثار اخاه
فنازله وضيق عليه كثيراً فاتر حثيرة ما غسانس ان يتمر ٢٥٢ ولما علم الاستنف
قال انسيوس الارموني ان عسكر ما غسانس الخائن يشتمون ميديدين استناداً على ما
علم من بعض اخدائه الخلفيين اقبل على الملك واخبره ذلك مدعياً انه استوسى الله
مستصرخاً قافحاً اليه انه ياتي قسطنس بالنفع الميرث وفرج من عده قريب . فذعن
له الملك غير عالم انه افك مصانع واطأه على تلك النبوة المائلة وتدين اذ ذاك
بدين الارموسيين واعبط الاساقفة الكاثوليكين عن مناصبهم وصوب سهام غيظو وحنفو
على اليه . واما البابا ليباريوس فقد اوهن بثرمه وقناطه ثباته ٢٥٧ وقد كان
اوزيوس الشيخ عضداً لليعة فبرحت به العذابات المورقة فأرغم على ان يكون جاحداً
واما جميع رعيته فبعد ان كانت قوي العزم اذعن بالخذعية والجور ٢٥٩ ولم يكن في
ذلك الحين شيء يدور على محور القانون بل كان القانون ما يرثيه الملك وما يرغب
فيه . واما الارموسيون الذين كانوا تائبين في نلمات الضلالة ويجعلون كل شيء طوع

اهواهم واغراضهم فلم يكونوا في ما ابتدعوا بموافقين بل كانوا كل يوم يغيرون قاعدة
ايمانهم بناعدة اخرى تصبو اليها نفوسهم لكننا ايمان نقية لبث مسفرة قصر أعين
المفسدين وجاهد في سيلو القديسان اثناسيوس والاريوس استق بواتيه فتنازادوخ
صينها كل الامصار والاقطار

واستمر قنسطنس عاكفا على تعزيز شومون الاروسيين وابدا وراء ظهره شومون
الملكية . ولذلك كانت تنكس اعلام قاداته بمنازلة الفرس في انحاء متباينة . وزحف
الامانيون والفرنسيين على غالبا واندفقوا علوا من كل جانب فدفعهم بوليانيوس
احد انبياء الملك وذادهم عن الملكية ومن ثم ظهر عليهم متصرا ٢٥٧-٢٥٨-٢٥٩
وهو الملك من سيات غلبوا واخذت مع السرمانيين ويخطي نحو الفرس ٢٦٠ وهناك
عنا بوليانيوس واستكبر عليه نائرا ومات قنسطنس ٢٦١ وحكم بوليانيوس غير حاد
على الرعية لكنه على فيما بعد يعني المسيحيين ويأتي عليهم عب الاضطهاد وتأير على
تعزيز الشقاق ومنع ابناء المسح ركوب متن المناصب ومطالعة العلوم ولقد طالما تسن
باعمال اليمه رجاء ان يعطنها بسلاحها وكان لا يغالي في العذابات ولا يعنت المؤمنين
الأنجح خارجة عن دائرة الدين وإطال المسيحيون هذا الرضوخ له . واما السوء الذي
كان يهاجم على الحصول عليه فقد اصبح وسيلة هلاك ٢٦٢ . ولما نجح بلاد الفرس
واخذت تحول فيها دون نصير في ما يحدث من الملث والكنوارث قضى عليه بارت
بصبح قتيلا فخله يوفيانوس وكان رجلا عزيز الجانب مسجعا فسرح طائر بصره في
احوال الملكية المتغيرة فرأها في حالة الياس والاضطراب فابرم صلح مع الفرس
الجمانة الضرورة اليه

وبعد ان انتهت بواظفار المنيه بنس والقيانيوس وتلق قيادة الجيش وسعر جند
نار الحرب على العدو ٢٦٦-٢٦٧-٢٦٨-٢٦٩-٢٧٠-٢٧١ الخ واستصحب معه طول مدتها
ابنه غراسيانوس وهو يافع السن رجاء ان تحكيمه التجارب وتحكمه ورعى النظام المجدي
وقوي على البرير فذلهم وبني على نفور الملكية معاقل منيعه محصنة . وناضل في الغرب
عن ايمان نقية يدان اخاد والنس الحريف له في الولا قد انتهك حرمة الدين في
الشرق ولما عسر عليه ان يجناز القديسين ياسيلوس وغريغوريوس القريزي اواف
يلجئها اليه قسط من ان يظفر بلاشاة دين نقية وقد اضاف بعض الاروسيين الى قاعدة

دهم بدعا خرافية تمت على الضلالة والشور فان كاهنا منهم يقال له امريوس قاله
 الاباء القديسون ابتداءً ونسباً فانه لم يفرق الاسقفية عن الكهنوتية وفي يمينه ان
 الصلوات والقرابين التي تضحى عن انفس الموق ليست الا كاهن المشور لا تعود عليهم
 بادنى جداء ومنفعة وان الامساك عن المطعوم ان هو الا عبودية للشريعة واس على
 المرء من جناح راو حرج ان لم يقم بل ذلك منوط باختياره . واستقر حياً الى ان
 ابرز الى الوجود القديس ايقانوس كتابه في الابتداء والخرطقات الذي رفض به تعاليم
 امريوس كل الرفض . واما القديس مريونوس فقد اصطفى اسقفاً على مدينة تور
 وضاع شهيداً قداسه وعجايبه في العالم بأسره طول حياته وبعد موته . واما الملك
 والتنباتونوس فتوفاه الله برحمته (سنة ٢٧٥) باثر ثلاثه خطبة عظيمة تلم باعداء الدولة
 فحمة الذي كان يهمل - واه من المشوقين اليه عاد عليه بالياس والعماسة وظلته
 غراسيانوس الذي لم يلبث ان رأى اخاه الاصغر والتنباتونوس الثاني متدرجاً الى صورة
 الملك فترث بذلك عية ولم يوغر عليه صدره حسداً وبغياً مع ان ذلك المترشح الى تلك
 الملك الباذخة لم يكن له من العمر سوى تسع سنوات وقد كانت والدته بوستينا الدائمة
 عن الاربعين تقوم بسياسة الدولة اثنا صفه . وفي ذلك الان قد كانت نظراً حوادث
 تهمت على الدمشية والعجب فاني الفطط (كذا يسمى القويون) ثاروا على الملك والس
 او فالانس ٢٧٧ وبعد ان كان الملك يهوى الثرس ويعتهم عدل عن ذلك وعكف
 على تصغير نفوس الفطط المستكبرين ونزولهم وابرى غراسيانوس الى مضار القتال قائماً
 بناصره بعد ان اوقع بالامانيين واسمهم تيريمار وارهايا . يذ ان والس طمع ان يحال للنصر
 مفرداً ٢٧٨ فاسرع الكرة على العدو فقتل ثمرم ادرته وحرقة الفطط الظافرون في القرية
 التي تخذها مؤثلاً ولاذاً . ولما عاركت الحادثات غراسيانوس وناوشته الوانس كل ونصبه
 المم كثيراً فاشرك في ملكه ثيودوسيوس الكبير فاناط بهدته الشرق ٢٧٩ فكسر حينئذ
 الفطط وقمع البربر وابوهم كريباً والقباعاً . واما الامر الذي رآه ثيودوسيوس ان لا بد له
 منه ارفاقه المراطنة المسكونيين الذين حمدا الوعية الروح القدس فنبط افدامهم عن
 السعي في طريق الفرة والضلال وحكم اذ ذاك جميع القسطنطينية انهم مفسدون ٢٨١ ولم
 يكن ذاك الجميع ملتحاً الامن ابنا الكيسة الشرقية واما رضوان الغريبن عنه وقبول
 البابا دماسيوس بوجلاء مجدهم ثانياً عاماً

وعفا كان ثودوسوس قابضاً على عمان الدولة وينود النصر تحقّق فوق هامو
 كان الملك غراسيانوس الذي كان يضاهيه بالثقي والبسالة يقادّره جنوده الذين كانوا
 مؤلفين من الأجانب . فاندفع اليه مكسيموس العائلي وقتله وكان باسلاً إلى النفس
 صدوقاً ٢٨٢ فأكّبت عليه اليعة والدولة كلّ الاكتساب لكونه مخفض الجناح وباذع
 الهمة في مبارزة الإبطال وأما مكسيموس فقد حكم في بلاد غالبا يعنو ويطلي ولاحت
 عليه سمات الرضوان عما دخل في حوزته ٢٨٧ - ٢٨٠ ل وأصدّرت الامبراطورة جوستينا
 باسم ولدها لانتانوس المنجون في حياته أوامر مألها المصارعة لاسعاد الاربوسيين والقيام
 بناضرهم ولم يكن استنف ميلان القديس امبروسوس يقاومها إلا بالاعالم الحقّة
 والصلوات وطول الأناة وبهذه الذريعة تدّرع لان بقي لليعة البيع التي كان سيف عزم
 المتدّرعين ان يستولوا عليها واحراز الملك الشاب اليها . وفي ذلك الحين كان مكسيموس
 الجائر على امية تاجع الحرب ولم نغفر الملكة جوستينا على احد نستوثق لئسها منه سوى
 القديس الاسقف الذي كانت تعامله معاملة العصاة المجردين . فبعثت به الى الظالم فقبالة
 بما يؤمّل لهدم الجناح ولذلك اركن فالتبنيانوس الى الفراع اموقع مكسيموس رومية
 ولوسع فيها طرائق العبادة والاصنام قصد ان يرضي مجلس الدولة الذي كانت
 أكثر اعضائه من الوثنيين ٢٨٨ وبعد ان ثبوا سرير الغرب وفكر ان ذلك غنيمه باردة
 ساوره ثودوسوس بضافر الفرنسيين وظهر عليه في ثبوتة وضيق عليه في أكلة محاصراً
 وانحدر اليه انتصاره المغيثون وقتلوه .

ولما اصبح متسلطاً على الدولتين اناض دولة الغرب بهمة فالتبنيانوس فلم يرعها
 زماناً مديداً لانه على اولا في رفع مقام القائد الافرنسي اربوغاست ثم اساقا الى وهاد
 الحمية فانه كان بطلاً دعيماً شهياً مثدأماً وانه كان لا جناح عن الجحد في تسية شومون
 الجيش فاهبطه عن منصبه . وبنه عليه وشب على فالتبنيانوس وهراق دمه واقام في متاجه
 ايجانيوس الذي لم يكن له من المآثر سوى الخطابة ٢٩٢ وقد طرأت هذه القطعة الدميّة
 في غالبا بالغرب من مدينة فينا فبكى عليه القديس امبروسوس كثيراً لانه طالب اليو
 قبل اغتياله ان يعتمد بيك غير انه لم يأس من ارباح نفسه عند ريو فان ثودوسوس
 فاز بالنصر على ايجانيوس يا عجرة ينة لدى الاصحار وطمس الالهة الكذبة التي جدّد
 عبادتها فبعد ذلك ألقي القيص على ايجانيوس . ولكن فحقق الشعب منه قد مره ارباناً

عن نفوسهم وكادوا بذلك انتصاراً للمجوس ٢٦٤ واما اريوفاست الجبار فلما رأى
 الفاترين بظاًطون للملك الظاهر ويرضون شق عليه الامر واثر الانتصار على ان يرضخ
 لاحكامهم فرح نيودوسيوس في الارض واستأثر بالولاء واصبح اعجوبة في العالم كله فانه
 عزز دعائم الدين الحديث ووطئ اقدام المخترقين وصد الوثنيين عن ان يقدموا محرقات
 وقرباناً وشدد العزائم والهم والجأ الدولة على ان تعيش بالانقصاد واعترف بجرائمه
 الكبرى وناب الى الله نادماً ٢٦٠ واصاخ للتديس اميروسيوس معلم البيعة الشهر الذي
 ولىه على وصه وحب فيه في العيب واستمر مظهرًا أطول حكمه ولم يكن يضم قبسة الحرب
 الا متى ايجى الى ذلك فاستظل شعبة تحت لوائه في رعد العيش وغضارة النعم ومات
 سعيداً ذهب ذكرى امانته في افاضي الارضين وتداول الالسة مآثره وانتصاراته
 الثالثة ٢٦٥

وفي عصر امي سنة ٢٨٧-٢٨٦ جدد كاهن كان مزبوراً في مفارقة بيت لم يقال
 له ابرونيوس في ان يضر الكتب المقدسة ولذلك عكف على مطالعة التواريخ الدينية
 والديوية التي من وسعها توضيح الكتاب المقدس ونخذ الصحة العبرانية سنداً له فالف
 ترجمة الكتاب المقدس المعروفة لدى البيعة باسم التولفات

وبعد ان كانت الدولة الرومانية في عهد نيودوسيوس قوية العزم عزيزة المال
 اموت في عهد ولديه الى دركات الضعة والخبول فان اركاديون وهنوريوس زاحضاها
 واذا لها فاستولى الاول منها على الشرق والثاني على الغرب وكان كلاهما يحمل اعباءها
 وازراها ويسعدانها بالرأي والتدبير ومع ذلك فلم يحركا سكوت السلطة الا لما رب
 نفسيه . واما روفينوس وابوسروبيوس فقد كانا ندي اركادوس بالتواتر فانغذا الشره
 ديدتا لها فهلكا معاً ولم تستم الاحوال بعد موتها في عهد هذا الملك الوامن العزم
 فان امرأته اودوكسيا اغرت به بان يضطهد القديس يوحنا ثم الذهب بطريرك النسططينية
 وسنة الشرق ٤٠٤-٤٠٣ فانغار البابا ابوسنتوس والغريغور الى ذلك الحبر
 العظيم وغلثوا ياخذون بيده ويبرزونه على مقاراة الصعاب ويضافرونه على ثوبيلوس
 بطريرك الاسكندرية الذي كان وسيلة لانتشار جور الملكة واعسانها . وماد الغرب
 اضطراباً لكثرة اردحام البرابرة ٤٠٦م فان رجلاً وثيقاً من نسل التوتيين يقال له
 رداغيز حمل على ايطاليا . والانديليون الذين هم قتل غوثية واربوسية توفوا جزءاً كبيراً

من غاليا وامندوا في اسبانيا واوغم الارنك ملك (الفيرفوسين الاربوسين هونوريوس
على ان يغادره تلك الاقاليم الرحبة التي كان الاندلسيون قد تولوا عليها . واما سيليكون
الذي كان قد سم من عظم البربر فقد كان آونة يباكرهم فيظهر عليهم ويصانهم وآونة
يوافقهم ثم يكاثمهم باقلا والبغضاء وقد كان يجعل كل شيء ضحية لمآربه الخاصة ومع ذلك
فلم يكن يترك برعى المملكة قصد ان تكون خلسة لحوله وسلطانه وفي ذاك الحين استأثر
الله بالملك اركادوس ٤٠٨ وقبل موته اقام ابنه ثيودوسيوس عند ايزدجيردوس ملك الفرس
وورث اليه امر شقيقه وهو في سن ثلثي سنوات ولم يرناهي ذلك الا لظن ان الشرق يده
عن ان يكون فيه اناس لم الاهلية لشقيقه مع ان يسلكوا بشقوة هذا الوليد البقي كانت
فرا الاهلية لان تقوم باعباء ثقيلو فعكفت عليه اذ ذاك واسبلت عليه حجاب الصيانة
والرعاية واصبحت عليه سيول البر والتقى . واما حكومة هونوريوس فقد ناولها الدثار لان
هذا الملك احنف يوزع سيليكون فاهرق دمه وافضاق ذرعاه عن ان يرى له وزيرا يلقي
الحابنه ولذلك اعترف ملكه على الاضلال فان ملاك ذلك الوزير الموارر الجأ
فسطيطين الى ان يثور ممرقا على الملك فترع من يد غاليا واسبانيا ٤٠٦ وحمل
الارنك ملك الفورفوت على درمية مجوده ففخها واستاق منها الاسلاب ٤١٠ واما
اتوانه فقد كان عنلا جائرا بنوق الارنك حقا ونحوظا ولذلك اعاد على رومية الذهب
والسلب واستاق منها الثنائيم ولم يكن ينكر الا ان يحصر من البسيطة الاسم الروماني لكتها
ذلك لم يكن قدرا مقدورا فان يلاسيديا شقيقه الملك هونوريوس رقت اليه ملك
المملكة التي اصحت لديه اسيرة علفت حيث تكدح في ان تدمت اخلاقه السجية
وتسترضيه على الرومانيين ٤١٤ فابرم القوتيون الصلح مع الرومانيين وامتنوا وثاق الاخاء
٤١٢ وقطلو بلاد اسبانيا ٤١٥ برعون لم في بلاد غاليا الاقاليم الدانية لجبال اليرانه
من المكائد والمخاربه وقد عم كل ذلك بحكمة ملكهم قاليا ودرانيه وايدت حيث في اسبانيا
ثابتة القدم ولم تطرا على ايمانها شائبة الزيفان والخلل في عهده هؤلاء الولاة الاربوسين
وفي ذاك الحين زحف شعب من جرمانية يقال لم البرغونيون على الانحاء التي
تداني نهر الرين وتبطوا فيها ثوبا بالحول والمصال واخذوا من ثمة يمدون رويدا
رويدا في البلدان التي لم ترل ثلثب باسمهم واما الافرنسيس فلم تآخذهم سنة الغفلة عن
مصالحهم واغراضهم الذاتية ولذلك حملوا على نفوسهم ان ينفخوا بلاد غاليا فاقاموا مزمو

بن مكرمير عليهم ملكاً ٤٢٠ ونهضت جيوشه في عهد فرنسا التي هي اقدم الممالك
واخطرهما

وتوفي الله في ذاك الحين هونوريوس القديس ٤٢٣ دون عجب غير متبصر في
حالة المملكة واقام ثيودوسيوس ذا قرابته فالتينيانوس الثالث ابن بلاسيديا ملكاً ٤٢٤
وكل امرئ الى والدته ريثما كان صغيراً ولقبها بملكة .

وفي ذاك الحين حميد سليستويوس وبلاجوس ٤١٢ الخطيئة الاصلية والنعمة التي
بها يصير المرء مسيحياً فشرع بجامع افرينة بما مكرها فاصدر عليها القضاء مبرماً ٤١٦
فصدق على ذلك الحكم الباباوات القديسون اينوسيسوس ٤١٧ وزوزيموس وسليستينوس
واذاعوه في انظار البسطة وامصارها اما القديس اغوستينوس فقد ضرب على
ذيك الكافرين مرادق الدحوض والبطلان وثار البيعة بعاليمه الفاتنة واسعد نليك
القديس يروسيو على اصحاب نصف البلاجهت الذين نوا ابتداء الثبوت والايمان بقوة
الارادة الاختيارية وحدها

ولا يخفى ان ذاك العصر قد كان يشوه وجه الدولة ويعود عليها بالوبال والتشكيل
بداته ولوساد فيه الابتداع وكثر الضلال والشور فقد كان فيه الدين المسيحي مترفعاً
الى درجات الجدم مترعاً عن شوائب الفلوسوف والساد فان الرزايا والمخطوب المدفوعة لم
تلق عليه ولم تصبه منها ملحة وقد كانت البيعة تكثر بلافنتها العظام وتزيد بهم كالأوباء
عليه فحدث كل ما نشأ من الابتداع والشيع وبعد ان كثر الاضطهاد اظهر العلي فخر
شهادته فان الثوار يخ طراً والمولنات قد وعت العجائب الفاتنة التي كان الله عز وجل
يهبطها على الارض باستصراخهم وقبورهم المكرمة

واما فيميلانس ٤٠٦ الذي طالما تصدى لتلك العفائد السائرة فاحبط القديس
ابرونيوس سعيه وليس عليه المسالك فاعترف عن ثمة اعماله ولبث اذ ذاك الدين
المسيحي يثبت كياناً ويتخذ في كل صفر وناد .

واما الدولة الفرية فقد كانت مشككة ان تزول لان الاعداء كانوا يندفعون
اليها ويصادمونها كل الصدام وقادها كانت تلعب بهم نشوة الحسد فان هونوريوس
والي افرينة مكره اماسيوس وخدعه لدى بلاسيديا فاشتبكت في امره ٤٢٧ فبعد
ذلك استدعى اليه ذلك الوالي جنسريك الاندلسيين من امانيها بعد ان كان الوثنيون

قد طاردوهم منها وتقدم من ثم على ذلك الاستعداد ولأت ساعة منهم . فان الاندلسيين
 حملوا لدى ذلك على افريقية ونزعوها من الدولة الرومانية فتجست حينئذ البيعة
 المشاي وعينت بها ايدي الاربيين العتاة واشهد نفر عظيم من ابناهم ٤٢٦ ونشأ من
 ذلك بدعتان سبتان فان نسطوريوس بطريرك القسطنطينية ذهب الى نجرنة اقنوم
 المسيح . وبعد ان مر على ذلك عشرون عاماً ذهب افثيوس (ويسى لوطيخا ولوطاخى)
 رئيس احد الاديرة الى مزاج الطيبين فانبرى القديس كيرالوس بطريرك الاسكندرية
 الى نسطوريوس وقد رآه واصدر عليه الحكم البابا شلستينوس ٤٣٠ فنفذ ذاك جميع
 انفس وهو الثالث العام قضاء البابا المنوه عنه وامبط نسطوريوس عن كرسيه هناك وثبت
 امر البابا شلستينوس الذي دعاه لساقفة الجميع في تحددهم ابام ونهر رعد ذلك ان مريم
 المذراة هي والدة الله . وذاعت تعاليم القديس كيرالوس في اقاصي الارض وبعد ان
 ابدى الملك ثيودوسيوس في بادى الامر فليلاً من التردد في ما اراده الجميع وان له صاغراً
 وابعد نسطوريوس . ولما اوطيخا الذي لم يتمكن من دافنة هذا الابتداع الا بسقوطه في
 في طرف اخر ٤٤٨ فلم ترفض البيعة باقل عزم من الاول وقضى البابا لاون عليه
 واذاغضه رسالة تلقاها العالم كله بالكرمة وحسن التبول . وقد حرم الجميع التحليد وفي
 وهو الرابع العام ٤٥١ اوطيخا وديوسفوريوس بطريرك الاسكندرية الذائد عنه وكان
 للبابا في هذا المجمع الرئاسة اعتباراً لسو تعليمه وسلطة كرسيه وبك المجمع اليه رسالة
 يؤخذ منها انه كان بواسطة وكلاهما مراسلاً على المجمع كالرأس على اعضائه وحضر الملك
 مرشيانوس نفسه الى المجمع اقتداءً بما فعل قسطنطين الملك وقابل قضاء المجمع
 بالرضوان وكال القوار

وقبل ذاك الحين بقليل من الزمن كانت يولشاريا جعلت مرشيانوس ملكاً
 بتزوجها به لانها بعد ان اغتالت المنون اخاها انصرفت اليها مرة الملك لانه مات
 دون عقب فبنّا على ذلك انتهت السلطة بيد مرشيانوس وتبدت به دائرة الولاة .
 وقد قرر ان قضائه بعته على تلك المأثرة السامية وفي غضون ذلك المجمعين ذهب
 بين الناس صوت توادوريطوس استغف قوروش . ولولم يكتب ما كتبه ضد القديس
 كيرالوس لكانت تعاليمه متروكة عن المعائب الا ان ذلك لم يكن صادراً منه عن سوء
 ما رى بل كان عن طيب سريرة واستمر استغفاً كاثوليكياً

وأما بلاد غاليا فأخذت يهودي للاقتباس وضوحاً وكان اهاسيوس قد باري
فرمون وكلوريون الملقب المنسل الشعر يقصد أن يدافع عن غاليا لكن مبروفي كان
أكبر حظاً بنواله راية الفوز في وشك ذلك المحين حيث كان الانكليز (شعوب سكسونية)
يتوئون بريطانها العظمى ودعواها باهم وشيدوا مالك حجة

وفي الوقت نفسه كان الهونيون (شعوب من جهات بالوس مونتدي أي بھرازوف)
يعثون في الارض ويخربون بكثرة جيوشهم الراضعة . وقد كان في مقدمتهم ملكهم اتيلا
الرائع . واهاسيوس الذي استظمر عليه في بلاد غاليا عسر عليه صدق عن دنار بلاد
ابطاليا ٤٥٣ فارعب القلوب بشدة حتى وعظوه قولي كنهرون من امانو ونغبروا جزر
الادرياتيک ملجأ وغلاً وتشهدت مدينة البندقية في وسط المياه وفاق القديس
البابا لاون قوة على اهاسيوس والجنود الرومانية واجماً هذا الملك الهاني الوثني على أن
يوذي له المحرمة والمكرمة وبذلك بعدت عن رومية غائلة الدمار ولكن لم تظل عليها
فحمة الازعاج فان فالتيها يوس ملكها طوح بنفسه الى الفساد واصبحت اماره بالسوء فانه
راود امرأه مكسيوس عن نفسها وهتك عرضها فشر بذلك مكسيوس فحنق اشد
الحق وطعن ذلك في صدره واخذ من ثم يداها وبواربالي أن حل هذا الملك الاحق
على أن يميت اهاسيوس وغادر الدولة الرومية تندب مجها . ٤٥٤ وأما مكسيوس الذي
كان علة هذا القتل فانار اصحابه ان ياخذوا بدمه قتلوا الملك ومن ثم صعد مكسيوس
على صهوة الملك وارغم الملاكه اودوكسيا ابنة ثيودوسيوس الشاب على أن تكون له زوجة
فعند ذلك ترامت على جنريك مستصرة رجاء ان تخلص من يديه فاصبحت جنك
رومية فريسة لاجلاف البربر ذوي الخشونة . فتصدى له القديس لاون وصد عن أن
يزيل كل شيء بالسيف والثار واقيم الشعب على مكسيوس ومزقه كل حمزق فكانت
هذه التلة وحدها سلواناً لم على ما طراً من المقات والكوارث .

وقد كان الغرب يمد اضطراباً ولطالما كان كنهرون من الملوك يعثرون فوق
كراسيم ثم يسفلون ونال ما بينهم مجوريان الشهرة السامية ٤٥٧ وأما اثينوس فلم يكن
له أن يحفظ صيته ويخلص من الملك الابان يوشع بطليسان الاسقية ٤٥٦ ولبيت
بلاد غاليا تن من باعظ الاحمال التي عاناها بها مبروفي وشيلدريك ابنة .
وقامت الرعية على شلدريك بتألب القلوب واتحاد الكلمة والراي وطردته منها

٤٥٨ وجد احد ظرائق المردلين اليه في السبي بانثائو الى الملك فعاد وارثك الهلاك
ان بياغته لكثرة فصاده ٤٦٤ - ٤٦٥ واسرة رعية ورومية في قلوب اعتائو وامدت
فتوحاته حتى اواسط غالبا

وكانت الدولة الشرقية في عهد لاون القراساني خليفة ماربسانوس في كل طائفة
وسلام ٤٧٥ - ٤٧٤ واتخذت نيران القورة التي اضرها بازبيلسك ولم يصل منها اليه
٤٧٦ - ٤٧٥ الا قليل من الفاق والانهراج. واما الدولة الغربية فقد اكتسبتها الهن
والمرزايا فاصبحت دارة طامسة فان اوغسطس الملقب باوغسطيس ابن اورستوس
كان اخر الملوك الرومانيين. فبعد ان امتطى غارب الملك يوجون من الكهنة نزع
الملكية اودوكرس ملك المرويين. وهؤلاء الشعوب كانوا غللاً توافدوا من انحاء بحر البوان
توكسان بد انهم لم يستمروا حاكبين زماناً طويلاً

ومن الامور البينة ان الملك زنون تلقت الاذان عنه انباء لم تكن تسمع بها من قبل
فانه استحال الى ان يكون اول الملوك الذين يهتمون في حل مشاكل الايمان وفي غضون
ما كان المبتدعون النصف الانوخيين يباحون بجميع ظلكيدونية وبقاونه ابرز ضد
المجمع المنوع عنه براءة دعاها منويك ٤٨٢ اي براءة الاتحاد التي يأنف منها الكاثوليكيون
فاهرم عليها البايان فيلوكس الثالث قضاء ٤٨٢ وقد كان هودوربك ملك التوت
الشرقيين الذريعة الكبرى لطرد المرويين من رومية وشيد هذا الملك مملكة ايطاليا
٤٩٠ وان يكن اريوسا فقد غادر للتدين الكاثوليكي فصحة كافية من الحرية. واما
الملك اناسناسيوس فكان يهلك حرية الدين في الشرق ٤٩٢ فانه قلا اثر زنون
منها فتنا على ان يكون للمبتدعين عضداً وسندا ٤٩٢ فعند ذلك نزلت عنه القلوب
واخذ الشعوب يكتمون له بالعداوة واعتسف حياء عن طريق استرضائهم لا يجدو
نفعاً ما زجره عنهم من اقبال الخراج. واما ايطاليا فقد كانت صاغرة لولا الملك
ثودوربك وقد كان اودوكر في مدينة رافين بكابد الم الحصار فدان اليه وولاه
عاقداً معه عهداً لم يبرح ثودوربك المشار اليه ذمامها وافضى الامر بالمرويين الى ان
يخلوا له كل البلاد وفضلاً عن انه كان متيوا ايطاليا فقد كان ممثولاً على البرونس
طراً. وفي عصر ٤٩٤ كان القديس مبارك متروياً في احدي مناويز ايطاليا منذ نعومة
اضلاره معتزلاً عن العالم امل ان يقد التفيلة له ديدناً. وبعد ان استقر بعضاً من

قواعد الكمال الرهباني اتخف بها رهبان الغرب فتلقوها بالشكرمة والحرمة مثلها كان
 الرهبان الشرقيون يودون الكرامة لتواين التديس باسيليوس
 وأما الرومانيون فقد نازلم كلوفيس بن شيلدريك فظهر عليهم وانتزع بلاد غالبا
 برمتها من أيديهم وعارك ايضا الالمانيين سنة تولياك فنكس اعلامهم ظافرا ٤٩٦٦-٤٩٥
 وأوجب على نفسوان بندين بدين المسيح اذ كانت تحضه على ذلك زوجة كلوتيلة . اما
 كلوتيلة فكانت من سرة ملوك بورغونيا وكان ألما اريوسيين وهي كاثوليكية سامية الهبة
 غيرة جدا نحو مذهبها وعلم التديس فاهت كلوفيس الدين المسيحي وعنه في مدينة رمن
 اسقفا التديس رجي مع كل الافرنسيس الذين كانوا يفتنونه وقد نفرد في اسعاد الدين
 الكاثوليكي بين ملوك الارض طرا فانصف خطاياهم بمسيحيين وبعد ان قتل الاريك ملك
 الليريقوت في معركة مائة ٥٠٧ ضم الى مملكته تولوزا والاكتيان واما انتصار الفوت
 الشرقيين ٥٠٨ فكان له مانعا عن ان يتطوح في الاستيلاء الى جبال اليريك . ومعت
 اعماله في غابة ملكو كل ما ناله من السوردد والجدة في يده حكمه ٥١٠ واجتزا بنوه
 الملك من بعده واستمروا يتساحون ويتباغضون وهبطت من السماء صاعقة منقضة على
 الملك انستاسيوس فاودت به الى الهلاك ٥١٨ *

واقام مجلس الندوة ملكا على سرير الملك يقال جوستينوس مع عدم المبالاة بما فيه
 من سفالة النشأة والحد لانه كان ذا المبة ناقبة كاثوليكيًا ملتبها بنار الفتوى والعنف فرضع
 هذا المالك ومرومويه لاوامر البابا التديس هورميسداس واستمرت اليمعة الشرقية رافة
 يرد الطائفة والارباح وبدا في عصر بوهيوس الشهير بتعاليم الحق وجودة اخلافة
 وبدا ايضا حموة سياك وتلك كلامها مهاجرة ذات شان . اما الملك ثيودوريك فقد وغر
 عليها صدره حمدا فافهمها بانها توافقا بما يعود على ملكو بالخبية والخسرات فامانها
 بغيرا واعساقا . وبعد ان فعل تلك النعمة الذريعة جاش باله تدميا على جريرته ولما
 ادنيت منه جفنة فيها ما كوله خيل له الوم ان فيها راس سياك ففحق من ذلك فواده
 وكانت عناية بالمولت عنيب ذلك ٥٢٦ واما الونيون فلما راوا ابنة امالازوتة قائمة
 بصمانه ولبدها انالاريك ومنهمكة في شان تنقيح رجاء ان يترشح لركوب القمت بعد جن
 منعوها عن ذلك اشد المنع فأرغمت على ان تعاديه فحول بين اتراي وقد راته مرارا
 معرضا للثانيات وفي غير قد يرق على الاخذ بين

وبعد ان مر من ذلك الحين حول عبت برائن المنية يوستينوس الملك ٥٢٧
 بعد ان اشرك معه في ملكه حينئذ يوستينانوس الذي اشهر طول ولاؤه باعال
 تريونيانوس المستقرى التوامس الرومانية وبحروب بلنزل والنخسي نرسيس ولهمري ان
 ذيلك القائدين الماهرين قد ارهنا الفرس وقعام بالحول واليسالة ٥٢٨-٥٤٢ ونكسا
 اعلام الفطاط الشرقيين ٥٢٦-٥٢٩-٥٤٠-٥٤٢ والندالة ٥٢٤ واعاد لسيدها اقرقية
 وابطاليا ورومية . واما الملك فلما رآها بخطوان خطوات السعد واولاه النصر معتود
 بايديها دب في قواده الحسد عليها وعلق بيدها بما يعود بالحنية وانخطاط
 الشان غير قائم بناصرها

وكانت ملكة فرنسا في ذلك الآن تنهر وتغزير يوماً بعد يوم وفتح بعد حرب
 حاوية ولد اكلوفس شديريت وكلوثير ملكة بورغونيا ٥٢٢ وفي الوقت عينه اغراها
 الطمع بان يتنلا اولاد اخيها كلودومير الاحداث وبقنسا ملكهم بينها وبعد ذلك
 بفول من الحب اضرم بلنزل الحرب على الفطاط الشرقيين فاشتمت عند ذلك
 الفرنسيين وقضوا على املاكهم في غالبا وانتزعوها منهم غنمة باردة وكانت فرنسا
 وقتئذ تنهد كثيراً وراء نهر الرين وقد كانت املاكها مجزئة بسبب انقسامات امراءها
 الى ممالك شتى اهمها نوساريا (اي فرنسا الغربية) واسترازيا (اي فرنسا الشرقية) ولذلك
 شق عليها ان تكون راضحة لصولجان واحد . وفي السنة التي اعاد نرسيس مدينة رومية
 لام يوستينانوس في القسطنطينية لجمع الخماس العام الذي اثبت احكام الهامع الغابرة
 وقضى على بعض تآليف موافقة لمذهب نستوريوس كانت تلنب بثلاثة الفصول
 بسبب انها لثلاثة موملين كانوا ماتوا قبل ذلك بزمان شاسع ولم تزل مقالاتهم
 موضوعا للجدال فنجبت تآليف توادوروس اسقف المصبصة رسالة ايها اسقف
 الرهاوت تآليف تادوريطوس ماكنية ضد القديس كيرلس واما التآليف
 التي قام باعبائها اوريجانوس ولم تزل تخيم على الشرق منذ جبل بصادق
 الاضطراب اهملت ونبتت جانباً . وبعد ان كان ذلك المجمع غير محمود
 البداية نال حسن العاقبة وحازت اعماله لدى الكرسي الرسولي ارفع مكانة
 من القول ٥٥٥ . واما نرسيس الذي ملص ايطاليا من ابدي الفطاط قبيد ان

مضى على ذلك الجميع حولان برزالي الفرنسيس بوائهم وبدفعهم عنها قصد رعايتها من
 شر الغائلة وحينئذ ظهر على بوسان قائد جيوش افرنة الشرقية ومع كل ذلك قلم
 تلبث ايطاليا زماناً طويلاً في اكف الامبراطورين وشاد البوين مملكة لمبردية ٥٦٨
 واخذ مديولان سنة ٥٦٩ وبقي ٤٧٢ وكانت ذلك في عهد يوستينوس الثاني حفيد
 يوستينيانوس بعد موت نرسيس . وقد كانت رومية ورافنة تكادان لانتجون من حباته
 فان الرومانيين قد كانوا يخبثون المشاق والجور من اللبردين ورومية لاناصر لما
 من قبل ملوكها الذين ارفعهم الاناريون القدر والشراسة والعرب ولاسيا
 الفرس كل الارماق والوسوم تبرحاً واعنائاً في الشرق كل ٥٧٤ . اما الملك
 يوستينوس الثاني فقد كان يستبد برأيه زهواً وصلفاً فرحط عليه الفرس وملكم
 كسرى بنجوده واستمر بذلك وبسلبه خير ما يملك حتى اودى به الى ان يصح
 معتوها . واخذت حينئذ امراته صوفيا تدبر المملكة . واصبح ذلك الملك في حالة
 كبرى من السوء والفتار اياماً عديدة وبعد ان صحا من غشيان جنونه عرف
 لدن احتضاره اخيث ما كربه ومضائمه ومن ثم امسى عرصة لطلب المنون ٥٧٨-٦٧٩
 وخله طيباريوس الثاني ففاضل اعداء الدولة وقمعهم وارحب للرعية فصيح الفرج
 وكشف عنهم ما تائف منه النفوس وآسى واحسن كثيراً ٥٨٠ واقام مورييس
 الكبادوكي على الجيش قائداً فكانت سبباً مستهتة بمنواله النصر صاغراً
 فأت من ذلك كسرى الجبار كذاً وفهراً ٥٨٢-٥٨٣ فاسفر حينئذ طيباريوس عن
 ميسم المسرة والارتياح وجازى مورييس بان اورثه عند موته السدة الملوكة وزف الد
 ابنة قسطنطينة ٥٨٢-٥٨٣

وفي ذلك الحين كانت فردغونة الطاعة امرأة شليبيريك الاول تذكي نيران
 الحرب بين ملوك الافرنسيس فاستمرت يسيبها جنوة القتال في مملكة فرنسا . وفي
 غضون ما كانت ايطاليا يتاجها من التارلات الكبرى نبي كثير ويشد في رومية الوباء
 المائل اقيم القديس غريغوريوس الكبير على الكرسي الرسولي رغباً على ارادته ٥٩٠ فملق
 هذا الباباً مجاراً الى ريو بالدعاء ليقصد عباده بازالة ذلك الداء العيا فاستجاب اسطراراً
 ومن عليهم بقبول الدعاء وقد كان يوسب الملوك ويعزالي الرعية ان يودوا ولم كامل
 الرضوخ وبرز لا فرقياً سلوة وعزوما وثبت في الايمان القلظ الغربيين الذين في اسبانيا

بان يدخل معهم بمداخلة خطرة ٦٢٢ وارضى بالصمت الذي نصح مثله ان البهتان والحق
 قد زفنا . وشرع الملك هرقل بعد ذلك بقليل من الزمن يقض ذلك المشكل العظيم
 بسلطته الملوكية وبناء عليه اصدر من لده اشعاراً يقال له الاكتازي البيان يعني ما يخرج
 اليه المونوتوليتيون واما الخداع الذي همك فيه المراهقة المتبدعون فقد ارتفع عنه الغشاء
 وبدأ يبين لدى العيان فان البابا يوحنا الرابع حكم على الاكتاز وباده من لده بالحرم
 واخذ من ثم قسطنط خفيد هرقل بدافع عن اشعار جسر باشعار اصدرة دعاه تيب
 ٦٤٨ فتصدى لذلك المشروع البابا ثودوروس والكرومي الرسولي ولأم البابا مرتينوس
 الاول مجهما في لا طران وعند ذلك باده الخيب ورومسا المونوتوليتين بحجر جسم ٦٤٩
 واما القديس مكسيموس الذي اشتهر في الفتوى وتعليمه في الشرق كافة فقد نفي عن
 البلاط الماوري لما خافه من شائبة الابتداع الحديث واخذ من ثم يجاهر الملوك في التنديد
 والفحش لانهم اجترؤا على الايمان بان يتفوا عليه . وكابد بعد ذلك المشاق الجسيمة
 غيرة على الدين الكاثوليكي ٦٥٠ واما البابا فنند واصل الملوك عذابه بتلاوة من
 منفي الى آخر وعاملوه بالاساءة والاذلال معاملة البربر ذوي المشيئة والعجبة . فاستأثرت
 به رحمة الله في غضون اعنائه وتعذيبه ومع ذلك كله فلم يتغضب ولا يتقاعد عن اتمام
 ما تنذبه اليه مرتبة ٦٥٤ وفي ذلك الوقت كانت بيعة الاممكة الحديثة تعزز اركانها
 وبرعى مقامها البابا بونيفاسوس الخامس وهوتوريوس واخذت من ثم تشهر في العالم كله
 وكانت فيها العجائب والنضائل مثلما كانت تكثر في ايام الرسل . ووقل ملوكها باردة
 النضائل والمناظر المحزنة فان ادوين الملك الهندي هو وشعبه الى حجر الكنيسة واذا
 ايماناً الى القديس بطرس القديس والنصر على اعدائه . وطلق حفيظه ينصر من يدانور ملكه
 ٦٢٧ وكان الملك اوزوالد ترجمان المنشرين بالانجيل ٦٢٤ وقد نقر رايه ملك عظيم
 الصولة نالت فتوحاته ارفع مكانته من الشهرة ومع ذلك فقد كان يؤثر عليها اسم مسيحي
 وتنصر المرسون بحقد اوزوين ملك نورفولك ٦٣٥ ومن يدانهم وفقاً اخلاقهم آثارهم
 وكانت اعمالهم الماثورة تجاوز الحد

واما الشرق فقد كانت تحتل على جرف هار فان الملوك كانوا ثمة بينهم كون في
 الجدل الديني ويستبضعون تجارة الابتداع ويحاربون تلك شوونهم كان العرب يشنون
 الاغارة على المملكة ويستولون على تخومها ويهويون سوريا وفلسطين ٦٣٥-٦٣٤ وادت

لم المدينة المندسة الخضوع ونجت لم بلاد القرس ابراهيم بسبب الشقاق فيها واخذوا
هذه الملكة العظمى غيبية باردة ٦٢٧-٦٢٦ وتطرقوا الى افريقيا فانتزعوها وجعلوها
اقلياً من مملكتهم ٦٤٧ وطاطات لم جزيرة قبرس وضوحاً ٦٤٨ وفي برهة لا تبلغ
ثلاثين سنة ضموا كل تلك الفتوحات الى فتوحات محمد

واما ايطاليا التي كانت تجرع كؤوس الذلة واليومي غير مرتو اليها بعمود
الاسعاد فقد كانت تن تحت اقبال ولاية اللومبرد واخذ الملك قنسطانت يجاهد في ان
يبادمهم بالمقات. فحبط معبه وخامر النشل وعول عند ذلك على ان يهلك كلها لم يكن
يستطيع على رعايته وكان هذا الملك اشد قسوة من اللومبردين ولم يلج رومية الا
رجاء ان يسلب كنوزها ٦٦٢ ولم يطو عن التشيع في الكنائس كتحاً. ونهب صقلية
وسردنيا فاصح مردولاً من الجميع بانف منه كل ذي ذوق سليم فاشهر على قتل
اصحابه ٦٦٨ وفي عهد ابنه قسطنطين بوغونات (اي لحوي) فتح العرب سلبيا واسيا
٦٧١ ولم تنج القسطنطينية من التوح الا بالعمية ٦٧٢. واما البلغار يون فهم نحل
هاجروا الى مصب الفولغا وقد تولوا في بلاد التراس على قسمه يقال له ميزها دعي من ثم
بيلغاريا ٦٧٨ واما يمة الانكليز فكان بنشاً منها بيع جديدة فان القديس ولفريد اسقف
بورك المني من كرسية اخرى القريسيين بان ينصروا

واخذت البيع كلها تسطع ونزهو بالانوار التي انبثقت اليها من مجمع قسطنطينية
السادس العام ٦٨٠ حيث البابا القديس اغاثون كان قابضاً فيه على زمام الرئاسة
بواسطة وكلائه العظام. واما في التعليم الكاثوليكي برسالة بلغة. واصدر المجمع المحرم على
اسقف ذاع فساد تعليمه وعلى بطريرك الاسكندرية واربعة من بطاركة القسطنطينية.
وقصارى القبول على كل رؤساء المونوتولين ومع ذلك لم يعف بالعدل عن البابا
هونوريوس الذي كان قد واطام. وفي اثناء التام المجمع مات البابا اغاثون وعند ذلك
نبت البابا القديس لاون الثاني احكام المجمع وصدق على كل ما حرم. واما قسطنطين
بوغونات الذي تسن باعمال قسطنطين الكبير ومريانوس فدخل المجمع على مثالها
ولما رآه المجمع انه ادى الخضوع مثلها لقبه بملك كاثوليكي محمياً للصالح مصلح للدين.
وخلفه ابنه جوستيانوس الثاني وهو يافع ٦٨٥ فكان الدين في عهد هذا الخلف بنمرع
بالنضارة والازدهار في ناحية الشمال. فان القديس كيليانوس الذي بعث به البابا كونون

الى بلاد فريكونيا ليكون هنالك نذيراً بآية الانجيل اتم ما هو مندوب اليه ٦٨٦ وفي عهد البابا سرجيوس أم شدوال احد ملوك الانكيز رومية ليترف بعلاقته بالبيعة الرومانية من حيث دخل الايمان المسيحي جريته . واعتقد على يد البابا واستأثرت به رافة الله حينئذ حسب ممتناه ٦٨٩

واصبح في ذلك الحين آل كافيس ماعطين الى ماوي الذلة مدحورين واخذت الاحكام الملوكية نغط انحطاطاً يستحق الرثاء . ولما كان كثير من هؤلاء الملوك يرفون التخت الملوكي وم قصر سناً فلم يكونوا يمكنون الا على التنازع عما من شأنه اللامح والنجاح فكان ذلك مندوحة لان يربوا بالترف والرغد ولا يفرحون عنها بعد بلوغهم وكانوا متفهمين في عباب الدوالي والكسل لانهم كانوا ملوكاً لفظاً لا معنى بكون رعايا الملك لاهلهم يقال لم يامر واخصهم سين هريستال الذي كان جل الحكم يناط بهدو ٦٩٢ فانه اسي آل بيتو الى ارفع الآمال ونما الايمان في بلاد فريزيا التي ضمنها فرنسا الى فتوحات ابوطاطة سلطان وموت فيجور الشهيد . وان القديس سوبارت والقديس ويلبرود ومرسلون سواها اوسعوا خطا الانجيل في الاقاليم المجاورة ٦٩٥ وفي ذاك الحين انتهى من كون بوسنيانوس قاصراً وكان لاونس استظهر على العرب وقمعهم وتوطدت اركان الدولة الرومانية في المشرق ٦٩٤ ولكن قبض على هذا القائد الجريء عدواناً وحل وثاقه دون تبصر في العاقبة . فبدع انفسه سجدته (ولذلك لنب بوسنيانوس بالاعتراف وطرده ٦٩٥-٦٩٦ فنجس هذا الخائن الوقح نفس العذاب من قبل طباريوس المدعو ايسمار الذي لم تطل ايامه من بعد ذلك على الارض

فاعيد بوسنيانوس الى ملكه ٧٠٢-٧٠٥ ونكر جميل اخوانه المنطصين واخذ ينقم من اعدائهم الكاشحين فبداه اعداء الداء خلاقم جرعه كاس المني ٧١١ ولما استوى خليفته فليبيكوس على صهوة الملك بعث بصورته الى رومية فلم تحز قبولا لانه كان منج الى المونوتوليتيين وبعث عدواته للجمع السادس العام فغير من ثم في النسططينية انسطاسيوس الثاني ملكاً للكاثوليكين وسلمت عيناً فليبيكوس ٧١٢ وفي ذاك الحين فتح رذائل الملك رودريك ابواب اسبانيا للقارة وكانوا يدعون بسراكنة افرقيا

فانه ارتكب الفحشاء بابة الكونت بوليانوس فاستغاث هذا بالسراكة ليستم عن
 الامانة التي المت بايعة فزحف المغاربة الى اسبانيا بيفالق حجة وتحارب الجيشان فقتل
 رودريك ورضخت اسبانيا وانقضت دولة الفسطط ونالت الاعن والرزايا على البيعة .
 في اسبانيا غير ان المسلمين لم يصادوا الايمان الكاثوليكي بل بقي سالماً كما كان في
 عهد الاريوسيين واطلقوا المذوية بداعة بدء اعنة الحربة في الدين وان نوات بعد
 ذلك الحروب في القرون التالية . واما الملك انسطاسيوس فلم يبق آمداً طويلاً فان
 الجيش اجبروا ثيودوسيوس الثالث على تولد السلطة وشجع بطليسان الارخوان
 ٧١٥-٧١٦ وبعد ان استوى على اريكة الملك آل والامر الى ان بحرب
 العمياء فظهر على انسطاسيوس واغراه بان يتزوي في احد اديرة المتعبدين . واما
 المغاربة الذين اثخنوا فتوحاتهم في اسبانيا فقد عولوا ثمة على ان يدوخوا باقي الامصار
 فاجتازت عساكرهم ما وراء جبال الپيرانه لكن ذلك لم يستمر لان كركلوس مرتال
 الافرنجي استظهر عليهم فتنهقروا . وهذا وان يكن نصلاً فانه خلف اباه بيبون
 هريستال واستقر على سرير الخلافة بعده . وكان ابوه اخفص لسراة اوسترازيا
 اي افرنسة الشرقية لتكون لم امارة مطلقة والولاية على نوستريا اي افرنسة الغربية قواماً
 بحسب كونه امراً في البلاط فكلولوس ضم الملكيين باقدامه

واما احوال الشرق فكانت وقتئذ في ازمة عظيمة فان الحاكم هناك
 لاون الایسوري لم يخضع لثيودوسيوس فانجاز حينئذ الملك دون كره عن
 الملك الذي لم يقبله الا بالاكراه والنجأ الى افسوس ولم يتم الایة العظمة الحقة .
 وفي عهد لاون استظهر على السراكة مراراً كثيرة وأرغوا على ان يمحضوا
 عن القسطنطينية ويرفعوا عنها الحصار ٧١٨ واما في اسبانيا فبلاجيوس نسلق
 على جبال استوريا ٧١٩ هو ومن بقي معه من الفسطط وبعد ان انتصر
 على العرب نصراً مبيناً انشأ مملكة حديثة كانت معدة لطردهم من اسبانيا
 وكركلوس مرتال لم ترع بسلامة قائدهم عبد الرحيم وكثرة جيوشهم فظهر عليهم في موقعة طور
 الشهيرة ٧٢٢-٧٢٥ حيث قتل كثير من واخصم عبد الرحيم الثالث الياسل وقتل

تلك النصرة اخرى تطعت اقدام المغاربة واسرع الكفة وأوصل سلطة الفرنسيين
الى جبال اليراني . ومن ذاك الحين اخذ الفوليون يوافقون الافرنسيين بالنفوس
المستصغر واضحين وقد اجمع الجميع اعتناقهم لكارلوس مارتال وامام هذا السري السول فاصبح
ذا سطوة في الصلح والحرب وشوكة مطلقة سبب الملكة فانه تولى الحكم باسم كثيرين من
الملوك فلهذا من ولى وترجع من ترجع منهم دون ان يتطال الى ان يثقب بذلك اللقب
الرفيع فان الافرنسيين الذين كانت صدورهم واغرة من الحسد اغرور بان يداهم ويصانهم
وكان الدين في ألمانيا في ذلك الان تزيد نشأته ٧٢٢ ودين الكاهن القديس
يوناناسيوس اولئك الشعوب بدين النصرانية واقام عليهم اسقفا من بيت يوهانم البابا
غريغوريوس الثاني واما الدولة الرومانية فكانت اذ ذاك مترعة كويوس السكينة
والسلام عمران لان بادها بالرزاء والثواب خبا متوالي فانه طوح بنمو الى ان
يقوع بالهوانات المسج وفديسه معتبرا انما تامل صفة ٧٢٦ ولما خاضق ذريعا عن ان
يغادر اليو القديس جرمانيوس بطريرك القسطنطينية استأثر بآووت وسلطان . وبعد ان
برزت الاوار من مجلس البدوة بعد صورة يسوع كانت مكتوبة فوق باب كنيسة
القسطنطينية الكبير وحطها تحطيا ومنذ ذاك اخذ المجاثرون يحطمون الصور
وياسدون وان التماثيل التي اركرها الملوك والاساقفة والمؤمنون في الهال المقدسة
العامه منذ كانت البيعة في غصارة الدم والرفاهية اصبحت كاهيا المنور . واما الشعب
فلما رأوا ذلك اصبوا في هويش واضطراب واخذوا تماثيل الملك وكسروها فاستكبر
ذلك وايقن انه اهانة لحقت به فونه الشعب فاثبت ان الاهانة التي يدي بانها الم
به فانه هو نفسه يقاذع بها يسوع المسيح ولولاه الاضمار وانهم ياخذون من استكباره
تحطيم تماثيله دليلا على ان اهانة الرسم اهانة له . واما في بلاد ايطاليا فند اتسع الخرق
جدا لان الشعوب لما رأوا ان الملك جف عن سراط الحق واستبضع تجارة الكفر
والظفان اصرأ على ان لا يودوا له جزية ونسب بذلك لوتيران ملك اللومبردين
رجاء ان يقبض على مدينة رافين مركز الاكررك ابي الولاة فان الولاة الذين كان يعث
هم الملوك الى ايطاليا كانوا يبعثونهم على ذلك واقام البابا غريغوريوس الثاني الحجة على
تحطيم الصور وفي الوقت نفسه كان يقاوي اعداء الملكة وينكرهم ويحض الرعية على الدعة
والسلم وتادية الرضوخ المنخب للدولة واما الملك فانه ابرم صلحا مع اللومبردين ٧٢٠

وراثتهم بالعبودية والإخاء ونفذ الأوامر المعلقة بالانقياد بالصور والمنازل جاثراً عاتياً .
 فاجابه يوحنا الدمشقي المشهور انه لا يطاعى سوى أوامر البيعة في المسائل الدينية
 وإن أمر ليس له عند رعاية إلا اليد جاثياً . فحق الملك من ذلك جداً واخذ يبالغ في
 الاعتكات والأذلال واعتزل البطريرك جرمانوس عن كرسى وفناء الى حيث استأثرت به
 رحمة ربو وهو شيخ من تسعين عاماً ٧٢٣ - ٧٢٩ ولم يضر على ذلك المحن قليل من
 الزمن ٧٤٠ إلا عاد اللومبرديون يهرجون وخرجون واخذوا يحشمون الرمانيين المشايخ
 فاستنصر البابا غريغوريوس الثاني كارلوس مارلوس فلبى الاستصراخ جاهداً ودرأ عن
 الرومانيين المخطوب المدفعة . وأما مملكة اسبانيا الجديدة التي كانت تدعى وقتئذ مملكة
 اوليفاد فكان ظفر الثونس صهر بلاج برسرعان في نشأها ويزدان في شبابها وقد تلقب
 هذا الملك بكانتوليكي اتحد بهريكارد الذي كان يزعم انه من نسلوا واستمر الله في ذلك
 لأن بلاون الملك ٧٤١ تاركاً المملكة في اضطراب والبيعة منقودة التواء

وقبض على زمام الملك ارطابار والى اربينا بدلاً من قسطنطين كبروتيم بن لاون
 وراعى حرية الصور واصدر الامر بإرجاعها وبعد ان عينت المنية بكارلوس مارتال شرع
 لوتبراند يهودومية ثانية بالامر المائل واصبحت حيفد اكرركات رافوس (ولاية)
 مشرفة على الدنار العظيم ولم ينفذ ايطاليا من فتكات العدو الولد الأرصانة القديس
 ذكرى البابا وفرط حصاصو ٧٤٢ وأما قسطنطين فكان في الشرق في حالة اليأس
 والشدّة ومع ذلك فلم يكن يفكر إلا في ان يكون مستعزاً على حرير الولاء ففاضل
 ارطابار ظافراً عليه ونجح القسطنطينية وأكثر فيها من المبرجات المدفعة والثانيات الموقعة
 ٧٤٣ وقد كان لكارلوس مارتال ولدان ينال لاحدهما كارلومان وللآخر بيان وكلها
 خلفا اباهما بعد ان اغتاله الردى . أما كارلومان فقد انتك الحيرة الدنيا وغادر العزة
 الملوكة وترف العيش وتبذل لله معتزلاً عن الناس الى بعض الاديرة طلباً للعبادة ٧٤٧
 فلقد ذلك استأثر أخوه بيان بالسلطة السامية ورعى منصبه بحسن سلفه وجوده
 تديبه وعول على ان يركب تحت السطاني . ولما كان في ذاك المحن الملك شيلدريك
 من سالة الملوك المتخمين في لجنة الحواني والتراخي وكان حامل الرأي معتموماً خضعت الى
 بيان افكار الامرنيس ٧٥٢ وتخبروا له السوءدد الرغيع وزيادة على ذلك فاتهم كانوا
 وقتئذ قد انفوا من الملوك المتقاعدين والنبا آل كارلوس مارتال الذين نشأ منهم افراد

نفتزهم الاسرع فلم يكونوا اذ ذاك يهتكون الا بما حلقوا لتبليد برك وبناء على ما
 اوعز اليهم البابا زكريا فحلقوا انهم امسوا واغلبت يارودية الحرية وانهم عتقوا ما حلقوا
 للملكهم بعبارة انه هو وحلقوه بدأ معتزلين عن حقوقهم في السلطان منذ مئة من الاعوام
 اذ غادروا الشوكة منوطة بعدة من تدرج الى منصب مبرد يالي (اي امير البلاط)
 وعلى ذلك اغروا بيان بان يستوي على اريكة الملك وحلقوا اللنب الملوكي موثوقا
 بوثاق السلطة

ورأى البابا اسطفانوس الثالث في ذلك الملك الجديد غيرته على الكرسي الرسولي
 مثلها في كارلوس مارتناس ضد اللومبردين ولقد كان قبل ان ينصرخ ملك الروم فذهب
 استصراخه ادراج الرياح فاستجيب بالافرنسيس فهنئ به ملكهم وقابلة بالثوذة مبرزا
 لديه المحرمة والحمة وازدلف اليه واراد ان يمسح به ملكا ويتوج به ٧٥٤

وفي ذلك الحين اجاز الملك بيان جبال الالب وانقض رومية واكرركات زافين
 من وهاد الخمول وارغم اسولف ملك اللومبردين على ان يوائمه ويهرم معه صلحا مراعيما
 فيه جانب العدل والانصاف وعلى ملك الروم يذكر نيران الحرب على الابنونات
 فلام في النمططينية مجمعا عظيما رجاء ان يوطد آراءه على الاسناد الكاثنية فلم
 يشهد حسب العادة ذلك الجمع وكلاء الكرسي الرسولي ولا اساقفة الكرسي البطريركية
 اوروكلاوم ومع ذلك فلم يكتف الجمع بان ينقض بان الاحترام الموقد للابنونات
 تذكارا لانيانها هو عبادة وثنية بل قض بان فن الرسم والتصوير هو من الامور التي
 بانف منها الطبع وبهجها الذوق وذلك اعتقاد الاعراب الذين يقولون ان الملك
 لاون لما حطم الابنونات كان معتقدا رايهم فذلك جهان ونوبة لانه لم يجاهر قط
 بالعدوان ضد الذخائر ولم ينقض مجمع فيرونيموس بعدم تادية الحمة لما وحرم كل من
 كان يحمي الاستشفاع الى مريم البتول والقديسين . واما الكاثوليكيون الذين كانوا
 يشنون تحت باعظ التواقي والاضهاد لابرارم الثمرة للابنونات فكانوا يجاهرون امام
 الملك انهم يوثرون الموت تحت اقبال التواكب الويلة على ازوارم عن تادية الاكرام
 ليسوع المسيح في مثالي وفي ذلك الحين نكت استولف اليهود التي أبرمت بشأن الصلح
 فحقق على ذلك بيان ودوخ جبال الالب من اخرى واصبحت الكيسة الرومانية قريبة
 المتقين لانها رأت من ذلك الملك الصالح ما لم تره قبل من غيره . فانه منحها كل

المدون التي انتزعتها من اللومبردين فنجس قبر ونيموس ان يعدها اليه فغالبه بيان بالام
 والمغربية اذ لم يكن يوسع من قبل ان يكون ذاكها عنها وحاميا لدمارها . ومنذ ذاك
 الحين تسمى الرومانيون سلطة ملوك الروم الذين اصبح الجميع يصوبون عليهم سهام
 الفتنة والتفديد يحتمونهم لوهن عزائمهم ويكرهونهم لجنونهم عن الحقبة النورية وعدا بيان
 يذود عن الشعب الروماني والبيعة الرومانية ومن ثم توارث الذود من بعد سرائه وكل
 ملوك الافرنسيس وبعد ان استمر بوالله صعد على ذروة الملك ابنه كارلوس العظيم
 فتمسك بما كان يفعل امه فغابر على الذود عن الرومانيين والبيعة ببسالة فائقة ونفوى
 خارقة ولما فتح ديدنه ملك اللومبردين مدائن شتى ولوعند ايطاليا برمتها بالامر المكنون
 استغاث البابا ادرينانوس بكارلوس العظيم فلهي الدعوة مسرعا واجتاز جبال الالب
 ٧٧٢ فاتحاً ففتح كل شيء لباسه واحضر ديدنه لديه اميراً ٧٧٤ وانقضت ملوك
 اللومبردين اعداء رومية والنصبات الرسولية واستوى على ايطاليا ملكاً . وتلب من ثم
 بملك فرنسا واللومبردين وفي الوقت عمو كان يمارس السلطة في رومية لانه كانت
 ملتقى بباپتريس (اي محام عن الشعب) ونبت كل ما من و ابوه على الكرسي الرسولي
 وكان ملوك الروم يماسون المشاق بدفاعهم البلقاريين ويحاربون ضد كارلوس العظيم الى
 اللومباردين الذين انتزعت منهم املاكهم فاقبض باصرهم فينكمسون . ومع ذلك فند
 استمر ٧٨١ م بالانقابات واضطهادهم فان لاون الرابع ابن فيرونيموس ثراى اولاً انه
 كانهم غداً لكها جنوة المحقة بقيت مطبوعة في فوادوه فاشفى الى غرته وشتره واخذ
 بملك حرمة الصور واما انه يستوي على صهوة العرش فكان بذلك مهه طائفاً لان
 طائر الموت انقض عليه فذهب بروحه عاجلاً ٧٨٠ وخلفه ابنه قسطنطين وهو في العام
 العاشر من عمره ونولى الامر والهي تحت وكالة امه ايرانيا وحشد اخذت الشؤون
 بتفكير والمنكرات تسليح فان يولس بطريرك القسطنطينية أعلن قبل انقضاء اجازات
 تصديه للايقونات واقترأه عليهم لم يكونا عن طيبة خاطر منه ولكي يكفر عن نفسه
 دخل احد الاديرة متعبداً ٧٨٤ واخذ من ثم يرسل الملكة ويرني لما تعاسة كريمة
 القسطنطينية المغررة عن اربعة الكرسي البطريركية واوعز اليها ان التمام جميع عامر
 يكون دواً لمزاولة ذلك الداء . ولما خليفته تاريز فند نرران المشكل لم يحل نظاماً
 لان القضاء به كان يامر بارز من الملك وان الجميع المثلثم ونشيد كان قد لوم ضد

القوانين . مع ان الجامع الدينية لما حق الاولوية في الاحكام الدينية وعلى الملك ان يكون
عضداً لاحكام البيعة ليس مبرراً للحكم . وبناءً على ذلك لم يرض بان يكون بطريركا في
القسطنطينية الا بشرط ان يصبر الشام جميع عام . فبدأ ذلك المجمع في القسطنطينية
وانتهى في نيابة ٧٨٧ وبعث البابا اليه بوكلاء من لدنه اقاموا التكبر على جميع محطى
الايقونات ورفضوا بشهام التبتيد والتقييد واعتبروا ذوبه اناسا بقادعون المسيحيين وبنهونهم
بتادية العبادة للآوثان كما بينهم الشرافقة وتقرر ان الايقونات تؤدي لمن التكرمة
تذكارا وعبدة لاعيانهم . والملك صور العبادات التي تقررت في المجمع وهي : عبادة
معزوة . او عبادة او اسلام اكرامي متبالة للعبادة المطلقة والعبادة اللاطرية او الرضوخ
الشام الذي اختص المجمع به الله وحده . وفضلاً عن ان وكلاء الكرسي الرسولي و بطريرك
القسطنطينية حضروا المجمع فقد حضر جميع البطاركة الذين كانوا وقتئذ تحت حكم
غير المؤمنين وقد رفض البعض من اعضاء المجمع ان يترفوا بوكلائهم . ومن الامور التي
لا يشد عليه تكبر ان الكرسي برمتها قبلت احترام المجمع ولم يبد أنها نافضته بل حاز
قبولا لدى البيعة كما . واما الافرنسيس فلما رأى عابدين الاوثان او المرتدين الى الايمان
حديثا يكتشفونهم ضربوا لقبول المجمع اجتماعا في اسداس زمنا طويلا حذرا من ان
تجيش افكارهم ولاسيما لانهم كانوا متشككين بابهام كمة عبادة ولم يبرزوا الاكرام الا لصورة
الصليب التي كانت تبين جدا الصور التي كان الوثنيون يحلون بها مقبة من الالهية .
ومع ذلك كله فلبسوا يحنظرون على الايقونات باكرام ويضعونها في محال مكرمة وقوا
مصرين على ان يتنوا محطى الصور ولم ينامت من ذلك الاختلاف شناق ولا خصام .
وبعد ان مضت على ذلك مدة من الزمن تيقن الافرنسيس ان اياه جميع نفية لا يحضون
للصور الا على عبادة مثل التي كانوا هم انفسهم يرددونها للذخائر والانجيل والصليب
مع رعاية المناسبة . وادى المسيحيون برمتهم الاحترام لذلك المجمع ودعى المجمع السابع العام .
وبناء على ذلك قد تهيأ الجامع البيعة العمومية التي حازت التكرمة والاحترام في الشرق
والقرب سواء كان في الكنيسة اليونانية او الانلائية وكان ملوك الروم يشمون هذه
الجامع العظمى بسلطانهم المطلق على الاساقفة او على رؤسائهم الذين كانوا حينئذ
رعيا الدولة الرومانية ومجلبون من بلوذهم وكانت المراكيب العامة تقدم بامر من
الملوك وكانت الجامع تلت في الشرق حيث كان منهم ويعثون مجنودا الى هناك اعبياديا

لرعاية النظام جرماً . وإما الاساقفة الذين كانوا يشتمون قسماً على قساق المنوال فكانوا
 يأتون مثلهن بسلطة الروح القدس وثقاليد البعثة ومن يوم نشأة البعثة كان ثلاثة
 كراسٍ منوثة على سواها وفي كرسي رومية وكرسي الاسكندرية وكرسي انطاكية . وارتأى
 مجمع نيقية ان تكون اسقفية المدينة المقدسة من هذه المراتبة أما الجمعان الثاني والرابع
 فقد اتفقا ككرسي القسطنطينية الى هذه الدرجة ورغبوا في ان يكون له المرتبة الثانية وعلى
 ذلك تاتي خمسة من الكراسي لتتبعها بعد بطريركية ونالت الكراسي في الجامع
 مقامات فكانت حجة المرة الاولى منوطة بكرسي رومية ورزب مجمع نيقية سائر الكراسي
 بالنسبة اليه كلاً حسب منزلته وكان ايضاً جلالته لم سيادة على الافلام وكانوا ينفذون
 على الاساقفة وطلبتوا من ثم يلقونهم رؤساء اساقفة وكانت سلطتهم لا تخرج برعية قبل
 ذلك وفي اثناء الشام الجميع كان المثلثون يتصفحون الكتب المقدسة ويملون فقرات من
 اقوال الآباء الاقدمين الذين شاهدوا التقلبات التي كانت مغزى الكتاب وكانوا
 يفكرون ان المعنى الحقيقي كان كلاماً استعاليّاً في الاعصار الفائرة ولم يكن حينئذ احد
 يخال انه معنى جديره على خلاف ذلك وكانت سهام الحرم مصوبة على كل من لم يكن
 لذلك المجمع راضياً وانهم كانوا اولاً يهتمون في اثبات ما يوط بالاعتقاد ومن ثم يهتمون
 في امر التدابير الكنائسية وقد كانوا يضبطون كل ذلك تحت قوانين وقواعد معتددين
 ان الايمان لن يفسد شوائب التغيير . ولقد كانوا يجزمون على ان الاعتقاد في الازمنة السالفة
 من الامور التي لا مندوحة عنها وان تكن التهذيبات جامعة الى تغيير بعضها وفاقاً
 لاختلاف الزمان والمكان . ومع ذلك كله فان الاباء لم يحضروا تلك الاجتماع العامة
 انفسهم بل اناطوا ذلك بهذه وكلائهم فكيف فرروا ما يتعلق بشان تعاليمهم بكل صراحة
 وايضاح ولم يكن اذ ذاك في الكنيسة الاعتقاد فقط

وقد اذعن الملك قسطنطين والملكة ايران والدته في بادئ الامر لوامر المجمع
 السابع بكل رضوخ واعتبار ٧٨٧ غير ان سلوكها في امر اخر لم يكن على هذا المنوال
 وذلك لان والدته اقترعت برس ليس لها في قواعد مقلدة من الغرام فطوح بنمو الى
 مهاوي الهوى وطلق يجر العاصرات فاسقاً . ولما شئت نفسه من الانقياد الاعمي الى
 والدته التي تعبه بشدة تهنسها راي ان ابعادها عن الامور السياسية من الضرر اللازمة
 ومع ذلك فقد استمرت تتناولها ورغماً عنه وفي ذاك الحين كان الغيف القوي متبوعاً

اسبانيا ٧٦٣ وقد استاعل تلك الصفة بعين المسترة في العنافة وكان ذريعة لان يرفع عن اسبانيا عار الجزية التي كان اهلها يادونها للغاربة وفي عبارة عن مائة بنت كانت معه موثقت مفعول لم لكتما النونس الباسل استكبر ذلك جدا وانبرى الى مضمار القتال واجح نار الحرب عليهم . فقتل قائدهم مغاث وسبعين الفا من جنودهم

واخذ قسطنطين بحرب الحرب على البغارين املا بالثوز والغنية فسقط منهم امارو دون مرامو لكنه حطم شوكة والدنو ايرينا غطيا ليستمر على سرير الملك مفردا فحبط مساه كل الحبوط لانه لم يكن املا لرعاية الملك وحده فطلق مريم امراته واقدر بجاريها ثيودوث ٧٦٥ فانفت من ذلك والدنه كل الالفة وثارته عليه بانظارها كل الثورة فاني من ذلك عذور للجمع ٧٦٦ واهلكت بحملها قسطنطين وامالت اليها الشعوب طرا لانزالها مقادير الحراج ونظامت بالبر والتقوى فنجحت اليها الاكلروس والرهبات وقصارى الامراتها اصعبت وحدها قابضة على زمام الامر

واما الرومانيون فقد غمروا تلك الحكومة وسجوا الى كرلوس الكبير الذي كان يعي السكسونيين ويتبع السراكة ويلاشي البدع ويندود عن البابات ويدين بالدين المسيحي الام الصالة ويقوم بناصر العلوم والتهذيبات الكنائسية ورثم مجامع شهيرة فينشق فيها سناء علوم وكانت آثار عدو وشواه تدوخ لافرنسا وابطاليا فقط بل اسبانيا وانكلترا وجرماليا وما جاورها من البلدان

العصر الثاني عشر

في كرلوس الكبير او تشييد الامبراطورية الجديدة

غاور الرومانيون هذا الدائد العظيم عن رومية وابطاليا او بالاحرى عن الكمية والنصرانية امبراطورا ولقد كان انتخابه الى العرش نجاة دون ان يكون له مستظرا وذلك سنة ٨٠٠ من ميلاد السيد المسيح وتوجه لاون الثالث الذي بعث الرومانيين على ان ينتوا ذلك التور العظيم . ولذلك اصبح كرلوس موطدا هذه الامبراطورية الجديدة وعظيمة الكرسي الرسولي الزمنية

فيا سيدي هاك ما رفعته لدى جلالتك من الاعتصار وهو اثنا عشر عصراً وعينها
 في هذا الموضع وأنت لك كل ما هو مهم من حوادثها . ويمكن لك من الآن فصاعداً
 أن تسق دون نصيب حسب النظام الزمني كل حوادث التاريخ القديم وإن تركت كل
 منها في مقرة . ولم يذهب عني أن ابنتك لديك سيف موجزي هذا التقسيم المشهور لدى
 المؤرخين وهو تقسيم هذا العالم الى سبعة اجيال . وانت بدانة كل جيل ليست الا بمثابة
 عصر لنا وانت رابت اتي ادخلت في ذلك بعض اجيال اخرى فليس ذلك مهي الا
 لتمييز الاشياء عن بعضها وادوح لذلك نظام الازمة عارياً من الثوب والاشكاس وان
 رأيته انا جيك بتسلسل الازمة فلا تخال ان من ماري ان اغريك بمنظ كل التواريخ
 بالضغط والدقة او ان اوفئك على خصام المؤرخين الذي يحدث عالياً برون قبل من
 الحمول . واما الحسبان التاريخي الذي ينفر في كل هذه النصول ويستقرها هو بالاقوية
 جليل الفائدة يد أنه ليس ما يتم فيه مثل جلالتك لانه لا يزيد على سناء عقل ملك
 عظيم نوراً ثاقباً ولذلك لم ترفي انفر في استقراء الازمة وانتي قد انتبت من الحسبان
 المستعمل ما هو دانه من الحق غير فدا من اثباته

فليت شعري هل يقضى عليا بان ننقو من حسيان السنين منذ التكوين الى ابراهيم
 الحسبان السبعيني الذي يشمر بقديمية العالم او النسخة العبرانية التي تشمر بتأخيرها عن
 ذلك اجيالاً مديدة . فان استندنا استقراءنا على النسخة العبرانية بدأ بذلك فضل عظيم .
 ومع هذا فان ذلك ليس له في ذاته اهمية كبرى لان الكيسة التي فنت القديم
 ابرونوس في حساب النسخة العبرانية في التولقات اي النسخة العامة ادرجت الحسيان
 السبعيني في السنكسار وليس من ذلك للتاريخ اهمية ان زادت اجيال فارغة او نقصت ان
 لم يكن فيها حوادث مهمة ينقلها المؤرخ الى تاليه . والا يكفي ان تكون الازمة التي تضمن
 الحوادث الخطيرة في حالتها راهنة وان التقسيم يكون موطناً على ركن قوم مقرر وان
 حدث احباً باختلاف على بعض حمول متعلقة بهذه الازمة فذلك ليس من شأنه ان
 يمحس الافكار فلو افضى بنا الامر مثلاً ان تحمل تقييد رومية او ميلاد المسيح في قديم
 من السنين او في متأخر منها فذلك لا ينجم منه مضرة في تسلسل التاريخ او في اتمام مقاصد
 الرب ولكننا مندوبون ان نحذر الشطط في الحسبان الذي يتأني من ايهام في الامور
 نابذين عنا ما بقي للعلماء بتخذه موضوعاً يحملون عليه بجهنم وجد لم

وليس من داني ان اهوئ فأكرك بحسبان الاولياذ وان كان اليونانيون الذين يستعملونه بروثة ضروريا لتحديد الازمنة لكما يكتيك ان تعرف بما هو قائم به لكي تتمكن من البحث فيه اذ آل بك الامر الى البحث . فيمكنك اذا ان تنهك في الحسبان التاريخي الذي ابرزته لديك لانه بسيط ومتداول وهذه الدواريح هي من العالم الى رومية ومن رومية الى السيد المسيح ومن السيد المسيح الى ما ياتي من الزمان . وان المارب الحق من هذا الموجز ليس لاوضح لدى جلالته تسلسل الازمنة وان يكن ذلك ضروريا جدا لمطالعة الدواريح ولا يبرز تعلقاتها واتي قد اشعرتك يا سيدي ان اخص موضوعي هو ان اوضح لديك بذريعة تسلسل الازمنة تسلسل شعوب الله وشعوب الممالك العظمى . وان هذين الشأين يتفان في المسير في دور الاجيال العظيمة وما ذلك الا لان لما عمورا مفردا في سيرها وليس بوسعنا ان نتوصل الى درك ذلك الا بان نفضلها عن بعضها ونعتبر ما يليق بكل منها

الجزء الثاني

* في تسلسل الامور الدينية *

الفصل الاول

* في التكوين والازمنة الابتدائية *

ان الدين وتسلسل شعب الله المتسقى ها من اهم المواضيع التي تعرض على الانسان فبلا ريب انه يرتاح الى ان يذكر حال شعب الله الابدية في عهد الناموس الطيبي وفي ايام الآباء وفي عهد موسى وعهد السة المكتوبة وعهد النبي داود والانبياء ومنذ انشاء سبي بابل الى يسوع المسيح ثم في عهد المسيح اي في عهد سنة النعمة والانجيل وفي الاعصار التي كان يرى فيها يسوع وفي الاجيال التي اتي فيها واياهم ان كانت عبادة الله محصورة في شعب واحد وفي الاجيال التي درخت فيها العبادة

الأرضين توفيقاً لما نوه الأنبياء المتقدمون ثم في الأجيال التي كان فيها الإنسان في حالة
 الوهن والخشونة إذ كان مقتراً إلى أن ثبتت على رعاية الشريعة ليستأهل ثواباً وعقاباً
 زمينين وفي الأجيال التي عدا فيها المؤمنون خارجين من حادس التي إلى سناء الهدى
 ولم يألو على نفوسهم إلا أن يكونوا عاندين في حجر الأيمان معتنزين بالخبرات الأزلية
 مخشعين المشاق قدر ما يتجددون أمل أن يفتنوا بها ومن الأمور التي تليق بالله ويمكن
 للإنسان تخيلها أن الله تعالت قدرته لم يكن يرى بداً في بادية الأمان من أن يتخبره شعباً
 يكون سمة بادية لتناوب فاضطقى إذ ذاك شعباً انماط سعادته وشقاء بهمة طهره وتغواه
 وتدل حالته على حكمة من جولا وعده . فذلك ما تمهك فاطر الأرض فيه من ذي قبل
 وما ابتدأه في الأمة اليهودية ولم يتم ذلك إلا بعد أن أبرز علامات بينة أن هذه الحقيقة
 لا تحول وأنه وحده يقود كل حوادث هذه الحياة العتيدة ولقد كان قد آن الزمن أن
 يرفع الإنسان إلى افكار سامية وفي بعث ابنه يسوع المسيح إلى الأرض ليصرح عن أسرار
 الحياة المستقبلية لشعب حديث كان قد جمعه من شعوب العالم . فما عليك إلا أن
 تستفري تاريخ الشعبين وترى أن المسيح كيف كان موضوع الاتحاد بين الطرفين فإنه
 كان سلباً لا يناء لله ومتبني آماله سواء كان مأناه متظراً أم آتياً .

وما يدل على أن الدين متساو أو بالأحرى هو عينة من بدء العالمين أن الشعب
 كان يعترف بالله واحد خلق الجنس البشري ويمتدح واحداً هو يسوع ويتبين لديك
 أن الدين الذي نستملك بهروث أقدم شيء بين البشر وأن اجنادك لم يبدلوا دون
 سبب سمو محمد لناضلاً في سبيله

فيا الله من شهادة عظمى على حقيقة هذا الدين فإن التاريخ الديني لا يأتينا بنباء
 عن الأزمنة الغابية إلا مشوه بالخزبلات والأحاديث الملتفة بيد أن الكتاب كل
 الكتاب باتينا بالبيا الذين عن تسلسل الشعوب المقررة ويعترنا البنا عن المحدث الحق
 وهو الله عز جلاله الباري كل معبود وبمكتنا من معرفة تكوين العالم ولا سيما تكوين الإنسان
 ومن معرفة سعادته الأولى وبعده شقاءه ووحده وقساد العالم والطوفان وأبداء الصنائع والأمم
 واجترار الأرض وانتشار بني الناس . وحوادث أخرى مهمة جداً لا يبرز لدينا التاريخ
 الديني عنها تباً غير خال من التهوريش والاضطراب بل يعتنا على أن نبحث عن
 مصادرها الحقة في تواريخ أخرى فإن كان قدم الدين بهمة خطيرة فإن تسلسله

المستطرد استمراراً دون تغيير في كل الاعصار رغمًا عن التماس يدل على ان يد الله ضد
قوم له وهي لم تنزل تقوم بتاصير

ولارب في ان الدين موطن على تلك الاركان الثوبية منذ بدء العالم ولا تقوى عليه
عبادة الاوثان ولا المجد الذي كان يكتسبه من كل الانعام ولا المجائرون الذي كانوا
يرشقونه بسهام المنة والاضطهاد ولا الكثرة الذين اجهدوا نفوسهم في ان يزيلوا ولا
العائزون الذين لم يكونوا عليه مومنين ولا اخصاء الذين دنسوا باثامهم وجرائمهم ولا
طول الزمان الذي هو القدير على ازالة الامور البشرية وهو رب العجائب . فكل ذلك لم
يمكن من ازالته او فساده وان نخذنا الكثرة في التصورات التي يجيها لدينا هذا الدين
الذي نحترم قدمه نظراً لموضوعه واي السكان الاول . نؤمن انه يتوق كل ما يتصوره
اولو الافكار وتحريمه انه ينبعث من لدن العلي وان الله الذي عبد المعبثون والمسيحيون
يجل عن ان اضافيه الاله الآفة المختلفة من عدم الكمال ومن الفساد التي كان يودي
لها العبادة في سائر الارض . لان الهنا مفرد لانها له ومتفرد في الكمال ويده المعاقبة على
المجرم والمسيثات وبسبب اولي الفضائل لانه وحده عيب القداسة ويتوق الهة الاولى
وانه المترك الاول الذي كان يعرفه الفلاسفة ولا يعبدونه وقد ذهب بعض الى خلاف
ذلك وهو انه مثل لنا الهًا او جد مادة سرمدية تقوم بذاتها مثله وصنمها كالصانع المخبر
المتنسر بتدبيره من المادة وكيفياعا التي لم يصنعها دون ان يدرك ان كانت المادة قائمة
بذاتها لا يمكن لها ان تارصد كاله من الخارج وان يكن الله غير متناه وكاملاً لم يتعسر
عليه صنع ما شاء لنفسه ولا رادته الفاتحة حياً وقدرة فان موسى اله اباتنا كتب عجائبه
بانه نظم العالم بل صنعه بكامله من مادته وصورته وانه قبل ان ابرز الوجود من العدم
لم يكن سواه فنقرر لنا انه صانع كل شيء بملكته ولا فرق في ذلك ان كان قد
صنع كل شيء بمحكمه او انه صنعه بدون تعسف فانه لم يلجئ في ابراز كل ما صنع الا الى
التصریح بملكته واحدة وهي ارادته

اما الاننا فيما اننا عكفنا على استقراء تاريخ التكوين فنقول ان موسى انبأنا ان هذا الفاطر
القدير الذي لم بملكته صنع المبروات شيئاً شاء ان يصنعها مراراً متعاقبة في ستة ايام ليشعرنا
انه لم يصنعها كرها او بجنة عياء كما وهم بعض الفلاسفة . ان الشمس تشرق فتلقي على
الارض اشعتها فجأة دون ان نتمكن ذابها لكما الله جل جلاله الذي يفعل كل شيء

بالرصانة والحزم والحرية المطلقة يستعمل قوته حسب ما يشاء ومقدار ما يشاء وكما أنه لما صنع العالم بحكمته أبدى أنه خلقه دون تعب لا يحول دون صنعه مانع ولما خلقه في مرارته متواليه أبدى أنه سلطان المادة وعمله ومشروعه وإن لافاعته لصنيعه ألا إرادته المستقيمة بذاتها يلوح لنا من نفس علوه أن كل شيء لا يشاء إلا به وإن الفلاسفة الذين خالوا أن الأرض التي يحامرها الماء وتضافرهما حرارة الشمس بدت بذاتها وأمنت بواسطة غضايرها النبات والمحيوان زاعوا عن سراط الحق وركبوا من الشطط والعمور.

وقد أبان لنا الكتاب المقدس أن العناصر لو لم يهبها الله قوة الشأ بصيغة امرع لمكانت عقيمة ولو لم يكن الله الذي أعز المادة أنفأ قد كوّن النبات والمحيوان بإرادته الكنية القدرة ولو لم يقبض لها البذور اللازمة لتكثرا في الاجيال طرأ لما وجدنا في الأرض والماء والماء.

فيا للمعري أن من يرى النبات فهو بحرارة الشمس ويولد نباتا تاخت الرية في مكونه مع أن الكتاب المقدس يعلن لنا أن الأرض كانت متخفة بالكلا وصوف النبات قبل أن تنشأ الشمس فذلك يبعث على الاعتقاد بأن الله منفرد بإبداع كل شيء من العدم الى الوجدان.

وقد شأ ذلك الصانع الجليل أن يبدع النور قبل أن يمحصر في الشمس والكواكب لانه أراد أن يشعرنا أن البيرين اللذين ادعت لها العبادة لم تكن لها في ذاتها مادة ثمينة وساطعة بتركبان منها ولا شكل عجيب حصرا فيا بعد قيو.

ثم إن نبأ التكوين الذي نقله موسى الينا يرحح لنا الفناء عن سر الفلسفة الخفة وذلك أن في الله وحد الإناه والقدرة المطانة وأنه وحده لسعيد وحكيم وكل القدرة وكثيرا لنفسه بفعل اختياريا كما أنه يفعل دون احتياج وإن المادة لا تلج الى الصنيع ولا تبدي لدبها التبا كما بل يصنع بها بطابق إرادته لانه هو الذي منحها بإرادته جوهر الوجود.

وبما أنه متولى عليها بقها ويصنمها ويديرها ويحركها دون عناء وصعوبة ولا شيء إلا يتعلق به وإن كانت الاشياء متعلقة ببعضها كتنقيح النبات ونوه المتوقف على حرارة الشمس فما ذلك إلا لأن هذا الاله اليرى الخليفة أراد أن يوثق بعضها ببعض فتبدى حكمته بهذا التسلسل القريب.

وإن ما يخبرنا عنه الكتاب المقدس بشأن تكوين العالم ليس أمرا مذكورا بالنسبة

الى ما بيننا عنه بشأن تكوين الانسان . فان الله فطر كل شيء بامر وساطاته قائلاً
 فليكن النور فكان النور ولكن جلد في وسط المياه ولطخ المياه الى محل واحد وليد
 اليس وليكن نيرات عظيمة تنصل بين النهار والليل وتنفذ المياه خشاشاً واسماكاً وتخرج
 الارض حيوانات بحسب اصنافها يداً لما وصل الى برء الانسان غير متحفظاً فان موسى
 انبأنا انه قال حينئذ قلصنع الانسان على صورتنا ومثالنا ولا ريب ان هذا الكلام
 يبين ما نفوه به قليلاً . فان كلمة الاتف بدل على السلطة المطلقة ونجم منه ان ما خلق
 قبل ان فطر الانسان لم يسمع عليه احدٌ لكنه استرق كلمة عند خلقه للانسان فكانه
 استشار نفسه بشأن ذلك الصنيع ليعلمنا بان ما هو مزعج على برئه يفوق كل ما يراه الى
 ذلك المحن الهية واستلثنا . فقله لصنع الانسان بدل على ان الله كان بناحي نفسه ومن
 يصنع مثله وبناحي الذي خلق الانسان على صورته وبناحي من هو هو ومن نشأ كل
 شيء به وهو الذي قال في التخييل ان كل ما يصنع الاب يصنع الابن ايضاً (١) وفي
 غصون ما كان يتكلم مع الابن كان بناحي الروح القدس السامي المتدبر المساوي لها في
 الجوهر والازلية

ولم يعلم من الكتاب المقدس ان احداً تكلم عن نفسه بصيغة الجمع سوى الله تعالت
 قدرته حيث يقول . لنصنع . وانه جل جلاله لم ينفع على ذلك النمط سوى مرتين في
 الكتاب المقدس او ثلاث ولم يبد ذلك التعبير الا لدى مباشرة برؤ الانسان
 واذا ما غير الله من كلامه بنمط من تصرفه فذلك ليس دليلاً على انه يتغير في ذاته
 بل يود ان يشعرنا انه عازم على ان يبرز في الاشياء نظاماً مختلفاً حسب آرائه السرمدية
 وبناحي على ذلك فان الانسان المترفع فوق سائر المخلوقات التي انبأنا عنها موسى
 التكلم ببرز الى الوجود بامر يبعث على الدهشة والحيرة . فان الثالث طفق ببدول ما
 كومت الخلائق الناطقة التي قوامها العقلية في صورة غير كاملة للاتصال الازلية ومن ذلك
 يتبين ان الله مخصاب في ذاته

اما الاستشارة التي احتفل بها الله فنقل على ان البرية التي عني برءها منفردة في
 ان تبرز افعالاً باختيار وعقل ولا ريب في ان ما خلق عنا الانسان بذهل العقول

ويجبر الفكر . ولم تنف في سفر التكوين الى الان على ان يده الرب سميت المادة الزائلة
غير انه لما شاء بره الانسان اخذ يده تراثاً امسى في ما بعد ذا هيئة تترهت عما بدا فيها
مضى قبلها . فلانسان قوام قوام ومائة رقيقة وعينان لها وجهة الى العلا . فهذا
التكوين يدل على اصله وعلى المحل الذي هو مندوب ان يتلوه بياصرته . فالعناية التي
ابرزها الله لدى بره الانسان تدبر بان فيه اهتماماً خاصاً به وان تكن حائر المبررات
سواء برزت الى عالم الكون فحياة برط حصافته وحكمته السامية . واما ابداعه النفس
فمن الشهود التي توثق القواد عجبا انه لم يدعها من المادة بل نفخ في انف الانسان
نحلة حيوة . ولما خلق نوع الحيوان قال قطنض المياه امها كما قبرزت حيتان البحار وكل
ذي نفس حرة مفركة مزعة على ان نعم الحج وكل الحيوانات التي تدب على بساط
الارض والطائفة الرحافة (١) فعلى ذلك الموال كان تكوين الارواح الحية ذوات
الحياة الوحشية والبهيمة التي لم يمن الله عليها بسوى الحركة التابعة لاجسامها وابرزها
الى الوجود من الارض والمياه . اما النفس المزمعة ان تكون كنهال حياتي ونحي مثله
بالعقل والادراك وقد معه بشأها فيه ونوقاها اليه فقد كونها الله كنهال ولم يكن للمادة
ان تكون علة تكوينها وان الله الذي انشا المادة لا يعسر عليه ان يبرز منها جسماً عظيماً
لكه وان احكم صفة وقليه يعسر عليه ان يجعل ما مثلاً لصورته مع ان النفس المشرقة على ان
تغطي غارب السعادة بامتلاكها رها آل بها الامر ان تكون تكويناً جديداً غريباً وذلك
انها تاتي من العلا وايد ذلك نعمة الحياة التي تنفخها من فيه مبدع الكائنات .
ولتذكر ان موسى عرض على ذوي الجفان حقائق روحانية بصور حسية ولا تغال
ان نعمة الله في ثم الانسان كالنخات الحيوانية ولا تنوع ان نفوسا نهات عليه او انجزة
غنية لان النعمة التي تنفخها الله والتي هي حاوية في ذاتها صورة الله ليست هواء ولا بخاراً
ولا نظن ايضاً ان نفوسا في جزء من الطبع الالهي كما هم بعض الفلاسفة لان الله ليس
بكل معرض للتجزئة فلو كانت له اجزاء لما كانت صمت فان الخالق لا يكون مخلوقاً
ولذلك لا يتركب من اشياء مخلوقة . والحال ان النفس مخلوقة وليس فيها شيء من الطبع
الالهي . وانها مبرورة على صورة الله كنهالو ففني عليها بان تستمر متحدة مع صانعها وتنفذ

لمصدق ذلك دليلاً من النفع الألهي الذي يبدو لينا بهك النفس المحبة . فما قد تكون
الرجل وكوت الله منه زوجاً زقت بإرادة الله الي واسى البشر كافة يتناسلون من محدث
واحد حتى اصبحوا كلهم عائلة واحدة وإن كانوا يشعشون في الارضين ويتكاثرون . وبعد
ان برأ الله آدم ابانا وحواء أمنا اقامها في روضة غراء يقال لها الفردوس . واقضى الله
اذ ذاك ان يجعل صورته مبعثة

واوجب على الانسان وصية تتعرض بان له رباً فكان ما اوصى به متعلقاً باشياء
حمية لانه لم يكن حينئذ عارياً من الحواس . ولم تكن تلك الوصية عسرة عليه لان الله
اراد ان يجعل له الحياة هينة ما دام عائشاً في البر والثني فازور الانسان عن القيام
بمعي تلك الوصية واصاح لمنطوق المحرم المختال تابعاً ما اوعز به اليو نابذا وراء ظهر
قول ربنا فاشرف حينئذ على ان يهوي الى دركان الهلاك ولاغرو ان الله خلق اولاً
الملائكة ارواحاً بسيطة منفصلة عن المادة وجعلهم في حالة القداسة . اما هؤلاء الملائكة
فقد كان يتفني ان يقدموا نفوسهم لحالهم اختيارياً رجاء ان يسمنوا على السعادة بيد ان
كل ما خرج من العدم لا يكون كاملاً ولذلك قد استولى الحب الذاتي على قلوب
بعضهم . فويل للخلق يعجب بنفسه لا يخالف فان ذلك الاستعجاب يكون له ذريعة لان
يفقد كل ما فيه خالقه العظيم ولارب ان الجريمة عظيمة المنعول . وبناء عليه اصبحت
تلك الارواح البيرة ارواحاً حالكة وان ذلك النور الذي كان فيها اصبح كله مكرراً
وخضاعاً ونجست قلوب الملائكة من الشر بدلاً من المحبة وتحولت تلك العظمة فيهم الى
كبرياء . وصلف وسعادتهم الى السلوان الشجي بان يروا لم شركاء في نعماتهم واصبح
طفائهم لايمان البشر ومما فتنهم على تحريمهم من الامور التي يرونها سعيدة جداً . وان من
كان منهم فوق الجميع كالآضخي شديد المختزاة مستكبراً ولذلك غدا انهم
اجمع واشرم . واما الانسان الذي نفض عن الملائكة قليلاً فلما احرزه في جسمه واصبح
موضوع حسد الروح الشرير فازرع الملاك الشرير على ان يجعله على التمرد والعصيان
رجاء ان يشركه في ورطة هلاكو . ولقد كان الخلاق الروحانية ما هو لله من الوسائل
اللازمة المحمية للدخلة في امر الانسان الذي ليس بينها وبينه من المشابهة في الجوهر
بون عظيم فبناء على ذلك اصبحت الارواح النيرة التي استقدمها باري الكيان
ليخبر امانة الانسان ملازمة لها تلك الوسيلة قصد الدخلة في النظر الانسانية وقد كانت

عدية الملحطة على الخلائق الجسدية فعكف الشيطان الخناس على تلك الوسيلة وخادع
 ابونا فاميطها من العزة الى الفرة فسمع له المني بان يلج جوف الثعبان لان الثعبان
 حري بان يبل غيب تلك الروح الشريفة ولم يكن وسيلة لان يقتدر منها ابونا لان
 الحيوان طرأ بدا امام مقتلي آدم في بادى الامر قصد ان ان يعين لما اصابه لكل
 حسب نوعه ولتودي الرضوخ لذلك الملك العظيم الذي مازر ربه بالرفعة عنها واقامة
 عليها سيدا ولذلك لم تكن الرعدة تستولي على قوادس لانه طالما كان على تلك الحال
 لم يكن لحيوان ان يبادعه بادي مضرم

اما الان فلا يذهب عنا ان نعرف ما ناجاه به الشيطان الخنول وما اناه به من
 الخبث والرياء . ولما كانت الانثى مضطرة على الضعة والوهن اخذ يتاجي حواء وكان في
 اثناء مكالمته اياها يكلم بعلمها قائلاً لكتيها علام صدقك الله من ان ثلثها هاتي الثمرة الناضرة
 فان كان برأكا ناطقون فليس من العدل ان تخفي عليكما من علل الكائنات خافية
 ولتي لا ترون ان هذه الثمرة لا يجرها سم زعاق وليست نفسا كما تزعمان لدن اكلها فالتهاها
 تغبل لديكما الغواض فتدا عليه في بادى الامر نكرا ثم طعنا في كبد الرضوخ سهام
 الرية فاعاد عليها الحديث قائلاً كلا الثمرة تزايل نطق اليهودية ويفتح لك جدد
 المحربة ونعموا الهة تسائران السمودد والسعادة ونح عليكما مباريب الحصافة والحكمة .
 ونعطا الخبز والشرابي لا تجارى عنكما من الامور شي فذلك يطلق العقل بقاوم
 اوامر الخلق ويدوس القوانين قرنت حواء الى الثمرة واستطابتها وجذبها اليها الشهوة
 النفسية . ولما كانت عالمة ان الله قد احرز في الايمان النفس والجسد فكرت ان يكون
 قد اناط بالنبات قوى خارقة واحرز في المحسوسات هبات عقلية فاخذت من ذلك
 الثمر واكلت وقدمت من ذلك ليعلمها فاصبح عرضة لكل خطر جسيم فان التمزج
 والملاطفة يضعفان القوية ولهذا اذعن لما ركب الطاغى فعي عليه امره واستولت عليه
 الكبرياء والصلف والمثانة الباطنية فكل ذلك بعث على ما فعل ولم يكن الا لينقاد
 لرضاء شهوته وغرّة نضارة الثمر فانقلب عبدا للحواس بعد ان كان سيدا

فبعد ذلك انتقلت لديه المناظر واصبحت الارض غير تهتج عنه كما كانت يراها
 اولاً اذ لم يكن يتلف معها شيئا الا بعد مفاساة العناء والمناعب ولم يعد يرى السماء
 صافية ناعية . واما نوع الحيوان طرأ الذي كان علة ارضاحه ونزهوه فقد بدا لديه هائلا

مرعباً وبعد ان كان صنع العلي كل شيء لأمير وسعادته احواله لتعبته والبرج به
 واصبح ذلك الرجل يطرح نفسه تحت اوفار العذاب بعد ان كان كل شيء
 بوجه قنارت حواسه ثورة ايقظت فكره وايقظته في نفسه اشياء تبعث على التامل . واستحالت
 هيئته الاولى التي برآه بها ربه الى هيئة حشنة على ان يجهد النفس باخفاها واصبح متفانياً
 في عمرة الترسيب والحياء وكان يود لو يكون متولياً مستوراً وثقت عليه ربه خالته جداً
 لان الله ذا المحول والطورول الذي برآه على مثالي ونحى حواس تعد عقله وبدا امامه
 هيئة محسوسة امسى الانسان لا يطبق مرآه ولا الذنوب منه بل كان يفتي ان يبتطن في
 وهاد المناور رجاء ان يبين وجهه من كان موضوع سعادته وجعله واخذ من ثم ضيقه
 يونية قبل ان تاجاه العلي واتى بهدم قضى عليه بالمخزي والمار واصبح هدفاً لبهام
 الردي . ونزع منه ايساء الملاك واصبح موت نفسه الامارة رمزاً الى موت جسده النواهن
 وبناء عليه فقد قضى علينا بقضائه فان الله الذي كان في عزه ان يثيب كل اخلافة فقد
 عاقبهم بجرمته بعد غنوه وعصيانه ورثنا طراً من بعد بهام الانتقام ولذلك اصحبت
 ولادتنا مبنية من اصلها على الفساد . وليس من شأننا الان ان نبحث عن مدل الاله
 بقضائه على النظم الانسانية بل لايجوز دون عبادتنا احكامه حائل وامري هل يمكن
 لنا ان نعتبر البشر كافة مردولين كايضا آدم فذلك لا يبيح عن معرفته احد بل انهم سئلوا
 من عليهن سقوطاً ابدياً وحرماً الجنة حيث كانت لذائذنا

اما نظام العدل الانساني فيترتب عليه اسعادنا على ادراك كنه العدل الالهي
 وما ذلك الا لانه رمز اليه غير انه يعسر عليه الهانة عمق هذه الدركات . ومن المثير
 لدينا ان العدل الالهي ورحته لا يقاسان بالعدل الانساني ورحته بل لكل عواقب
 اكثر سعة ونخصيصاً

وفي اثناء اعنات الله عبادته واساعهم ارمياً ووعيداً يثي اعطافهم الى موضوع
 آخر اعز لديهم وهو رجاءه في النجاة اعدده البارئ لمرويه منذ سنوهم فان الله ايمان
 لانا جواء في انسياب الثعالب المزروا المضاهي لخداع الروح المختول اخلاق عدونا المنقوة
 وما أعد له من كبير العقاب ولذلك اصبح الثعبان مرشوقاً بببال التلي واليفضاً أكثر
 من اصناف الحيوان اجمع والشرطان ملعوناً أكثر من الخلاق قاطبة وكما ان الثعالب
 يستمر منساقاً على بطونه فيستمر الشيطان اسفل بعد مبوطه من صهوات الغلاء وقول في

الكتاب المقدس ان الشيطان يفتن تراثاً وليس ذلك الا رمزاً الى الافتقار الدنسة التي
 يبعثنا عليها الشيطان ولا ريب في انه نفسه لا يفكر الا باشياء دنسة لان افكاره كلها اثم
 وجرائم . وان البغضاء بين الشيطان والنوع الانساني نشعرنا باننا نكون عليه ظافرين
 بزرع مبارك بان يدوس راسه اعني يجمع كبريائه وبلاشي مصالحة عن وجوه البسطة
 وما ذلك الزرع المبارك الا يسوع المسيح ابن مريم البكر من المعلوم ان خطيئة آدم
 الاصلية الحقت بنسله اجمع الا يسوع المسيح لانه ولد انساناً بنوع الهى وهو انه لم يجعل به من
 الانسان بل من الروح القدس وبناء عليه فانه بواسطة الزرع الهى او بواسطة الابوة
 التي حل في احشائه حسب تعبير هذه الآية الثابتة بخلف الملاك الانساني ويتزوج
 الشيطان من الشيطان مالك العالم ليكون له شيء في يسوع المسيح (١) اما
 الجنس البشري فقبل ان يخلق الله عليه بذلك اللغادي العظيم فقد اباه الاختيار المستطيل
 انه مقدر الى المضافة والاعانة . فترتب عليه امر نجاة وفست طباع الانسان وغالى
 في الرذائل والفتنات وامتلأت الارض آثاماً وجرائم . فعند ذلك فكر الله في ان ينقذ
 منه بامر يخلد ذكره بين البشر كافة فاجرى عليه ميازم الطوفان عرماً فذهب
 صحت ذلك ما بين نوع الانسان قاطبة ولم يزل الى الان تلتج بذكر الامم وما بعث الله
 عليه من الانام . فلا يخالف الانسان اذ ذاك ان العالم يسهر من ثناء نفسه وان كل ما
 كان يبقى على ما كان بل ان الله الذي برأ كل شيء والذي لا يكون كل شيء الا قائماً
 بامر ارفع على ان يفرق نوع الحيوان والانسان وان في نفسه ان بلاشي احسن جزء
 من صنعوه .

ولم يكن محتاجاً الا الى قدرته بان يزيل ما صنع بينت شقة لكه رأى ان من
 اجل شأنه ان يستقدم خلقاته ذريعة لا تنفاد فندعا المياه تنتم من الارض المنفشة
 بالذنوب . بيد انه رأى ما بين اولئك رجلاً صدوقاً يستحق النجاة فان الله قبل ان رعاه من
 طوفان الماء كان قد رعاه بسمته من طوفان الخطيئة ورعى عائله اجمع لشمع الارض ثانية
 حيث انها امست ان تكون خاوية وانه بواسطة هذا الرجل الصدوق حفظ الله نوع الحيوان
 لكي يعرف الانسان انها صنعت لاجل رجاء ان يستقدمها مجدداً للرب خالقو . وقد صنع

شيئا اعظم من ذلك وهو انه استجاب على اجراء عدله الصام بمقتضى للانسان الاثم بان لا يبعث اليه من اخرى بطوفان غامر وابعث معه مع سائر الظهور واليهائم (١) عهدا تدل عليه قوس نصيبا في الرقع فوق الارض وما ذلك الا ليشعر بان عناية الله فوق كل ذي حيرة فبدت تلك القوس مشكلة الالوان تخبرها ان تكون في غامر رقيق يجعل ندى لطيفا غير مخيف ان تكون في غامر لبد يجعل مطرا مصححا . وذلك دليل على ان الامطار التي نسل من ميازيب الغمام لا ينشأ منها فيما بعد طوفان جارف . ومنذ ذاك الحين اخذت القوس تبدو في المشاهد العلوية كأنها ربة العرش الالهى حاملة آثار رحمة الصمدية . ومن ثم عاد العالم الى نشأة الكون وبرزت الارض من غمر المياه ومع ذلك فقد بقي الانتقام لله على ابن الطبيعة انار ليست يرثه فان الطبيعة كانت منذ البدء الى الطوفان شديدة قوية لكنها الارض بعد ان اصابها عليها الماء وظلال مكث المياه عليها ذهبت عنها الغضارة وقضت ماويتها وتناقلت الامواء الرطابة وكثر الفساد واخذت آجال الاناس تنقص فان الاعمار الانسانية كانت في ذلك الحين تصل الى الف حول فاعتراها من ثم النقص رويدا رويدا من لدن العلي وزايلت الاكلالة والفار تلك القوى الاصلية واقتضى ان يفتات الانسان بعد ذلك من لجان الحيوان وبناء على ذلك اخذت الآثار الاولى لصنع عناية الرسم رويدا رويدا وقد كانت ذلك التغيير الطبيعي دليلا يبعث الانسان على ان يشعر بان الله تغير عليه بالفرط والانتقام اذ تعاطفت آثامه وجرائمه . ولقد جاء في تاريخ شعب الله ان حيوة بني الانعام لم تكن في الابتداء غير مأثورة لدى الشعوب بل ان تقاليدهم القديمة قد اقبلت لها في بطن التاريخ ذكرا خالدا وكان الموت الذي يراه الفطرة الانسانية يمتلئهم الى ما يلزمهم من الانتقام السريع ولما كانوا يستمرون كل يوم مستكمين في مهام الانعام آكل الامرات تعينهم العذابات المبرجة . ولا ريب في ان تغيير افعالهم الجاهلي كان يشعرهم بانهم اصبحوا في حالة يومى فان قوام است واهنة جذبا كبيرا في الوقت نفسه على النهاية وامراق الدماء . وقبل الطوفان كان الغذاء الذي يفتذه الاناس كآثار حياضهم الساذجة واخلاقهم الرضية غار الارضين تصافط لديهم من تلقاء ذاعا . اما الان فلا يطيب لنا الغذاء الا بان نهرق الدماء قسرا

عما ياخذنا لذلك من الهول والدهش وإن البسائط التي تقوم بها قصد تغذية خزان
الطعام تكاد لا تكتفي أن توارى عما اجتمعت التي ارقنا دما في سبل اقتياتنا. وما ذلك إلا
جزء ما يلزم بنا من الكوارث فإن الحياة التي تقلصت بعد أن كانت مدينة بأدعتها
المظالم والجور بالنقص فإن الإنسان بعد أن كان في بادئ الامر يوفر حياة الحيوان
فقد اغترت العادة بأن ينفك دماء ابن طيته وإن ما اوصاه به الله أن لا يأكل لحم
الحيوان بدمه وإن لا يريق دماء اولاد جيلوه ذهب ادراج الرياح ولم يتم الإنسان بحق
رعابته ولم يوجهه الله بذلك إلا ليفي له من اخلاقه الاولى التراضيا . ومع ذلك فإن
القتل زاد ونشأ وإن يكن قاتل حرج صدره على اخيه هائل قبل الطوفان فاجرى
دمه على الارض صبيحا ولامك من اخلاف قاتل هو ثاني من اجترأ على أن يريق مثله
الدماء ويمكن لنا أن نفترض ان غيرها قد اتفق اثرها السيئ فإن الحرب كانت وتنتشر
في عدم بحث لا يهاجمت على احزابها العالمون . نشأ بعد الطوفان فقط جبابرة يعنون
في البلاد ويحرقون الدساكر يدعون فاتحين ضولاء اغرام الهيام بسمو السوءدد والجد بان
يناصبوا الابرار ويهدوا منهم عددا كبيرا فنشأ من اخلاف حام المغزى من ابرو (١)
رجل ملعون يقال له نمرود سولت له النفس الامارة على أن يشيد له مملكة فغالوا من
ذاك الحيف في الثمرات واخذت المطامع النفسية تلعب بالحياة البشرية لا تشتمهم عن
المناسد شكيمة قطعوا بقتالون ويتساورون بنيا وعمدا واصبح من اعز الفنون واسماها
ان يتفانوا ويحلقوا هياكل الاجسام عظاما رميا . وبعد ان مضى على الطوفان نحو من
مائة سنة حفظ الله على بني الانسان وضربهم ببلية كبرى هي بلية الآلسن ولوليت اللفة
التي عليها آدم لاولاد وتداولها السمة الاقدمية عامة بعد ان نشعت اولاد نوح وهاموا
على وجوههم في شوارع الارض لكانت وثاقا متينا ترتبط به اللفة الاجتماعية بيد انها قد
اعترها الاضمحلال وعشت بها ايدي الملاشاة لدن اقامة اليرج في بابل ولا فرق في
ذلك ان كان اولاد آدم المجاحلون لم يتفانوا بعباد الرب التي يعني منها ان الطوفان
لن يفرم مرة اخرى فاخذوا يبنون لهم لجأ شامخا يلودون به وقت النازلة محصنين
او اعمهم قصدوا ان يخلدوا لم ذكر ابيائهم قبل ان تلعب بهم ايدي سبا مشعثين

وذلك ما يدل عليه سر التكوين فاحبط النبي سعيهم بان صدقهم عن تشييد ذلك البرج الباذخ آملين ان تنطح شرفته رواق القام فواقع بينهم الشقاق والاضطراب ضاراً بينهم وبين لغتهم الحجاب الاولى المستور فتناست عندهم ومن ثم اخذوا يجهتزون الى اهر وقبائل واخذت تتوسع بينهم اللغات ودل على الوسوسة التي تعنى من البلية برج بابل الدال على الاضطراب وليس ذلك الا كاستقام خالده من القطار الانسانية على ان الكبرياء هي مصدر الانقسام والبلية بين البشر . فذلك ما كان بدء العالم كما يستفاد من تاريخ موسى فكان ذلك الابتداء في بادية الاربعين ثم نشوء بالمشاق والكوارث المخارفة . فان استلقتنا الانظار الى كتيبة برئو بالظلال الى بارئو القدير نراه عجيباً عريباً وهذا البدء يستمر كما نعتة عند انقصر فيه معتبرين ان الجنس البشري لا يزال في قبضة الخالق الذي انشاء من العدم الفاضل بمجرد كلمته ورعاها بصلاحه وسامه بحكمته وعاقبه بفسطاس عدله وانفك برحمته وهو لم يزل راضياً لسلطانه . وليس العالم كما زعم بعض الفلاسفة انه موهلف من كتل تلاقى بعضها على سبيل الاتفاق وليس كما زعم بعض من هم احصاف منهم وهو ان المادة كانت منذ الازل فخلقتها خالق الكون فاصبح حيث انه امر كيان الكون لا يتعلق بالخالق نظراً لجوهر الوجود او نظراً للحال الاولى لكنه قيد لما نوايس ليس بوسعنا ان يناقضا .

لكن موسى والاباء الانديمون الذين روى لنا عنهم النبي الاكيد يشون لنا بذلك آراء سديدة وهي ان الاله الذي يستلقتنا اليه الحكيم قابض على سلطان اخر عظيم وفي وسعه ان يهرم ويبريل مثلاً يشاء ويقيض للطبيعة نوايس يتوخاها متى اراد . ولما نساء اكثر بني الانسان اراد ان يدولديهم فاخذ من ثم يدي الاعاجيب المرهبة فالحجاً الطبيعة الى ان تزايل نوايسها الثانية ولدن ذلك طلق يبين انه هو السلطان المطلق الذي يدن وحده ان يحفظ وثاق النظام في العالم .

ولاريب في ان بني الانسان نسوا خالدهم لان ثبات ذلك النظام العظيم لم يكن صالحاً الا لبقعهم انه خالدهم من ثلثاء ذاك وذلك ما حملهم على ان يعبدوا العالم طراً او النجوم والعناصر او كل الاجرام التي يتألف منها . فلما اراد الله ان في بعض ظروف مهمة تنقض ذلك النظام ابدى جودة عظمى فلم يكونوا اذ ذاك يعجبون او يندمسون من ذاك النظام لانهم كانوا قد القوه بل انه كان يعينهم على ان يتوهوا لكثرة غرهم وعمه

بصائرهم ان الابدية والاستقلال خارجان عن الله

وتاريخ شعب الله الميث يتسلطه وبصلاح اولئك الذين كتبوا او باستقامة اولئك الذين رعدوا من العائلة باعنائهم عظيم يذكرك تلك العجائب صريحاً ويدي لنا سلطان الخالق المطلق على كل مخلوقاته سواء كان قد اخضعها لنوايس الطبيعة او يوجهها لان تكون مهابة للرضوخ لنوايس غيرها اذا آل الامر ان ينذر عباده الثائمين في الضلالة باعمال غريبة

فذلك هو الاله الذي بيننا عنه موسى وهو الاله الترد الصمد الذي يعق ان يعبد ، عبد من قبل موسى الاله ، وهو اله ابراهيم واسحق ويعقوب نشأ ابونا ابراهيم ان يقدم له ابنه الوحيد قرباناً وكان ملكيصادق المرموز به الى المسيح كاهناً له وقدم له نوح لدن خروجه من السفينة معرفات واعترف به هابيل الصدوق اذ قدم له اعز شيء لديه وخالف الله على آدم بعد هابيل بنيت واطم آدم عينه لنبؤ انه اخرجه من بين يديه وانه هو وحن الذي برقع عن عوائق ذريته افعال المشاق المبرحة

فيا لله من فلسفة عظمى تبعثنا على ان نقف على علة وجودنا وباله من تقليد عظيم برعى لنا ذكر هذه التصانيع العجيبة وباله من شعب ذي بر وفداية هو شعب الله الذي يتسلسل تسلسلاً غير منفصل من بدء العالم الى ايامنا هذه ويحفظ دائماً هذا التقليد وهذه الفلسفة المقدسة

الفصل الثاني

في الكلام عن ابراهيم والاله

سيدي . لا يخفى عليك ان شعب الله كان في عهد هذا الاله الصديق في رعايته نظامية ولذلك لا يند عني ان اضرب عن الخيانت عنه لديك فاقول . ان ابراهيم والد سبعة الثلاثمائة والخمسين بعد الطوفان حين كانت حيوة بني الانسان مدبنة وان كانت وقتئذ قد تقلصت فان نوح استعز بالله في مفرية من لذة ابراهيم وكان ابنه سام في ريق حيازه ففضى ابراهيم معه في لذة الحيوة اعواماً كثيرة

فياسيدي ان حانت منك الخفاة البصيرة الى ذلك العالم الحديث الذي كان

وفشدر كانه مبتلي بياه الطوفان تر عجبيا . ولاسيما لما كان بنو الانسان القريبين بهذا
المقدار من بداعة الامور لا يشفقون الى معرفه وجه الله وما يفرض عليهم من القيام
بخدمته ليعرفوا التقاليد التي حفظت منذ آدم ونوح الى ذاك الوقت الذي هو
وشيك من الاصل جدا . وفضلا عن ذلك فقد كانت ذلك التقليد من الامور التي
لا يقيم عليها العقل تكبرا بنوع ان تلك الحقيقة البينة لم تكن على شرف التناسي بين البشر
وليست حال الدين على ذلك المتوال الى عهد ابراهيم اذ لم يكن بنو الانسان مفتقرين
الى معرفة الرب الا بان تدلم على ذلك عقولهم وذاكرتهم بيد ان العقل كان ضعيفا يعرفه
فسادا واختلالا . وكلما كانت البشر يتفحصون عن الاشياء الاولى كانت تتوسوس
نصورتهم التي تلتفتوها من آياتهم فحق الاولاد سمردين وتزرق عنهم شعار الاداب وابوا
ان يدعوا لكلام اجدادهم المهرين اعواما ولكنهم مغالانهم بعد كل هذه الاجيال في
تلك الاخلاق الخسنة اوشكوا ان لا يعرفوم . واصبح الجنس البشري مغطا عن المذارك
العقلية بخط في مهام الخسونة والصحيفة وازمع على ان لا يعبد الا ما تستر عليه حاسة
البصر ولذلك فشنت عبادة الاوثان في اقاصي الارض

واما الروح الشرير الذي اطلق الانسان الاول فكان يحكي ثمره خداعه ويشاهد
غوائل كلامه لما قال لادم وحواء انكما تصيران من الالهة ومن حين تنوع بذلك الحديث
معها فكر في نفسه انه سيبذ الهوى والاضطراب في فواد الانسان ويجعله يمزج
تصوره بالله بتصوره مخلوقاته عازما على ان يبتلى اسمه القدوس الذي هو محصور في
عزته الالهية فركب بذلك متن الفلاح وليست البشر اللجائون الدمويون يتصورون في
الله تصورا مبهما وهذا التصور لست بقوة الخاصة . بيد انه لما امتزج بالتصورات
المتناهية من المشاعر عكف البشر على ان يعبدوا كل ما فيه قدرة وقوة ولذلك اصبحت
الشمس والنجوم التي تظهر قوتها عن بعد والنار والعناصر التي مفاعيلها عامة من الامور
الاولى التي تحق لها العبادة العامة من البشر كافة ثم الملوك العظام والجبابرة القاطنون الذين
كانوا اصحاب جراءة وصوله . ثم الذين اخترعوا اسماء مهمة للطاقة البشرية امسوا من
الذين اديت لهم الكرامة الالهية وعوقب البشر بخضوعهم لحواسهم وامست تلك الحواس
فيصل حتى في كل الامور ولم يتمكن للعقل ان يصدها عن صنع الالهة التي اديت عبادتها
في جميع الارض

فلما بدا الانسان حينئذ قاصياً عن وضع نظائره الاول ولم اصحبه فيه صورة
الله فاست . فليت شعري هل من العدل ان يقال ان الله برأه في تلك الاممال السبعة
التي كانت على وشك الازدياد يوماً بعد يوم وذلك الميل الغريب قد حمله على ان
يعتاض عن عبادة مولاه الطبيعي بعبادة كل ما تراه مقلناه فهل ذلك لا يدل على تنوع
جلي على ان يدا غريبة لعبت بعقل الانسان فافسد كل ما صنع الرب حتى لم يبق
لذلك الا آثار قليلة فعمد الانسان بصيرة وتاه في ليل الضلالة مفروراً في عبادة
الاولئان ولم يكن في ذلك الوقت شيء يصدفه عن ذلك فنا الترفشا وكاد ينجح على
قاطبة البسطة . ولما فكر المهيمن المتعال انه ان لم يبعث اليه بدواه شاف يند في الارض
طراً وتغنى عن تناول البشر معرفة الله دعا عبداً ابراهيم وقبض له ولعبده عبادته وامره
ان يحافظ على الاعتقاد القديم في تكوّن العالم وفي العناية الخاصة التي يمس بها
الرب الامور البشرية . وذهب صيته في اقاصي الشرق ولم يكن المبرانيون وحدهم
يقدرونه اباً لم بل الادموميون ايضاً وقد كانوا يتناخرون بانهم من اخلافه . وقد عرف
اسمعل عند العرب ان اصل لم واسمعت الخثانة عندهم دليلاً على اصلهم ولم يكونوا
يعتقون في اليوم الثامن من ميلاد الطفل حسب عادة اليهود بل في السنة الثالثة عشرة
استناداً على ما علمناه من الكتاب المقدس عن اسمعل ابيه وليست هذه العادة محفوظة
عند المهيدين . وشعوب اخرى عربية تذكرون ابراهيم وامراته قطورة وهؤلاء هم الشعوب
الذين يعرفون الكتاب المقدس الى هذه النسل وكان ذلك الاب كداني المحدث ونح
هؤلاء الشعوب في معرفة الارصاد الملكية وكانوا يفتنون بان ابراهيم له الباع الاطول
في فن التقيم وقد زعم المؤرخون السوريون انه استولى على العرش ملكاً في دمشق وانه
اتى من انحاء بابل وبينون انه غادر مملكة دمشق ليسكن بلاد كنعان التي دعيت فيما
بعد يهودية . لكننا الاجدر بك يا سيدي ان نثق بما ينقله عنه تاريخ شعب الله وقد اسلفنا
ان ابراهيم كان عائشاً عيشة الاقدمين قبل ان اجترأ العالم الى ممالك وقد كانت له
السلطنة على اهل الذين كان عائشاً معهم عيشة رعائية مشهورة بالسذاجة والبر وكان
مربياً يملك من المواشي والعبدان والغنم شيئاً كثيراً ولكن لم يملك شيئاً من الاقاليم
وسمع الارض . ومع هذا وان كانت في مملكة غربية فقد كان محترماً ومستشاراً بالو
عائشاً عيشة الملوكة وما ذلك الا لان بدا الله كانت تقوم بناصر وتقرب اليه المكرمة من

ناظره نظراً لما كان عليه من طيب السيرة ونزاهة النفس وكان يواقي الملوك الذين
 يرومون اخاءه فشاغ من ثم انه كان ملكاً. وقد آجج الحرب مراراً قسراً عن مذاج عيشه
 وجنوحه الى الصلح ولم يجرب الحرب احياناً الا ليدافع عن المظلومين الذين كانوا يواخونه
 فاخذ بنارهم ظافراً ظناً غيياً وومهم اموالم التي اترعها من اعدائهم ولم يبق في يده
 منها الا المشر الذي قره الله وقمما جازى به الذين جاهدوا معه في ساحة القتال ومع
 هذا كلف غزله هدايا الملوك قبولاً ولم يخالك ان يرى احداً يزعم انه جعل ابراهيم
 غنياً ولم يشأ ان يكون مديوناً لغير الله الذي كان يقوم بناصحه ولذلك كان يحفظ له في
 صدره ايماناً حياً ويوهدى له رضوخاً تاماً. وما يدل على امانته انه ترح من ارض ابيه
 لياقي مهاجراً الى الارض التي اعد لها الرب ودعاه اليها ولما رآه اهل لان يهرم معه
 عهداً عقد معه معاهدة موثوقة بشروط واعلن له انه سيكون الله واله اخلاقه ابي بسمه
 قائماً بناصحه وم يعبده الهام مقرباً فاطر السموات والارض ووعد به ارض في ارض
 كعان لتكون مركزاً للدين وموطناً لرمدياً له ولاخلاق طراً. ولم يكن لابراهيم في
 بادى الامر اولاد لان امراته سارة كانت عاقراً فتم الله بمرمديه وجوهر ذاته انه ين
 عليه من امراته العاقرة بذرية تكاثر كعبود الماء ورمال البحر. وام ما يذكر هو ان
 كل الشعوب الذين كانوا جائفين عن طريق الحق يعبدون الاوثان او عزاليه عنهم
 انهم سيناركون به وينسلوا يزدلون الى معرفة الله التي لا بركة الا بها. فلذلك اصبح
 ابراهيم اباً لكل المؤمنين واختار الله ذرية لتكون مستدراً تنبعث منها البركة المزمعة ان تنم
 في اقاصي الارض وهذا الوعد يحوي عي المسح الذي تنبأ عنه ايلوذا بأنه يكون مزمعاً ان
 ياتي من نسله وان يكون منفذاً من لجة الآثام كل عابدي الاوثان وساير شعوب الارض
 ولهذا اصبح هذا الزرع المبارك الذي وعدت به حواء زرع ابراهيم وابيه. فهذا هو ركن
 الميعاد وعماده والشروط التي ابرمها الله مع ابراهيم. واقبل نعمة هذا الميعاد في
 الخنثاة التي يتبع منها ان هذا الاب الصالح يناط هو وعائلته بالله. ولما اخذ الرب يبارك
 ذرية ابراهيم لم يكن له اولاد وغادره الله بدون بين من الاعوام كثيراً. ومن ثم ولد له ولد
 دعاه اسماعيل وكان موهلاً لان يكون اباً لشعوب عظيمة غير الشعب المصطفى الذي
 وعد به العلي اباه ابراهيم. بل ان هذا الشعب يخرج منه ومن امراته سارة التي كانت
 عاقراً. وبعد ان تقادمت على ولادة اسماعيل ثلاث عشرة سنة ولد لابراهيم ولد دعاه

اسحق اي الضحك او ابن المنيعة وابن المعجزات والمواعيد وشين من ولادته ان اولاد الله
الاخوة يلدون بالنعمة

ولما ترعرع اسحق وزادت نشأته ورجا ابوه ان يرى منه اولاداً اتفق الله مصداق
ايمان ابراهيم قائمه ان يسرع به الى ذروة جبل عيثا له كي يذبحه ثمة مقدمة للرب . فوضع
ابراهيم للاسروقاد ابنه الذي وعده به العلي ان المسح وشعوباً كثيرة تنشأ منه ولما رفع
الحجارة فوق حجره واصبح الوليد على وشك الزهوق ناداه العلي من العلاء ان ارفع اليد
عنه محققاً حيثما رضوخ الولد وابيه . ولم يعتما بعد ذلك بثلث الايام واصبحا كرمز
الى يسوع المسيح بتقديم ذبيحة لله وقد ذابت نفسها . رارة صابرة واستحقاقاً ان يصبراً من
اجدادهم ولما رأى الله ان ابراهيم ثابت الامانة انجز له كل مواعيد وبارك عائلته وبها كل
ام الارض ولا رب في ان الله واظب على الدفاع عن اسحق بن ابراهيم وعن حبيب
يعقوب وكلاهما نسايا اعمال ابراهيم وغذاء توراها واستمسكا بالاعتقاد القديم والعيشة
الرعاية ونظام العالم القديم وهوان كل ابا عائلة كان بناط بعهود سياسة عائله . ولم يكن
القلب الذي كان ينشأ بين البشر ذريعة لتغيير الآثار القديمة في الدين وسلوك ابراهيم
واولاده .

وبناء على اعاد الرب لاسحاق ويعقوب المواعيد التي وعد بها ابراهيم وزيادة على
ان شاء اولاً ان يدعى باله ابراهيم فقد رغب في ان يلتب ايضاً بالواسحق ويعقوب
فعلق هؤلاء الثلاثة يقطنون بلاد كنعان تحت رعاية الرب ولكم كانوا في تلك
الارض غرباء محالوج لا يملكون من اجزائها شيئاً . ولما تصور يعقوب جوعاً هاجراً الى
ارض مصر فها هنالك نسله واصبحوا كما قال الرب جيشاً كبيراً . ومع ذلك ولو ان
الشعب الذي ادخله الرب في معاده اقتضى ان يمتون نسله وتقتني البركة النسل فلم
يتقاعد هذا الاله العظيم عن ان يقهر البعض منهم مختصاً اياهم بنعمة . وبيان ذلك هو انه
بعد ان اصطفى ابراهيم من بين الامم تخير من اولاده اسحاق ومن تراسي اسحق يعقوب الذي
دعاه فيما بعد اسرائيل .

ولقد فضل يعقوب على عيسو بالبركة الرمية التي نالها من اسحق ومن المترار
هذه البركة التي حازها يعقوب في يادي الامر اختلاصاً قد كانت بمثابة صمدية لان هذا
العمل الرمزي كان قد تأهب بسر الهى منذ كان الاخوان مستقرين في احشاء رفقاً

لأنها كانت، وتقدر نفعه بترافع عظيم في بطنها فضرعت لله طالبة من لدنه ايضاح ذلك
فاجابها ان في احسانك شعبين اكبرهما يودي للاصفر روضاً. وقد تمت هذه النبوة بان
ترك عيسو لشقيقه حقوق الكوربة وصدق له على ذلك بيمين ولما باركه اخفى انماط
بمדותه هذه الحقوق التي من الرب نفسه عليهما. اما تفضل الاسرائيليين اولاد يعقوب
على الاثوميين اولاد عيسو فقد ثبت بهذا العمل الذي يدل ايضاً على تفضل الوثنيين
المذعوبين حديثاً للعباد يسوع المسيح على الشعب القديم

ولقد كان يعقوب اثنا عشر ابناً اصحوا اثني عشر ابناً اصل الاثني عشر سبطاً ولقد
كانوا برمتهم مومنين للدخول في العهد. واما يهوذا فقد اصطفى من بين اخوته قصد
ان يكون اباً للملك الشعب المصطفى وآياً للمسيح الذي وعد به آباءه ومن الامور المقررة
ان عشرة اسباط قد غالوا في الثروات والمجد فصلوا عن شعب الله. وان ذرية ابراهيم لم
تستمر راعية البركة القديمة اي الديانة وارض كنعان والرجا الوطيد في مآتي المسيح الا
ان سبط يهوذا وحده تلب باسمه جميع الاسرائيليين فدعى يهوداً واصبحت البلاد التي
يقطنونها يقال لها يهودية وبناء على ذلك فقد كان الانتخاب الالهي يهوداناً عبثاً في
ذلك الشعب المجداني الذي كان مزماً ان يستمر بواسطة التنازل الاعيادي. فلما
كان يعقوب على وشك الموت واولاد يكتفونهم طالين البركة منه رأى بالروح سر ذلك
الانتخاب فابان له الرب حالة الاثني عشر سبطاً كيف تكون بعد ان يقطنون ارض
الميعاد فارضها بكلام موجز يتضمن اسراراً لا تحصى.

فلما اخذ بناجي اخوة يهوذا في مصاحبة تشك العقول وتغير الالباب وتبين انه
خارج عن ذاته ولما انتقل بالمحدث الى يهوذا ترفع الى مثابة اعلى فقال - يهوذا اياك
يمجد اخوتك. بذك على قذل اعدائك بمجد لك بنو ايك يهوذا شيل اسدي من
فريسة صعدت يابني جثم ورضي كاسدي وكبيرة فمن ذا يقبه. لا يزل صولجان
(اي السلطة) من يهوذا ومشرع من صلبه حتى ياتي ثبلو ونطيعه الشعوب. وقد
روي في نسخة من الكتاب ليست اقدم من النسخة التي اخذنا عنها انه قال كلاماً زيادة
عما ذكرناه وهو حتى ياتي من حفظ كل شيء لا يجلو. وسائر النبوة منوطه بالحال التي
ينظمها سبط يهوذا في الاراضي المقدسة واما الكلام الاخير الذي اوردناه فلا يدل في
كل الوجه الا على الذي ياتي من لدن المولي خادماً لازادته ومفسرها ونجزاً لمواعيده

ومنها للشعب الجديد وهو يسوع المسيح أي موصوح من الله .

وأما يعقوب فلم يتكلم عنه بصراحة ووضح الالهوذا لان المسيح موهل لان بلد منه ولم يكن ايمانه الى يهوذا وحده بل الى كل الامم التي انحازت اسباطها الى سطاو بعد ان لعبت بهم ايدي الفريسي . وكل الانماط النبوية في غاية الصراحة والوضوح وليس فيها الالفة صولجان فانما على اصطلاح لغتنا علامة للملك قطع وعلى اصطلاح اللغة المقدسة تدل على السلطة والمظان والتضام . وقد توجد هذه الاستعارة في كل سفر من الكتاب المقدس وقد بدت في ابيانة وجملاء في نبوة يعقوب وكانت مأرب هذا الاله الصدوق ان يقول ان في ايام المسيح كل سلطة تزول في بيت يهوذا وذلك دليل على ان نصير مملكة برمتها قاعاً صفصفاً .

وبيننا لذلك ان ما في المسيح يشار اليه مجادئين عظيمين وهما ان مملكة يهوذا والشعب اليهودي بدت ان اندثاراً كبيراً وان مملكة كبرى تألف من كل الشعوب ترشح انقضاء المسيح وهو يكون ملكاً عليهم ومنه اوطارهم وآمالهم . اما شعب يهوذا فلم يعبره اي في الكتاب المقدس الا في صفة الافراد آخرونو شعب الله واذا عثرت ياسيدي على تلك الالفة في بعض الخيال مجموعة اي الشعوب فالذين معتادون على قراء هذا الكتاب المقدس ينهونها غير الشعب اليهودي وهؤلاء الشعوب نراهم موعودين بالمسيح حسب نبوة يعقوب . وهذه النبوة العظيمة تتضمن باوخر الناطق كل تاريخ شعب يهوذا او تاريخ المسيح الذي وعد به وتدلى على كل تسلسل شعب الله ولم تزل عاقبة ذلك في حيز الوجود . وما آخ عليه فليس من المتعني ان اهمك اديك في ايضاحها لانك تحصل عليها دون نصب وكذا وليس عليك الا ان تلاحظ تاريخ شعب الله وتفهم معنى هذه النبوة اذ تنفع لديك جلياً بما تنبئك عنه الحوادث

الفصل الثالث

في موسى والشرعة المكتوبة ودخول شعب الله الى ارض الميعاد

بعد ان مات يعقوب مكث شعب الله في مصر الى حين ارسالية موسى اي نحو اثنى مائتي سنة وعلى هذا مضى غوارع مائة وثلاثين سنة قبل ان من الله على شعبه بالارض

التي وعدمها . وقد وُدَّ أن يعود مختاربه على الثقة بكلامه ويحققوا أن لا بد من تمة ذلك في الوقت المعين من حكمة السرمدية

وكانت آثام الامورين الذين اراد ان يهبهم اراضيهم وبنائهم غير كاملة . وذلك كما اوعز عنها لابرهم اذ كان متظراً ان يتم منهم دون شفقة ورحمة بايدي شعبه المختار وقد آل الامر ان يفسح لهذا الشعب الزمان لكي يتكاثروا وينعموا الارض الحياة لم ويجلوا فيها عنوة وقرضوا فيها فاطنيتها الذين لعنهم الرب

وقد اراد ان يجشموا في مصر اقبال الاسترقاق وما ذلك الا لكي يجيوا منقذهم عند نوال الحرية بنجائهم بهجرات غريبة وتجمع قلوبهم على محبة الله وبشوق رجته الى الابد فهذه هي ما رتب العلي وقد اندرنا بها لمحضنا على ان نخافه ونعبده ونوده ونستظهر بالامانة والصبر .

ولما جاء الوقت مع جوار اولاده واستصراخهم فاعز الى موسى ان اذهب الى مصر واصل اولادي من وثاق العبودية .

فبدا الله امام هذا الرجل العظيم بطريقه لم يبد بها لغيره من قبله فظهر له بدوع بدل من جهة على العظمة والجلال ومن اخرى على السلوان والامال . ولوعز اليه انه هو الذي هو وان كل ماسواه ليس سوى نبي وقال له انا هو الكائن (اي ان الوجود والكمال يختصان به تعالى وحده) وتخذ اما جديداً بدل على المحبة والوجود كانه لها مصدر . وهذا الاسم العظيم المرمب السري لا يمكن ان يشترك به واراد ان تكون عبادته دينه . واپس من ما ربي ان ازيدك علماً برؤيا مصر وفسحة قلب فرعون وعبور البحر الاحمر والغمام والوق الماهف والزعفة الهائلة التي تراءت لشعب الله على ذروة جبل سيناء حيث كتب الله على لوحين من حجار فريده وصايا الدين والالفة الاجتماعية الاساسية ونص ما تبقى على موسى بصوت جهوري . ورغبة في ان تكون هذه السنة مرعية تاماً امر الرب موسى ان يولف جمعية ذات حرمة تنصوي على سبعين مشيراً وتدعي مجلس تدوة لشعب الله او مجلس شورى الامة المسخر فبدا الله جهراً وامر ان تنشره بحضوره وذلك باظهار عزته وقدرته بتوحيه عجيب . ولم يكن الرب قد ابرز الى ذاك المحزن شيئاً خطأ ليكون للبشر دستوراً بل ان اخلاق ابراهيم كان مفروضاً عليهم ان يختصوا بمختلفين بذلك اشعاراً بالامعاد الذي ياتن عنده الرب مع هذه الام المصطفاة . وكانت هذه العلامة

تبعهم على ان ينفروا عن سائر الامم الذين يؤدون للالهة الكذبة رضوخاً وعبادةً .
 وفضلاً عن ذلك فانهم كانوا لا ينامون عن ان يحرسوا على حرمة المعابد لانهم كانوا
 يذكرون ما وعده الرب آبائهم وكانوا يعتقدون انهم مندوبون ان يستقروا شعباً يعبد
 اله ابراهيم واسحق ويعقوب كان الله اصبح منسياً فانقضوا ان يعرف باضافته الى اسماء الذين
 كانوا يعبدونه اذ كان عنهم لائتاً ومحامياً

ولم يكن من مشيتهم ان يبيط بحجوا طريبي الانسان اسرار الدين والمعابد فند خان
 الزمان الذي فيه لم يوقف امتداد الاصنام التي امتدت بين الجنس البشري
 وكانت تكاد تلاشي ما تبقى من النور الطبيعي

ولا ريب ان الصلاة في ايام ابراهيم كانت خافضة البنود وبعد ان استأثرت بوحمة
 ربها الناس يعرفون الله في فلسطين ومصر فان ملكصادق ملك سلّم اشهر يمارس
 الكهانة لله الذي فطر السماء والارض (١) وابالملك جبرار وظفنته المسمى باسمه
 كانا يجتسميان الله ويجلفان باسمه القدوس ويعتحيان من معظم قوته . وكان فرعون ملك
 مصر ناخذ الرعدة من وعيد الله الرهيب . اما في عصر موسى فقد نهانت تلك الالهة على
 على الفساد واصبح الله العلي في مصر منسياً غير معروفه انه اله الشعوب طرأ ابل اله
 العبرانيين وكان الناس هناك يعبدون كل شيء حتى نوع الحيوان وخشاش الارض .
 وكل ما ترى نواظرهم على الارض كانوا يدعون الهاً فتدا والجماله هذه العالم الذي فطره الله من
 العدم اجبت هكلاً للارثان فضالى النوع الانساني في فيافي البطل والاعتساف حتى اصبح
 يهودي العبادة لما تبعه عليه النفس الامارة من التبايح والمخدرات ولا غرو من ذلك
 فان الانسان كان يخال ان كل قوة لا محص منها ولا مناص لأبد من ان تكون الهاً
 فلذلك رأى ان قوة شهوة التي تبعه على الطيش عمداً وفسراً تزييه كل المزايا فتعدها
 الهاً له لانها تجذبه الى الفحشاء وهو عار من شكينة شئيه عن مهاوي ذاك الضلال . فاقام
 هياكل شتى واسمى للتبايح التي نافى منها النفوس الالهة دخل في مقدمة القرايين

ومع هذا كوفد دخلت النسوة في الدين فانه بعد ان اجرم اضطرب باله فظن
 ان الله العلي من الد اعداوه ففكر انه لا يمكن له ان يسترضيه بذبايح اعبيادة فاجترأ ببيع

الفكر ان يسفك دم ابناء نوعه ويقرنه بدم البهايم ذبيحة . ولما استولت عليه المخاوف قاضيت بصبرته توصل الاباء الى ان يقدموا ولدانهم محرقات للاله بدلاً من المجهور فشاع ذلك في عهد موسى وكان جرماً من اجرام الامور بين الذين وكل الله امر اعنائهم الى الاسرائيليين . بيد ان هذه المنكرات لم يكن الاموريون يرتكبونها وحدهم بل ان بني الانسان طراً كانوا يقدمون للاله بعضهم ذبائح ولم يحل صنع من فصح الارض الا بدت فيه تلك الالهة التي اوجب بنفسها للنوع الانساني ان يقدم لها القرابين البشرية . وتوغل الانسان في الخشونة والجهالة حتى انه توصل الى ان يعبد كل ما تصنع يده وفكراته يصنع في النابيل روحاً الهية . ووصفه القباوه الى ان ينسب ان الله هو الذي صنع متوهاً انه قادر ان يصنع الله . ولو لم يكن الاخبار ابدى لنا ان الضلال مرسوخ في جهة الانسان وغير قابل للتعليم لشد عليه تكبر . وبناء عليه فلا شيء يصعدنا عن الحكم بان النوع الانساني يستاهل المحزي فان اول المحفاتي التي يدل عليها الكون والتي ليس لقوة تأثيرها مضاهاة امست قاصية عن ناظرته كثيراً . وان التقليد الذي لبث مستظلم كان على وشك الاضمحلال واستكتت في مشايخ خرافات حجة منعمة من الكفر والبه . ولما رأى الله ان قد حان الان اذ اذهان البشر لم تكن تفي الحنفية ارنأى ان يجعلها مرجحة كتابة وامل ان يهذب شعبه بالفضائل بواسطة نوايس كثيرة خاصة عكفت على ان يصحها خطاً . ودعا موسى لهذا العمل فجمع هذا الرجل البر تاريخ الاجمال الماضية اي تاريخ آدم ونوح وابراهيم واسحق ويعقوب ويوسف او بالاحرى انه جمع تاريخ الرب وصنم العجبة . ولم يوجه الامر ليبحث بعيناً عن تقاليد اجداده السابقين لانه ولد بعد موت يعقوب بنحو من مائة سنة وان مشايخ عصره لم يكن ان يكونوا سنوات حجة مع ذلك الاب الصدوق . وقد كان ذكر يوسف حياً وان العجائب التي كان الرب قد صنعها عن يد وزير ملوك مصر العظيم كانت لا تزال اذ ذاك وان حوة ثلاثة او اربعة انفار كانت متصلة بنوح الذي شاهد اولاد آدم فكان اذ ذاك يشهد بداهة الاشياء . وبناء عليه كانت تقاليد النوع الانساني القديمة وتقاليد عائلة ابراهيم سهلة الاختلاف لان ذكراها كانت وقتئذ لا تزال حية ولا غرو ان رأينا احياءاً موسى يتكلم في سفر التكوين عن كل ما حدث آنفاً في الاجمال الغابرة مثلاً يتكلم عن اشياء مستعرة كانت مفررة اذ تفي منها آثار همة لدى الامم المجاورة وفي ارض كنعان

ولما كان ابراهيم واسحق ويعقوب قد قطنوا تلك الارض اقام كل منهم فيها اثارا
 ندل على كل ما حدث لهم وقد اشتمت الى عصر موسى المنازل التي فيها والآبار التي
 احسنوها في تلك المناور لتستفي منها عيالهم ومواسمهم . وقد عرفت الاطواد الرواح التي
 تراهي لم الله عليها فقدموا ثمة محرقات وبالحجارة التي اقاموها او كرسوها لتكون اثارا
 تذكرها الاجيال التالية والاحداث التي كانت تحوي رقايم القدسية . وكانت ذكرى
 اولئك الافراد باقية في تلك البلدان والاصناف الشرقية حيث ام كثيرة لم تسر انها من
 اخلافهم . ولما دخل الشعب العبراني في ارض الميعاد قست بينهم ذكرى اجدادهم
 وكانت المدائن والاطواد الرواح والصفود الصماء توعز اليهم عن اولئك الاشخاص
 المشهورين وتذكركم بالروبا العجيبة التي اثبت الله بها امانتهم القدسية المحقة ولا غرو ان
 كل من عدت علم بالاثار القدسية ولو جرحيا بنهم حالا ان البشر الطاعنين كانت لم
 الرغبة في ان يقيموا اثارا كذلك يستيقونها الى ما ساني وهم عليها يحافظون . وقد كان
 خلفاؤهم يصرون على كل ما كان ذريعة لذلك البناء وتلك مزايا كان من شأنها ان
 تجعل التاريخ نابقا . وبعد ان مضت على ذلك اعوام مبعكوا في حقل الحجارة ونحتها
 وصنعوا بها تماثيل بعد ان كان من قبلهم يقيمون اعمدة ضخمة بحجارة خشنة . ولما ادلة
 فاطمة على حفظ تواريخ الازمنة الخالية خطأ في التيملة التي حفظت فيها معرفة الله لان
 البشر لم يهملوا ذلك ابداً ومن المقرراتهم كانوا يعلمون اولادهم اناشيد في الاحتفالات
 والاجتماعات كانت توبد الاعمال المشهورة التي حدثت في الازمنة السالفة ومن ثم تولد
 الفريض وتفرقها بعد على اساليب مختلفة . واما اسلوب الاول فلم يزل الى الان
 محفوظا في القصائد والنشائد المستعملة عند الاقدمين لمذبح الالهية والابطال وفي ايامنا
 هذه عند الامم التي لا تعرف اصول الكتابة

ولا يكران تلك الاناشيد بلوعة المعاني جدا ذات اناس سامية طبيعة النسي
 جدير بان تمثل الطبيعة مجاسها . وقصلاً عن ذلك فانها متضمنة اوزاناً شتى تتوسع بها
 معانيها وتطرب بها السامع وتشد العنقول وتحرر الالباب وتنهات على حفظها الذائفة .
 واكثر من استعمال تلك الاناشيد وعملك فيها شعب الله فموسى اشار الى جم منها وكان
 يذكر من انواعها الصراع الاول وكان الشعب يعرف الباقي ونظم هو نفسه على
 ذلك النمط انشودتين احدهما تضمن عبر الاسرائيليين البحر الاخضر وغرق البعض من

اعداء الرب في لجة البحر واضطراب البعض من كثرة الروح والحشة والاخرى تضمن
تبيكة للاسرائيليين على تكرامهم جميل الله والايماز الى خبرائهم ومعظم معجزاته. واقتضى اثر
ابناء الاجمال الخالية لان الله وما برأ من العجائب كانا موضوعا لكل نشيد وقد كان الله
يوشي بها الى اوليائه الاظهار وقصارى الامر ان كل شعر يشك العقول وبدله القلوب قد
كان يتفنى يو شعب الله

وتفنى يعقوب بتلك الاناشيد النبوية متضمنة كل ما ازرع ان يحدث لبنوه وقد كان
كل سبط يحفظ بسهولة ما يناط به ويتعلم ان يسبح الرب العظيم بنبوءاته والصادق
في نبوءاته.

وكل ذلك وسائل استخدمها الرب ليمنظ الى وقت موسى ذكر الشعوب الآتية.
وان موسى الذي عرف كل ذلك رفعه الروح القدس فوق كل شيء والهمة ان يكتب
صنائع الرب بالتدقيق والضغط وبساطة تبعث على الامانة والعجب من اعمال الله نفسه.
وقد اضاف للاشياء القديمة التي كانت تحوي نشأة ابتداء شعب الله على ما كتبه من
التفانيد القديمة المعجزات التي صنعها الله في شأن خلاص شعبه ولم يكن موسى يفهم على
مصدق كلامه دليلاً سوى ما رآه ابصاره لانه لم يكن ياتهم بنيا بعيد عن مداركهم ولم
ياتهم بما يحدث في الكهوف العميقة ولم يكلمهم بها ما بل كان كلامه مبنياً على الصراحة والوضوح
خيفة ان يبعثهم على الربة فيرثشوه بحجر الظن ويكذبوه. فشد نواويس الاسرائيليين وحكم على
العجائب التي شاهدوها عياناً وهذه العجائب قائمة بتغيير الطبيعة فوراً على انماط متغايرة
قصد نجاعتهم وعقاب اعدائهم فانشطرت البحر قسمين وانفتحت الارض وانزل الله لهم من
الملاء مناً واجرى لهم من فواد الصخرة الماء ماء فراحاً بان ضربها موسى بعصاه واقام
لهم في الاوج علامة تقودهم منه نسيارهم وصنع لهم معجزات اخرى استمرت اربعين عاماً. ولم
يكن في ذلك الحين الاسرائيليون يوقنون غيرهم في جودة الفعل ولم يكونوا اذكي من
الشعوب الذين تغلبت عليهم مشاعرهم وما امكن لهم ان يفروا بوجود اله غير منظور بل
كانوا يضاهون سوام في الخشونة والعجوبة ان لم نقل اكثر من غيرهم جلالة اما هذا الاله
غير المنظور فكان لايزال يبدو لهم محوساً بمعجزات مستمرة وكان موسى يجهد دائماً في ان
يجعل في عقولهم من ذلك تأثيراً ومن كثرة ذلك اخذ بافكارهم كل ما خذ واصبح له عند
عظيم وقع فاشعر باله بسيط يصنع كل شيء بكلمته وادرك اخيراً ان هذا الاله ليس

سوى عقله وروح ربه . ولما اخضعت عبادة الاصنام التي زادت جداً منذ عهد ابراهيم نضحي وجه البسيطة اصبح نمل هذا الاله البار بربكاً وحده من ذاك الدنس وشهد له بذلك اعداؤه . واما الشعوب الذين لم ينسوا تماماً الحقيقة والتقاليد فكانوا يعجبون قائلين - انه لم يبصر انما في يعقوب ولم ير اصرأ في اسرائيل انه لا عياقة في يعقوب ولا عرافة في اسرائيل الرب اله معه وهناك الملك فيو

ولما رأى موسى انه لا مندوحة له من ان يرمخ في عقولهم وحنة الله وتخصيص العبادة به جل شأنه كان يكرر على مسامعهم قائلاً ان هذا الاله الهى يصطفى له في ارض الهماد محلاً مفرداً حيث تتم فيه الاحتفالات وتقدم له فبوا المحرقات والترايين والعبادات العامة ويخافون الشعب يوم على وجهه في الثباتي والتفارق صنع موسى تابوت العهد وجعله قابلاً للانتقال من محله الى آخر وقد كان لديه بتوا اسرائيل يقدمون الترايين لله الذي فطر السموات والارض وقد تعطف عليهم بان يحجب عنهم الثباتي ويتودم في التفار والمناور

وعلى هذا المبدأ والاحاس كانت السنة موطنة ولا بدع فانها لسة عادلة ذات نفع منفعة من الحكمة والبساطة والبلغة ولقد كانت وثاقاً بين ربط الالفه بين البشر ويحصل الانسان يزدلف الى ربه . وزاد موسى على تلك السنن قوانين تجري بموجبها الاحتفالات الدينية المتقدمة واعمالاً مشهورة توخر الى المجهزات التي كانت ذريعة لتجاة شعب اسرائيل وايضاً لم مراراً حجة انهم مزعمون ان ينجوا في اشغالهم ان لبثوا مستعسكين بعروة السنة والآن فيمل عليهم من العناب اشدة ولات حين مناص . هذا ما قاله الشارع واقتضى ان يكون هذا الامر مقرراً لديه من قبل الرب ليحمله ركناً مستو . وانفع من الحوادث جلياً ان موسى لم يتكلم عن نفسه واما القوانين التي القاها الى بني اسرائيل وان كانت تبدو في ابامنا غير مفيدة فقد كانت قبلاً ضرورة جداً لانها كانت تؤثر شعب الله على سائر الشعوب وكانت كحاجز يمنع شعب الله عن عبادة الاوثان ولت لا يطوحووا بنفوسهم كباقي الشعوب

وقد تغير سبطاً واحداً من الاثني عشر سبطاً واناط بهدو الترايين والاعشار وكل ما يختص بالاشياء المتقدمة وما ذلك الا ليحفظ الدين وكل تقاليد شعب الله . وايضاً لازي واخلاقه بالله تكريماً له كعشر الشعب وتغير من سبط لازي هرون ليكون

كاهناً عظيماً وتوارث الكهانة من بعده أخلاقه وبناء عليه أصبحت المنايا مريعة كل
الرعاية وأصبح السعة ذائدون ومن ثم أخذت الكهنة تتعاقب استمراراً منذ عهد هرون
الكاهن الأول. ومن الأمور التي تزيد تلك السعة جلالاً أنها كانت تهد طريقاً لشرعية
أفضل منها غير محملة من الاختلالات مثلاً لكها محضبة بالنفيسة أكثر منها. وأما موسى
فلنكي يعزز الشعب ويحلمهم بناسون على انتظار تلك السعة التي لم تأتي النبي العظيم
الذي يأتي من نسل إبراهيم وإسحاق ويعقوب وقال لم ينم لكم الرب الهكم نبياً من بينكم
من اخوتكم مثلي لا تسمعون. فهذا النبي الذي يضاهي موسى المشرع مثله لا يمكن أن
يكون سوى المسيح الذي تعلّمه بصلح العالم اصلاً عظيماً

ويعزز المسيح وحدة شعباً جديداً ويقول له أيضاً فرضت عليكم سنة جديدة وقال
أيضاً من ينبغي يحفظ وصفي وقد تكلم في موضع آخر بأكثر صراحة حيث قال. قد
قيل للندماء لا تقتلوا وأنا أقول لكم ائبح. وسائر القول على هذا النمط فهذا هو
النبي الذي يضاهي موسى ويشيد شرعية جديدة وعن مائة نبياً منذراً وفائلاً له
تسمعون. ونسباً لذلك أن الله لما بعث بابوا إلى الأرض نادى من الغلاء هذا هو ابني
الحبيب الذي يسررت له اسمعوا. واليه تنسوفد رمز موسى بأرمي فخامي إقامه لدى
الاسرائيليين في النفر. لأن لدغة الأرم الذي نمت في الجنس البشري سماً مدقماً
يبرأ منها من يبرؤ إلى المسيح. أي يبرأ بنبوة وكما أبان عن ذلك هو ذاته ولنا في ذلك
فحمة نظر وهو لما ذال لخص هنا بالذكر الألف الفخامي مع أن في سنة موسى وكل
الذبايح والخبر الأعظم الذي نصبه باختلالات سرية وأدخله إياه إلى قدس الأقداس
وكل طقوس الدين اليهودي المقدسة التي فيها كل شيء يطهر بالدم وينتصب عليها حجر الحمل
في عيد النصح تذكاراً لخلاص الشعب أدلة كبرى على أن المسيح مزعم أن يفتد شعبه
بإهراق دموه الإلهي. وقد كان ممنوعاً على اليهود إلى أن أتى المسيح أن يفرقوا في كل مجامع
الشعب أسفار موسى وبناء على ذلك ترى اليهود في كل ظرف وأن لا يستبدون إلا على
موسى وكما أن مدينة رومية كانت تختم شرائع روميلوس وشرائع نيا والإتي عشر لواحاً
وإنما تنوكتاً على شرائع ولون ولا يجدعون نمبر قوانين ليكورك كذلك كان الشعب العبراني
يستند دائماً على شرائع موسى. وفي اليقين أن هذا المشرع قد نظم الشريعة نظاماً محكماً ولم
تس الحاجة فيما بعد إلى أن يطراً عليها أدنى تغيير وبناء عليه لم يكن مجموع الشرائع

المصرية مولفًا من قوانين مختلفة في اوقات وظروف مناسبة بل ان موسى الموحى اليه من الروح القدس قد فكر في بادي الامر في كل شيء ولم نر في هذه الشريعة اوامر من داود او من سليمان او من يوشافاط وحزقيا . وقد كانوا طرأ بها قانون على العدل بل ان الملوك الاخيار كان محتوما عليهم ان يمسكوا بشريعة موسى ويكفوا بان يحملوا خلفاءهم على حفظها وقد كانت من الامور الشكر ان يراى عليها او ينقص منها شيء وكانت الشريعة ما لاندحة عنه في كل آن فانها كانت من الضروريات التي يفتقر اليها نظام الاعياد والمهرقات والاحتفالات بل الاشغال الدائمة والخاصة والاحكام والمعاهدات والزيجات والوراثات والجنازة ونوع اللباس وقصارى الكلام كل ما يباط بالاخلاق والمعاهدات . ولم يكن سوى كتاب الشريعة يعلم منه المظالمون فن الآداب ففتحهم اذ ذاك على كل ان يتفحصه وينتد فيه اثناء الليل اطراف النهار فينتس منه آيات لتلخصها دائما امامه وكانت هذه الشرائع يعلم بها الصبية الاحداث القراءة . وقاعدة التربية في التعم على الآباء طرأ ان يعلموا بينهم الشريعة المقدسة ويحيدوا في ان يترجموها في عتولهم وينسروهم على ان يسعوا بوجها حتى اذا راهقوا وبلغوا من الاعمار اشد ما اصبحوا حكماء . وبناء على ذلك كانت معرفتها من الامور اللازمة وفداً عن ان مدلولها كانت مستمرة فكانت تقرأ كل انتهاء عبدة اعوام من في عام الفجران والراحة قراءة عامة في عيد المظال امام الشعب الذي كان يجتمع مدة ثمانية ايام . والى موسى على نابوت الهد النسخة الاصلية وخشية من ان تمسها ايدي المنسدين اولى العناية بحفظها فكانوا ينقلون نسخاً متفرقة عن النسخ التي تتداولها ايدي الاحداث وكان الكتبة واللاويون ينشرون فيها ويحلقونها اذا وقع فيها خلل ومن ثم بدعوتها عدم محوطة لتكون نسخاً اصلية يعول عليها ويكون مآب الامر اليها .

ولما تنبأ ان هذا الشعب ياتيهم ان يكون لهم فيه ملوك كسائر الامم حم موسى على من يبتون سرور الملك بموجب نص في تنبيه الاشتراع على ان ياتيلوا من ايدي الكتبة نسخة من النسخة الصحيحة بكل اعتناء لينقلوها بايديهم ويقرأوها طول ايام حياتهم وهذه النسخ قد كانت جديرة بالاعتبار لدى الشعب وكانوا يعتبرونها كأنها صادرة رأساً من يد موسى في الصحة والكمال مثلاً املاها الله عليه ووجد نسخة صحيحة منها في هيكل الرب في عهد يوشيا ومن المحتمل ان تكون النسخة الاصلية نفسها التي وضعها موسى في تابوته

العهد فكانت تلك ذريعة لان يذرع بالامانة والطهر ويحمل شعبة على ان يتوبوا الى الله عما فعلت ايديهم من السيئات . ولقد كانت النتائج التي نجت من قراءة تلك الشريعة لاعد ولا تحصى وبإيجاز القول ان ذلك الكتاب مدرّس بالكمال . لانه يحوي تاريخ شعب الله ويمثلته الى اصول دينه ونظامه وعاداته وحكمه وكل ما ترتب عليه حياته وما يؤول الى اجماع البشر واتحادهم ويتطوي على الامثال السنية والحسنة وعلى جزاء من فعل الخير وعقاب من صنع الشر .

وبواسطة هذا النظام العجيب وصل ذلك الشعب الذي غلب من وثاق الاسترقاق الى البلاد التي اعدت له بكل ترتيب بعد ان حبس في بطن الفئران اربعين عاماً . فقادته موسى الى مدخل البلاد ولما شعر ان منيته حانت دعا يذرع وسلكه القيادة وقبل ان اغتاله المنية نظم تعيداً طويلاً عجيباً هائلاً مطلقاً : انصني ايها الارض والسموات فانكلم وتصح الارض لا تقول في . ويجرد اسكاو الطبيعة كان بناجي شعب بقوة لا يريد عليها . ولما رعى حساب انامو وجرائر اجلى له عن كل المنكرات ثم ارناى ان الكلام البشري لا يناسب ذلك الموضوع فغير منج كلامه والنظما قاله الرب واخذ اذ ذاك يتكلم كلاماً سامياً فلم يدرك الشعب هل كان الله يبي اليه بالخوف والاضطراب او بالمودة والامان فامر الرب وموسى بالشعب ان يتعلموا ذاك الشهد على ظهر قلوبهم فتعلموه ثم استعزت بذلك الرجل الصدوق رحمة ربو مسروراً ولم يضرب لشعبه عن امر يعود عليهم بالنفع العميم ليدذكروا مبرات الله واحسانه ووصاياه . وغادر ولدانه بين شعبه دون ان يختصهم بمنفعة خاصة فاعتجب من ذلك شعب وكل الامم ولم يحز مشرع ما حازه موسى من الشهرة والمنبة بين البشر وقد اشتهر كل الانبياء الذين ظفروا في قدم العهد والذين كتبوا بالوحي ان يكونوا بدمه متعديين .

وقد كان يوضح من مناجاتوه انه اروحي عريق باحسن الصفات التي لم ينلها احد من المومنين سواء وقد كان تاليفه عربياً من التعقيدات بل كان ذا بساطة يقارنها علو النفس والنصاحة المخارقة وفي اليقين ان من قرأ تاليف مومرخ لاعمال الله يعلم ان المؤلف يتكلم عن الله عز شأنه واما من قرأ تاليف موسى لا يظن ان ما يقرأه صادر من غير فم الله .

ومن تصفح سيرا يوب بعنه ما اودع فيه من سمو الفكر ودقة المعنى على المجزم بانه

من انشاء موسى . وخشية من ان العبرانيين تاخذهم نشوة الكبرياء . لدن ظنهم ان رحمة الله لم تحل الا عليهم اخذ موسى بناجهم بان الله له مختارون حتى في نسل عمسولم يكن من امكانه ان يمت بينهم تعلقا افيد لهم من صبر ايوب وحزنه الذي اتا ط الله امر بعنة الشيطان الحول ليضيق عليه ويعذب بكل انواع المبرحات الموبة . فاصبح عريان من رزقه واولاده وكل سلوى على بساط الارض ثم اصابه الله بفرج جسمه وامتنع باطننا بالتعديف والفتور ومع ذلك فلم يخف عن طريق الايمان تبيين من ثم ان النفس الطاهرة ذات الامانة تقوم بعة الله بانصرها وقت التجربة وتضاهرها تمسرا عن الافتكار الخيئة التي يبادها بها العدو والخناس فانها تستمر في حيز الامانة وتصدق الى ذرى الحامل عالة بان ما يترام عليها من التواضع والتوازل دليل على ضعة الانسان ووهو وعلى حكمة الله غير المتناهية . فذلك ما نكتبه من مزار ايوب . ولرعاية هيئة عصرية كانت امانة هذا الرجل الصدوق ذرية لان تترام عليه الخبرات الزمنية . واما شعب الله فقد هب من سنة الفلة وفيه ماهية فضيلة العذاب وشرع يذوق لذة النعمة المزمعة ان تعلق ذات يوم بالصلب . بيد ان موسى قد ذاق تلك اللذة لما اثر تجسم المشاق وما تكبد هو وشعبه من الثابتات السود على ملذة البلاط الملوكي في مصر وغضارة نبيو . ومن ثم علق الله بذبقة ما يها يسوع المسيح من العار والابسا لما اركن الى الفرار في متناه مدة اربعين عاما . وكرع كاس مصائب المسيح لما اصطفاه الله ليشق شعبه وانجي . ان يحبل ثم دم المستمر لما كان معرضا للخطا وعلم ما يصرف في شأن امر نجاه اولاد الرب وايدي عن بعد ما سترتب عليه امر الخلاص الاعظم وقت مجي محلي العالم . فلم تتر مقلنا موسى بروية ارض الميعاد عن قرب بل انه راعا عن بعد من اعلى ذروة الجبل . ولم يثق عليه ان يكتب انه غير معتنق الدخول الى ارض الميعاد لعدم امانته فاستحق عتابا عظيما وان كانت خطيئته صغيرة . فاصبح عقابا دليلا على ان الله ذو غيرة عاتلة صارمة على الذين يخفون عن منهج طريقه ولا يبا على الذين تقسم الصمة على ان يسلكوا باكثر كمال من غيرهم في الامانة . وبين لنا ايضا من صف موسى عن الدخول الى الارض المنتدسة سر اعظم من هذا وهو انه مع كل معجزاته التي صنعها لم يكن له ان يفود اولاد الله الا الى مقربة من ارضهم . فذلك دليل على ان لم يكن بالناموس كال لشي بل لا يمكن له ان يفودنا الى نعيم المواعيد بل جعلنا فيها عن

بعدة أو ببارقة أخرى أنه يقودنا الى قرب باب ميرانا لان يسوع الذي يكون باسمه
ورقة مقام نائباً عن مخلص العالم احق منه في كل شيء وهذا الرجل الذي كان
احبط من موسى في كل امر كان يتعالى عليه بشرف اسمه وهو الذي انبط بهدوء ادخال
الشعب الى الارض المقدسة . وبظهوره للمين جررت مياه الاردن الى الورا وسقطت
اسوار اريحا من ثلثة اضعاف وانبعثت الشمس في كبد السماء وامكث الله اولاده في ارض
كتمان طارداً منها شعوباً كثيرة مطبوعة على الرذائل والفاسد ولم شعبه ان يكاشعهم
بالغضا وجعل عدوانهم لم امراً طبعياً حرصاً عليهم من ان يتسبوا عادتهم السجدة
ولقد اوسعهم اعتنائاً واحمل عليهم شعبه تخافوه خوفاً عظيماً وبعد ان اخرجوا
من تلك الاصناع غطت منهم فرقة الى افريقية حيث كشف فيما بعد على آثارهم
وظهور يسوع في تاريخ قديم . وبعد ان وطن يسوع الاسرائيليين بظفره المين في أكثر
الاراضي المقدسة اخذ يساطرهم اجزاءها هو والعمارة الكاهن وروساء الاسباط وفقاً
لنسخة موسى فنال سبط يهوذا من ذلك النصف الأكبر لانه فاق منذ عهد موسى غيره
بالعدد والبأس ورقة المقام . ثم استأثرت رحمة الله بيسوع وواصل الشعب الاسرائيلي
فروح ارض الميعاد وقد شامت العزة الالهية ان يكون سبط يهوذا في مقدمة الاسباط
اجمع فالملت ان في عزها ان تسلم الارض اليه

ولاريب ان هذا السبط قد قمع الكنعانيين وظفر بهم واستولى على اورشليم التي
أهبت لان تكون المدينة المقدسة وحاضرة الملك وقد كانت تدعى من قبل سلم وكانت
ملكيسادق ملكها في عهد ابرام . وان ملكيسادق يعني منه ملك العدل ويدعى ايضاً
ملك السلم لان سلم معناه السلم وقد قرّر بذلك ابرام واعتبره كالكاهن العظيم كان
اورشليم أهبت لان تكون المدينة المقدسة وحاضرة الدين فانبطت في بادى الامر
بمئة اولاد بنين . ولما كانوا على جانب من الضعف وقلة العدد لم يكن لهم ان يطردها
منها البابوزين قاطعها الاقدمين ولذلك آل بهم الامران بخالطوم . وقد كانت امسال
شعب الرب في عهد القضاء متباينة في الخبر والشر . وبعد ان مات الشيوخ الذين
شاهدوا معجزات الرب اصبح ذكر تلك المصائب يكاد يكون نسبياً وسمح شعب الله
الى عبادة الاوثان . وقد كاف الله يعاقب من يرتكب ذلك المنكر غفلاً صارماً وينوم
بناصر كل من يرعوي عن غرضه .

وبناء على ذلك دبّ الايمان بعناية الله ويصدق مواعيد موسى ووعده في قلوب
 الصالحين يوماً بعد يوم لكما الرب كان يريهم لم اءوزجاً عظيماً . وطلب الشعب ان
 يكون لهم ملك فاقام الرب لهم شاول الذي رذله بسبب آثامه ثم ازمع على ان يقيم له
 سلالة ملوكية يخرج منها المسيح فقصر ان يكون ذلك من سبط يهوذا فاصطفى منه راعياً
 يقال له داود وهو اصغر اولاد يسى ولم يكن ابوه واخوته بعالمين باهليته وبما ستره له
 واما الرب فعلم طيب سريرته وحسن طويته فكثر له ملكاً بيد ضمير في بيت لم
 منبت شعبه

الفصل الرابع

في الكلام عن داود وسليمان والملوك والانبياء

في ذاك الحين غدا شعب الله له هيبة جديدة وثبت الملك في سراة داود فنشأ في
 ياديه الامر ملكان من تلك الاسرة ليسا على اتفاق بالسليقة لهما كانا مجلبة لكل
 دهشة وجور فان داود كان يود استخدام الحرب والتتوحات فظهر بهاءه على اعداء
 شعب الله والتي رهبة اسلحته في كل الشرق وسليمان كان على جانب من الرصانة والحكمة
 وذهب صيته بذلك داخل مملكه وخارجها فانال شعبه غشارة الثرف والسعادة
 لكثرة عافته على الامن والسلام . يذ ان تسلسل الامور الدينية تسلسلت انظارنا الى
 هذين الملكين وتحضنا على ان نسرّح طائر النظر في حياتهما فنقول ان داود نبياً في اول
 الامر تحت اليهودية وكان قادراً ظاهراً ثم رشح لشوكه كل الاسرائيليين فترع من
 البابوزيين قلعة صهيون التي كانت لاورثليم حصناً ميعاً ولما استولى عليها بجوله وطوله
 جعلها حسب امر الله مركزاً للاحكام والدين وشاد بيته على قمة طودها واقام حوله
 منازل حمة دعاها مدينة داود واقام بياب ابن اخوته باقي المدينة واصبحت اورثليم ذات
 هيبة جديدة وبطن اولاد يهوذا سائر البلاد وخالفهم اولاد بنيامين القليلوا العدد

اما تايوت العهد الذي اقامه موسى وكان الرب مستوياً فيه على الكاروبيم وكان
 فيه لوحا الوصية في غاية الرعاية والحفظ فلم يكن له محل يباط به . فنقله داود باحتفال
 الى جبل صهيون الذي قمه باعانة الرب العظيم القدرة وما ذلك الا ليحكم ثمة عز وجل

ويكون لا نقداً عن داود وأورشليم والملك . وأما المظلة التي كان الشعب يومئذ فيها لله
العبادة في البرية فقد كانت لا تزال في غابوروت حيث كانت تقدم الذبايح لله على
المذبح الذي شاده موسى وكانت ذلك باقياً الى ان يشاد هيكل ليركز فيه المذبح
والقايوت ويتم ثمة عبادة الرب . ولما ظهر داود على اعناقهم وقمعهم واستدت فوجاهته الى
عبر القرات ظاهراً دار في خلقه ان يصرف جلّ عنايته في ان يعزز العبادة الالهية فعين
عمل اقامة الهيكل باسم الله على ذروة الجبل حيث ابراهيم عول على نحر ابيه الوحيد
فصدفه عن ذلك ملاك الرب

فاقام اذ ذاك للهيكل رسماً واحرز فيه كل ما جلّ وغلا من المواد واعده له كل
ما سلب من الملوك والشعوب المدحورين ولما كان فاتحاً سقاً كاللذماء صدّه الله عن
بنائه فاناط امر تشيده سليمان حليف السكينة والسلام فبناه اذ ذاك على رسم
المظلة وصنع مذبح الحرقات ومذبح العطور ومبارة الذهب ومائدة الخبز المقرب لله وادوات
الهيكل باسمها مثل التي صنعها موسى في القنار . ولم يصف عليها موسى الا العظمة والفناء .
وأما القايوت الذي قام باعبائو رجل الله الكليم فوضعه سليمان حيث قدس الاقداس
وذلك في محل لا يحيل الى الوصول اليه وما ذلك الا دليل على عظمة الرب التي
لا يقرب اليها احد وعلى السماء التي كانت محجورة عن بني الانسان الى ان يوطئ منها المسيح
فيخرج ابوابها المغلقة بسفك دمه الطاهر . وبدا الله مجلالاً وجبروت يوم تكريس الهيكل
وتحير تلك المنابة مقراً لاسموسندي لعبادته ولوجب عليهم ان لا يذبحوا خارج
اورشليم . ودل على وحدانية الله وحدته هيكله واصبحت اورشليم المدينة المقدسة وصورة الجماعة
لان الرب كان في عزمو اذ ذاك ان يستوي في هيكله الحق واصبحت صورة السماء ايضاً
لانتنا ننال السعادة بابرار مجد الله

وبعد ان شاد سليمان لله هيكله اقام صرحاً ملوكياً فكان بناء عظيمًا يليق بذاك
الملك العظيم وبني بيتاً للترفة دعاه غاية لبنان . وأما القصر الملوكي فكان زينة اخرى
لاورشليم وكل تلك المباني قد كانت ذات عُرْفٍ شاهته ودهاليز فائقة ومماشٍ فضيمة
واروقة عظيمة واقام عرشاً سلطانياً وسدة رفيعة يشوي عليها عند ابراز القضاء ولم
يتقدم لكل ما شاد سوى خشب الصندل . وقد كان كل ذلك مرشوقاً بالنصار
والحجارة الكريمة

وقد طالما اندمست القاصي والداني من عظمة ملوك اسرائيل . وان ما تبقى من الابنية التي بناها ذلك الملك العظيم لم تكن اقل عظمة من تلك . وكل ذلك كمدائن كبرى وحواريات الاسلحة وكان عنده من اكرم الخيول المطهرة واحسن الجمالات وابسل الظهراء . واصبحت اورشليم من اغنى مدائن المشرق لسعة تجارها وما ساد اهلها على غيرهم في سلك الجار وما قرر رقيها من المكنية وما قربت من النظام وكانت المملكة بأسرها في غضارة وخصب . وكان كل ذلك كمال للجد الساعي وقد تأتى من الحروب التي اذكي نيرانها داود الحصول على النعمة التي تستلزم مشقة عظيمة وابان حكم سليمان كم ملك الراحة من ملذة . فضلاً عن ذلك فان مومنين المسلمين وارتفاع شاف عائلتهما تأتى باخبار خاص فراق ذلك لدى داود فابرز في سيلو نشيداً قائلاً : ان الله قد خص الملوك في بيت يهوذا وفي بيت يهوذا اخص بيت ابي . ومن بين اولاد ابي حسن لديه ان يمتدني ملكاً على كل شعب الاسرائيل ومن بين اولادي (لان الله من علي باولاد كثيرين) غفر سليمان لجلس على عرش سبده ويحكم على اسرائيل

ولقد كانت هذا الانصاب له غاية اسمى من التي تبدوا لان المسيح الذي وعد به الرب ابراهيم ليكون ابناً له كان موعداً لان يكون ابناً لداود وسائر ملوك اسرائيل . واما وعد الله لداود بقوله انت ملكاً ان يزول الى الابد فكانت تليها على المسيح وملكه الاول وان سليمان الذي اصطفى لان يكون خلفاً عنه كان رمزاً الى ما تى ابن الله ولذلك قال الرب اني ماكون له اباً ويكون لي اباً . وبناء عليه برزت اسرار المسيح في عهد داود والملوك اولاده بنبؤات عظيمة وفاقت الشمس بهاء وسطوعاً

فراء داود عن بعد ونشده في مزاميره بيلاعة فاشته وفصاحة خارقة . وقد طالما ضالج فكرو ان يثبند مجد سليمان ابيه . ثم اغتطف بالروح ورأى من هواقص من سليمان الذي يوقه بالجد والحكمة فتراسى له المسيح انه مشور على العرش بلوق الشمس والقمرب ثباتاً وبصر بالامم المتبرعة مصروعة تحت اخذه وبماوكة في الوقت نفسه وفقاً لما وعد به ابراهيم

ثم راه يسوع مثالياً في بها القداسة من الجوف قبل الفجر له ندى ولادته من ابيه وهو كاهن الى الابد ليس له من خليفة ولا يخلف احداً بل وم كاهناً بنوع غريب لا على رتبة هرون بل على رتبة ملكيصادق (رتبة جديدة غير معروفة لدى شريعة موسى) وراه

جالساً عن يمين الاب ناظرًا من اعلى السماء الى اعدائهم المدحورين فاصبح مندعياً من
ذلك المشهد العظيم وتنجباً من مجد ابيه فدعاه سيده . وراى الله الذي سمعه الله لسلطه
على كل البرصه بالبر والاستقامة وشاهده بالروح فسمعه يقول هذه الفترة التي القاها
على ابيه وهو انت ابنى وانا اليوم ولدتك واضاف الى ذلك وعد مملكة ايدية تمتد على
كل الامم ومملكة تمتد الى اقاصي الارض ولما اذا ارتجعت الامم بالباطل . وباطلاً اشهر الملوك
والعطاء على الرب فالساكن في السموات يضحك والسيد يستهزئ بهم . ويقيد قسراً
عن انوفهم ملك مسجون فالتى الله عليهم عبـ حكم ابيه قال لهم الامر ان يصحبوا
اول من يطأ طيه للمسيح صاعراً بعد ان راموا ان يبتعدوا عن عوانتهم نعمة . وان يكن
قد تنبأ عن المسيح مراراً حجة في الكتاب بمصورات عظيمة فان الرب لم يخف عن
داود . ما سيجي فرة احشائه المباركة من العار لان هذا التعليم كان للشعب الله ضرورياً
وان يكن ذلك الشعب لا يزال ضعيفاً متفرقاً لمواعيد جديدة فلم يكن من المتعذر ان
يفادر الصعود الانساني معتبراً كمعادته الاعيرة ومتكافؤ المفردة ولذلك كان الرب
بوعز عن صدر المسيح المنتظر الذي هو اقنوج الكمال وموضوع لرغبته كانه مخلوق في
عباب الانجاس والوجاع وبدا الصليب لداود ككرش حقيقي له فانه راى يديه ورجليه
منقوبة بالمسامير وعظامه كانت تمزقها به مفرقة للانقسام وعلى لباسه طرا الاقتراع . وسحق
خلاً ومرارة واعانته يحمدمون حوله غيظاً ولم يفترون سروراً باهراق دمونه راى ذلك
الذي في الوقت نفسه نتاج ذله الماثورة وذلك لن كل شعوب الارض تذكروا المهم
الذي كانوا قد نسوه منذ اجيال عديدة . وان اول من اتى مواعيد المسيح الفقراء ثم اغنيهم
الاغنياء والاشراف وجاؤوا بهم يمدونه وباركوه وكان هو متصدراً في الكعبة العظيمة
والكثيرة العدد اي في جمية الامم المرتدين الى الايمان وانظر فيها جميع اقنونه باسم الرب
وحقائمه العظيمة واما داود الذي ظنرت مقفاه كل ذلك ففصر بان ملك ابيه ليس في
ذا العالم ولم يكن بذلك متجبالاً يعلم ان هذا العالم طيب الزوال . ولقد كان يعلم
ذلك الملك الذي استقر بكل تواضع على العرش انه ليس من الجبروت التي ينتهي اليها
كل امل الانسان .

واما سائر الانبياء فلم يقيم داود بروية اسرار المسيح ولم يكن شيء من العظمة والاشفاق
الا وعزبه الانبياء عن ملكوتهم من كان يرى بيت لحم احقر مدن يهوذا مشرفة

بان ولد فيها وأنه صعد الى اسي من ذلك ورأى مخارجه منذ القدم منذ ايام الازل من حجر
ايه ومنهم من كانت يرى بتولية امي قائلاً هذا عمانوئيل (اي هذا الاله الذي معنا)
يخرج من حجر بتول هذا الولد العجيب الذي يدعوه الله . ومنهم من كان يراه داخلاً الى
المبكل ومنهم من كان يراه مجدداً في قبره حيث ظهر على الموت وفي اثناء انذارهم بمجيئ
لم يضربوا صفحا عما لحق من العار لانهم رأوه مباعاً وعلوا من قبل قدر الدرهم التي بيع
بها بانها ثلاثون من الفضة وعرفوا استعمالها وفي عرض ما كانوا يرونه عظيماً ورفيع
المقام كانوا يرونه محمراً وغير معروف بين بني الانسان وأنه اصبح انجوبة للبشر بذله
وعظفته وكانوا يدعونه احقر البشر ورجل الآلام الحامل كل الخطايا المبدية الرحمة
غير المعروف المشوه بسبب قروحه وهذا كانت يشفني جروحنا وأنه عومل معاملة
ذي الجرائر واده الأشرار الى العذاب وسلم نفسه كالنجعة البرينة بكل سكينته وارواح الموت .
وذرية كبرى مائة لاف تلك منه بين الذرية وانزل الله على شعبه انتقاماً لعدم
ايمانهم . ولكي نتم النبوة انقض بهم الامر الى ان حسبوا المسين الى مجيئ وذلك امر بين
لا يتركه الا من كان خامد البصيرة والدمر

وليس الانبياء قد نظروا المسيح فقط بل انهم كانوا رمزاً اليه والى اسراره ولا سيما رمز
الصليب لان أكثرهم قد تجسسا مشاق الاضطهاد للعدل وشاولنا بعد ان انهم البروا الحقنة
الذين اضطهدوا في المسيح . فلقد كان اليا واليشاع هدفاً للاضطهاد المستمر ولكم كان
اشعبا هزماً ومحرقة للشعب والملوك الذين قتلوه حسب تقليد اليهود المتواصل ورجوا
زكريا بن يويافاع بالجحارة وكان حرقاً غارقاً في لجة الحزن وارميا في مشاق متواترة
بكل اللسان عن نبياتها . وقد طرح دانيال مرتين في جب الاسود وكل اولئك كانوا
هدفاً لكل اضطهاد موبق ويظهروا لنا جميعهم بانهم زعم ان الشعب القديم وان يكن
مستتراً بالهموم ان بعض بالبركة الجسدية بسبب صنعوه فان اقرباء اسرائيل اولي التقى
والبركانو يفتانون غير الشجون ويجمعون سائغاً الكاس المملوءة لآلئ الله رجاء الحياة . ويقدر
ما كان اقنوم المسيح مقدساً كانت تلك الكاس مرة . ولقد رأى الانبياء بوضوح بين
البركة التي اهبها الرب على الوثنيين بواسطة المسيح فاندروا بها من قبل بكلام ترفع الى
اعلى البلاغة فان اصل يسى وداود قد بدا لاشعبا الذي كانه راية معطاة من الله للشعوب
واياه ترحي الامم . واما رجل الاوجاع الذي اصعبت فروجانه علة شغافنا فنقد اضطفي

ليخسل الوثنيين بنقطة في دمه والمعودة ولا يخترى الملك ان يبدأ امامه حديثاً ورأته
مئة من لم تسمع بولذناه وخي اليه من لم يكونوا يعرفونه فهو الشاهد الذي ناله الشعوب
والثقات والعلم الذي بُعث به الى الوثنيين. وقد انحاز في عهد شعب مجهول الى شعب
الرب وهرع اليه الوثنيون من جميع الانحاء ولا ريب انه صديق صهيون الذي كان نوره
يتلألأ في الآفاق وهو المنفذ صهيون الذي يضي كالنير وسوف يراه الامم وجميع
الملوك سوف يعرفون ذلك الرجل الشهير في نبوءات صهيون

فما قد صرح به بزيادة ابضاح واكثر بيان واخص صفات. وهو انه قد دعي
بالرجل العريق في الكهنة المصطفى بنوع خاص من لدن الله الذي سر به وقد بعث
به ليقضي للامم ونصافي ستة الجزر التي تدعوها الامم العبرانية اوربوا والامصار الثاوية
لا تهنف ولا تسمع له صوت خارجاً لانه لطيف وقيس الاخلاق لا يسمع الآباءة المرصوفة
ولا يزدل دخان الكتان ولا يضيغ على بني القديرة المجرمين بل صوته الرخيم يدعوم
اليهوديك الكريمة تاخذ بايديهم سوف يفتح عيون العميان فيصرون وقلص من ذوايا العمى
مجهولاً ولا يكون له من السلطة اقل من الرافة ومن اعرق صفات ان يقرن الرحمة بالقوة
ولذلك يدوح صوته الرقيق انصى العالم ويجعل الارض واجنة مائة دون ان ياخذ
ساكنها غرّة ولا يكون مأثوقاً منه اوزاحاً وهذا الذي كان في اليهودية يكون معروفاً
لا ينصران يكون ركناً للاعقاد بين الله وبني الانسان بل يكون نوراً لجميع الامم ايضاً
ولا يكون في زمان ملكوا العيب الانورون والمصريون والاسرائيليون الا شعباً واحداً
لرب ونصح كل الامم شعباً اسرائيلياً مقدساً ولا تكون اورشليم مدينة خاصة بل نموذج
الفة جديدة حيث يلتم فيها كل الامم من اوربوا وافريقيا واسيا. وبدوخ تلك الامصار
الربل الذين تخفهم الرب بعلامات ليكتفوا عن مجد لجميع الامم ويصبح المصطفون
الذين كانوا يدعون باسم اسرائيل يدعون منذ ذاك الآن باسم آخر حيث تم المواعد
بالعقاب ابدي السعادة وان الكهنة واللاويين الذي كانوا الى ذاك الآن من نسل
هارون يخرجون من ثم من بين الامم. وتعمل عمل الذبايح القديمة ذبيحة اخرى اكثر
منها قبولاً وطهارة وحسن يعرف لماذا كان داود يشهد كاهناً من مرتبة جديدة وسوف
ينزل الصديق من السماء كالطل وتنبث الارض المخلص الذي يثبت معه العدل لان
السماء والارض تفتدان معاً مشتركين بولادته. ذاك الذي يكون ساروا ارضياً وتبدو

طرق اخرى للفضيلة في العالم بامثاله وتعليمه وترخ العبة التي يحبط من لدته عز وجل في القلوب ويضرب كل شيء لدى مجيئه وقد آلى الله على نفسه ان تودي له السجود كل ركعة ويسمى به كل لسان ويعترف بنوره

فهاك قصا من الجانب التي ابداهما الرب للانبياء في عهد اولاد داود ولد داود نفسه قبل غيره فكتبوا جميع تاريخ ابن الله قبل ما ناه به مزيج ان يصبر ابن ابراهيم وداود . وبناء على ذلك تسلسل الامور طرأ بالمقاصد الالهية بكل دقة ونظام لان ذلك المسيح الذي قد بدا عن بعد كانه ابن لابراهيم قد بدا عن قرب كانه ابن داود وان الملك معذلة وان معرفة الله التي ذاعت في كل العالم اصبحت كانه دليل قاطع على ما ناه وقد تقرر ارتداد الامم الى الايمان الحق والبركة المزمعة ان تحل على كل شعوب الارض التي وعد بها منذ زمان مديد ابراهيم واسحق ويعقوب . وقد كان كل شعب الرب على وشك ذاك الانظام ومع ذلك فلم يبق الرب يقوده لنظر غريب فتعاهد مع داود معاودة جديدة ووعد بان يذود عنه وعن كل الملوك خلفائه ان استمروا يسعون حسب التوازين التي ضخم اياها بواسطة موسى والآن فيرحمهم بالعقاب الاليم . وعلى ذلك ان داود تغافل عن تلك الوصايا فكان اول من تجسم مشاق العقاب ولما ناب عن خطيئته مكافرا عنها رضي الله عنه واثله بالنعم والمخبرات فاصبح نفوذجا يصنف به لكثرة صلاحه ولذلك توارث الملك في بيته وطالما افضى سليمان اثره بالبر والحق فكان سعيدا . بيد انه ضل عن طريق هدائه شجنا ومع ذلك فقد عنا الله عنه لحبه لداود عبده لكنه نوعا بقصاصه سوف يوقعه على ابنه وعليه قد ايان للآباء حسب حكمته العرية انه يفتي لأولادهم ثوابا او عقابا يتكفل بها المستقبل وما ذلك الا ليعلمهم مستمرين على الرضوخ لأوامره بسان مهامهم المالية وتنفيذ هذه الاوامر اسلم رجوعا فانه لشهرين ذوي غرة فتناقصت حكمته باغباء عشرة الاسباط عنه وفي غضون انفصال تلك الاسباط المشتفي عن الله وملكمهم كان اولاد يهوذا ذوي الامانة بالله ويصفيه داود مستمكين بعروة العهد وبامانة ابراهيم وواخام على ذلك اللاويون وسبط بنيامين فلبثت مملكة شعب الله موطنة بذلك الاتحاد باسم مملكة يهوذا واستمرت سنة موسى مرعية بكل ما لها من القوة .

وكانت الله لا يزال يذكركر عهده مع ابراهيم واسحق ويعقوب قسرا عن العبادة الوثنية والفساد العظيم الذي كان بين عشرة الاسباط المنفصلين ولذلك لم يتلاش ذكر

ستم بين اولئك المتمردين فاستمر يدعوم الى ان تبوبل بمجرات كثيرة وبانذارات متواصلة كان يبعث بها اليهم بلسان ابنائه الابرار . ولما تصلحت قلوبهم وقادوا في الآثام والجراثيم انق من الرفق بهم ولذلك طردهم من ارض الميعاد قاطعاً عنهم الرجاء بالآباب اليها .

واما تاريخ طوبيا الذي كان في ذلك الحين نفسه وفي ابد آسر الاسرائيليين فبين لما منه سلوك ابناء الله الذين بقوا بين الاسباط المنفصلين لان ذلك الرجل الصدوق قد انحس عن تادية الرضوخ للوثان طالما كان بين الاسباط قبل السبي وقصارى الامراته كان يرى السنة حق الرعاية لانه كان يحيا بعبادة الله في ميكلو في اورشليم دون ان يجمع به الاعتداء الذريع او يردعه عن ذلك دعر او خوف . ولما كان اسيراً في نينوى ومستهدفاً لهبام الاضطهاد لم يبرح ثابتاً في الثرى والبر هو وعائلته . وبضع من الهجارة التي نالها هو وابنه في تلك الارض ان الله كان له وسائل خفية فصرأ عن الاسر والاضطهاد بان يظهر له ابديه البركة المنة لمن يرى السنة لكنه كان برفع افكارهم الى العلا . بواسطة المشاق التي كانت تمنهم وكان بنو اسرائيل يعرفون بواسطة انذار طوبيا وارشاده ان يد الرب التي كانت تعاقبهم بضرب المصاومع ذلك فقد استمر معظمهم على الفتور والعناد واما بنو يهوذا فلم ينجح بهم مثال اسرائيل ولم يرفعوا عن غرورهم فلبثوا بهم ممثلين قواصل الله انذارهم بواسطة انبيائه الذين كانت يبعث بهم بالتواتر ليسهروا في الليل ويستيقظوا في الصباح كما يقول هو نفسه وما ذلك الا دليل على اعمامو الابوي . ولما غالوا في المجد انف منهم وعرك عليهم غصه وتوعدم بان يعاملهم كما عامل اخوتهم المتمردين .

الفصل الخامس

في حياة الانبياء ووظيفتهم واحكام الرب المعانة بالنبوات
ليس في تاريخ شعب الله ما هو اتم من وظائف الانبياء فان اناساً كثيرين كانوا متباعدين عن البشر يعيشهم ومتردين باللبسة خاصة وكانوا في منازلهم يعيشون مبهمة جمهورية تحت ادارة رئيس يقيمهم الرب عليهم . ولقد كانت عيشتهم في الناقة والتشف

رمزاً الى العيشة التي يتذرع بها في عهد الانجيل . وكان الرب يفرس لم يتوع خاص
ويظهر امام الشعب ذلك الوحي العجيب ولم يكن يغالي به الا حينما كان الفساد يتكاثر وقد
بدأ وتشتد ان عبادة الاوثان كانت مزمنة على ان تلتشى سنة الله وكان الانبياء يذيعون
في تلك الاوقات النصيحة اندارات الله شفاعة وكتابة رجاء ان يقوموا بناصر الحق المبين
وقد كانت الادي تداول نالهم ويستبقها الشعوب كنف كار مستمر للاجيال الآتية
وكان يغاز اليهم كل من كان يستمر واثق بالله .

وقد رى في اسرائيل حيث استمرت عبادة الاوثان ان كل من كان ينجح الى
الايمان كان يحفل بهار السبت وايام الاعياد الموصى بها في سنة موسى . وقد طالما كان
يخص الانبياء الصديقين على الثبات في بهاد الرب وتحمل جرم غدير منهم عقاب
الموت الزورم وتسفن كثير من الناس باعمالهم المبرورة في ايام الملك منسى ايام اليوس
والنفث . ومريت دماؤهم في سبل الله وعين من ذلك ان الحنفية لم تلبث قليلاً دون
شهادة .

ونجم من ذلك ان الالفه كانت سائبة بين شعب الله لان رباط الاتحاد بين
الانبياء كان متيناً وكانت فبالق من المؤمنين يبتعون معهم علائقة في الاتحاد بشريعة
الرب والكهنة الابوار الذين نبوا في ما غادره لم سلفاً وم منذ مرون . وفي عهد
الملوك الكفرة احاز ومنسى لم يشك اسعياً وانبياء آخرين من الفناء الخيانة التي
كانت تليق بهما وفيها كل رعاية السنة كما يقول يولس الرسول . ولم تنسخ رعاية
السبت والاعياد وان يكن احاز قد قتل باب الهيكل ووقف الذبايح حيناً من الدهر
ظلمة وعدواناً فلم يكن ذلك مانعاً من ان يمسح الله اوليائه ويجهرون باسمه فان الخلق
جل شأنه لم يشأ ان تنسخ الصلوة من بين شعبي . ولما عزم هامان على ان يهزم مراث
الرب ويغير من اعين ويزيل تسايحه لم ينجح على احد ما صنع الله به قصد ان يصدع عما
يشاء وعلت قوة الله وسمت لما ازعم اشوخوس على ان يغوص ركن الهيكل والدين وانذر
الانبياء احاز ومنسى كثيراً ليقوما بناصر الحق والدين وبدعا العبادة سالمة وقد كتبت
كلمات الانبياء الذين كانوا يناجونهم باسم الرب الله اسرائيل في تاريخ ملوك اسرائيل
كما ينوه عنه الكتاب المقدس واما منسى فقد ظلم قلبه وتاب بسبب انذارم واصبح
ارشاد الانبياء ذريعة لان يحفظ للشريعة من المؤمنين عند اكبر . وان حرب الصالحين

كان لم يزل قوياً حتى ان الاحكام كانت تصدران الملوك الكفرة الذي تبادهم عائلة الموت ليس من الحق ان يرسلوا في تربة داود سلفو الصالحين وان يكن قد كتب ان عاز قد دفن في مدينة داود فيوخذ من الكتاب المقدس انه لم يرسل في تربة ملوك اسرائيل . ولم يخرج منى عن نطاق ذلك الحكم ولو اصح من بعد جحش ثانياً ولم يكن ذلك الا ليقى له اثر مستمر يمت على الرعدة والارهاب من سلوكه ولكي لا يدور في خلد احد ان الذين كانوا يمتدحون بالعبادة علانية مع الانبياء لم يكن عنهم خلفاء شرعون للكهنه قال حزقيال صريحاً : اما الكهنة واللاويون بنوا صادوق الذين رعوها سنن مقدسي اذ ضل بنو اسرائيل عني فهم يزبدلون اليّ ليجدوني . وينفوا قدامي ليقربوا لي اللحم والدم قال الرب .

ومع ذلك فان عبادة الاوثان التي كانت وسيلة لان تطمس اسرائيل كانت مراراً حجة تجذب اليها في مملكة يهوذا الملوك واكثر الشعب قسراً عن الانبياء المومنين والكهنة الصديقين والشعب المتحد معهم في حفظ الشريعة . وان يكن الملوك غادروا الله ابائهم نسباً منسباً فهملم الله اكراماً لعبه داود لانه كان دائماً يرنو اليه . ولما كان الملوك بنو داود يمتدحون باعمال ابائهم كان الله ينجح لم بالهجاب العظيمة قصد نجاتهم الا انهم كانوا يشعرون بقوة يده التي كانت تثقل عليهم لما كانوا يغمسون في الفساد والفجوة . وكان ملوك مصر وسوريا واسبانيا ملوك انور وبابل كفتضب حسو . ولما فشا الكفر اقام الرب في الشرق ملكاً جباراً مرهباً يقال له نبوخذ نصر وولاه على بابل فكان اشرف الفاتحين . وكان يهدف الله به الملوك عن بعد كانه نفعة عليهم في عزيمت يوسعهم ارهاقاً وتعباً فعلى يسي والدعربسي امامه فانقض في يادي الامر على اورشليم فنقضها وتقل من سكانها جزءا الى بابل . ومع ذلك فلم يرعو من استقر بهم المقام في بلادهم ولا من حميهم وقد طالما جد ارميا النبي وحزقيال في سيل ارجاعهم عن عزيمت فلم يرجعوا بل اتروا عليها الانبياء الكذبة الذين غالوا به ان يداومهم ويصانعوم بالحدبة فاشى من ثم ذوا الشقام الى بلاد يهوذا وعنى اهل اورشليم بالمبرجات الموبقة وصوب عليها سهام غضبه فانثب منها جانباً كبيراً ولما قاطعت المبرائر وقادى قاطنوها في الخلاء والصف وجه عباية الى اطلالها فجعلها قاعاً خصباً

ولم يغف الله عن ادمار هيكل قدسو . ولا رب في ارض بني اسرائيل لو استمرروا

ثابتين في عبادة الله لكان ذلك الهيكل الذي هو زينة العالم ابدًا لا يمحى كروا الايام .
 فبجح الله عنه فاذا في الاثوريون فيه النار فاحرقوه . واما قول اليهود ان هيكل الله هيكل
 الله هيكل الله هو عندنا فقد ذهب ادراج الرياح زاعمين ان ذلك الهيكل في وسعوا ان
 يتقدم وحده فناء ذوالد القوة ان يدمر على ان نجا المزملة ليست موقوفة على بناء
 الحجارة بل على قلوب انطوت على الطهر والامانة

ولذلك عرض هيكل اورشليم لان يصح بيابا وكثرة السلب واصبحت كل
 ادواته النجاسة التي وقفا اليه الملوك الصديون فريسة لطامع ذلك الملك المجرد . الا ان
 سقوط شعب الله ازمع ان يكون مثالا لكل الارض وانذارا لانا نرى في هذا الملك العتي
 الظافر صفات كل الناعين الذين كانوا عصيا لغضب الله فكان جل جلالته يتقدم آله
 لتنفيذ احكامه العادلة ثم يغد احكامه فيهم لان نبوقلصر الذي قد استلام بقوة الهية واصبح
 ظاهرا ظهورا فائقا عاقب جميع اعداء شعب الله ويبان ذلك انه زحف على الادوميين
 والعوميين والموابيين وسلب ملوك سوريا املاكهم وانحمت مصر التي التفت على عواتق
 اليهود نير الاسترقاق هدفا لسهام هذا الملك الجبار فانه انقلم بالجزيرة بيد ان باء لم يكن
 اقل مضرة على يهودا فان الشعوب لم ينتهزوا الحين الذي اوسعهم به الرب رجاء الايام
 اليوفوق فيها كل ما كان قائما وقوس نبوقلصر قضيب غضب الرب ركن كل شيء
 وقد اصبح هونته على جرف سوف ينهار . واما الرب الذي قد اتخذ ذلك الملك آله
 يعاقب بها شعبه واعدا ترك قصاصه لمعة يد القوة

الفصل السادس

في قضاء الرب على نبوقلصر والملوك خلفائه وكل دولة الاثوريين

ان الرب لم يخف على شعبه ما كان مزمعا ان يحل في ذلك الملك الذي كان
 بعنهم ويضيق عليهم وفي دولة الكلدانيين التي تخدمهم اسرى وخيفة ان يصحبوا جاعلين
 الى جند الكافرين وسوددهم اخذ الانبياء يذرونهم بان ملك الاشور قريبا الزوال
 فان اشعياء الذي شاهد ما اتصل اليه نبوقلصر من العز والمنعة والمجديوت تنبا بانه
 سيعط مدحورا وتصح ملكه طامسة دارة وذلك قبل ان يبرز الى عالم الوجود وقد

كانت بابل حقيرة جداً لما نبأ هذا النبي عما ستصل اليه من لباس والشوكة . وبعد ذلك بقليل من الحين رأى ما لم يرها من الدثار وعلى ذلك كانت الثقبان التي تنشا في المدائن والممالك التي طالما ارتقت شعب الله اولتختم من خصائصه تكتب في تلك النصوص التي كانت لا يضي عليها قليل من المحبة الا انتم وان اليهود الذين عوقبوا بكل صرامة شاهدوا سقوط السامرة وادوم وغزة واسكالون ودمشق والمدائن النعمانية والموتانية العدنانية اللذائعين وحاضرات الممالك العظام كصور ملكة المجر وتانس ومغيس . وتاب التي كان لها مائة بوابة سقطت مع غنا سينوستريس ونهوا نفسها مركز ملوك انور الضامدين وبابل ذات الحولاء والكبر الظاهرة على غيرها المثرة بما اغتمت . وكل ذلك ثم قبل اليهود اوفي اثنائهم اوبعدهم بقليل كما كتب في سفر الانبياء .

وبلا ريب ان اورشليم سقطت في ذاك الحين نفسه لكثرة ما تحملت من الجرائر والمكرات يذ ان الله لم يدعها فاحصة جبل الرجاء فان اشعباً الذي نبأ عن سقوطها رأى نهوضها المجيد وانه عينة اوعز قبل ميلاد ثورس بما بقي عام الى ان ينفذها وان ارميا النبي الذي لا يشك في سمو نبوا وعبد الشعب بالاياب السنة السبعين بعد السبي وما ذلك الا ليبيدي لم ما سيعتورهم من الهلاك غنايا على تكرامهم للجميل وفي اثناء السبي كان الشعب مرعى الحرمة بسبب انبيائه الذين كانوا يندرون الام والملوك بما سيطر عليهم من الموبقات .

ونذوقولصر الذي كانت تودى له العبادة خرب دانيال خائفاً لان الدهش اخذه اذ شعر بالاسرار الالهية التي كانت دانيال بشرها لديه . واعلم بما سيقضى عليه فكان انفاذه عقيب ذلك دليلاً على مصداق ما قال . فان ذلك الملك الظافر كان يجنل في بابل التي جعلها اعظم المدن واسمها قوة واجم مدينة اشرفت عليها الشمس فوقف له الرب هنالك في المرصاد لينكس اعلام عظمته فكان في حكمه سعباً لانتم يحبسو فرحة طالما كان مترسماً على جوده وفي كل ابهام فتوحاته وكان مشرفاً على المنوط في بيته تطبيقاً لبوءه حرفيال وليكنرة ما كان متادياً في الكبر والصلف تعالى فوق العالم الانساني . فغاجاة الله اذ ذاك بالضربات الويلة وذهب يعقو وطرح في بين الهائم الا انه لما جاء الحين الناح الذي اوعز اليه في دانيال رجع الى عقله وتاب الى رب السما الذي جعله يشعر بقوته يذ ان خلفاءه لم يستنوا باعماله فغيرت حيزته

الشومرون في بابل وازف الوقت الذي حدهه الانبياء بيهوش جودا فبدأ قورش مترعاً
 على الماديين والفرس ووضح كل شيء له فازدلف رويداً رويداً واحف الكلدانيين
 لانه توقف في تسار كثيرًا وفسأ نبأ مائاه كاتبا اشعياء ومن ثم زحف على بابل . فله
 المدينة التي طالما نوعدها الانبياء مراراً حتى توضعها في عباب الكبرياء والعظمة غير نائمة
 عراها الظافر الجري . وفي لاندعز منه ولا ترتعب . فانما كانت تشاخ بهامتها لحدرة
 ما كان لها من الغنى والثروة وبذوخ اسوارها وعظم جيوشها وسعة نطاق حكمها الذي كان
 يكتنف بلانها بأسرها كما روى القدماء وذرهما العظيمة . وبعد ان أحوصرت زمناً مديداً
 لم ترهب ادنى غائلة بل كانت همزاً باعدانها غير مبالية بما كان يحضر قورش حولها من
 الخنادق والاختاديد ولم يكن يتم اهلوها داخل ابوابها الا في المادب والمعدات وقام
 ملكها بشخص حنيد بنو قولصر الذي كان يضاهيه بالكبرياء لاهابالمالة ودعا ظهراء
 المتربين وصنع لهم احتفالاً عظيماً . وحدث في ذلك الاحتفال فساد ما علبه من مزيد .
 لانه اتى بالانبياء القدسية المتترعة من هبكل اورشليم ودينسها مازجاً الارجاس بالبربع فحنق
 الله جئتله من وهبطت من العلاء بدسماوية وكتبت على ظاهر المتزل المدد للوليمة كلاماً
 يبعث على الارهاب والذعر فاقفه دانيال الذي كان قد تنبأ عن سقوط جن الكتيب
 عن معناه : قائلان صاعقة ستلوي ونمياً لايامر الرب فقم قورش له في بابل بانها . واما نهر
 الفرات الذي كان قد حوله قورش عن مجراه بواسطة خنادق احضرها له منذ ايام
 مدينة فقد اكتشف له مجراه المسع وعبر الملك في ذلك الجري غير المنتظر وعطيه اصحبت
 بابل ذات الكبر فريسة للماديين والفرس وقورش كما قال الانبياء . ولدت ذلك
 اندثرت معها مملكة الكلدانيين التي ادمرت من المالك مقداراً كبيراً وهكذا
 تحطمت مطرفة جميع الارض كما يقول ارمياء النبي وحن الرب عصاً ضرب به كل الامم
 حسب قول اشعياء . ورأى الشعوب الذين كانوا يعانون اقبال ملوك الكلدانيين انهم
 يعانوز مثلما كانوا يعانوز . وقالوا لبابل اصحبت فرحى مثلنا فضاهايتنا ولقد طالما كنت
 نقول : في قلبك اصدد الى السماء فأتكون نظير العلي وذلك ما قد اندريو اشعياء النبي
 قائلان سقطت سقطت بابل الكبرى وتحطمت المنها ونسخت اصنامها وانكسر باعال
 والها نابو العظيم الذي كان ملوكها العظام يشقون منه القاهم فان القرس اعدتهم كانوا
 يسبدون الشمس ولم يكونوا يفتلون من الاصنام او الملوك الذين اقاموهم آلهة عليهم . واما

سقوط بابل فقد طابق ما تنبأ عليه الانبياء فان مياهها نصبت كما قال
 ارميا للنجيا الظاهر عليها واخذت بها سنة النهر الغلة وفي غربة بجار الملذات كما قال الي
 وقبضت عليها ايدي اعدائها كان احولة طرحت عليها فاصبحت قبضة وفي غير
 شائع . فقد اكل سكانها هدفا لصال السهام وفريضة لبرار الحسام . فان الماديين
 الظافرين لا يطلبون كما قال اشعيا نصارا ولا نجينا بل الانتقام وحده ويجهدون في ان
 يشفوا غليل عزم بان يهلكوا شعبا ظالما حمله تكبره على ان يكون عدوا لبني الانسان
 قاطبة . وكان السعاة ياتون متوافدين على الملك يشون لدهوان المدينة قبضت عليها
 ايدي الاعداء وتنبأ ارميا عن ذلك وتخيروه الذين كان يثق بهم وكانوا يعدونها بملك
 ايديهم ولم يمكن لهم ان يشفوها من ايدي الظافرين وذلك ما تنبأ عنه اشعيا وارميا معا
 ولم ينج في هذه المذبحة الهائلة من حسام الظاهر الا اليهود وحدهم لانهم كانوا يعرفون
 ذلك انقا وتورس الذي امسى قابضا بنور على كل الشرق شعران في هذا الشعب
 المدحور مرارا امرا الميا ففرت عينه لما سمع بالنبوءات التي اعلنت بسلطا بائصاره وذعن
 ان ملكة هبة من رب السماء الذي بعث اليهود . فاعزاول عام من حكمه الى ان
 بهض المهكل وبثلي الشعب الاسرائيلي .

الفصل السابع

في اختلاف احكام الرب بقضائه الصارم على بابل

وحكمه الرحيم على اورشليم

من ذا الذي لا ياخذ العجب والدهشة من الحكمة الالهية البادية بنوع صريح
 على اليهود والكلدانيين واورشليم وبابل . فشاء ذو العزة ان يعاقب هاتين المدينتين
 كتبهما عقابا شديدا فانهذ بذلك بنم انبيائه الاطهار حذران يدور في خلده البعض ان
 ذلك العقاب ليس منه تعالى . فكان اذ ذاك لاورشليم وبابل سقوط رافع حسيبا فاهت
 به الانبياء من قبل . واما الرب فقد اذاع سر ذاك العقاب فاقبل الكلدانيين بالمبرحات
 وعاقب اليهود الذين هم بنوه رافقا راحما فسقط تكبر الكلدانيين الى الخفض
 دون رجاء النهوض وما ذلك الا لان الخيلاء قد اخذت بهم كل ماخذ فاصبحت

فهم من الصفات الغريبة وملكة في دولة بابل فقد قال النبي ارميا ان ذا
الكبر هوى الى اسفل مدحوراً وليس من احد يقوم بناصره وقد قال اشعيا النبي ان
بابل الشديدة الخزوات التي هي مثابة عظيمة الكلدانيين ستصبح طامسة دارة مثلاً
اصبحت صدم وعمورة . ويقادرها الرب آية قنطرة . بيد ان ذلك العقاب الصارم
لم يوقعه على اليهود بل انه قاصمهم كما يقاص الاب بنيه المتوردين امل ان يخرجوا عن غرتهم
مزدلنين اليه رضوخاً فيقتاسوا ما فعلوا ان تابوا اليه ناديين ويسدل حجاب السند على
زلاتهم . قال الرب لا تخزع يا عبيدي بعنوب غاني انا ملك واني اريد جميع الامم . واما
انت فلا ايدك بل اوديك بالحكم ولا اغفر لك كائنك ذكي . وعلى هذا قد أخذت
بابل من الكلدانيين اخذاً مؤبداً . وأسلمت لشعب آخر ونهضت اورشليم بعد ان
كانت دائرة بنوع غيب . وآب اليها بنوها من كل اصناف العالم .

الفصل الثامن

في ايات الشعب تحت قيادة زروبابل وعزرا ونحميا

ان من اعاد بني اسرائيل من السبي زروبابل من سبط يهوذا ومن نسل الملوك
فانثى بنو يهوذا اجواء قباب العمول الارضين . بيد ان عشرة الاسباط تشعشعوا وتبددوا ما بين
الامم الا الذين هم موسومون باسم يهوذا فانهم انحازوا تحت رايته وآبوا الى ارض اباؤهم .
وشادوا في ذاك المحن المذبح واقاموا الهيكل ورفعوا اسوار اورشليم
وكبت الفرس الذين اصبحوا ذائدين عن شعب الرب حمد الامم المجاورة وعاد
الساكنون العظيم الى مهام امروهم الكثرة الذين امكن لهم ان يبنوا تملسهم بواسطة السجلات
العامة . وكل من لم يبين ذلك اصبح مرفوضاً وعزراً نفسه الذي كان كاهناً ومعلماً في
السنة والحاكم نحميا اصحبا كل الفساد الذي طرأ منذ السبي وحمل الشعب على ان
يرعى الناموس بكل دقة ونظام . وكان الشعوب يصيرون العبرانيين معها على كل الزلات
التي سببت لهم ذلك العقاب الاليم . واذعنوا ان موسى تنبأ عن كل ذلك وكانوا جميعهم
يطالعون في الكتاب كل ما كان عهد الرب بنوعهم به وكانوا يشاهدون تنبؤ .
وكانت نعمة النبي ارميا والايات الذي وعلا به بعد سبعين سنة من الاسر بدهشاتهم

ويعزيانهم فماخذنا اذ ذاك يرضخون لاحكام الرب ويردلفون اليه ويعيشون بالامن والسلام.

الفصل التاسع

في ان الرب الذي كان على وشك ابطال النبوات اذاع نور حقيقته
اكثر من الآف

ان الرب الذي يصنع كل شيء في حينه قد امتحان الوقت لان باقي الوسائط
المخارقة للعادة اي النبوات بين شعبه. لانه رآه نبغ في الرشد ولم يكن باقياً في ذاك
الحين الى ما في المجمع الاختصاصات عام. وانما الله بهمة ابنه ذي الجلال ان يمسك
الانبياء في كل ذاك الآن ليقبى شعبه منتظراً من هو مزعم ان يكون متقدماً لتلك النبوات
وفي اواخر الاوقات التي عزم فيها الرب على ان باقي النبوات لاح في فكره ان
يشرك كل نور حقيقته ويكشف كل اسرار حكمته الالهية فابانت بنوع صريح اسرار
الاوقات الالهية.

فان دانيال رأى في انشاء الهيولان نحو اواخر ذاك الحين اربعة الممالك التي ازمع
الاسرائيليون ان يعيشوا تحت رايها مراراً مختلفة بيئات متباينة. ولا غرو انه نبى. قد
ذاعت في تلك الارحاء حكمته وتقواه ورعت الملوك الهزيمة وقد تحق بعضهم منذ
يعول عليه في امور الدولة لفرط حصافته وحكمته التي دارت ذكرها على الالهة
وكشف عما كان مطوياً بشأن تلك الدول لانه كان مزعماً ان يرى دولة ملك من
ملوك اليونان ظاعنة كالسبل الآتي وهي دولة الاسكندر وعند سقوطها تقوم دولة اضعف
منها ويأخذ بها الشقاق والانقسام فتفنى وهذه الدولة هي دولة خلفائهم الذين بنوه النبي عن
اربعة منهم وهم انطيوخوس وديمتريوس وبولموس وانتيغونوس. ومن الامور المثيرة في التاريخ
انهم كانوا ذوي جرأة وبأس يتفوقون بذلك سوام. وتولدت شوكتهم خلفائهم وقد
اوعز ايضاً الى ما اجمعا من الحروب وما اوغرت صدورهم من الحمد والى اتحادهم المبني على
الرياء والخيانة ويشهد عن جور ملوك سوريا ومطاعهم وكبريائهم وصفاتهم الذميمة التي
قد امتاز بها انتيوخوس ايمن الذي كاشع لشعب الله بالثبالي والبغضاء وجار عليهم. وقد

اوعد دانيال الى قصر حوكوما ولم يذم من العذاب السريع على جوروه . وفي اواخر تلك
الازمة توطد احكام ابن الانسان وتبرز كائنها ناشئة من بين تلك الممالك ويعرف
بذلك الاسم يسوع المسيح وتدعى ملكته ملك تدبى العلى ويودي كل الشعوب لها
رضوخاً عظيماً وانها لدولة نهافت على السكينة والسم وقد وعدنا الله بان تكون ازالة
وان شوكها لا تحول الى دولة اخرى سواها .

ان الله اوحى الى دانيال عن ما فى ابن الانسان اى المسيح المنتظر وعن كيفية ثمة
العمل المندوب به اى انفاذ الجنس البشري . لانه ايضا كان منهكاً في سبي شعوى بالى
وفي السبعين سنة التي حصر بها الله ملكه السبي وفي جواره الى ربه بالدعاء لينجى له نجاة
اخوة رفعة الى افكار اسمى منها لانه رأى من السنين عدداً سوى ذلك ولنجاة ام
فقد رأى بدلاً من السبعين سنة التي تنبأ عنها ارميا سبعين اسبوعاً منذ الامر الصادر من
ارتخششتا ذي اليد الطولى سنة العشرين من ملكولاجل قيام اورشليم فانه يقول حوتنر
بنوع صريح في انها السبعين عاماً ان الخطية غمى وتلاشى الائم ويسود العدل الابدي
ونتم النبوة ومع قدوس التدبيين وان المسيح سوف يبدو كقائد الشعب بعد تسعة
وستين اسبوعاً بعد تسعة وستين اسبوعاً (لان الذي كرر ذلك) وعند ذلك يقتل جوراً
وهذا أنا ونتم قتله نعم النبوة ويوعز النبي الى اسبوع خاص وهو آخر اسبوع السبعين
الذي يقتل فيه المسيح حيث ثبت العهد وفي وسط ذلك الاسبوع تلقى الذبيحة والتفريص
ولا جناح في ان ذلك يكون بسبب موت المسيح لان ذلك التفريص يندأ غيب موتو
ولم يبق بعد موت المسيح والفناء الذبيحة الآ الرجس والباب فحوتنر ترى خراب المدينة
والقدس وان الشعب والقائد المنتم بيدهما ويكون في الهيكل رجس ويسمر اخر دنار
الشعب الذي يحد مخلصه الى الانتضاء

فاذا اريد هذه الاسابيع اسابيع سنوية حسب مقتضى الكتاب المقدس فتح من
ذلك اربعمائة وستين سنة وقادنا ذلك منذ السنة العشرين من الملك ارتخششتا الى
الاسبوع الاخير المنتم من الاسرار حيث تالم فيه المسيح والتي يموت ذبايح السنة وانم كل
الرموز . فالعلماء ياتون بحسبان متباين ليطلبوا ذلك الوقت غاماً اما الحسبان الذي
رفعه اليك فهو خال من الارتباك ولا يشوش تسلسل ملوك الفرس بل يجعل له وضوحاً
بيناً وليس من العجب ان يكون في تاريخ هؤلاء الملوك قليل من الارتباك الا ان السنين

القليلة التي يقع عليها النزاع لا تكون مشكلاً لها بالنسبة الى تعداد ارمهاية وتسعين سنة
 فضلاً نطيل البحث عن هذه المسئلة فان وجد مواع في هذه الامور فقد كانت العلي ازالها
 بحكم لا ينافض فان الحادث اليين بمحلنا على ان لا تمياً بتغير المؤرخين طراً فان دنار
 اليهود الذي ولي موت السيد المسيح بين لمن كان اعى البصرة نقيم النبوة . ولم يبق
 علي الان الآن احملك علي ان نسر حاطر النظر في احد الظروف فان دنال باتنا
 بسر اخر وهو ان نبوة يعقوب كانت قد انبأنا ان مملكة يهوذا سوف تزول لدن
 ما في المسيح يد الله لم يوعز اليها ان موته يكون ذريعة لانقضاء هذه المملكة بل الرب قد
 كشف هذا السر المهم لدانيال النبي لما ابان له ان انقضاء اليهود سوف يكون نتيجة موت
 المسيح ومجدهم اياه . فادر لحاظك يا سيدي الى هذا القول فان نسل الامور سوف يبين
 لديك على احسن منوال .

الفصل العاشر

في نبوات زكريا وحجاي

انك قد عثرت على كل ما ابان الرب لدانيال قبل انتصار قورش وتربيم الهيكل .
 وفي غضون ترسموا اقام الله حجاي وزكريا النبيين ثم بعث فوراً بملاخي المزمع ان يكون
 خاتمة انبياء العهد القديم فكم من الامور التي رأها زكريا النبي . فقد تبين ان كتاب احكام
 الرب كان كأنه متخوخ امامه وانه كان يقرأ كل تاريخ شعب الله منذ سائو . فقد انجلي
 لدنو نسل اضطهاد ملوك سوريا والحروب التي اذكوها على يهوذا لانه كانت فتوح
 اورشليم ونهبها بتضمان لديه . ترى بصرته خراباً هائلاً وبليلة عظيمة وشعب الله مولها في
 البرية آيساً جروحاً عاتقاً بين الموت والحياة . وقبل ان اضلل برغ امامه نور جديد
 وهوان الاعناء الكاشحين نعثوا منهزمين مقموعين وتقوضت الاركان الصلبة في كل
 الاراضي القدسية وآب الامن والسلام والغضارة الى المدينة والبلاد واصبح الهيكل مرعى
 الحرمة في كل الشرق . ومن الظروف التي تسلفت الانتظار اليها ان زكريا اوجي اليه من
 العلل ان يهوذا نفسه يحارب اورشليم اي ان بني اورشليم سوف يسلطوها وان كثيرين من
 اليهود هم من زمرة اعدائها . وكان يرى احياناً في بيت يهوذا تواتر حوادث سعيدة لانه

يقول عن لسان الرب انا اقوى بيت يهوذا واني اذلل الممالك التي اضطهدتني واعاقب
الممالك المجاورة التي لا تنفك تضطهدني . فقد ارتد بعضها وانحاز الى شعب الرب . ولقد
كان يرى ان الشعب غائص في لجة انعام الله . ومن جملة انعامات الله انه كان ينجيهم
باتصار الملك الفخير الطاهر السلقة والقلب المنفذ الذي يدخل اورشليم راكباً اثناً

وبعد ان انبأهم عن معادتهم على بنينهم عن تسلسل المصائب وهو انه رأى ان
النار انتهت الهكل وساد في البلاد والعاصمة الدثار والقتل والجور وما الى ذلك من
الفساد والعدوان اما الرب فيرفقه بشعبه الميوز جانباً ويصيح له راعياً ويعصه يدي ثم
تختمهم الحروب الالهية وتحول الحال والى ذلك يوعز بدلائل فردية ويكون به ذلك
الحين لذن سقوط ثلاثة رعاة اي ثلاثة ملوك حسب قول الكتاب فستطون في شهر
واحد وقول النبي في ذلك بين ذو وضوح اذ يقول قطعت ثلاثة رعاة اي ثلاثة ملوك
في شهر واحد ونضايقت نفسي بهم اي شعبي لان اعداءهم قد اضطفت بي ولم يشعروا بي
سنتي وقد قلت لهم اني لا ادعي راعياً اي لا اكون لكم قائداً بل اعادركم وشأنكم بحامل مخنكم ولا
اعبا بما يلزمكم من الشقاق ولا انهمك في ان ادرأ عنكم التوايب المدة لكم وعلى هذا
فلميت من موت ولتصرم ما يتصرم ومنهم كل من الباقيين لحان خدته والى ذلك يكون
مال اليهود الذين نسبهم الرب عدلاً . وقصارى القول ان السقوط قد تم بعد قنا
هؤلاء الملوك الثلاثة وان ما هو مزعم ان باقى سوف يدي لنا ان نقيم هذه النبوة لم يكن
قليل الوضوح .

وفي اثنا هذه المصائب العديدة التي تنبأ عنها زكريا جلياً يتبين لنا بلبه اشد من
كل تلك التوازل وهي انه بعد ان سار الشقاق بين اولادك الشعوب وآلهم الامر الى
السقوط باعوا الرب العظيم بثلاثين من الفضة . وقد توصل النبي الى ان رأى ابروياه
حفل الخزفي الذي صرفت في سبيله واصبح من بعد ذلك بلبه عظيمة بين الشعب
فقتل قلوبهم ونحطت شوكتهم .

فباسيدي ان لساني ليعني عن تبيان نبوة زكريا العجيبة التي رأى بها الراعي مضروباً
والضئان مبددة والشعب يرتو الى ربه الذي طعه ولقد رأى دموعاً تسرع عليه تفوق
دموع التكل على وحدها وحرناً عليه نجياً اقوى من الحزن على الملك يوشيا وقد رأى
امراً اعظم من كل ذلك وهو ان الرب يبعث بالرب الى اورشليم ليدعوا الامم لكي يخلصوا

يشعرو وينظنون موبيهم .

اما ما قاله حجابي بشأن ذلك فقد كان عربياً عن كل اطراء ومفرغاً فيه فالب
الفرائب لان الشيوخ لما كان بيني الهيكل الثاني كانوا يمحون العبرات حرناً واللباعاً
مقابلين - وورد البناء الاول بالبناء الثاني الذي هو تهيئة القاعة والفقراما النبي الذي
كان اسمي معرفة منهم فقد كان يذرم بمجد الهيكل الثاني ويؤثر على الاول ويبين لهم
انه ينقام بين ينظر الامم وهو المسيح الموعود ■ منذ القرن سنة ومنذ ابتداء العالم ليكون
منذاً للام وهو الذي يبدو في الهيكل الاخير لان الرب يهب فيه السلام وكل الارض
تشهد بانى مخلصها ولا يرى لما ناه الا قبل من المحن وان الازمنة المجهدة لحيته قد اصبحت
من آخر الازمنة .

الفصل الحادي عشر

في نبوة ملاخيا آخر الانبيا وتقيم الهيكل الثاني

لما ناهز نجاز الهيكل اخذ الشعوب يندمون الذبايح يدان اليهود ذوي الخسة
والدناية همكوا في تقدمه قرايين ذات عيب وارتفع اعتبار ملاخيا الذي كان يونهم
على ذلك فانه لما كان يرى قرايين اليهود ذات الرجس كانت يرى قرباناً ذاهراً
عرباً من الدنس موهباً لان يقرب لله ولا يكون ذلك في هيكل اورشليم فقط بل في
فسح من الارض من مشرق الشمس الى مغربها ليس من اليهود بل من سائر الامم الذين
يصبح اسم الرب بينهم عظيماً كما يقول النبي

ويرى ايضاً مثل حجابي بمجد الهيكل الاخير والمسيح الذي تحمل فيه ركابة خطيئاً
الآنك كانت ترى في الوقت ذاك ان ذاك المسيح هو الله نفسه الذي كرس له ذاك
الهيكل لانه يقول عن لسان الرب هتفا ايست بلاكي ليهمل الطريق امام وجهي
ولدن ذلك باقي الى هيكله الرب الذي انتم تطلبون وملاك الميثاق الذي انتم تبتغون .

ييهت ملاك وهذا الملاك المبعوث ذو السودود السامي ولي الهيكل والمبعوث هو
الله بلح هيكله كما بلح مولدة الخاص وهو المبعوث الذي يطلبه كل الشعب الذي باقي
ليضع ميثاقاً جديداً ولذلك دعي ملاك الميثاق او العهد .

وإذا تخم أن يبدو هذا الآلة المبعوث من قبل الرب في الهيكل الأخير فإن مبعوثاً
آخر يسبقه ويهدئ الطريق . ومن ذلك يتضح أن المسيح يسبقه الخبر وقد أوحى الله عن
صفات ذاك البشير إلى النبي ملاخي وأنه يكون كالأخبار المشهور بالطهر والقداسة ورقة العيش
والسلطان والغيرة .

وعلى هذا أن النبي الأخير من الشعب القديم قد أبان كل صفات النبي الأول المزمع
أن يأتي به وهو ألياه الجديد بشير المخلص الذي سيبدو . ولم يكن شعب الله يمتأني إلى
ذاك المحين نبياً بل كان يقتصر على سنة موسى .

ولذلك أتم ملاخي نبوته بهذه الكلمات اذكروا سنة موسى عيدي التي أوصيه
بها في حوريب إلى جميع إسرائيل فهذا أبعد الحكم بألياه النبي ويعطف قلوب الآباء على
الذين ويرد قلوب الذين إلى آباءهم . ويظهر للذين ما كان يستنظر الآباء . وضم الرب
إلى شريعة موسى الأنبياء الذين تكلموا حسب مظهرها وتاريخ شعب الله الذي الله الأنبياء
إذا كانت مواعيد التاموس ويهدئها مفررة بحوادث ظاهرة . ولقد كانت كل ذلك
مكتوبة بعناية كبيرة ومنصوصاً حسب ترتيب الأزمنة وهذا ما غادره الرب لتعليم شعبه
لما أتى الأنبياء .

الفصل الثاني عشر

في زمن الهيكل الثاني وثمر العقابات والنبوءات الأخيرة

والقاء عبادة الأصنام وطرد الأنبياء الكذبة

إن هذا التعليم قد سبب تغييراً عظيماً في أخلاق الأسريالين ولم يكونوا بمنفردين
إلى الروما ولا لاندنارات الصريحة ولا للمجرات القريبة التي كان الرب يعتقد أنها سيغ
شان انتقام بل إن الأدلة التي بانست لديهم كانت كفوفاً لم في ذلك . وإن قلة أمانتهم قد
لاشعنا الحوادث التي تمت لديهم وإنارت بصائرهم فأنشوا راضين ومن ثم ضعفت أيمانهم
إلى عبادة الأوثان التي كانوا يهاقون عليها بتويع غريب . وذلك لأنهم لم يحنوا بمجد
إله آباءهم غاراً وكانوا يذكرون دائماً نيوفولصر وما تنهي لم عن الخراب ومع ذلك
فقد نشأ الخراب في وقت أدنى ما كانوا يخالون . ولقد كانوا يعجبون من رجوعهم في الوقت

المحدود فسرًا عن كل الأمور البادية وبسبب من عين لم يردم . ولم تكن أبصارهم ترف
على الهيكل الأخير لا يشعرون بما يجب خراب الهيكل الأول وما من شأنه قيام
هذا وبناء عليه كانوا يثبتون في سبيل الأمانة يكتبهم التي كانت الأحوال طرًا
تشهد لها .

ولم يبق بينهم انبياء كذبة لأنهم جميعًا عنهم وانفوا من عبادة الأصنام . وبيان
ذلك ان زكريا قد تنبأ ان هذين الأمرين يحدثان لم وهماك ما قاله حزقيال في ذلك
الزمان : في ذلك اليوم يقول رب الجنود اهلك أسماء الأوثان من الأرض ولن تذكر الى
ما بعد وانزع من الأرض الانبياء الكذبة والروح النجس وان تنبأ أحد الى ما بعد
يقول له أبوه وأمه اللذان ولداه لا تخفي من اجل انك انت تكلمت بالكذب باسم الرب
ويمكن لك ان ترى في النبوة نفسها ان ما بقي من القول ليس باقل قوة من هذا . ونبت
هذه النبوة بوضوح وجلالة فان الانبياء الكذبة تواروا في عهد الهيكل الأخير ونكص
الشعب عما صانعوا ودافعوا وانفوا من ان يسمعوا لهم كلامًا وعكفوا على ان يطالعوا
مومنان انبياء الرب الصادقين ولم يكونوا يقتدر يحتاجين الى ايضاح ما كانوا يسمعون من
النبوة لان الحوادث كانت تتم كل يوم وتصح دليلًا على مصداق ما كانت الانبياء
يشبهون .

الفصل الثالث عشر

في السلام بين الشعب وفي من تنبأ عنه

لارب في ان الانبياء طرًا وعدوا الشعب بسلام عيم ولم تزل فضائع بكل ارتياح
ومسرة ما اوعز اليه اشعياء وحزقيال بشأن الان المعبد المزمع ان يأتي غضب سياه بابل .
فان ما كان خرابًا اصبح مرمومًا واقامت المدائن والساكن راحة وكثرت الشعوب
وتسكنت اعلام الاعداء الكاشحين واخصبت الارضون وامتدت الخضرة والترف في
المدائن وسادت فيها السكينة واصبحت مرمومًا للسلام ووعده شعبه بسكينة مستمرة
دائمة فنقبضوا على ناصيتها في ايان حكم الفرس وكانت اوامر الملك قورش مرمم الدولة
تقرر لليهود راحة طول ايام الحكم . وقد كانت العيون تحقد بهم في عهد كل من

يدعى احشوروش ويهربون ما تبها لم من الاذلال والشاويق . فتعطف الله عليهم ورأفهم
 اذ كانوا يستعبرون واحال قلب الملك حالاً عنهم ونقم لم من علومهم هامين . وبعد ان
 مر ذلك الحادث سريعاً ذهبت عنهم الروعة واصبحوا دون رعدة وليسوا يمزنون . وكان
 الانبياء يندونهم بان يودعوا الرضوخ للفلوك الذين يتولون امرهم بالله فانقادوا الى ذلك
 صاغرين . وبناء على ذلك كان الملوك لا يعاملونهم بالقسوة والغلظة بل كانوا يرفقون
 بهم ويأخذون بأيديهم ولا يحملونهم من الجزية ما يهظم فارتاحوا الى ذلك وعاشوا في
 رقة العيش حسب نواهم . وكان اذ ذاك السلطان الكهنوتي بينهم مرعي الحرمة فكان
 الكهنة العظام يندون امراءهم ولا يقادرونها فجمع بهم وكان المجلس الشورى الذي اقامه
 موسى يرى ماله من السلطان وكانوا يحرون بينهم السلطة في المحبة والمات دون
 ان يتداخل احد في اشغالهم وذاك ما كان الملوك يأمرونهم به . ولم ينفذ دثار دولة
 الفرس شيئاً من اشغالهم فان الاسكندر لم يترك حرمة هيكلهم بل اعتجب من نواهم وزاد
 في اكرامهم الا انهم ارفعوا قليلاً في عهد خلفائهم الاولين . فان بولماوس بن لانغوس
 باغت اورشليم وقاد الى مصر مائة الف من الاسرى يد انه توقف فوراً عن ان يكون
 لهم مكاشفاً بالبقضاء او بالاعرى لم يقضهم قط بل عزم على ان يخرجهم عن نادية
 الخاضوع للملك سوريا اعدائهم والخوف . يقال انه لما اخضعهم اتاح لهم يخفون سكان
 الاسكندرية عاصمة مملكتهم والاعرى صدق على الخفوق التي كان الاسكندر موسى
 هذه المدينة قدم بها عليهم ولما سبر اعمالهم ورأى من تفردها بخلوص النية والامانة
 ادخلهم في سلك عسكره واناط بهمهم المراكز المهمة . فان كان اللاغيدون قد رعبوا
 لم مقاماً فان السلاسيديون عاملهم احسن معاملة فان سلاكوس نيكاتور رئيس هذه
 العائلة اقامهم في انطاكية وادخلهم حبيته انتيوخوس الاله في كل مدائن اسيا الصغرى
 فانتشروا في البلدان اليونانية عائشين حسب نواهم ومنعهم بكل ما لسكان تلك
 الارحاء من الخفوق مثلما كانوا في الاسكندرية وانطاكية . وفي ذاك الحين امر بولماوس
 فيلادلفوس ملك مصر بشريعهم ان تترجم الى اللغة اليونانية فعرف الامم اذ ذاك
 دين اليهود وجنت بالملوك والشعوب المهمة ان يسموا الهيات والصلوات النسيبة الى
 هيكل اورشليم واصبح اليهود راعين في مجوعة الامن والسكينة تحت لواء ملوك سوريا
 وتمتعوا براحة لم يتمتعوا مثلها في عهد ملوكهم

الفصل الرابع عشر

في ابطال الصلح وإعادة تفرير وانقسام الشعب المقدس
واضطهاد انتيوخوس

ان الشعب المقدس لو لم يبد منهم الشقاق لما كان السلم فيهم هوئلاً ولقد مضت عليهم من الاعوام ثلثاية وم راتعوت في حلة الانجاح الذي نبأ عنه الانبياء يوم دخل فيهم الطمع والحسد ووشكا ان يهلكهم . فان بعض عظمائهم الاعيان خانهم رجاء ان يداهنوا الملوك لينالوا منهم حظوة لانهم شاقوا ان ينالوا الشهرة اليونانية وآثروا الجهد الباطل على الجهد الحقني الذي كانوا يفتشونه وم يبت اعلمهم اذ كانوا يحافظون على سنت اجدادهم . فمكثوا على اللهو والتصوف كسائر الامم . وكانت هذه الامور الهدنة بعث الشعب على الدهشة والذهول . وبدت في طي ذلك الزهو عبادة الاوثان كأنها فرقة في عيون كثير من اليهود . وفضلاً عن ذلك فانهم لم يكونوا يتعدي الكلمة والراي في انتخاب الكهوت العظيم الذي كان في اسي مكانة في الشعب . وكان ذوو المطامع النفسية يزددون من ملوك سوريا أمل ان ينزحوا الى ذاك المنصب السنيح وكانت هذه الوظيفة المقدسة جزءاً لا ينفك المصانفين الا ان الحسد والشقاق بين بعض افرادهم انهم بمصائب ودواو جسمية داهمهم والمدينة المقدسة . وحدث حينئذ ما قد اعزنا اليه ونبأ عنه ذكرنا النبي . وهوامت يهوذا نفسه بقاوي اورشليم نسلم المدينة سكانها ومجس انتيوخوس ملك سوريا ان يبعد ذاك الشعب المنقسم رجاء ان يفتح غناه . وبدا حينئذ هذا الملك مطابقاً لكل ما قاله عنه دانيال النبي . اي طامع خسيس مصانع جائر وفتح كافر مغتوه يشع بانثوان كان منصوراً ويانف من نفسه ان كان مدحوراً . فوجع اورشليم مستعداً لان يصنع ما يشاء . وكان يعزز آماله على انقسام اليهود لا على قوة جنوده وفاقاً لما تنبأ عنه دانيال وغالى في التسمية اذ دخل المدينة وبعث كبرياؤه وعظمة نفسه على ان يرتكب فواحش تنفر منها النفوس . وابدى كلاماً يلهم بشأن العلي كما تنبأ النبي ايضاً . فتمتاً للبيوت الصادقات ونسبة ما اقترف الشعب من الجرائم المكررات اتاح الله له قوة ضد المحرقات الدافقة ودنس المهكل الذي

احترمة من قبل الملوك اسلافه وطلب منه اموالاً فعمت خزينة الخاوية . وامر باليهود ان يعبدوا الالهة التي كان اليونانيون يعبدونها مدعيين ان يساوي عوائد شعب . مع ان ذلك كان ليشفي اولام مظالمهم ولا سيما انه كان يود لو يعبدون المشتري والامميان الذي اقام مثاله في الهيكل تنمو . ولما كان يقوق نيوقولصر بالكفر والاعتساف بهمك في ان يلقي الاعياد والسنة الموسوية والدياباخ والدين ويبعد الشعب برونه الا ان الانبياء قدسوا بشكمتهم خيفة الجميع . فان متبنا تصدى له واحرز كل الاختيار وصنع ابن يهوذا المكاني هو وقليل من الناس افعالا عجيبا وظهر هيكل الرب ثلاث سنوات ونصف سنة بعد ان قدس وهذا كله تنبأ عنه النبي دانيال ثم علق بحارب الادوميين والامم الذين اجتمعوا مع انتيوخوس . وبعد ان استولى على امص حصونهم ومعاقلم اشق ظافرا صغير النفس كما تنبأ اشعيا . ومنشدا اناسيد بالرب الذي اتى بيت يدي اعداء شعبه وهو مضرع بدماهم . ولم يبق ظاهرا على اعدائه قسرا عن الجلود العظيمة التي كان يقوم بامرها قادة انتيوخوس . ولم يكن دانيال يمين لهذا الملك الكافر الا ست سنوات لوضع يد شعب الرب . وشعر في الوقت المعين سابقا في مدينة باعمال يهوذا المجرمة فيبادهة النجوم والارواح فأت كا قال عنه النبي تيمسا وليس بيد انسان بعد ان اعترف بالاله اسرائيل اعترافا لم يحد من بعد ذلك تقعا . وليس من الامور ان ارفع اليك النبا عن المحروب التي قام باعبائها خلفاؤه ضد اليهود وعن موت يهوذا مخلصهم او عن فوز اخويه يونانان وسيمان اللذين تعاقبا في الكهنوت واقاما بشدة لباس مجد شعب الرب واعاداه الى ما كان سابقا . فلم يجمع هؤلاء الافراد ان ملوك سوريا وكل الشعوب المجاورة قد تألمت قلوبهم عليهم عدوانا . ومن الامور التي كانت تبعثهم على الاسف والشور انهم كانوا يرون مرارا حجة بني يهوذا يتدججون في شكهم ضد وطنهم اورشليم وقد كان ذاك الامر الى ذلك الحين غريبا الا ان النبوة عنه كانت قد صدرت في ما مضى . وكانوا في غضون تلك التوائب يكون امورهم الى الله فلم يتقنروا ولم نعمهم تلك التوازل بل استمروا اشداء اقوياء واستمر الشعب تحت لوائهم سعيدا مقبولا واتمس من وثاق عبودية الامم في عهد سيمان الحبر والمجاز اليه خاضعا له ولبنو بارادة ملوك سوريا ورومام

وان ورقة الوثيقة التي ينتضاها نقل شعب الرب لسيمان واخلاقه السلطة العامة

والحقوق الملوكة كانت على جانب عظيم من الاعتبار وهي تحوي مائته : وهوان
سيمان وذرية سيمان بالسلطة الى ان ياتي النبي الحقيقي الامين .

ولما كان معناه منذ كيان على القضاء الالهي وشاعراً بان السلطة منوطه ببيت
داود منذ اقامة الله على العرش ملكاً وانها ستعود اليه عند جية المسيح وان يكن ذلك
بنوع رمزي واسمى من كانوا يتفكرون جعلوا للكنوت اجلاً مسمى يقضون على السلطة
في غفوة عائدتين تمت الويتهم منتظرين ذلك المسيح الذين وعدوا بمائته من قدم
الزمان . وبناء عليه نهضت مملكة يهوذا المستقلة ونشرت لها ملكاً يتولى زمامها . فان
ذرية يعقوب استمرت بالملكة على سبط يهوذا ومن انحاز اليه وملكت باستقلال وسكنة
في الارض التي عينت لها .

وزعموا ان ذلك الدين اليهودي دائماً ونال من لدن الله دلائل جديدة فان
اورشليم التي كانت النورخوس سيدائيس يحاصرها مضيقاً عليها نجت من ذاك الحصار
نجاه تبعث على الحيرة والدهشة لان ذلك الملك لما رأى الشعب عاكفين على نادبة
فروض دينهم غير عابئين بما الم بهم من العسر وشدة الجوع تحركت الشفقة في قلبهم ومنهم
هدنة تستمر سبعة ايام في قضاء اسبوع المظالم القدسية . ولم يكنف بان ينس الكرب
عنهم بل كان بيعت اليهم ذبايح يقرّبونها في الهيكل غير عالي انها تكون موقونة بسدون
بها سقيم في تلك الآزمة الشديدة . ويؤخذ من نص العلماء المؤرخين ان اليهود كانوا
يحفظون السنة السابعة وهو انهم يدعون الارض في اثنتائها غير مزدوجة رجاء ان تنال
بذلك راحة وذلك طبق ما نصه موسى وكان اليهود في أكبر فاقة الى كل شيء وملك
سوريا في وسعوا ان يبيدوا طراً دفعة واحدة . لانه كان يرامى له انهم اعداء له الداء
فازاد الله ان ياخذ يادي شعبه ويقدم من تلك الورطة الشديدة فانزل في قلب الملك
الرحمة عليهم غير باعتر بل انكبوا ليقنوا اهداهم كالسابق والنجاة الى ان يحب من
الاسرائيليين الذي لم تصدم الاخطار الويلة والنوائب الحسية عن حفظ قوانين دينهم
الشديدة ولذلك من عليهم بالحبوة والسلام . وكان الانبياء قد تنبؤوا ان الرب افلق عن
ان يستمر متقدماً شعبه بالمجرات كالايام الماتلة بل يستقدم لذلك حكمة الالهية الرحومة
ومع ذلك فلم تكن هذه الوسيلة اقل مفعولة من تلك وسوف نبين نوع حسيمة مع تواتر
الايام وبواسطة مفعول هذا التدبير الالهي اخذ يوحنا هيركان الذي اشتهر بالجرأة

والانقسام لدى عساكر اثيوخوس يستولي على وطنه غريب موت ذلك الملك .
وفي عهد اوسع اليهود تطلق فتوحاتهم فانهم افتتحو السامرة وفاقاً لما تنبأ به
حزقيال وارميا . وقمعا الادوميين والفلسطينيين والعمونيين اعداءهم الكاشيين ودينوم
بدينهم تطبيقاً لنبوذة زكريا . وفسراً عن بغضاء الشعوب الجاورين وحسبهم شيدوا لهم
مملكة جديدة في مملكة الكنايين فانصلت الى اكبر درجة من السعة خلا الطول الذي
حازته في ايام داود سليمان وكان ذلك تحت لواء كهنتهم الذين اصبحوا في ذاك
الحين ملوكهم

وماك الهيئة التي مكث بها شعب الرب في عرض تلك التقلبات وقد كانت تارة
مرضوخاً تحت صدمات العذاب وتارة متقلداً تحت اوفار الثواب وانه يجهر بالشهادة
للحكمة الالهية والعناية الصمدية التي تعامل العالم معاملة متباينة كلاً حسب ما يستحق

الفصل الخامس عشر

في انتظار المسيح وما يستند عليه وتاهب ملكه وعود الامم

ان الشعب لم يرح في أية حالة كانت يوطد آماله على ماتي المسيح اذ كان مرتقباً
انعاماً جديدة تفوق عظيمة على كل ما نال الى ذاك الحين ولم يكن احد
يعتقد ان الايمان بالمسيح وبمجزائه الذي لم يرح بين اليهود الى الان قد انتقل اليهم من
ابائهم وانبيائهم وذلك من ابتداء الامة لان الله لم يبحث اليهم بنبوءات جديدة ولا بنبوءات
جديدة منذ تسلسل تلك الاعوام المديدة اذ كانوا هم نفوسهم يذعنون بان لا يقوم بينهم
نبي بقصد الحكمة الالهية ومع ذلك كانت امانتهم بما في المسيح اقوى منها في الابام السالفة
وكانت الامانة شديدة فيها لما شادوا الهيكل الاخر حتى انه لم يكن من المتقضي ان
يكون انبياء يهتوا الشعب وكانوا يثابرون على الامانة بالنبوءات القديمة التي شاهدوا
مفراها مراراً مرة بكل دقة ونظام . وان ما كان لم يتم بعد منها لم يكونوا منذ ذاك
الحين يربطون فيه نبيهم ولم يعانوا ان يفتوا بان الرب الصادق بكل شيء يتم كل
ما يناط بالمسيح في حين اي اعظم موا عيده وعود عبرها

ومن الذين ان كل تاريخهم وما كان يطرأ عليهم يوماً فيوماً لم يونا الا بيانا للنبوءات

التي اتاحها لم الروح القدس . ولا يجعلنا على الحب ان نراهم انتقل الى اراضهم غريب
سبائهم ونالوا بعد ذلك برداً وسلاماً مدة ثلاث مائة سنة وان هيكلم كان مكرماً
وديانهم مربعة المحرمة في الشرق او ان كوروس الطائفة تعكرت بانساقهم او ان ملك
سوريا الجبار يذل اقصى المجهود في ان يهلكهم فائراً حبة من الحنن بذلك معاقباً على
جريمتهم او ان دين اليهود وكل شعب الرب زعموا زعماء غريباً ومملكة يهوذا امتدت في
اخر الزمان بتفوحات عظيمة . فكل ذلك قد شاهدناه مكتوباً في النبوات . ولا ريب
في ان كل شيء كان مقرراً حتى الزمان المزمع ان يمود فيه الاضطهاد والحال التي
نأصح فيها موافد القتال والارض التي بصر فتوحها

انني اوعزت اليك بالاحمال عن هذه النبوات والاسباب في شأن ذلك يقتضي له
خطبة سابقة الذبول . فحسبك ما قد رايت منها تثق بوجود هذه النبوات التي هي ركن
عقائدنا وعادته وكلها غالي الانسان بها متبرراً اكتشف منها على حقائق فان نبوات
شعب الرب تمت صريحاً في اثناء تلك الاوقات ومن لم لما كان بعض الوثنيين او بالاحرى
عدوا الكتب المقدسة يورفيروس وجوليانيوس المجاهد قد ارادوا ان يتنبأوا بتخذوا
نبوات اليهود ونسبوا بها

ويمكن لي ان اثبت لديك ان كان شعب الله لم يكن له انبياء مدة خمماية سنة ان
حالة ذاك الحين كانت باسرها نبوية لان افعال الرب كانت جارية والطرق مهيأة
رويداً رويداً لتقيم النبوات القديمة

وان انشاء الشعب من مهابا بابل لم يكن الأرمزاً الى حرية اعظم وجزيلة الجداء
أكثر من تلك وهي التي اتاحها الممجد للبشر الذين هم اسرى المخطئة واخذ الشعب
الذي كان قد تنعمت في محال مختلفة في اسيا العليا واسيا الصغرى ومصر والبلدان
واليونانية بذبغ اسم الله وحمد الله اسرائيل بين الامم . وترجمت الكتب المقدسة المزمعة ان
تصير نور العالم الى اشهر اللغات وتقررت قديمته . وفي غضون ما كان الهيكل مكرماً
والكتب المقدسة مدانة لدى الامم كان الرب يثبت اياهم ويجعل لذلك عن بعد اساساً
وكل ما كان يحدث بين اليونان كان توطئة لمعرفة الحقيقة فان فلاسفتهم ابانوا
ان العالم كان يتولى امره اله يباين الالهة التي كانوا هم ورجال الشعب يعبدونها وان
مورخهم يثبتون في موطنهم ان هذه الفلسفة السامية نشأت في المشرق وفي الحال التي

تحدث بها اليهود. فمن اية جهة نأتى هذا الحق شرعت الحقيقة المهمة المثبتة بين الامم توقظ الجنس البشري وان تصدى لها او كانت مبسوطة من اولئك الذين كانوا يعلمونها الا ان انتشارها سوف يكون من براهين قاطعة للذين يحال الى عهدهم انقاذ الجنس البشري من مهاوي جهلك

الفصل السادس عشر

في غباوة الوثنيين الكلبة قبل ما تى المسيح

لما كان جنوح الامم الى الدين الحق موقوفاً على المسيح وهو الالهة الخاصة لما تاه كان الضلال والكار يسودان على البسيطة. لان الامم الاكثر نوراً كالسكندانيين والمصريين واليونانيين والرومانيين كانوا اجهل القوم واغياهم في الامور الدينية وذلك دليل على ان الانسان لا يمكن ان يتدرج الى مدارج هذه الامور الا بتعبه خاصة وحكمة علوية فمن لا يأنف من ان يكشف عن احتلالات الالهة العقلية واسرارها الدنسة. فان عشفهم وقسوتهم وحسدهم وكل رذائلهم كانت موضوع احتلالهم وطفوسهم وذبايحهم واناشيدهم التي كانت الناس يتنادون بها في عراكهم والابنونات التي كانوا يركعونها فيها وعلى ذلك كانوا يتعبدون للامم زاعمين انهم من المنتميات التي تبذل في سبيل رضى الالهة. وقد منع اعظم الفلاسفة المغالاة في شرب الخمر الا يوم عيد الاله باخوس اكراماً له وقد ندد فيلسوف آخر في الابنونات الرجسة طراً الابنونات الالهة فانه جرم بانها تحتاج الى ان تكرم بتلك الفجاسة. فمن بتر ما يقتضي صبيحة اكراماً للزهرات والماعاهر المكربة بحمار من ذلك جداً ولم يصد اليونانيون عن الاعتصام بتلك الاسرار الفبيحة حكمة او آداب

ولما كانوا يقعون في ورطة خاصة او عامة كانوا يذرون للزهرات نساء عواهر ولم ينجحوا من ان يعتقدوا بان نجابهم موقوفة على صلواتهم المقدمة لتلك الالهة وبعد ان ظهروا على الملك وقمعوا جنوده الكثيرة اقاموا في هيكلهم ابنة تمل دعاءهم وزياحاتهم ورقشوا عليها الفاخاً فاه بها الشاعر سيمونيد الشهير وماك مغزاها ان هؤلاء الماهرات جآرن بالدعاء للالهة الزهراء فانفذت اليونانيون اكراماً لهم. فان كان الحب لا مندوحة من

العبد له فمن طريق اولى كان من المنتضى ان ترغ تلك العبادة للعب المباح لكما
 ذلك كان بعكس الامر فان سولون نفسه الشير الذي لم يكن يظن به ان يقترب فطاعة
 كبيرة شاد في اتيها هيكल الزمراء العاهرة او معبد العشق الفاحش . وكانت بلاد اليونان
 بأسرها مفعمة مياكل مكرسة لهاته الالهة ولم يكن في كل تلك البلاد هيكل لازيات المودة
 بين الزوجين . ومع ذلك كانوا ياتقون من الزناء في الذكران والاناث وكانوا يعتبرون
 ان الرغبة من الامور المقدسة بينهم يذاته لما كانوا يهتمون في الدين كانوا يرون ان روحا
 اخرى تستولي عليهم وان النور الطبيعي يغادروهم . ولم يكن الرومانيون ينظرون الى الامور
 الدينية بعين الرصانة والحزم فانهم كانوا يكرهون لآكرام الالهة دنس المراجع ومشاهد
 الفاعرين بالقواضب الدموية وقصارى الكلام كل ما كانوا يقتفون من المفاسد
 وشواهي الخشونة . ولست بعالم ان كانت العبادة والسفريات التي كانوا يحامرونها
 بالدين انت بكبير مضرة مع انها كانت ذريعة للثمة مع . فقلت شعري هل امكن لم ان
 يشاروا على الاحترام والوقار المنروضين للامور الالهية في خلال السفاهة التي كانوا يشوبها
 بالاحاديث المروية في كل العبادات فلا ريب في ان كل العبادة الجمهورية لم
 تكن الالهة بالاسم الالهى وحفارة للامور الالهية واقتضى اذ ذاك ان يكون قوة مناقضة
 للاسم الالهى تبعث بني الانسان على ان يردلوا صفاته القدسية ويستخدموها باشياء دينية
 وينيطون لها مواضع ليس للاستقبال فيها منابة . وقد قررنا لاسنة فيما بعد ان وجود
 الله عدا التي يعبدونها رعاغ الشعب من الامور التي لاشخاص منها ولكنهم لم يكن يوحهم
 ان يجهروا بذلك عيانا فان سوفراط اوعز الى ان كلا لابد له من ان يبيع دين وطنه
 وتلقينه افلاطون الذي كان يشاهد مرارا بلاد اليونان وكل انفاصي الارض مفعمة من
 العبادات الاعنصافية الباعثة على المشور والرغبة جل دعامة جمهوريتو ان لا يسوغ لاحد ان
 يغير شيئا من القواعد الدينية وان هجس احد يغير شي منها فلا يكون عمله الا من داعيات
 المحنون . فهو لاد الفلاسفة الذين اتوا باقوال سامية في الطبيعة الالهية لم يكن لهم جرأة على
 مقاومة الضلالة العامة وقد ايسوا من ان يفوزوا عليها ولما اتم سوفراط بانه يمجده الالهة
 اخذ يدافع عن نفسه كما يدافع عن جريمة كبرى اقترعها واذا كان افلاطون يتكلم عن
 الاله الذي فطر الميرومات قال انه من الامور التي يعنى وجودها وايضاها امام
 الشعب امر متكرر . والى على نفسه انه لا يتكلم عنه الا بطريق الاطاعي والمغيبات خشية ان

نصيح هذه الحقيقة العظيمة عرضة للزمن والخرابة

فباللهام الدهاء أن النوع الانساني قد هوى الى انحلال ولم يمكن له ان
ذاك ان يحصل الاله الحقيقي وان اتينا العظمى المتعبرة بين المدائن سيدتهم
بالنظر لما استغرقت بالهذون والآداب والمعارف كانت تشذ الفكر على من
يتكلمون بالروحانيات وثني الهم المحمود الالهي وبناءً عليه قضت على سوفراط زهوق
الروح .

فلو كان بعض الفلاسفة اجترأوا على ان يذيعوا ان القائل ليست "الهة" كما كانت
العامية تخال ذلك لكانوا قد أرغوا فيما بعد ان يكذبوا نفوسهم وليكان قد حزم مجلس
(الاروباخ) ابي مجلس الشيوخ بينهم وعوملوا معاملة المجاهدين وكانت الضلالة سائدة
في اقطار كل البسيطة . وقد كان الحق اذ ذاك زهوقاً ولم يكن للاله الحق من معبد ولا
عبادة الا في اورشليم ولما كان الوثنيون يندمون له القرائين لم يكونوا يعتبرونه كاول اسرائيل
بل كساتر الالهة . وبلاد اليهودية وحدها كانت تشر بتفرده في الالهية وتعلم حق العلم
ان اجتزاء العبادة منه وبين الالهة من شأنه ان يزيلها عنه .

الفصل السابع عشر

في الفساد والاعتقادات الباطلة عند اليهود

وتعليم التريسين الكاذب

ان اليهود الذين كانوا يعرفون الرب وهم مستودع الدين الحق شرعوا في اواخر
الحين ان ينسوا اله ابايهم وان يمزجوا بعبادتهم اياه اعتقادات باطلة لاتليق بشايد تعالى
طالما كان النوع الانساني يضعف لديه الحق كلما توالى عليه الاحباب والاحيان .
فقد نشأت في عهد المكابيين منذ زمان يونانان شيعة التريسين فقالوا في بادى الامر
شهرة عظيمة لسبب تعاليمهم الصادقة ورعايتهم السنة اكمل رعاية وسلامة مسعاهم وحفظهم
للقوانين وعيشتهم بالاتحاد والالفة ومدافعهم عن الثواب والعقاب الآخرين فلذلك
كان الناس يحفظونهم الآمال ويودون لهم الكرامة الاكيدة يدان المطامع النسبية
دبت في رؤوسهم واغرتهم نفوسهم الامارة بان يتولوا زمام الشعب فانزع لم ذلك ورفعوا

على الأمة لواء السلطة واصبحوا حاكمين بالامور الدينية وتعاليمها واحاطوا رويداً رويداً
 القواعد الدينية الى اعتقادات باطلة لاتنفذ الا صوامعهم ولطعنهم التي زعموا ان يكلوا لها
 الضمير ولذلك اوشك روح الناموس الحقيقي ان يزول . واثراً من ذلك كثير آوهم
 ونفهم بنفوسهم وادعائهم وقد آل بهم ذلك الادعاء الى ان يعزوا لنفوسهم الهيات
 الالهية . واما اليهود المعتادون على تلك الانعام المستبشرون منذ اجيال مديتة يعرفون
 تعالى فذهب عن اذهانهم ان الجوده الالهية فرقته وحدها مجاناً عن سائر الامم فشرعوا
 يعتبرون نعمة كانتها دين منعم لم . وبما انهم شعب مبارك منذ التي سنة ومعطى منه
 تعالى فكروا في نفوسهم انهم وحدهم يستاعلون معرفة الرب وخالوا انهم من جنس اخر يباين
 الاناس الذين كانوا بروحهم عارين عن تلك المعرفة . وبناء على ذلك كانوا ينظرون
 الى الامم بالحفاوق والآفة ولما كانوا من نسل ابراهيم بالمجد كانوا يتوهمون انهم مرفعون فوق كل
 النوع الانساني ولذلك كانت تصاعد الى رؤوسهم حجرة الكبرياء وينكرون انهم قد يسون
 حسب الطبيعة لا حسب النعمة ولم يستمر هذا الضلال بينهم اما القريسيون ادخلوا في
 تلك الاعتقادات في اواخر الايام اذ كانوا يطلبون الجهد بسبب علمهم ورعايتهم المدققة
 لطئوس الشريعة . ولما كانوا لا يتكرون الا بان يكونوا ممتازين عن البشر كافة ضاعفوا
 كثيراً اعمالهم الظاهرة واثبتوا لدى الناس ان افكارهم تفاليد حنيفة مع انها منافضة لشريعة
 الرب كل المنافضة

الفصل الثامن عشر

ذيل لما مر من فساد اليهود ودلائل سقوطهم
 واثباتاً لما تنبأ عنه زكريا النبي

ان هذه الافكار وان لم تكن بموجب امر عام كفاة في جميعه اليهود الا انها كانت
 ترجح تدريجاً بين الشعب الذي خفي اضطراباً وبلبله وغمراً . وبدأت اخيراً الانقسامات
 التي في داعية سقوطهم كما قال الانبياء بسبب الشقاق الذي حدث بين المكابيين . وقد
 كان حينئذ المسح قريب المآلي لا يبق له من ذاك الحين الا نحو من ستين عاماً وذلك
 لدن تناضل على الكهنوت التي كانت السلطة الملوكية متعلقة بها هيركان وتراروميل

ولدا اسكندر جدي . فهاك الوقت الخمس الذي يفرق بينه التاريخ العلة الاولى لدثار اليهود
 فدعا الاخوان بومبيوس ليفضي بينهما فاقضها للدولة الرومانية ونزع الملك حيث
 عن الملك ايموخوس اخر ملوك سوريا الملتب بالاسيوي وان سقوط هؤلاء الملوك الثلاثة
 معا دفعة واحدة هو ابتداء السقوط المنه عنه بالفاظ صريحة في نبوءات زكريا النبي .
 ومن الذين والمفر في التاريخ ان تغيير احوال سوريا واليهودية قد تجزوا سلطة بومبيوس
 بعد ان انتهى حرب متريدات وكان اذ ذاك متاهبا للرجوع الى رومية فرتب احوال
 الشرق على تلك الصورة وامان النبي ما هو زمع ان يتم لدن خراب اليهود وهو ان احد
 الاخوين اللذين ركبا تحت الملك يسي اسيرا بقوده بومبيوس هاشا طريا بما نال من
 الظهور عليه والاخر وهو هيركان الزاهن يتبع عنه بومبيوس الحاج المراكبي ويسلبه من
 ملكه قسما عظيما ولم يبق له من السلطة الا الصورة مع انه كان على وشك فقدانها ولدى
 ذلك اصبح اليهود يرضعون للرومانيين وبودون لم خراجا فكان دثار ملكة سوريا
 باعنا على خراب ملكهم لان تلك الملكة المجاورة لملكهم اصيبت اقلبا من الدولة
 الرومانية . وذلك ما ضاعف شوكة الرومانيين ولم يبق حيثن لم يحص الا بان يذلوا
 لما راضين ولهذا شرع ولاية سوريا بينهم في مداخلات متواصلة في اليهودية وغدا
 الرومانيون متبوئين البلاد واضعوا بالثبات قوة حكومتها باوجه متباينة . وبواسطتهم اغفل
 الولاة في يهوذا من ايدي المكابيين الى هيرودوس القريب الادوي ولما كان هذا الملك
 مطبوعا على الجور وبداها مصانعا باعقاده يدين اليهود غير كل مبادى الحكم
 القديمة ولم يكن هؤلاء اليهود احرارا في اعالم في ذاك الوقت مثلا كانوا في عهد
 الفرس والسلوسيين ولم يكونوا يهتدون الا بان يعيشوا بالامنية والطاينة لكن حط
 بذلك مسعاه فان هيرودوس الذي قد اتقى على عوانتهم نير الاسترقاق هوش كل
 شيء ثمة وغير حسب هوى نفسه الخلافة الممنونة ولومن سلطتها بل جعلها دون نظام
 وقيد . واضعف ايضا المجلس الشوري فاصبح من المتعسر عليه ان يبرم امرا . فامست اذ
 ذاك السلطة العامة في يد هيرودوس والرومانيين الذين كان هذا الملك في بادى
 الامر من الراضين لولائهم وبناء عليه زعزع اركان جثم ملكة اليهود .

واما التريسيين والشعب الذي لم يكن يصح الا لاجسامهم كابدا من ذلك
 عرق الثرية وليشوا يعانون الشهور مرجحت تحت اقبال عبودية الام تمامهم بالحجارة

وتخاضهم بالمداوة والغصاة . ولذلك رغبوا في ان لا يكون المسيح الذي سيأتيهم الا فاتحاً
 يوقع الرهبة في قلوب السلطنة التي تمنيم تحت اوقار العبودية الباطلة وبناء عليه
 ذهب عن بصائرهم ما تنبأت عنه الانبياء ما حملهم به من العار ولم تكن تترقب ابصارهم
 وترصد السماع اذانهم الا النبوءات التي تنذروهم بالانتصار المبين وان يكن ذلك الانتصار
 الذي انذرت به اناته الانبياء . ميايئاً لما كانوا يرغبون فيه .

الفصل التاسع عشر

في الكلام عن المسيح وتعليمه

لما تنكست اعلام الدين ونشوت احوال اليهود في اواخر حكم هيرودوس اذ كان
 القريسيون يدنسونه بالشريعة بالمعاصي بمت الله بالسج الى الارض ليعبد الحكم لبيت
 داود ويجعله اسمى ما كانوا يحالون منذراً بالتعليم الذي ازمع الرب ان يعلمه للبشر
 فذلك الولد العجيب هو الذي دعاه اشعيا الرب التذير واب الجبل الاتي ورب
 السلام فقد ولد من بكر عذراء في بيت لحم حيث ذهب ليعرسله فحملت به من الروح
 القدس واصبح منذ ولادته قدوساً . وكان عيب ولادته موكلاً بموه اليه وحده ودعي
 مختصاً لانه ازمع على خلاصنا من وثاق الخطيئة وعند ولادته بدا على النور نجم في المشرق
 رمزاً الى النور المزمع ان يبروه الامم فتوافد اذ ذاك اليه الوثنيون مرتدين وبعد ان مر
 على ذلك حين من الزمان ذهب ذاك الرب المتظفر الى هيكله المقدس حيث رآه
 سمعان انه مجد اسرائيل ونور الامم الضالة . ولما آن وقت الانذار بالانجيل دعا يوحنا المزمع
 ان يهيئ له الطريق كل الخطاة الى التوبة وجار بصوته في البرية التي كان يقضي
 حياته فيها منذ نعومة اظفاره في التشف والدعة والبر وعرف الشعب الذي لم يكن يسمع
 منذ خمماية سنة صوت نبيه انه ايليا الجديد وكان مستعداً ان يخذله غلظاً لما ظهر له من
 قداسة العجيب . اما هو فكان يوعز اليه ان لم يكن هو اهلاً لان يحمل سير حناؤه ومن ثم اخذ
 المسيح ينذر بالانجيله وينشر الاسرار التي كان براها وهو في حجابيه منذ الازل وقد اقام
 اركان يمتدح بدعوة الاتي عشر صيافاً وجعل بطرس راعي قضاؤه ومازاه عن غيره بنوع
 صريح . وذلك ان الانجيليين طرأ لم يحفظوا لعدد الرب رتبة مقدرة لما كانوا ياتون

جسبانهم الا انهم يذكرون دائماً بطرس في مقدمتهم كأنه رئيسهم .
ودوخ المسيح اليهودية وافاض عليها جريل انعاماً فانه كان مهتماً بعريض المرضى
رافقاً بالخطاة ميماً انه هو الطيب المحن وكان يسبح لهم بان يزدلفوا اليه وذلك كان
دليلاً للبشر على انه قابض على السلطة والرحمة معاً فأتقاً بذلك كل من ظعن قبالة
ولقد كان يندثر بأسرار عالية ويثبها بمجرات عظيمة وكان يسئل فضائل سامية وكان
يهب في غصون ذلك نوراً ثاقباً ومثلاً عظيماً ونعمة علوية وبهذا بدا متكلاً نعمة وحفا ومن
امتلا توغهن كلها اخذنا .

وكل ما بدا منه استمر منطبقاً على بعضه سواء كان على حياته او تعليمه وعجايبه . لان
الحقيقة دائماً كانت تبدو في كل ما هو له . وكل ما صنع يدل على انه سيد النوع الانساني
ومثال الكمال .

وهو وحده قد عاش بين البشر مستطعاً ان يقول امام الجميع دون ان يكذب احد
من منكم بمن له ان يوتي على خطيئة ويقول ايضاً : انا نور العالم والذي ارسلني موسى
ولم يدعني وحدي لاني افعل ما يرضو كل حين .

واما اعاجيبه فهي من مرتبة خاصة وفات صفات حديثة لانها ليست سات في
السماء كما كان اليهود يطلبون بل كانت في بني الانسان رجاء ان يشفوا من علاهم
ولا ريب في ان تلك الاعاجيب قد كانت رافة اكثر منها قوة دون ان نبعث كثيراً على
الدهشة بل كانت تلين القلوب . ثم كان بها سلطان لان الامراض كانت تخضع والسيطان
له فكان الصبيان اذا تكلم يصيرون والموتى يخرجون من اراماسهم والخطايا تغفر للفاطين
فكانت مبادي تلك الاعاجيب منه وهو مصدر فعلها وقد كانت قوة تخرج منه
وتشفي الجميع ولهذا لم يفعل احد اعاجيب عظيمة كذه ولا عديتها نظيرها ولذلك كان
بعد ان تلاميذه سوف يصنعون باسمو معجزات اعظم منها لان القوة التي اقره كانت
عظيمة جداً .

فمن لا يعجب من ضمة تعليمه السامي فهو لئال للاطفال وخير
للاشداء ويلوح انه عتلي من اسرار الرب الا انه لا يبدوا منه مدش من ذلك كسائر
البشر الذين يترامى لم الرب . فانه يتكلم بذلك طبعاً كأنه ولدته الاسرار وفي هذا
المجد . لا وزن للمالو وينطق بوزن لينمكن ومن النوع الانساني من استمالو

وان يكن قد بعث يوا الى جميع البشر فم ينهك في بادى الامر الا في خزان
اسرائيل الضالة لانه ارسل اليها بنوع خاص. لكنه اعطى الطريق لاهاب السمرة
والوثنيين فان امرأة سامرية عرفته ان هو المسيح الذي كان شعبها يتظره فلما كان
يتظره اليهود. وتعلقت منه اسرار العبادة الجديدة التي لم تعد تناط بمكانة واحدة وتزعت
منه امرأة كنعانية وثنية شفاء ابنتها وان يكن قد اظهر انه يرفضها واقر في حال مشابهة
ان الوثنيين مثل اولاد ابراهيم. ويتكلم عن تعليمه كانه مزمع ان يندى في كل البسطة
حيث يلاوم ثم يصح مقبولا ولم يكن الناس الى ذاك الان نظروا له مثيلا. وكان تلاميذه
يعقبون من ذلك ولم يكن يخفى عنهم ما سكايدون من المشاق والمكائد. وكان يوعز
اليهم عما سيبادهم من الاضطهاد والجور والخذاعات والنعالم الكاذبة والاخوة الكذبة
والنزاع الداخلي والخارجي والنعالم المزمع ان يجتري بكل المشاق وايمان لم ان سوف
يصبر في اخر الزمان فعمقت كثير في الايمان وتقل الحجة بين الرسل وتلبث الكهنة
والحق في عرض تلك المخاطر غير مترعزعين

فما كان نظاما للاحوال الجديدة فلا يوعد اولاد الله بمكافاة جسدية فان المسيح
ايمان لم حياة مستقبلية ومما هو يباط اقدامهم على ذاك الانتظار يعلم ان ينفصلوا عن
الاشياء الحسية واصبح الصليب والتأسي مبراهم على الارض وايمان لم ان يقتضي ان يتفحصوا
باب السماء عنوة وقد داس هو اولاد الطريق التي اوعز الى بني الانسان عنها. ولقد
كان يندرج حقائق بسيطة تدعش اصحاب القواية والمكبرين وكان يشفي تكبر الفريسيين
ومداهنتهم الكنية ويبين ما يحرف الشريعة علماوم يتفاسدهم وفي غضون ثوبوايام
كان يراعي حرمة ومطافتهم وحرمة كرمي موسى الذي كانوا يشوثونه وكانت يتردد الى
الهكل ويحمل الناس على ان يجرمونه وكانت يبعث الى الكهنة بالبرص الذين شفاهم.
وبهذا كان يعلم البشر كيف يقتضي ان يفلحوا العبوس دون ان يلبوا بالسلطة المتنامة
من الرب وكان يبين ايضا ان جمعية اليهود ما برحت تسرا عن فساد اعضائها. الا انها
قد كانت على وشك دنارها لان الكهنة والفريسيين كانوا يثيرون على المسيح شعب
اليهود الذي كان دينة قد تحول الى اعتقادات باطلة. ولهذا لم يكن يحمل المخلص
الذي كان بدعوة الى عادة حثيفة بل صعبة. وبناء عليه اصبح اصلح البشر وافضلهم
بل سعدن القداسة والجودة موضوع الحسد والبغضة. ولم يفر منهم ولم يتفاعد عن ان

يصح الخبر لا يباين وطوبى مع ذلك لم يقابل إلا بكران الجميل . وكان نبأ عما سيأدهم
من العقاب اسبقاً جثا وانذر بدثار اورشليم قريبا وتنبأ ايضا على ان اليهود اعداء الحق
الذي اتى لينذرهم يوسف يقولون يتنصرونهم الى الضلالة ويسمون العروة بين ايدي الانبياء
الكذبة . وفي ذلك الوقت كان حشد الفريسيين والكهنة لثة بتوده الى عذاب العار
وحينئذ غادره تلاميذه وسلك احداهم ومحمد ثلاث مرار وبهم الذي كان بظواهره أكثر
غبرة عليه من غيره . وشكوه الى المجلس القنوري وليك يحتم سلطان الكهنة الى نهاية
الامر واجاب رئيس الكهنة الذي كان موكولا باستنطاقه شرعيا بنوع خاص : **إلا أن**
الان الذي تكون فيه فئة اليهود مردلة كان قد آن ولذلك قضى رئيس المجلس ولغير
الاعضاء على يسوع بالموت لانه كان يقول انه ابن الله . وعند ذلك اسلموه لبيلاطس
البيطلي والى الروماني اما بيلاطس فابن يراوتو ومع ذلك فقد خالف ضميره سياسة
مراعاة لصلصو فتحكم على ذلك التبر بالموت فتج منه ان اكبر جريمة اقترلها اليهود سببت
أكبر رضح أدبي في العالم فان المسيح الممالك حياته وكل شيء اسلم نفسه للأشوار
وقدم فدى عن البشرية واذ كان على الصليب وجهه انظره الى المبروات ليرى ما
كان باقيا عليه ان يمه فاته وصرخ قائلا قد كمل كل شيء . وبعد ان فاه بشك الكلفة
تغير كل شيء في العالم فان الشريعة بطلت والرموز اليها عبرت والذبايح ابدلت بمن
هو اسمى وافضل منها . وبعد كل ذلك مات المسيح متاوها وهائلا بصوت زعزع عناصر
الطبيعة واعجب الخفير الذي كان يجره غاية العجب وتنادى بجهير الصوت قائلا انه
ابن الله حيا . وانثى كل الذين عابوا ذلك المشهد العظيم أسفون وهم يقرعون صدورهم
ويلا وثورا وتمض في اليوم الثالث من عقاب الموت وظهر لتلاميذه الذين كانوا قد غادروه
غير موقنين بقيامته فنظروهم وناجوهم ولمسوه فوثقوا وظهر مرارا حية في محال كثيرة رغبة
في ان يكون الايمان بقيامته ثابتا . فكان كل من تلاميذه براه آونة وحكا وآونة بينهم وظهر
مرة امام اكابر من خمسين رجل وهم مجتمعون معا ويحرق الرسول الذي كتب ذلك عنه
ان الذين رأوه كانوا احياء لما كتب ما كتب عنه . وقد وهب تلاميذه بعد قيامته وقتا
كافيا لوطسوا ايمانهم به وبعد ان انفتح لديهم بكل ما راموا ان لم يعد بهم ما يخافهم من
الرب امرهم ان يذهبوا في الارض ويشهدوا بما رأوه منه وما سمعوا ولمسهم اياه بعد
قيامته وحذروا من ان تكون امانتهم به غير وطيلة الجاهم الى ان يزكوا شهادتهم بدمهم وعلى

ذلك كان انذارهم بومتيما وركن ايمانهم من المحادثات المقررة ومصداقاً عليها من جميع الذين شاعدهم وصدقهم مقررّاً يا كبريتية يمكن تصورها وفي عناهم ونفس موميم في سبل الحق . فهناك التعليم المنير الذي اعطيه الرسل وعلى ذلك اخذ الاثنا عشر قنصاً برثوث العالم الى حجر الايمان الحق وهم يرونهم يناقضون الشرائع التي يفرضونها عليهم والمخالفات التي كانوا يندرونهم بها كل المناقضة . وامرهم الرب ان يندثروا بالارشاد من اورشليم ومن ثم يندثرون في كل اقاصي الارض ليعلموا كل البشر ويعبدوه باسم الابن والابن والروح القدس . ووعدهم يسوع بان يكون معهم كل الايام الى اتماء الاجيال وقرر بهذا الكلام السلطان الكائن في وبعد ذلك صعد الى السماء امامهم .

فما بعد سوف تتم النبوءات سيكون لها مغزى وامر بعد قياموا انت تعمل الامم على معرفة الله ورم احضاراً جديداً ليعدد هذا الشعب المحدث ووثق المومنون بان هذا الاله الحق الذي هو اله اسرائيل الاله الواحد غير المنقسم وهو من بكرس في المعمودية هو آب وابن وروح قدس معاً .

وبهذا قد اوفنا على عمق الذي لا يحد ولا يدرك وعلى عظمة وحدته الفائقة الوصف وعلى سمة طبعه غير الختافي المخصب في الداخل أكثر منه في الخارج القادر ان يكون ثلاثة اقسام متساوية غير مجزئة .

لكن ذلك انقصت الاسرار التي كانت مكتوبة غنية في العهد القديم وصارنا اذ ذاك ننهم سر ذاك الكلام وهو فلنصنع الاتمان على صورتنا ومثالنا .

وان الثالث المنوع عنه في تكوين الاتمان ظهر بوع صريح وقت قدائنا . وان امكن لنا ان نفهم ما هي هذه الحكمة التي حبل بها قبل كل زمان في حجر الرب وفقاً لما قال سليمان وفي موضوع حي وبعنا ورب كل اعمال وامكن لنا ايضاً ان نعرف من هو الذي رآه داود مولوداً قبل ايلاج الصبح لان العهد الجديد يعلمنا انه هو الكلمة اي كلمة الرب الباطنة وفكره الذي هو دائماً في حجره والذي يصر كل شيء وبذلك امكن لنا ايضاً ان نجيب عن المسالة السرية المذكورة في سفر الامثال وهي قل لي ما اسم الرب وما اسم ابه ان كنت تعرف ذلك

فاننا صارنا نعرف ان اسم الرب السري الخفي هو اسم الآب اي بهذا المعنى الحق

وهو انه قد ولد منذ الازل ابنا مساويا له وان اسم الابن هو اسم الكلمة وفي الكلمة التي ولدها منذ الابد بالنظر لنفسه وفي ترجمه حتى الكامل وصورة وابنه الوحيد وضياء مجده وصورة جوهره

ونعرف ايضا مع الاب والابن الروح القدس الذي هو الحب المتبادل بينهما واتحادهما بالازلية وذلك هو الروح الذي يوحى الى الانبياء ويكون مستقرا عليهم ليكشف لهم اسرار المستقبل ومقاصد الرب وذلك هو الروح الذي كتب عنه : ان الرب الاله ارسلني بروحه هو الذي يتنازع عن الرب وهو الرب نفسه لانه يبعث الانبياء ويكشف لهم الانبياء المستقبلية وذلك هو الروح الذي يتأجج الانبياء ويتأجج بهم وهو متحد مع الاب والابن ومشارك معهم في تقدس الانسان الجديد .

وبناء عليه فان الاب والابن والروح القدس اي الاله الواحد في ثلاثة اقسام قد ظهر لابائنا بنوع خفي وبدا في العهد الجديد بنوع واضح واذا تقرر اننا عرفنا ذلك السر السامي ودعشنا من علوه غير المدرك فلا يقول بنا الامر الا ان نفسي وجوهنا حياة من الرب مثل الصاروفيم التي شاهدها الشعب التي ونعبد معها هذا الاله المثلث القدوس .

اما اسرار الطيعة الالهية العجيبة فقد كان نشرها لدينا متروكا بعمد الابن الوحيد الذي قام باعبائها دون ان يارج حجرا به مع ان موسى والانبياء لم ينوهوا عنها بتلخيص الاشارة

فكان بناهنا بوحده ان يفهمنا لماذا وعد بالملحج كانسان مزعم ان يتخذ جميع الشعوب وروى لنا عنه انه اله واحد فرد . وانه يتصور فيه ما يتصور في الخالق نفسه وكان يصنع هكذا وهو يعلمنا . اي انه كان قبل ان كان ابراهيم وان كان ابنا له . وانه مبط من الماء وهو لم يزل فيها وانه ابن الله العلي وابن الانسان معا وهو عاتويل الحق اي الرب معنا وبوجيز العبادة ان الكلمة التي تجسدت في افنومو وجمعت فيو الطيعة البشري والالهة رجاء ان يصلح كل شيء بنفسه .

فتبين لدينا السران الاعظمان وهما سر الثالوث وسر التجسد الا ان الذي ابائنا جعلنا نرى صورتها فينا لتكون دائما حاضرة امامنا ونعرف شرف طيعتنا . ومن الذين انما لو قضينا على حواسنا بالصح وانطقنا راجعين الى نفوسنا اي الى ما هو منا

حيث يسمع صوت الحق لرأينا صورة الثالث الذي نودي له العبادة . لان البنكر
الذي نشعر به بنولد من روحنا فهو كائين لعقلنا وذلك ما يحصلنا بنوع ما نعرف كيف ابن
الله بنولد اولياً في عقل الاب السابوي . ولذلك يدعى ابن الله العلي كلمة وتنهم اذ ذاك
انه يلد في حجر ايمو ولادة تباين ولادة الاجساد . بل بنولد مثلنا نولد في عقلنا الكلمة
الباطنية التي نشعر بها لما تنأمل في الحق .

الا ان خصب عقلنا لا ينبغي بهذا الفكر الداخلي . وبهذا التصور وصورة
الجنينة التي تكون فيها . واما نحن فاننا نود الملكة الباطنة والروح الذي بنولد منها
ونشعر لذي حبنا اياها اننا لا نفصل حب نفوسنا وعقولنا عليها وانه لنا شيء من كليتها
وهو محرزها ونمتد معها وليس معها الا حبة واحدة . ويناه على ذلك اقول ان الحب
الاولي بنولد في الرب بمقدار ما تكون مناسبة بين الله والانسان وانه ينشئ من الاب
الذي يشكر والابن الذي هو فكره ليكون معه ومع فكره بطبيعة واحدة متساوياً بالعز
والكمال . وقصاري القول ان الله كلي الكمال وكله التي في صورته الجنينة الازلية .
ليست باقل كلاً منه وجه النجم من منبع الجوده غير المتناهية والذي وكل الجوده
لم ينقصه الكمال غير المتناهي واذ لم يكن فيها تصور في الله الا الكمال اقتضى الامر
حقاً ان يكون كل من الثلاثة على حد واحد وما كان الثلاثة ليسوا سوى طبع واحد
اقتضى الامر ايضاً ان نخرج بانهم الله واحد فقط .

فيقتضي اذا ان لا تصور في الثالث الاقدس شيئاً غير متناه او متصلاً بها
كانت هذه المساواة غير مدركة . فاذا احضنا لانداز العقل فلا بد له من ان ياتينا بشيء
من ذاك ودليل ذلك ان نفوسنا كائنة وبما انه قد قررنا انها تعرف ماهيتها فمعرفة
تحقق كيانها واذا كلكت بوجودها ومعرفة كما يستاهلان من الحجة فذلك
الحب يساويها كليهما . وكذلك ثلاثة الاشياء فانها عديمة الانفصال بل الواحد منها
متصل بالآخر . وبما اننا تنهم وجودنا الذي نحبه ونود كياننا وفيها . فمن ادرك نفسه
لا ينكر ذلك . واذ قرر ان احد الثلاثة لا يؤثر على غيره من سائرنا فلنا ان الثلاثة
باسرها لا يمكن ان تؤثر على احد افرادها لان كلاً منها يتضمن كلها . وفي الثلاثة قوم
سعادة الجوهر العاقل ومجده وجلاله . ويناه على ذلك يكون كاملاً غير متصل
منرداً في جوهر متساوياً في كل الوجه بنوع غير متناه وهو الثالث الذي نعرفه

والذي تكرر سأل بالمهودية . وأما نحن صورة القالوت فاننا ببارق اخرى صورة
 التجد لان نفسنا التي هي صفة روحانية وغير فانية لما جسم فان تجد معها واتحادها
 معاً يتج المجموع المبر عنه بالانسان المركب من روح وجسد معاً من فان وغير
 فان من مدرك وغير مدرك . هذه الصفات تليق بمجموعها بالنظر لكل من هذين
 الجزئين . وبناء عليه قد اتحدت الكلمة الالهية التي تعضد قوتها كل شيء بنوع خاص
 لو بالاعرى اتحدت نفسها اتحاداً كاملاً بمسوح المسيح ابن مريم ولذلك هو الله وانسان
 معاً مولود منذ الازل ومولود في الآن ومولوداً حياً في مجريه وقد مات على عود
 الصليب في سبيل خلاصنا الآن الاستعارة والشايع المتخذة من الاشياء البشرية
 لانكون في ما يدخل فيه الرب الا غير كاملة لان نفسنا لم تكن قبل جسدنا . واذ
 تنفصل عنه بنفسها شيء . وأما الكلمة الكاملة في ذاتها منذ الازل فلم تجد بطبيعتها الا
 لشرفه والنفس المستقرة في الجسم تحدث فيه تغيرات مختلفة وتؤثر فيه فتأثر هي منه
 ايضاً . لان الجسم اذا كان يحرك بأمر النفس وحسب ارادتها اضطربت وحزنت
 وفركت بانواع مختلفة بم او بكر حسب استعداد الجسم . وبناء عليه فكأن النفس
 ترفع الجسم اليها باستلانتها عليه فتعبط تحتها بتكبد منه . وأما في المسيح فالكلمة مترتبة
 على الكل وكل شيء في بدءنا ونعت سلطانها وهكذا يكون الانسان مرتفعاً والكلمة
 لا تعبط ولا يتوحد من الانواع بل هي غير متغيرة وغير متحركة نسود في كل شيء . وفي
 كل عمل على الطبع المتحد معها . ومن ذلك يتج ان الناسوت في المسيح اصبح راضحاً
 مطلقاً لارادة الكلمة التي رفعت اليها ولهذا لم تكن افكاره او حركاته الا افكاراً وحركات
 الهية اي ان كل ما يتكبر وكل ما يريد ويقول وما يمكنه في باطنه وما يظهره في
 الخارج آتية من الكلمة وينقاد من الكلمة واهل للكلمة اي لائق للعقل نفسه والحكمة
 نفسها ولحق نفسو ولذلك كل ما هو في المسيح هو نور وسلوكه دستور وعجائبه تعليم وكلامه
 روح وحيوة

وليس يمكن لاحد ان يدرك هذه الخفايا السامية ولان يرى في ذاته صورة الاشياء
 الالهية العجيبة التي استحك بمرامها او غطيتوس وغيره من الاله . بل ان الخواص
 منسلطة علينا ولا يمكنها التخيل الطاري على افكارنا من ان نفهم امام ذلك النور الساطع .
 واننا لا ندرك نفوسنا ونجهل الكون المكنون في نوح طاعتنا ولا يقدر ان يزوا اليها الا

العبود ذوات البهائم الخاضعة وإذا تمكن من الوقوف على كنه ذلك السر وسدل
الغشا عن ركن اعتقادنا بكفينا ذلك لأن برغمنا فوق كل شيء وحسنه لا يمكن
لشيء من الأمور الثانية أن يجازيها إليه .

ولذلك قد دعانا المسيح إلى مجر غير فان وهذا هو ثمة اعتقادنا في الأسرار . إذ
بعدنا الإله المتأنس والحقيقة والحكمة المحيطة التي نعملنا نفقد بأشياء عظيمة بروية
الله الساطعة والطوباوية كأن ذلك جراً معدلاً لمانتنا وكلها بالاستناد على شهادتي
تعالى وحده . وبناء على ذلك غدت رسالة المسيح منفصلة على رسالة موسى بأمر ليس له
من نهاية لأن موسى قد أرسل ليوقظ بمجازاة زمينة أناساً ذوي شهوات نفسية رعاة لأنهم
كانوا قد أصبحوا أجساداً ولحناً واقنعوا أن يتخذهم بالحواس ويربح في غفولهم بذلك الوساطة
معرفة الرب وبعضه للأصنام التي كان يبيع إليها النوع الإنساني جنوحاً غريباً . وعلى
ذلك كانت رسالة موسى متوقفة ولقد انبط بالمسيح أن يربح في عقل الإنسان أفكاراً
سامية وبطله نزاهة نفسه وأنها عديمة الموت وإن سعادتها أزلية

وفي غضون غرة بني الإنسان أي في غضون الأوقات التي مرت قبل مآتي
المسيح كان كل ما تعرفه الناس عن شرفها وعدم ميتوتها يعنها على الخطأ لأن عبادة
الموتى كان ركناً لعبادة الأوثان فكان أكثر البشر يقدمون ذبايح لنفوس موتاهم
وتلك الغواية القديمة تبين لنا حقاً قدمية الاعتقاد بعدم ميتوة الأنفس وتدلنا على أن
ذلك يعد من عقائد الجنس البشري الابتدائية إلا أن الإنسان الذي يفقد كل شيء
قد أغمد تلك العقائد كل الفساد لأنه قد آل به الأمر إلى أن يقدم ذبايح للموتى
ووصل البشر إلى أنهم كانوا يخشون أناساً لذلك لأنهم كانوا يفتلون عبيدهم ونساءهم ورجاء
أن يهودوا لم الخدمة في ذلك العالم . وكان الغولبون يفعلون ذلك كثيراً . واقضى
آثارهم شعوب كثرهم . وإن اليهود الذين بنوا المولفون الوثنيون عن أنهم كانوا
يدافعون عن عدم ميتوة النفس ماول من ادخل إلى الأرض القتل المزدول بمجبة
الدين ولطالما كان اليهود يتحرون لكي يحصلوا بأقرب أن على السمادة الأبدية لم
يزالوا عاكفين على ذلك التي العظيم

ومن ذلك يتبع أن نعلم الحق أن كان مبادئها وضعت الرب يكون على شافة
الخطا . ومن الخطر على الإنسان أن يتمكن من معرفة ما هي قبل معرفة روحاً تاماً .

ولما كان أكثر الفلاسفة لم يعرفوا الرب ما أمكن لم أن يقولوا بأن النفس غير مائة
 الآن أن يقالوا جزءاً من الألوهية . أو الهة أو موجوداً أزلياً غير مخلوق غير متغير لا بد
 له ولا نهاية . ولقد كانوا يستندون بنقص النفوس فتخدر من الماء إلى الأرض وتبعد
 من الأرض إلى الماء . وتخل نفس الإنسان إلى الحيوان ونفس الحيوان إلى الإنسان
 ويندرج المزمع من السعادة إلى الشقاء ومن الشقاء إلى السعادة دون أن يكون لذلك
 التغيير حد أو نظام مقرر فيها من ظلمة كان فيها العدل والحكمة والجودة الإلهية في
 أثناء هذه التوابع ولذلك كان من المهم على الإنسان أن يعرف الله وقواعد حكمته قبل
 أن يعرف النفس وعدم مهنيتها .

ولهذا ينبغي أن شريعة موسى لم تكن تهيب الإنسان إلا بعض المأمور بجوهر النفس
 وسعادتها . ولقد علمنا أن النفس قد تكونت في بادئ الأمر بقوة الرب كسائر المخلوقات
 إلا أنها قد تكونت بصفات خاصة أي صنعت على صورة الرب وبهذه وذلك
 لتعرف به بنات جوهرها وتوقن أنها ليست من جوهر الأجسام ولم تكون باجتماعها .
 بيد أن نتائج هذا التعليم وبجانب الحياة الدنيوية لم توضع حينئذ تماماً بل بقي ذلك
 لوقت المسيح ليبدؤ بتور ساطع أمام الجميع . فنشر الرب بعضاً من تلك الحقائق في
 العهد القديم لأن سليمان قال ويعود التراب على الأرض ما كان وتعود الروح إلى
 الله الذي خلقها أباهما . وعاش الآباء والأنبياء في هذا الأمل وقال النبي دانيال سوف يأتي
 حين من الدهر حيث كثير من يرقدون في تراب الأرض يستيقظون بعضهم إلى
 الحياة الأبدية وبعضهم إلى العار لينظروا دائماً . وفي الوقت نفسه الذي اكتشفت له
 هذه الأمور أمره أن يكتم الكلام ويختم الكتاب إلى الأجل المسمى لكي يبين لنا أن كشف
 الحق بكماله يخص بغير آن وجيل . وإن يكن لليهود في الكتب المقدسة بعض
 مواعيد في السعادة الأزلية وأنهم كانوا يتناجون بالحقائق في إيمان المسيح لأنها كانت
 مزمعة أن تبدو أكثر من الماضي كما تبين ذلك من أسفار الحكمة والمكابيين فإن تلك
 الحقيقة لم تكن قاعدة عامة ومقررة عند اليهود حتى أن الزنادقة لم يكونوا يعترفون
 بها ومع ذلك كانوا يتقبلونها في جمعية اليهود وفي درجة الكهنوت أيضاً وأما هذا
 الاعتقاد فهو من صفات الشعب الجديد بأن يكون للإيمان وللمدين ركن هو الحياة
 المستقبلة وذلك من غارماني المسيح

ولذلك لم يكتفى ان يقول لنا ان الحيوة السعيدة والازلية منوطة ببني الرب بل انه قال لنا ماذا تقوم هذه الحيوة لان الحيوة السعيدة هي ان تكون معه في مجد الله ابيه اوفي ان نرى مجده في مجرايه من ابتداء العالم وان المسيح يكون فيها كما يكون في اعضائه وان حب الآب الازلي نحو الابن يمد لنا ويفرنا بالانعام نفسها وقصارى الكلام ان الحيوة السعيدة هي ان نعرف الاله الواحد الحقيقي والمسيح الذي ارسله الآب نعرفه المعرفة الحلية وهي الرؤية الساطعة المعبر عنها بوجع بناوح وجهاً دون حجاب اي ان الرؤية التي تكون فيها صورة الرب وتكملها حسب قول القديس يوحنا تجعلنا نكون شبه لاهنا سائرنا على ما هو عليه

وبغضب هذه الرؤية حب لا مزيد عليه وفرح عظيم وانتصار غير محدود وبهتار المنشدون قائلين هلوليا واميت في اورشليم السماوية وبذلك تراح كل الانراح وتتم الشهوات ولا يبقى الا مدح الرب وجوده الالهي . فضلاً عن ذلك الثواب الجديد قضى ان يبرز المسيح افكاراً جديدة بشأن الفضيلة واعمالاً اكمل من الاعمال السابقة واظهر منها . ولذلك كانت المحبة غاية الدين وروح الفضيلة ومخلص الناموس الا اننا يمكننا ان نقول لغاية يسوع المسيح ان كمال هذه الفضيلة ومفاعيلها لم تكن معروفة تماماً بل ان يسوع المسيح قد علمنا ان نكتفي بالله وحده وحننا على محبة الله رجاء ان يبيد بذلك ملك المحبة وشين كل واجباها ولو انقضت بنا الى ان نبغض نفوسنا ونستمر على مناوئة الفساد الطاري على قلوبنا . ولقد فرض علينا ايضاً محبة القريب وحننا على ان نجعل ذلك فاشياً في جميع الناس دون ان نستثني من ذلك مضطهدينا وفرض علينا ايضاً ردع شهواتنا الحسية كأننا نقطع بذلك اعضائنا الخاصة اي انخص ما يتعلق بالقلب وفرض علينا الرضوخ لوامر الرب حتى اننا نهش الى ما يرسل لنا من النوايب . وفرض علينا الضمة بحب العار اكراماً لجد الله ونعتقد انه لا يوجد اهانة تنكسنا امام الناس الا يكون لنا اهانة احط منها امام الرب بواسطة خطايانا . وبواسطة ركن المحبة تكمل جميع مراتب الحيوة البشرية ولهذا قد آتت الرحمة الى هيئتها الاصلية ولم يعد حب القريبين مغزناً وان هذه الجمعية المقدسة لا تزول الا عند زوال الحيوة . ولا يرى الاولاد امهاتهم يبدلن بمحالات لم يبدت العيشة البتولية كاتقداً في حبة الملائكة الذين لا يهتمون الا بالله ومحبه الظاهر . وشعر الرومسا انهم خادمون مرفوسهم ومكرسون

لنقضاً مصالحتهم وعرف المرتوسون امر الرب بالسلطة الشرعية ولو غالوا في استعمال سلطانها وذلك ما لطف مشقة الخضوع تحت سلطة روماء جاثرين ولم تعد الطاعة نشق على المسيحي الحقيقي.

وقد ضم المسيح هذه القوانين مشورات للكمال السامي وهي رفض الملذات وقضاء المحبة في جسمه كانه لم يكن جسماً ، وغادر كل شيء وومب المساكين كل شيء رجاء ان لا يملك الا الله وحده ويمش يسير من الشيء كان مبعثه من الدم البحت وذلك اليسير يقتضي انتظاره من العناية الالهية .

الا ان اخص شريعة الانجيل هو حمل الصليب لان الصليب هو امتحان الايمان الحق وركن الرجاء الحقيقي ونتية المحبة الكاملة وقصارى الكلام هو طريق السماء . فقد مات المسيح على صليب عانى حلة طول ايامه ويرغب في ان يتبعه الاناس حتى الصليب ولا ينال احد المحبة الالهية الا بهذا الشرط . ولول من اخضع بعدة الراحة المستقبلة رفيعة الذي كان معه على الصليب فقال له انك تكون معي اليوم حنفاً في الفردوس واذ ارتفع على الصليب انشق حجاب الهيكل من اعلى الى اسفل وافتحت ابواب السماء بدخلها القديسون وبعد ان ازالوا عن صليبه وخرجه من رموه بدائنات سجدوا وظاهراً على الموت وذلك يدل على انهم لا يتوبون تحت الجهد لا بالصليب وانهم لا يجدون طريقاً سواه . وماء على ذلك مثلث في شخصه صورة الفضيلة الثابتة التي لا يملك على الارض شيئاً ولا تنظر منها شيئاً ولم يحسن هو الانسان جزاءها الا بالشهد القديم مع انها لا تنقأ نوسهم خيراً فكانت اعمالها من داعيات عقابها . فقد مات يسوع لابرى منه في الذين اغرقهم في لجة حبلوا واقضوا ولا امانة في اخذوا وخلافه ولا عدالة في الذين قضوا عليه ولم تنفك برأيه التي انصحت امام الجميع . ونبت عنه ابو الذي يؤامله كل ملاذ وأسلم الصديق لاعدائهم ومات متروكاً من الله والناس . بيد انه قد اقتضى ان يصرح للرجل الصالح انه لا يتفرق لدى غمدني المشاق والمخاطر اليه الى سلوان انسانيه او ادلة حسنة من قبيل العناية الالهية بل يكفيه ان يحب الله ويتق به موقفاً انه يفكر به دون ان ييدي له ادنى سمة الا انه قد خصه بمسادة ابدية وقد تفرغ لثلاثة فيم البعث من الفضيلة فرأى ان اعظم الاشرار من يمكن له ان يولدي خيبة عن الناس ومصانع امامهم بالصالح فيمشون بانه صالح وتبهم الفضيلة على ان يرفعوا حرمة فيغم من ذلك ان

صاحب الفضيلة العظمى الحقنة من بحسب النوع الانساني ويتفق له الشر والتمنى ولا يبقى له شهادة على برارته الا ضيقه وانه يمرض لكل مله واهانة وينفي به الامر الى ان يعلو على الصليب ولا تاتي فضيلة باعانة بسيرة اي فلتص من العذاب الاليم . أفلا يظهر من ذلك ان الله وحى بهذا التصور الى احد الفلاسفة ليكون في ابوه وبين من ان الصديق له مجد وراحة وسعادة غير التي ينالها على الارض فان وضع هذه الحقنة وبيان كمالها بنوع عظيم الوضوح وخطر الحقنة لمن اعظم الاعمال التي في وسع الانسان صنعها والحال ان الله قد رأى هذا العمل عظيماً فخصه بالمسح ابه المتطراي الانسان الذي جملة اقنوماً واحداً في ابوه الوحيد

وعلى كل حال . فليس امر اعظم من الفضيلة يمكن ان يخص بالله نزل من السماء الى الارض . واي شيء كان من ارادة هذا الاله ان يبره اكثر من ان يظهر على الارض الفضيلة كاملة والسعادة الازلية حيث المصائب العظيمة فتودها اليه

فلو اعتبرنا كل ما هو سام وخاص بسر الصليب لتعمر على غنول البشر قاطبة ادراكه ان يتبين لنا ظهور فضائل بالصليب لا يندرج على تنميتها الا الانسان الاله وامن بمكنوا لاحد سواء ان يكون بمثابة الذبايح القديمة وبلغها ويستبدلها بذبيحة ذات عقله واقتدار لا نهاية لها . وقد تأتي منذ ذاك الحين ان لا يتقدم لله الا هو نفسه فهاك العمل الديني الذي قام بعينه المسح على الصليب وهل كان يمكن للاب الازلي ان يحد بين الملائكة او بين البشر خضوعاً يجازي خضوع ابه الم محبوب لديه لما اسدى حياته له طوعاً دون كره في سبيل مسرته اذ رأى ان لا يوجد احد يتمكن من نزعها منه قسراً عنه . وان لساني لفاصر عن تبيان اتحاد ارادته الثابتة بارادة الله وعن حبه الذي كان يفرقه بالله الذي قد اصلىح به العالم . وقد استغرق بذلك الاتحاد غير المدرك كامل الجنس البشري واصلىح السماء والارض والنفس بشهوة عظيمة في بحر ذاك الدم حيث له صفة ينبغي ان يصلح بها مع كل اصحابه واخرج من قروهاه نار محبة الله على الارض المزمنة ان تحرق الارض طراً وهاك ما يفصر عن ادراكه عقل كل انسان وهو العدل الذي ان الله هذا الاله الانسان الذي سمح ان العالم ياضي عليه ليقى العالم مقضياً عليه موبداً بسبب هذا الحكم العظيم . فقد انت دبتونة العالم فطرح رئيس هذا العالم خارجاً كما حكم على ذلك يسوع نفسه . وان النجيم الذي تولى على العالم ازمع ان يفقد السلطة لانه لما

عكف على اضطهاد البري. الجاه الامر الى ان يفتي الخطاة من اسرهم واما صلت القضاء الذي كان يعلن اننا مسلمون للشيطان فاخذ يسوع المسيح واقامة معه على الصليب يسوع بدمه. فبكى الحميم على ذلك بكاءً مرًا واصبح الصليب مركزًا لانتصار مخلصنا يقفوه الاعداة وهم يرتعدون خوفاً ورمية. ويدولنا من ذلك ظفر اعظم من ذاك وهو ان العدل الالهي قد اصبح مغلوباً وان الائم الذي كان من اهلوان يتقدم له ضحية قد غلب من بين يديه لانه وجدله عن ذلك كفيلاً قادراً ان يودي عنه ثمناً غير متناه وجعل المسيح في حوزته كل الاخبار للذين قد ام بنضو لانهم اعضاؤه وجسمه والاب نفسه لم ينجح اليهم الا لكونهم رتبهم ولهذا قد اوصل اليهم حبه غير المتناهي نحو ابنيه بواسطته لان الابن طلب منه ذاك الحب اذ لا يود ان يتدفع عن البشر الذين شرهم بدمه. ولهذا كان يقول يا ابناء ابي اريد ان يكونوا معي وسوف يمتثلون من روعي ويتبعون بمجدي ويمسكون معي على متصني. وبعد هذه المحنة الفضلى لم تغالك ان تهتف بصوت مظهرين عاطفات المئوية مشاركون احد الثلاثة الشهيد بقوله يا ابناء العجبة يا ابناء الانقلاب غير المدرك ويا حبل الحكمة الالهية العربية كيف بماقرب واحد مفرد والكثيرون يخلصون ان الرب باص ابنه البارليقذ البشر الخطاة ويصنع عن البشر الالهيون عجة بابنه البري. لان المسيح اذ كنا بعد ضغائن مات في الاوان عن الملائقين ولا يكاد احد يموت عن صالح. وان الذي احبنا ونحن مجرمون منضماً عنا لا يمكن له ان يرفضنا بعد ان اصلحنا وبررنا بدمه.

وقد نلنا امورا كثيرة بالمسيح وهي النعمة والقداية والحياة والمجد والسعادة واصبح ملكوت ابن الله ميراثنا ولم يبق شيء فوقنا بشرط ان لا نخطئ نفوسنا.

وفي غضون ان كان المسيح بقم شهواتنا وفوق آمالنا كان يتم عمل الرب الذي يوشى في ايام الانبياء وشرعة موسى

فكان الرب وقتئذ يبدو لم باخبارات حبة لانه كان يدي عظمته بمواعده الزمنية وجوده اذ كان يصير اولاده بالاحسان الذي يداري حواسهم وقدرته بانفاذه ايام من ابدي اعدائهم وصدقه لما قادم الى الارض الموعود بها ابائهم وعدله بشوايو او حقايو للذين كان يبعث بها اليهم علانية جراءة على ما كانوا يعملون. وكل هذه الاعاجيب كانت تعد الطرق للحنائق التي كان المسيح مزعماً ان يقوم بها. وذلك اذا

كان الرب صالحاً كثيراً فبينما ما نطلبه بالحواس فكما بالآخرى كثيراً بيننا بالروح
المصنوعة على صورته ومثاله . وإن كان هذا المقدار رزوقاً ومحسناً لولادته فهل يصبر
حبه وإحسانه في يضع من العيون التي يدور عليها محور حياتنا . الالهيب محبوب من
السعادة الأخيلاً وأرضاً مخصصة بالمحسوب والزيت . اليس من محل آخر يفيض فيه
عليهم خيراته الخفية

أجل يوجد لاريس محل آخر بها قد أتى يسوع لهربنا وذلك لو كانت عظمة الرب
تنتهي بعظمة معرصة لحواسنا الواهنة لما كانت مبرومة لانتة بشأنه لان كل ما ليس
بازلي لا يليق بعزة اله ازللي ولا امل الانسان الذي اوقفه الرب على ازيلته
ومن ثم ان امانته غير المتغيرة نحو عينه لو لم تكن تمتد الى شيء ثابت وغير فان لما كان
يوجد لها موضع مناسب .

فذلك قد اقتضى الامر ان يقع لنا المسيح باب السماء لين لائمانا المدينة الثابتة
التي نجتمعنا بعد هذه الحيرة . ويلوح لنا ان الله قد تشب به ابراهيم واله اسحق واله يعقوب
ليكشف لنا ان هؤلاء الالهة الصالحون يستمرون دائماً امامه احياء ليس باله الموتى
بل للآلهة وليس يليق بشأن الرب ان يقتصر على مرافقة اصفاته الى الرمس مثلاً
يصنع البشر غير تارك لم رجاء وراة ذلك . ولو لم يند في السماء مدينة
عظوى ازيله بقطبها ابراهيم ولولاده بكل سادة للحق بوالعاب بقوله بعظمة وجلال راته
اله ابراهيم .

وعلى ذلك انقضت لدينا حقائق الحياة المستقبلية يسوع المسيح . وقد ابان لنا
كل ذلك في السنة لان ارض الميعاد الخفية هي السماء وان ابراهيم واسحق ويعقوب كانوا
بذكرون هذا الوطن السعيد لان بلاد فلسطين لم تكن لاثقة بان تكون غاية انتظارهم
او محل آمالهم الوحيد

فان مصر التي كان ينبغي ان يخالوها والصحراء التي انقضت ان بطوها وبابل
التي ابحروا الى ان يسمقوا بباب مجنها ليحيا مواطنهم آيين يختصن العالم ولذا وبابل طيلة
حيث نحن مبرحون تحت اقبال الاسترقاق وتناهبين في ثلعات الفتن والخطيئة وشهواتها .
فعلينا ان نطرح عن عواقلنا نير هذه العبودية فنسال في اورشليم مدينة الهنا الحرة
الخفية ومقدساً لم ننده الا بادي يدرفيه مجد اله اسرائيل . وقد ابان لنا تعليم المسيح سر

الرب لان الشريعة روحانية كلها وتعودنا مواعيدها الى مواعيد الانجيل وهي كركن لها . ويبدو لنا نور فرد ساطع في كل محل لانه بدا في عهد الاباء ونما في ايام موسى والانبياء . يسوع الذي هو اعظم من الآباء . وسلطته اسمى من سلطنة موسى ونوره اسطع من نور الانبياء . ابانه لنا بكلمه . ولقد ابطلت كل الحقبة اي حقيقة الاسرار وحقيقة الفضائل وحقيقة المكافأة التي اعدها الرب لحيو بعث من بينها لنا وهو المسيح الانسان الاله وحسب قول ماري اوغسطينوس الانسان الذي يقوم مقام الحقبة على الارض ويريناها كما كانت قائمة فيها

فهاك العظمة التي كان يحتر على اليهود ان يطلبوها من المسيح لانه لا شيء اعظم من حفظ الحقبة بذاته واظهارها للبشر كلها . فتكون لهم ملاذاً وقائداً وتجعل ابصارهم نفية وتكلمهم من روية الرب . وفي وقت ان نعم ان تبدو الحقبة لهذا البشر كما كان قد من ان يندرجا في كل الارض وفي كل الزمان ان الله لم يبع موسى الاشعيا واحداً ووقتاً معيناً لكنه وهب المسيح كل الامم وكل الاحيان . ودليله ان مختاريه يرحلون في كل محل ويعتد مبسوطة في العالم باسمه تسمر لهم اماً . لانه قال لرسوله اذهبوا الآن وتفلذوا كل الامم معمدن اياهم باسم الاب والابن والروح القدس وعلموهم ان يحفظوا جميع ما اوصيكم به وما انا معكم كل الايام الى منتهى الدهر . (١)

الفصل العشرون

في حلول روح القدس وتشييد البيعة وحكم الرب على اليهود والامم

ان نشر الختاني السامية في كل زمان ومكان وارساخها في وسط التصاد لزم ان تقوم بها فضيلة غير بشرية ولهذا وعد المسيح بان يبعث بروح القدس لتثبيت رسوله الاطهار واحياء جسد يعنو احياء ارباباً

ولكي تظهر قوة الروح القدس اقتضى ان تبدو بكل ضعف فبال بوع لتلاميذه وانا ارسل اليكم ما وعده لي (اي الروح القدس) فامكنوا انتم في هذه المدينة الى ان

تلبسوا قوة من العلاء .

فمكشوا امتثالاً لذلك الامر في العلة اربعين يوماً وحل الروح القدس بينهم في
الاجل المسمى وان الائمة النارية التي هبطت على تلاميذ المسيح تدل على مفعولية
كلامهم ومن بعد ذلك اخذوا يندرون ويشرون . وادى الرسل شهادة يسوع لانهم
كانوا على اية ان يحمّلوا كل صنوف المشاق ليقروا انهم رأوه متبعاً من الموت وكانت
المعجزات تنقلب اقوالهم فارتد ثمانية الاف من اليهود بواسطة انذارين قام بها بطرس .
وتحت عيونهم بالبكاء على ضلالتهم وتطهروا بالدماء التي امرقوها

وبذلك اقيمت البيعة في اورشليم بين اليهود قسراً عن مجد أكثر الشعب وابدى
تلاميذ المسيح للعالم حجة وبأساً وخلافاً دينة لم تد من قبل في اللغة اجناعية ابداً . ولما
ساد الاضطهاد كثرت الامانة وتعلم اولاد الرب من ان الى اخرات لا ينجوا الا الى
ملكوت السموات . واما اليهود فقد صوبوا عليهم بكثرة خيائهم انتقام الرب وقربى اليهم
المشاق الويلة التي كان يتوعدون بها ولقد كانت احوالهم تزداد سوءاً وفي غضون ما
كان الرب يفرز من بينهم كثيرين ليضمهم الى مختاربه بعث بالقدس بطرس ليعمد قائد
المائة كورنيليوس الروماني . فانه علم في يادي الامر بروما من العلاء . وفي ما بعد
بالاخبار ان الامم مدعوون لمعرفة الله لان يسوع المسيح الذي شاء ارتدادهم ناجي
من العلاء بولس الرسول المزمع ان يصير معلّم . واقام لديه معزة غريبة لم يسبح الى
ذاك الوقت نظيرها فتحول الدين المسيحي بعد ان كان مضطهداً ليس فقط الى محام
بيادته بالقل والمكاشفة بل الى ان يكون منذراً غوراً على الايمان ايضاً وكشف له سر دعوة
الامم بسبب رذل اليهود الناكرين للجميل الذين اسلموا متوغلين في القباحة وما يعثرون
على عدم استهائهم للانجيل وبسط مار بولس يديه نحو الامم واخذ يحكم بكل فصاحة
وبلاغة عن كل تلك الامور المهمة وهي هل سيتألم المسيح وبصع اول من يقوم من بين
الاموات فيبشر بالتور الشعب والامم . وعلق بثبت قوله بولس والانياء ويدعو الامم الى
معرفة الرب باسم يسوع المسيح المنبعث من الموت وتقاطر الشعب والامم الى الايمان
اجوافاً وايمان مار بولس حينئذ ان دعوتهم من النعمة التي لا تميز بين اليهود والامم .
فدبت الحدة في قلوب اليهود مستبطين وتوأمروا على القدس بولس حنفيت منه
لا سيما لانه كان يندر الامم ويردمهم الى الاله الحق فسلطوه للرومانيين مثلاً ليعلموا بيسوع

المسيح فاحتدمت دولة رومية غضباً على البيعة الجديدة وأصبح يرمون المضطهد لجميع
 البشر أول من اضطهد المؤمنين وأما القديس بطرس وبولس فتكرست رومية
 بهما . وتشد في حاضرة الملكة كرمي^١ للذين الخاص بسبب شهادة القديس بطرس
 رئيس الرسل . بيد أنه كان قد ازف الوقت الذي كان الرب مزعماً فيوان ينتم من
 اليهود المضطرين على آثامهم لأن الانقسام قام فيما بينهم وأبغت الغيرة الفاسدة بصائرهم
 وحسنت بقي الناس طراً ياتنون منهم وكان انبياءهم^٢ الآفاكون يخاتلونهم بمواعيد ملك
 وهي . ولما اتخدعوا أي خداع . وانقسموا في لجة الفرور تفسر عليهم أن يجهلوا السلطة
 الشرعية أو يقصروا على جرائمهم المستنظمة فغلب الله عليهم شهواتهم السيئة فتبردا على
 الرومانيين الذين اذا قوم مر العذاب والفضك . ونطس^٣ إنفسه الذي تم دنائهم قد قر^٤
 أنه لم يكن^٥ إلا آلة تقصوها يد غضب الرب عليهم وإيادهم ادريانوس فهلكوا . وقد
 كانت كل^٦ أدلة الانقسام الالهي عليهم لانهم طردوا من أوطانهم ونشعلوا أسرى وعبيداً
 في كل المسكونة . فلم يبق لهم من هكل ولا ملج ولا ذبيحة ولا وطن وانتهت آثارهم من
 كل يهودا

بيد أن الرب قد اعد له عند الازل شعباً اخريوذي له فروض العبادة لأن
 الام تفتحت ابصارهم واتخذوا بالروح مع اليهود الابيين الى حبر البيعة . وبناء على ذلك
 انحازوا الى اخلاف ابراهيم واصبحوا اولاد الايمان وورثة المواعد التي وعد بها ابراهيم
 فصارت الجميع شعباً واحداً وبدت على وجه البسيطة ذبيحة جديدة وهي الذبيحة التي اوعز
 اليها الانبياء في نبوءاتهم

وعلى ذلك المتوال تمت نبوءة يعقوب بكل دقة وضبط اي ان بني يهودا يريدون
 أكثراً من البدء على كل بني اخوة . ولما كان يشمر^٧ حافظاً على نوع ما السلطة
 عليهم فقد نال الملك اخيراً مبرائكة^٨ واصبح على طول المدى شعب الله مختصراً في
 سبطه وملقباً باسمه . وتكاثر يهودا الشعب العظيم الذي وعد به ابراهيم واتحق ويعقوب
 واستنداست^٩ بالمواعد الاخرى اي عبادة الرب والهكل والذبايح والاستيلاء على
 ارض المعاد التي لم تكن تدعى إلا يهودية لان اليهود قمرأ عن احكامهم المشابهة قد
 استعروا جمعة واحدة وشعباً واحداً في مملكة واحدة مظلمة واخمين لسنة واحدة . فلبث
 ملوك وقضاة واعيان يتولون امورهم الى ان اتى المسيح . ولئن ما تاه اخذت مملكة

بهذا تندر حياً بعد حين وبعد ذلك تم دثارها وطردتها اليهود الذين من
 الابواب الى ارض ابايهم واصبح المسيح رجاء الامم ومنتهى امامهم ملكاً يحكم شعباً جديداً .
 ورغبة في رعاية الخلافة والاتصال افترض ان يطعم الشعب الجديد في القدم حسبما
 قال مار بولس ان الزيتونة البرية اذا طمعت في الزيتون البشائية اصبحت شريكة
 لها في دسها ولهذا افترض ان الكنيسة المشيدة في بادىء الامر من اليهود قبلت في
 حجرها الامم لتصبح شجرة واحدة وجسماً واحداً وشعباً واحداً وتشركهم طراً بمواعيدها ونعمتها .
 ولا تغفل اذ ذاك لكل ما حدث لليهود غير المؤمنين على عهد قسما سائوس
 ونيطوس بنسب الله بل ان ما طراً عليهم كانت كفتاسه للمشردين الذين لسبب
 عصيانهم الامين الموعود بـ ابراهيم وداود لم يلبثوا يهوداً ولا اولاداً لـ ابراهيم الا حسب
 الجسد ولقد مجدوا المواعيد التي كانت مزمنة ان تكون بركة على كل الامم . وعلو
 ان البلية الاخيرة التي امتت باليهود لم تكن كـي بابل وليست كـتوقف الحكم والسلطة
 في شعب الله والخدمة في الدين لان الشعب الجديد الذي تكون وامترح بالشعب
 القدم يسوع المسيح لم ينقل من اليهودية واخذ في الامتداد والفاء دون انقطاع من
 اورشليم حيث نشأ الى اطراف المسكونة واصبح حينئذ الامم الذي تجاوزوا الى اليهود
 اليهود المختفين ومملكة داود المختفية برضوخهم للشرائع وانجمل بمسوع المسيح ابن
 داود

وبعد ان تشددت هذه الملكة الحديثة لا ينبغي من دثار كل شيء في بلاد
 اليهودية لان المهكل الاخير لم يعد يصلح لشيء بعد ان اتم المسيح كل ما فعل بالانبياء .
 لانه قد نال الفخر الموعود به ما في المسيح المطلوب من الامم . وقد كانت اورشليم امتت
 كل ما كانت مندوبة اليه لان البيعة كانت قد تكونت فيها ومن ثم اخذت اغصانها
 تمذ في كل اطراف الارض ولم تعد اليهودية او اليهود من اهتمام الرب او الدين . وقد
 كان من العدل ان يشعشوا في الارض غنائاً لنساق قلوبهم

وذلك نفس ما كان مزماً ان يجل بهم في زمن المسيح تطبيقاً لما فاء به يعقوب
 ودانيال وزكريا وجميع انبيائهم ولكن بما انهم يعودون يوماً ما الى المسيح الذي مجدوه
 وان الله ابراهيم لم يكن قد افرغ كل كنوز رحمة نحو ذرية هذا الاب الامين فقد راي
 وسيلة ليس لها من نظير في تاريخ العالم وهي ان يحفظ اليهود خارج اوطانهم

بدنارهم وبينهم زماناً اطول من زمان الظاهرين عليهم لعدم وجود آثاره للاثوريين
 الاقدمين والماديين والفرس واليونانيين والرومانيين لان بدنارهم قد غُفِيت واختلطوا
 بالامم الاخرى . اما اليهود الذين كانوا فريسة طولة الامم المشهورة في التاريخ لبسوا
 بعدم وان الرب لم يرهم الا ليصلنا متظيرين ما هو مزعم ان يصنع بياني هذه الامة
 البائسة بعد ان صب عليها احساناً سابقاً ومع ذلك كانت قساوة قلوبهم وسيلة لخلاص
 الامم الذين يرون بين ايديهم الكتب المقدسة غير المرتاب فيها التي تبين يسوع
 المسيح واسراره . وما نراه ايضاً في الكتب المقدسة عنها المرعبة بكل اعتناء من اليهود
 هو على قلوبهم ومناقهم وعلى هذا تنفس العبرة من مصائبهم . وعدم امانتهم اصبح ركناً
 لاماننا لانهم بذلك يعلموننا مخافة الرب وقد صاروا انموذجاً موبداً لاحكامهم
 الصارمة على بنيه الجاحدين وذلك فلا تنفخ بالعبادة المعطاة لآبائنا .

وقد نجتهم علينا ان ندقق بالنقص عن السر العجيب الذي يراعى و جانب الافادة
 للنوع الانساني وليس لنا حاجة لكلام البشر لكي ندركه لان الروح القدس قد اراد
 ان يفسر لنا ذلك بواسطة القديس بولس الرسول . فاملي وطيداً على ان نصيغ لما قاله
 هذا الرسول للرومانيين

فبعد ان تكلم عن يسوع الممد من اليهود الذين اعتنقوا الانجيل وعن قساوة
 غيرهم شرع يتفرق ما يصير اليه الشعب المغرور بالعبادة الالهية فيكشف لنا بذلك
 عن الثمرة التي نجنيها بسقوطهم والثمرات المزمعة ان تنشا يوماً ما من رجوعهم الى الايمان
 فقال : العل اليهود عثروا حتى سقطوا حاشاً بل بزلتهم حصلت الامم على الخلاص
 لا غارنهم فان كانت زلتهم غنى للعالم ونقصانهم غنى للامم فكم بالاخرى امتلاكهم .
 لانه ان كان رفضهم هو مصالحة العالم فما يكون قبولهم الاحبة من بني الاموات .
 وان كان الاصل مقدساً فكذلك الثروع . وان كان بعض الثروع قد كسروا قد كنت
 انت زينة برة قطعت فيها قصرت شريكاً في اصل الزينة ودسها فلا تنفخ على
 الثروع فان انفخرت فلست انت تحمل الاصل بل الاصل يحملك ولعلك تقول ان
 الثروع قد كسرت لا طعم انا . حسن انها من اجل الكفر قد كسرت وانت بالايمان
 تثبت فلا تستكبر بل خف فانه ان كان الله لم يبق على الثروع الطبيعية فلعله لا يبق
 عليك انت ايضاً

فمن ذا الذي لانا هذه الرعدة عند ما يستمع كلام الرسول وهل يمكن لانا ان لا نخشى
من انتقام الرب اللاحق باليهود منذ اجيال عديدة فان القديس يواسي بعضها من
قبيل الرب قائلاً ان كفرناحوس جذب اليها عفتنا كهذا وبناءً عليه فنسمح لكلام الرسول
الغافل : فانظر اذا الى لطف الله وشده اما الشدة فعلى الذين سقطوا واما لطف الله
فلنك ان ثبت في لطفه ولا تقطع انت ابصاراً وم ان لم يثبتوا في الكفر يطعمون لان
الله قادر ان يطعمهم لانك ان كنت قد قطعت من زيتون برمي بالطبع وطعمت
على خلاف الطبع في زيتون بستانك فكم بالحري هؤلاء الذين هم فروع طيبة
يطعمون في زيتونهم الخاص

وارتفع هنا الرسول فوق كل ما قاله ودخل في حجر مشورة الرب فقال فاني
لا اريد ابها الاخوة ان نعلم هذا السر لئلا نكون عند انفسكم حكاة وموان عني قد
حصل لجانب من اسرائيل الى ان يكون قد دخل ملء الام وهكذا يستخلص جميع
اسرائيل كما كتب : ساني من صهيون المنفذ وبصرف النفاق عن يعقوب وهذا هو
عهدي لم حين ازيل خطاياهم

هذه الآية قد نقلها القديس بطرس عن النسخة السبعينية حسبما كانت عادة
لانا قد كانت متعارفة في كل الارض . وانها لا قوى عبارة في النسخة الاصلية اذا
استقرت متصلة لان النبي يتكلم اولاً عن ارتداد الام ويقول ان القاطنين في الغرب
يحافظون اسم الرب والقاطنين في الشرق يرون محبت ثم رآى الشعباً عن بعد الاضطهادات
التي نومول لتمام البيعة كهبر متضمر مغولر ثم كشف له الروح القدس عما هو مزيج
ان يحمل في اليهود فقال وباني لصهيون القادي وللذين يتوبون عن الوشم في يعقوب
يقول الرب هذا عهدي معهم يقول الرب روجي الذي فوك وكلامي الذي جعلته في
فمك لا يزولان من فمك ومن فم نسلك ومن فم نسل نسلك يقول الرب من الان الى
الابد

فبين لنا النبي : يتوع صريح ان المخلص الذي لم يعرفه صهيون وقد حمده بنو
يعقوب سوف ياتي بعد ارتداد الام اليهم ويجمعهم اليهم ويجمع لهم ادراك النبيات
بعد ان كانوا قد فسدوا زماناً مديماً . حتى ان هذا الادراك يتعاقب من يد الى يد
في الاجيال كافة حسبما يشاء الرب ويكون هذا الحادث العجيب . وعلى هذا

سوف يودع اليهود وبعد ايامهم لا يعودون يصلون الى الابد ولكن لا يورثون الا بعد
ان يتلى الغرب والشرق او بعبارة اصرح تتلى الارض كلها من خوف الرب ومعرفته
وايان الروح القدس للقدس بولس ان رجوع اليهود موقوف على محبة الرب
لآبائهم ولهذا تراه يتم ما قاله هذه الكلمات :

اما من جهة الانجيل فهم اعداء من اجلكم واما من جهة الانتخاب فهم احياء من
اجل الآباء لان مواهب الله ودعوته هي بلا ندامة فكما انكم كفرتم حينما بالله وتلثم
الآن رحمة من اجل كفرتم قد شاء الله ان يستخكم لتكونوا بمثابةهم ، كذلك
هو لا ايضا كفرنا الان لاجل رحمتكم حتى ينالوا ايضا رحمة لان الله اعطى على
المجسم في الكفر ليرحم الجميع ، وحتى يشعر الجميع بالاحتياج الى نعمته ، فبالله
غنى الله وحكمته وعلوه ما ابعد احكامه عن الادراك وطرفه عن الاستقصاء من عرف
فكر الرب ومن كان مشرباً ومن سبق فاعطى له فيكافاً . ان كل شيء هو منه ويو
والوفاء المجد مدى الدهور آمين

ذلك ما قاله القديس بولس بشأن انتخاب اليهود وسقوطهم وايامهم ثم ارتداد
الام المدعوين ليكونوا بمثابةهم وبروتهم في اخر الاجيال للبركة الموعود بها ايامهم
وهي يسوع المسيح الذي يجتدو ويدين لنا ايضا هذا الرسول انتقال نعمة الرب من
شعب الى اخر لكي نأخذ الرعدة كل الشعوب عند فقدانها ويدين لنا ايضا قوة هذه
النعمة التي بعد ان ردت الام استازرت لنقولها الاخرى بان يكسب كثر اليهود وبردع
خبيثهم ومكرهم

وبسبب مشورة الله السديدة بقي اليهود في وسط الام حيث لعبت بهم ايدي
التدبير وهم تحت انتقال الاسر الا انهم لبثوا على حالهم المردولة فاقدين لسبب كفرهم
المواثيق التي اعطيت اباؤهم وايامهم ومجاليين عن ارض الميعاد ولم يكن لهم من ارض بروتونها بل
استمروا عبيداً ايان رحلوا وابن حطوا لاشرف لم ولا حرية ولا هيئة شعب .

وكابدوا تلك الاحوال ثنائي وثلاثين سنة بعد ان صلبوا المسيح واتخذوا الزمان
الذي اعطيت لم ليرعوا عن اغوائهم ويتوبوا بان يرمقوا الرسل ويضطهدوهم . وفي
غضون ما كان الشعب القديم مردولاً لسبب كفرهم كان الشعب الجديد اخذ في
الذآ يوماً بعد اخرين الام . وقد اتصلت المعادة التي عومد بها انفا ابراهيم حسب

المعداد بكل الشعوب الذين كانوا قد نسوا الرب لان البيعة المسيحية تدعو اليها كل البشر. ولما كانت مستكنة في معمة العذاب مدة اجيال عديدة ابانت للبشر ان لا يطلبوا المعادة على الارض.

فهاك يا سيدي ثمة معرفة الرب ومنافع هذه البركة العظيمة التي ينبغي ان ينتظرها العالم يسوع المسيح فكانت على التواتر نحل على بيوت مشايخه وشعوبه منقلاصلة وكانت البشر يتدنون من يوم الى اخر فيشعرون بما وصلوا اليه من الفضلة بعبادتهم للالوان. ولقد كان المسيحيون يغيرون هيئة العالم ويتبدلون في كل الاصناف قسرا عن قوة الرومانيين دون ان يتردوا او يغوروا بل كانوا يحشون كل انواع العذاب.

وسرعة هذا التغيير المخارقة العادة هي عجيبة ظاهرة فان يسوع المسيح كان قد تنبأ ان الانجيل ينذري في كل الارض وقت هذه النبوة حالا بعد موته وكان قد قال: واذما رفعت ابن الانسان اي ان صليبه سوف يستعمل اليه كل شيء ولم يكن الرسل انما مسيرهم الاقال ماربولس للرومانيين ان ايمانكم ببشره في العالم باسره وكان يقول للكلولوسيين ان الانجيل يبشر في كل مكان

وقد وصل اليكم كانه قد وصل الى العالم كله الذي يغري ويهوى. ومن المحدث في التخليد نرى ان القديس توما قد انذري في الهند وسائر الرسل في البلدان العاصية وليس بتثبيت هذه الحقائق من حاجة الى التواريخ فان الاعمال تبينها صريحا ومن هنالك يتضح مطابقة كلام القديس بولس للرسل باستناده على مرادهم الذي: في كل الارض خرج منتظم وفي اقطار المسكونة اثبت كلامهم

وفي زمان الرسل خلفائهم لم تكن بلاد قاصية ومنكورة الا بشر فيها الانجيل فبعد ان مضى على موت المسيح مائة من الاعوام كان القديس جوستينيانوس بعد من زمره المؤمنين كثيرين من البربر وكثيرين من النحل الرجل الذين يترجون من مفر الى اخر على عجالات وليس لهم من موطن مقرر. وليس ذلك من نوع الفلج والمبالغة بل امر مقرر كانوا يبعثونه وقتلهم لدى الملوك والعالم كله. وفي بعد ذلك بقليل من الزمن القديس ايرينيوس وزاد عدد البيعة وكان الاتحاد عجيبا لان ما كان يعتقد يوسف غاليا واسبانيا وجرمانيا كان نفس ما يعتقد يوسف في مصر والشرق وان لم يكن في العالم

الانفس واحدة لم يكن يرى في الكنيسة من اقصى العالم الى اقصى الانور حقيقة واحدة وكذا اردلف المرء قليلاً يأخذه العجب والدهشة من النجاح الذي كان للبيعة . ففي وسط القرن الثالث بين ترتوليانوس اوريجانوس ان شعوباً برمتها قد انحازت الى البيعة ولم تكن منها وان الذين كانوا فاطنين في اقصى العالم المعروف لم يحسم اوريجانوس منها لكما الى من بعده ارنوب فضمهم الى مومنها

فعلى ايدي شيء غير العالم حتى سارع منها فتاً على يسوع المسيح فاذا كانت غير على بعض من الاعاجيب فيكون الرب قد تداخل بنوع صريح في ذلك العمل وان لم تكن في ذلك المحن حدث امامهم اعاجيب فاراداهم وقشدر من اكبر الاعاجيب واعظها ودخول فيالقي حجة في اسرار سامية وان رضوخ عدد غفير من العلماء واقناع اناس لا ينفون باشياء عسرة التصديق لمن الغرائب والعجائب

يد ان عجيبة العجائب ان ساع لنا القول هي ان النضائل السامية والاعمال الشاقة قد كثرت والايمان بالاسرار في العالم قاطبة فان تلاميذ المسيح خطوا خطوات سيدهم في الطرق الشكة فقد كانوا معرضين لكل شيء في سبيل الحقينة ومفتنون آثار غلظهم وكانوا يقدمون على الملمات جذلاً وفرحاً أكثر من اعلى الملمات

ولا يمكن لنا ان نخفي اولئك الذين افشروا حباً بسد سبب المعصيين . ولا اولئك المبشرين الذين آثروا الفقر على الغنى ولا العذارى البارات اللواتي تسكن على الارض بالملائكة ولا الرعاة المتخضعين الذين كرسوا ذواتهم خدمة للجميع وقد كانوا دائماً لا يتعبدون الليالي بالماء والمهر باذلين نفوسهم حباً بقطعاتهم . ولقد كانت النشقات والتدانة في اعلى ذروة من السادة فان النضاة وقشدر لم يكونوا ينضون على الجرمين البائسين باكثر مما كانت الاثميون ينضون على نفوسهم وفضلاً عن ذلك فقد كان الابرياء يعاقبون نفوسهم بقوة عظيمة بسبب الميل الفاسد الذي يحملنا على الخطية . وقد اصبحت حيرة القديس يوحنا المعمدان التي بدت عجيبة بين اليهود دائمة بين المؤمنين فامتلات الساسي والقنار من الذين اقتنوا آثاره وكثرت النساء حتى ان الذين كانوا يطلبون الكمال الاعظم قد كانوا يوغلون في وهاد الارض . ولقد كان جيم غدير يعزلون عن العالم ويلتذون بالحيرة الرياضية والروحية بواسطة سكرهم القنار . فهناك النار الشمية التي نجمت من الانجيل فان البيعة لم تكن اقل غنى بالامثال من

التعليم فان تعليمها قد بدأ مقدماً وانشأ زمره كثيرة من القديسين وان الله الذي
 يوعز ان الفضائل السامية لاتتم الا بتجسم المشاق الويلة قد شاد بيعة على الانهاد
 واراد ان تليث على تلك الحال مدة ثلاثة اجيال دون ان تخامرها راحة ولما ابان
 باخبار مديد عدم احتياجه للمساعدة البشرية والسلطة الدنيوية لافامة ينعو دعا
 اليها الملوك واقام قسطنطين الاكبر ذائداً عنها ومحامياً . فبعد ذلك توافدت الملوك
 من كل صقع . ونادى ليحيا البيعة وكل ما قاله الانبياء عن مجدها قد نعم امام العالم
 كله .

وكما ان البيعة لم تنفح ايدي العدو الخارجي كذلك لم ترفع بها الانفسامات
 الداخلية سوا . فقد بدت البدع التي تنبأ عنها المسيح ورسله واخذت تضطهد البيعة
 وعلق المبتدعون بتناسوتها اكثر مما كان يتناسبها الملوك ومع ذلك لم يضيق ذاك
 الاضطهاد عليها الا بعد ان انتصت مناصبة الوثنيين لان الحميم في ذاك الحين
 افرغ ما عنده من القوة ليحل ابناء البيعة يتناسون بعد ان كانت اركانها قد
 توطدت بتحديق ابصار اعدائها الفاضين عنها اليها . فلم تليث ان استكتت وطلقت
 شمع بالراحة التي نالتها في عهد الملك قسطنطين الا بدأ اريوس الشقي يادها بامور
 ويلة لم تكن اذ ذاك الحين تجسمتها واخذ قسطنطين بن قسطنطين الملك يرمي الكاثوليك
 في كل الارض فان الاريسوسين كانوا قد خاتلوه والجنحوا الى نسيب بدعتهم فاخذ
 يضطهد المسيحيين اشد الاضطهاد وهو يودع عليهم الحرب باسم المسيح فوهت البيعة
 المجترقة تحت سلطة جوليانوس المجاهد الذي استخدم كل الوسائل لاتلاف الدين
 المسيحي ولم ير له من ذرية لتسيم ذلك الا بان يثير الاحزاب التي كانت تناصبة
 وخلفه فالانس الجالح الى الاريسوسين قسطنطين لكنه كان اشد منه عنوا وجورا

وقد دب الحق في قلوب بعض الملوك سواء قفلوا اثره بالمطوف الى بدع
 اخرى والذود عنها . فضرعت الكيسة بالاخبار ان ينض عليها بان تنكبد مشاق
 على عهد الملوك المسيحيين ليست باقل ما تكبدته على عهد الملوك الوثنيين ورأت ان
 من المنعم عليها اهراق دم بنينا للدفاع عن تعليمها او بالاحرى للذود عن كل قاعة
 منه . فلم يكن بد من بدوه خاليا من تصويب سهام بنينا عليها لان كثيرين من
 المشيعين نزحوا من حمرها ناكثين ذماها واخذوا بطارحوتها . لكنها وان رأتهم قد

قاموا ضدّها بناوشونها فقد رآهم كما قال المخلص مدحورين قسراً عما ضافهم الملوك
العظام . وإما أبناؤهم الحقيقيون فقد كان ذلك الايمان كافياً لثبوت ايمانهم وذلك
كما قال النديس بولس . ان الحق ثبت اذ تعرض للناوشة وليست البيعة غير مزعومة

الفصل الحادى والعشرون

في بعض ملاحظات خاصة باليهود ونبوءات يسوع المسيح
يما كنت عاكفاً على ان ارفع لدى جلالتك النبأ عن نسل ما رب الرب في
ادامة شعبه بالنواشحت على حوادث كثيرة ذات بال نسلت اليها الانظار فيمكن
مسيحاً لي ان اعود ارفع عنها حجاب القموض فتنب اذ ذاك على حاشتها .
غير انى احق الامل بان نتميز بنوع خاص سقوط اليهود فان كل ظروفه
تؤهل لثبوت الانجيل . وقد اتصلت اليها بواسطة مورخين من اليهود والوثنيين يوثق
بهم كل هذه الحوادث التي اراد الرب ان تكون ذريعة لسقوط اليهود وان لم يفهم
هؤلاء المورخون مقاصده .

فلم نزل ايدينا تداول مؤلفات المورخ يوسفوس اليهودي العالم باحوال امته
فانه قد اساد بلاده بنا ليه الموعزة الى اثار اليهود القديمة وما كتبه فيها كلام مسهب عن
الحرب الاخيرة التي كانت علة لدمار تلك الامة وقد كانت هو نفسه يشهد منها بخدم
الوطن بما مورية خطيرة .

وكتب اخرى قديمة عند اليهود تطبق على ما ذكرناه لان عندهم شروحاً قديمة على
الكتب المقدسة من جعلها شروح بالكلدانية في ذيل تواراتهم ولم كتاب يدعونه
اللمود اى التعليم يراعون حرمة كالكتاب المقدس وهو يبطوي على مقالات واحكام
قام بها العلماء الاقدمون وان تكن اجزاء ذاك المؤلف ليست من قرن واحد فان
المؤلفين المذكورين فيه اخيراً قد كانوا في اوائل جيل الكتاب المقدس وفيه نرى
اثاراً حسنة في مفاهيم اليهود القديمة وبراهين قاطعة لاقتناعهم وان يكن فيه خريلات
عديدة الا ان اكثرهما كان بعد المسيح

ومن الامور المحققة ان الانتقام الالهى لم يهبط اليهود اكثر منه عندما اندثروا اخيراً

وذلك بقرون وثماناً .

ومن الاحاديث الصحيحة المذكورة في الملوك والثبوت من جميع الرابانيين ان اشياء غريبة كانت مستمرة الثبات قبل دنثار اورشليم باربعين سنة اي في عصر يطبق على وشك موت المسيح . وقد كانت معجرات متوالية تحدث في الهيكل يوماً بعد يوم فانجماً احد الرابانيين المشاهير الى ان هتف ذات يوم قائلاً يا ايها الهيكل يا ايها الهيكل علام تضطرب وعلام تخيف نفسك بنفسك

وهل من امر جللي لدى الجميع اكثر من ذاك الدوي الذي سمعه الكهنة في بيت المقدس وقت عبد المظالم وذاك الصوت الجهوري الذي خرج من الهيكل هائلاً فلنخرج من هنا فلنخرج من هنا واعلم الملائكة القديسون الدائدون عن الهيكل انهم يفادرونه وما ذلك الا لان الرب رذله بعد ان كان قد جعل فيه مقامه اجيالاً مديدة .

ونقل يوسيفوس المؤرخ وناسيوس الروماني نفسه ذلك الحادث الغريب وشعر به الكهنة وحدهم ولكن قد بدالدى الشعب طراً حادث آخر لم يأت لاحد الشعوب ان يرى مثله ويبان ذلك هو ان يوسيفوس المؤرخ يقول ان احد الثرويين هتف قبل احتدام نار الحرب باربعة سنوات قائلاً : صوت خرج من الغرب وصوت خرج من الشرق وصوت خرج من مهاب الرياح الاربعة صوت ضد اورشليم وضد الهيكل وصوت ضد الذين تزوجوا حديثاً واللاتي تزوجوا حديثاً وصوت ضد الشعب كله ومن ثم استمر بصرخ ليلاً ونهاراً الويل الويل لاورشليم وكان يضاعف صراخه ايام الاعياد غير متفوه بكلمة اخرى عدا ذلك ولم يحب احداً من كانوا باسفون عليه ومن كانوا يلعنونه او يحسنون اليه الا هذه الالفاظ الرهيبة وهي الويل الويل لاورشليم قائلي عليه التبرص وحكم عليه القضاء بان يجلد بالسياط فكان يجيب على كل سؤال يوجه اليه ولدى كل جلدة لم يردون شكوى بالكلام ذاته اي الويل الويل لاورشليم فيسوا منه واطلقوه معتقدين انه ممتوه قدوخ الثرى والداكر وكررتك الالفاظ الرائعة وليست على ذلك المتوال مدة سبع سنوات دون ساقمة او خمر .

وحينما كانت اورشليم مضيقاً عليها محاصرة كان داخلها يتطوف حول اسوارها صارخاً يجهير الصوت الويل للهيكل الويل للقدية الويل للشعب ثم قال الويل لي

فبعد ذلك فاجأ، حجر كبير مشوق بالحقيق قصرة على الارض قليلاً

فياسيدي من ذا الذي لا يوقن عند مرآة ذلك المشهد ان الانتقام الالهى بدأ جلياً
في ذلك الانسان الذي لم يكن الا ليقوه باحكام الرب الذي اقمته قوة واقتداراً لكي
يعدد بصراحة مصائب الشعب وهلك اخيراً بحكم ذاك الانتقام الذي انذره منذ مدة
مديدة قبل وقوعه . وما ذلك الا ليحمله عنيداً وبيئاً ليس لانه تنبأ عنه وقرره مراراً بل
لانه اصبح ضحية له ايضاً .

فاللهي الذي تنبأ بمصائب اورشليم يدعى يسوع ويضع من ذلك ان اسم يسوع اسم
الخلاص والسلام مزيج ان يحول لليهود الذي لم يعيشوا في المخلص دلالة سنة عليهم
واما اولئك المجاهدون الذين نبذوا وراء ظهورهم يسوع الذي انذرهم بالنعمة والرحمة
والحبة فقد بعث الله اليهم يسوع اخري نذرهم بمشاق ويملة لا ينجع بها دواء وبوشك خراهم
الذي لا يحصى منه ولا مناص .

فلننص اذاً في عباب احكام الرب بنور كنيسة المقدسة . وسنرى ان قد قضي على
اورشليم والهوكل بالذئار مرتين مرة في عهد يختصر الملك واخرى في عهد توطس وفي
ذبتك المهددين لم يبدُ عدل الرب بالطرق نفسها وان يكن حق في الذئار الاخير
حنناً بيناً

ولكي ندرك تسلسل ما رآه الرب ينبغي في بادى الامر ان نتوكل على الحقيقة
المذكورة في الكتاب المقدس وهي ان من عادة قضاء الانتقام الراجع ان يسلط علينا
شهوئنا المردولة فتطرح بالمفاسد فتصيح صفاً عن نصائح الحكمة وعمماً عن روية الطرق
المفجوعة امامنا المؤدية الى الفجاة وموهبين لان نعلم نفوسنا لكل ما ياتي بنا الى التهلكة
ومخائل شهواتنا بالدهان والندليس فتثبت على كل عمل عجزة غير موازين قوانينا مع
قوى الاعداء الذين اغضاهم والرب يسمح بكل ذلك غفلاً على ما اقترعنا من الجرائر
وعلى ذلك المتوال كان ذئار اورشليم وملوكها يد بخنصر ملك بابل فكابدوا به
صاحب الويل ولهذا شعروا مراراً بان اثارهم تعود عليهم بالنهز والكبات فدناوا له
منسحقين . وكان ارميا يوعز اليهم من لدن الله ان الرب فوض امرهم لهذا الملك وان
ليس لم فرج الا بان يكونوا له صاغرين ويحملوا اثقال نيره . فقد كان يتاجي صدقيا
الملك وشعبه قائلاً طاططوا رؤوسكم تحت نهر ملك بابل وادوا له العبادة فبحوا . علام

تموت انت وشعبك وعلام تنزل هذه المدينة خراباً فلم يثقوا بكلامه . وبينما كان يختصر
يضيق عليهم في المدينة مكثتهم بترسات عظيمة كانوا يثقون بالانبياء الكذبة الذين
كانوا يعدونهم بان النصر ياتيهم عن قريب فقد كانوا يحاطبونهم باسم الرب مدعين
انهم مرسلون من لدنه قائلين . اني سمعت نير ملك بابل وانامن الان الى ستين ارد الى
هذا المكان جميع انية بيت الرب التي اخذها يختصر .

فخضع الشعب بهذه المواعيد الكاذبة وعلقوا بحملون مفاضة الجوع والظاء والمشايق
الكليّة وافضت بهم الوفاة الى ان لا يبقى لم لدى الظافر عليهم رحمة ولذلك اندثرت
المدينة وحرقت الهيكل واصبح كل مناصلاً

وقد كان من ذلك ادلة بيّنة تدع اليهود يشعرون بان يد الرب تداهم . ولكي
يبدولدهم انتقام الرب صريحاً في دنثار اورشليم الاخير كما بدا لديهم في دنثارم الاول
عثروا يذ على الثور عينو والوفاة نفسها وعثروا القلب ذاته

وان يكن تردم صوب عليهم الاسلحة الرومانية وابدوا من الوفاة شيئاً عظيماً
ليزحروا عن عواقبهم نير الرومانيين الدائمة له الارض بارها فلم يقصد نجوس دنثارم
بل انه وقد مراراً ان يعاملهم بالرفق والودعة ليس في ابتداء الحرب فقط بل بعد
ان رأى ان لم يبق لم من يذ مفر لانه كان قد اخذ عترة حول المدينة سوراً باذخاً محصناً
بترسات وقلاع امنع من فلاع المدينة لما يث اليهم يوسيفوس وطبيهم احدروسا
شرطتهم وكهنتهم اذ كان اسره من بينهم وهو يدافع عن وطنه . فاخذ يحضهم على الرضوخ
فلم تنفع بهم نصائحه وقد ابرز اليهم ادلة قاطعة على وجوب طاعتهم قائلاً ان السماء
والارض مخالفتان على تنكيلهم وان دنثارم بالعناد من الامور التي لا تدح منها . وان
نجانهم موقوفة على رحمة نجوس وناداهم بجهر الصوت قائلاً انقذوا المدينة انقذوا نفوسكم
انقذوا هذا الهيكل المحجوبة العالم الذي يراعي الرومانيون حرمة ويود نجوس نفسه ان
لا يراه منقوضاً الا باسب عظيم ولكن ما الحيلة في انقاذ اناس يثابرون على ان يصروا
على هلاكهم فان انتباههم الكذبة كانوا يظفونهم ولذلك لم يصيحوا لاحوال ذاك الرجل
ونصائحوه . وقد كانوا في ازمة شديدة لان كثيرين منهم كان لم بهم الجوع الشديد فكان
بقي منهم اكثر من الحرب وقد افضى بهم الامر الى ان الولادات باكل اولادهم
فصطف عليهم نجوس راثياً واقسم بالحيوة انه لم يكن علة لدنثارم . وفي اثناء المشاق التي كانت

تصاحبهم كانوا يعتقدون بالانبياء الكذبة التي كانت تقدم بالاستيلاء على العالم وفضلاً عن ذلك انهم رأوا ان المدينة غلصت من بين ايديهم عنوة وشيت فيها النار من كل جانب ولم يزعجوا عن اغوائهم بل لبثوا يصيغون لاقوال الانبياء الاثبات الذين كانوا يبرهنونهم بالمداخلة بمجملهم على اليقين بان يوم انقازهم قد حان فلبثوا على ذلك والرحمة عنهم قاصية فقتل الفاتح اذ ذاك منهم خلقاً كثيراً بجد الحسام وقوض المدينة من اركانها ولم يبق سوى بعض قلاع يستبقها آثاراً للاجيال التالية فهوت اورشليم ولم يبق منها حجر على حجر .

فانك نرى يا سيدي ان ما حل على اورشليم من النكبات والمصائب في ايام حزقيا قد حل نفسه عليها الان وان تيقوس لم يكن الاً بلائاً من قبيل الرب كجئتنصر ليهلك اليهود بالكيفية نفسها فاننا نرى في اورشليم العصيان نفسه والمجوع عينة والاذمة ذاتها ووسائل نجاتهم ذاتها وعين الطغيان وذات التمرد ونفس العناد ولكي تكون المضاهاة تامة بكل الوجوه حرق الهيكل الثاني في عهد تيقوس في النهر والنهار للذين حرق فيها في عهد مجئتنصر وكل شيء كان قد كتب عن ذلك آنفاً مع ذلك لم ينتبه الشعب لوعده الله وانذاره .

الا ان بين دناري اورشليم واليهود يوماً عظيماً وكل هذا الاختلاف يبين ان الدمار الاخير قد تم بصراحة غريبة بانتقام الرب فان مجئتنصر اضرم النار في الهيكل اما تيقوس فقد استخدم اكثر الوسائل لرعايته غير مبال بما تنوء يولديه اعضاء مجلدو الشوروي قائلين ان لم تقوض اركان هذا الهيكل فاليهود يشتمون على التمرد والعن لكن لما انت الساعة القبيحة اي اليوم المأساوي من شهر آب وهو الوقت الذي حرق فيه هيكل سليمان احرق هذا الهيكل المكرم احد جنود الرومانيين وقد حمله على ذلك وحي الاممي كما قال يوسيفوس المورخ ويأيد ان نفراً من ارفاقه اصمدوه الى نافذة الهيكل حيث التي النار قسراً عن تحريم تيقوس لذلك امام جميع الرومانيين واليهود وقسراً عن جنود الجنود الطيبين الذين كانوا يودون ان يسلبوا منه ما كان فيه من الاشياء الثمينة اخرى من ان يحرقوها فاذا علم بذلك تيقوس اسرع حالاً وامر بان تخمد النار فلم ينجح شيء ما استعملت من الوسائل فان النار اضطربت به من كل جانب وحولت ذاك البناء العظيم الى رماد .

فان كان عناد اليهود في عهد الملك دليلاً على متعول انتقام الله المريب عليهم فكم
بالاخرى عنادهم في عهد نبخوس الملك فقد كان اليهود وقت حصار اورشليم الاول
متواثمين على الالفة وتالب القلوب اما وقت ان دثرها الرومانيون اخيراً كانت قلوب
اهاليها متنافرة موججة قبسة الشقاق . فكانت تفرق بذلك امعائهما ولم يكن عند
قاطبيها حق على الرومانيين مثلاً كانوا يحضون على بعضهم ويهاقون على المباغضة .
ولهذا لم يتجدد في المواقع الخارجية قتلى منهم وتقار ما يتجدد في المواقع الداخلية لانهم
بعد ان كانوا يجالون الاعداء عن اسوارهم اندفعوا على بعضهم وعلقوا يبارون بسفك
الدماء . وكان يجاذب المدينة طرفان من الجور والسلب فعلت بها عوامل الخراب
واصبحت كنفاج صنف منى يمت الفتلى وغدار وسامها يتنازعون على السلطة
واصبحت حالتها تضاهي حالة النجيم حيث التكبر والبلبلة والرجز . والبالسة يودون قلى
اعنائهم وهكذا كان الهالكون في اورشليم فانهم كانوا يجهدون في سبل المباغضة

فلشأن يا سيدي ان انتقام الرب من اليهود يختصر هو صورة انتقامهم منهم بنخوس
فهل من مدينة شاعدت هلاك احد عشر كره من سكانها بحصار واحد مدة سبعة
اشهر

فهاك ما شاعده اليهود في حصار اورشليم الاخير فلم يحملهم الكلدانيون شيئاً مثلاً
لان سباتهم عند الكلدانيين لم يمتز أكثر من سبعين سنة اما بعد حصار اورشليم فقد
بادهم الثائبات سنة عشر جيلاً وهم يشنون تحت اوقار العبودية في العالم كله لا يجدون
لم من يزحزح عن عوائقهم الاتمال الباطلة او يفتقها قليلاً . ولا غرو من ان نبخوس قد
رفض تباريك الشعوب المجاورة على انتصاره وبذ ما استدوه له من النيجان والمكرات
على ظفنه فان الظروف الغربية وحق الرب العظيم على اليهود وبده التي تنفك ظاهراً
عليهم حملة على العجب من كل ما جرى ويعتبه على ان يقول انه ليس بظاهر بل هو
آلة في يد غضب الرب

ولم يكن يدرك ذاك السر لان الساعة المتوقفة عليها معرفة الملوك الرومانية
بما في المسيح لم تكن انت الى ذاك الوقت بل كانت ذلك الوقت اضطهاد البيعة
واذلالها ولذلك لم يعرف نبخوس الجبرية التي يعاقب الرب اليهود عليها وان يكن قد
عرف ان اليهودية درست بحكم من لدنه تعالى فعلة هذا الانتقام هي اكبر الذنوب وهو

ذنب لم يسمح يولي فاك الوقت اي قتل العر
ولقد نسب يوحنا في العالم مثيل . بيد اننا لو حدثنا الى الاموريين
البصيرة ونحريها حتى التحري لما ندعنا العلم بعباد اليهود وجرائم الكبرى .
فلنذكرن كلام المسيح حينما تم لم عن دنار اورشليم والميكل قائلاً لا يترك ههنا حجر
على حجر الا ينقض وكان قد تم لم عن حصار هذه المدينة المجاهدة وما سيجعلها من
الاسوار وان ينهار عملهم ايدي الومس فيتصورون جوعاً وان انبياء كذبة يطفونها .
وكان قد حذر اليهود ان ايمانهم قريب ولو عز اليهم بادلة فاطمة تشعر بان
حلولهم وان لم نسل انهم التي تسب لم تلك العنابات الرائعة وفصاري الكلام
انه كان قد اسلف لم عن تاريخ الحصار وغوائله ودنار اورشليم

فاعلم يا سدي انه نبأ لم عن كل ذلك وقت الامور جاء ان لا تذهب عنهم
علة نكبتهم لانه كان في مفرق من اعناو حين قال لم . ها انا ارسل اليكم انبياء
وحكام وكنت فيهم من تقتلون وتصلبون ومنهم من تحذون في مجامعكم وتطردون من
مدينة الى مدينة لكي ياتي عليكم كل دم زكي سفك على الارض من دم هابيل
الصديق الى دم زكريا بن بركيا الذي قتلوه بين الميكل والمذبح . الحق اقول لكم
ان هذا كله سياتي على هذا الجيل . يا اورشليم يا اورشليم يا قاتلة الانبياء وراجة المرسلين
الهاكم من مرة اردت ان اجمع بنيك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها فلم تريدي
هوذا يترك يترك لك خراباً .

فهاك تاريخ اليهود فانهم شهدوا المسيح في شخصه واخوانه واثاروا كل الارض على
رسوله ولم يدعوا لم راحة في اية مدينة كانت وقد حملوا الرومانيين وملوكهم على ان
يقتلوا السلاح على البيعة الجديدة ورجوا التديس اسطافانوس بالتجارة وقلوا البعوثيين
الذين كانوا على جانب عظيم من الطبر والنفى فاكتسبوا مراعاة الحرمة حتى لديهم وذبوا
التديسين بطرس وبولس بسيف الامم وذلك كان ذريعة لهلاكهم لان ما اهرقوا من
ذلك الدم ودم الانبياء صارخ من لدن الرب بالانتقام لتصبح بيوتهم ومدائنهم كلها طامسة
دارسة ولا يكون دنارهم اقل من انهم وكان يسوع يذمهم ان وقت ذلك قريب وان
هذا الجيل لا يزول حتى يكون هذا كله اي ان المعاصرين سوف يشاهدون كل ذلك
اما الآن فاصح لما انبك يوحنا في من نية قاديان لانه عندما كان مقدماً على

اورشليم قبل ان مات بقليل من الزمن عطف فؤاده شفقة اذ رأى ما سيجل عليها من
الويلات والمشاق بسبب الامم قرنا اليها ياكها وقال :

لو علمت انت ايضاً في يومك هذا ما هو لسلامك لكه الان خفي عن عينيك
انها ستاتي عليك ايام يحيط بك فيها اعداؤك بترسة وبمحاصرتك وبضيقتك عليك
من كل وجه ويهدمونك ويهلكونك ولا يتركون فيك حجراً على حجر لانك لم تعرفي
زمان انتقذك

فهذه الكلمات اوعز صريحاً الى كيفية المحاصروغوائل انتقام الرب الاخيرة لكن
لم يكن يقضي ان المسيح يذهب للعباد قبل ان ينقل على اورشليم بالفصاص الذي
تحملة لعاملتها اياه سوء المعاملة فانه لما كانت حاملاً على غائو صليبه وهو ذاهب
الى جبل الجحيلة وكان يقفه لفيف كبير من الشعب والنساء اللواتي كن يطمئن
ويحسن عليهن فحانت منه البهائم الثمانية قائلاً

يا مائة اورشليم لا تبكين علي بل ابكين على انفسكن وعلى بنيكن فها انها تاتي
ايام يقال فيها طوبى للعواقر واليطون التي لم تلد والصدى التي ترضع
حينئذ يبتدون يقولون للرجال اسطفي علينا ولا تاكلنا لانهم اذ كانوا صنعوا
هذا بالمواد الرطبة فماذا يكون باليابس . ان كان بهذا يتعذب البري الصديق فماذا
يتعذب الخطاة

هل ربي ارميا دنار اليهود بأكثر شدة من هذا وهل كان يمكن للمخلص ان يستعمل
غير الالفاظ بأكثر قوة ووضوح لينبهم على مشاقهم وبأسهم فتد اوعز اليهم عن الجموع
المدقع انه يهلك بنهم ونساءهم اللواتي نضبت انداومن ولم يبق هن سوى العويل
بهذه اولادهن واللواتي الجاهن الجموع الشديدة الى ان ياكلن ثم يطمئن .

الفصل الثاني والعشرون

في ان نبوتني يسوع المسيح الشهيرتين بنضحان بتقييمها وبشهادة التاريخ
ان النبوات التي اتينا بالبناء عنها قد تنبأ بها امام الشعب اما التي لم يتفهم بها
الا امام تلاميذه فانها ذات بال ولا مندوحة من استنفات الاحداق اليها وانها تؤخذ من

كلامو عن دثار اورشليم وديثار العالم فقاطبة ولم يكن ذاك الوثاق دون سره وما هي غايته .

فان مدينة اورشليم الطوبوية التي اصطفاه الرب وطالما مكثت تنتظر الميعاد والعهد قد كانت رمزاً الى الكنيسة والسماء حيث يبدو الرب لدى بنو ولذلك نرى من الانبياء كثيرين قد ضموا ما يناط باورشليم الى ما يناط بالكنيسة والجد الابدي وذلك في انشاء خطاب واحد وهو من اسرار النبوءات ومفاتيح افكارها واما اورشليم المردولة المجاحة مخلصها فهي رمز الى جهنم وسكانها الخائفون هم كالمالكين وقضاة المسبح عليهم هو رمز قضاة على كل الارض اذ باني في آخر الاجيال بكل عزو ليدبر الاحياء والاموات ومن دأب الكتب المقدسة والوسائل التي تقوم باعبائها لترفع الاسرار في عقولنا ان نخرج في التعليم الرمز بالحقيقة وعلى ذلك مزج مخلصنا تاريخ اورشليم وخربها بتاريخ انقضاء العالم وذلك يبدو في الخطاب الذي عليه بدور محور كلامنا لكن لا نغفل ان كل هذه مروجة بعضها حتى انه لا يمتاز ما يناط بكل منها بل ان المسبح قد ميز كلاً بصنات خاصة يمكن اياها ولكن يكفي ان اين كل ما يناط بدثار اورشليم واليهود .

واذ كان الرسل مكتفين بسوع نحو الآمو كانوا يشيرون الى الهيكل وما حوله من الابنية معجبين جداً من مناعة البناء ونظامه وحسن تجارته فرنا اليهم المخلص والجد ينص عليهم قائلاً انظروا هذا الهيكل الحق اقول لكم لا يترك هنا حجر على حجر الا ينقض فتعجبوا من كلامو وسألوا متى يصير كل هذا اما هو فاذ لم يبدأ ان يجعلهم اقلتين في اورشليم لدى دثارها اخذ ينبتهم عما سينوارد عليها من المصائب على التتابع (لانه اراد ان يكون انفصال الاخبار عن الاشرار بخراب المدينة رمزاً الى الانفصال الذي يحدث في الزمان الاخير) فقال لم سوف تكون اربعة ومجاعات وزلازل في اماكن شتى ومصادفة على ذلك فقد قال المؤرخون ان تلك المحوادث الويلة التي حدثت في ذاك القرن لم يكن لها من ندبة في الثرون الغابرة ثم قال سيصير في كل الارض بلايل واخبار حروب وستقوم امة على امة وتحدث في كل الارض فلاقول فذلك يقول لنا كل ما جرى اخيراً في حكم يعمون فان الدولة الرومانية ابي الارض كلها التي كانت رائدة في مجبوحه البكية منذ انتصار اوغسطس وعهد خلفائو شرعت تترعرع لان غاليا واسبانيا

وكل مقاطعات الدولة الرومانية علفت نفوس بوقت واحد فان اربعة ملوك تألفت قلوبهم معاً على يرمون واخذوا يتناظرون وان ظهروا الملك وعساكر سوريا وجرمانيا وقيانق اخرى من الشرق والغرب تصادوا في مواقع القتال ودوخوا تحت قيادة ملوكهم الارضين من اقصاها الى اقصاها ليتوا خصامهم بعمارك دموية ولكن لا يكون المنتهى اذ ذاك كما قال ابن الله: وسوف يتجسم اليهود من ذلك مشاق عمومية الا ان سوف يجعل عليهم نواصب خاصة وهذا كله اول الخافض

ثم اضاف الى كلامه ان قال ان يمتد المضطربة منذ تشيدها سوف تكابد اضطهاداً جديداً اشق من الاول في ذاك الحين ولقد ذكرنا ان يرمون اراد ان يهد في اخر ملكه المسيحيين وامات القديسين بطرس وبولس . واما الاضطهاد الذي اثاره اليهود حسداً وبغياً فقد عاد عليهم بالذئاريه ان الاجل المسمى لم يكن الى ذاك الوقت قد نهين . لكنه قد كان بلوح ان ماني السماء الدجالين والانبياء الكذبة هو الاجل المسمى للذئار اورشليم الاخير

فان الذين سدوا آذانهم عن استماع صوت الحق آل بهم الامر الى ان يصيروا بالانبياء الكذبة هالكين . ولم يخف المسيح عن رسله طول تلك المشاق في اليهود فانه اوعز اليهم ان سوف يقوم كثيرون من الانبياء الكذبة ويضلون كثيراً وقال ايضاً سيقيم مسيحيين كذبة وانبياء كذبة

فلو كنت تعرف اخلاق اليهود لفهميت بان الوصول الى ادراكها امر ذو صعوبة فلقد ابانتك انهم بعد ان خنلهم الانبياء الكذبة وسبوا دمارهم ولا سيما في عهد حزنهم انقلوا من اقوالهم وآلوا على ان لا يسمعوا لم قولاً وكان قد مر على ذلك اكثر من خمسمائة سنة ولم يبد في اسرائيل انبياء كذبة واما الحميم الذي كان يمين يمينهم ورياح الاخاء فقد استنقظ وقت ماني المسيح وان الله الذي يقض يمينه على الارواح الخداعة قد اطلقها وشانها لكي تخرج باليهود وتخن المؤمنين وتبين لذلك فان الانبياء الكذبة لم تظهر بمقدار ما ظهرت عظيم موت الخلف ولا سيما في وقت حرب اليهود وعهد يرمون كان قد اجمع تلك الحرب فتكررت اذ ذاك كما اشار الى ذلك يوسفوس المؤرخ حتى ضاق الحسبان دوئها وكانت فخائل الشعوب ونجدتهم الى بطون الكفار بالصر والمكر وتعدم بالفرج القريب

ولذلك اشار المسح بنبيوتوا الى البرية حيث يتوارى الانبياء الكذبة وكانوا بالحقيقة
يجذبون الشعب غدا الى دنائره الاخير. ويمكن لك يا سيدي ان توفق ان اسم المسح
الذي يتعسر على اليهود ان يخلصوا بدونه كان بمنزلة تلك المواعيد الباطلة وانك
سوف تثق على ما هو اهل لافئاعك

ولم تكن اليهودية وحدها عرضة لهذه الغرة العشواء بل كانت كل مقاطعات الدولة
الرومانية مثلها فلم يكن من زمن مثل ذاك بيننا التاريخ فيو عن العدد المديد الذي
انصل اليه الانبياء الاكفون وعما عتوا وزعموا ان يدركوا حقائق المستقبل ويختلوا الشعب
بهم كسبون المجسافي والياس وابولونيوس تانوس وجم غفير من السمعة المذكورين
في التاريخين الديني والدنيوي فكل اولئك بدوا في هذا الجمل حيث بذل الجهم جهده
ليوطد ملكة المزعزع واشمار المسح الى ذلك بقوله سوف يقوم في ذاك الوقت ولاسيما
عند اليهود عدد كثير من الانبياء الكاذبة ومن يشبه لكلامو يرى ان هذا العدد
يتكاثر قبل دنار اورشليم وبعده اوفي ما قرب منه وبضاغف الخداع التعليم الكاذب
والعجائب الباطلة فيعزز زومسي رجسا ويكاد المختارون يندعون او كان ذلك ممكنا
ولست بناكر ان قد يحدث في آخر الاجيال شيء كهذا او اكثر منه مكر الانا قد
اسلفنا ان ما حدث في اورشليم هو محض رمز الى ما يحدث في آخر الزمان اما المسح
فقد ابان لنا ان هذا الفرور مفعول غضب الرب على اليهود وسببا هلاكهم. وقد ثبت
هذه النبوة واقعي الامر لان كل شيء قد تحقق بشهود عدل لا تنبذ شهادتهم فاننا
نرى نبوة ضلالم في الانجيل ونقنها في تاريخها ولاسيما تاريخ يوسفوس

وبعد ان تنبأ يسوع المسح عن كل ذلك قاصدا بنبيوته انقاذ تلاميذه من المشاق
التي توعدها اورشليم اخذ بورد عليهم أدلة خراب هذه المدينة الاخير
ان الرب لا يبين هذه الادلة لمخاريو دائما لانه لدى العنابات الصارية التي تظاهر
قوته امام الامم قد يضرب احبانا الصديق والمخاطي معا وما ذلك الا لان الوسائل
التي يستخدمها في سبل عزل الواحد عن الاخر هي اشد قطعاً ما تبدو لدى حواسنا
فان الضربة التي تسحق البيت بتأني لما فصل الحبة. وينتج التبر بالنار التي تحرق
بيس الثبن وهكذا يتج بالفتاب فكاهك في الايمان كذلك يخلص به الصالحون
واما في خراب اورشليم فلكي تفتح الميتة الدنيوية الاخيرة ويظهر غضب الله صريحا على

المجاهدين لم يشاء الله ان اليهود الذين اقبلوا الانجيل يخاطبون من سوام . ولذلك ابان المسيح لتلاميذه بادلته بينه عن وقت تروجه من المدينة المزدولة . وقد استند حسب عادته على الانبياء الاقدمين الذين كان مفصراً وخاتمة لهم . وبعد ان ذكر ما فاه به دانيال عن دنار اورشليم الاخير قال هاتي الكلمات رد فتم رأيت رجاسة الخراب التي قيل عنها بدانيال التي قائمة في المكان المقدس . وكما قال القديس مرقس قائمة حيث لا ينبغي لمجئ الذي في اليهودية فليهرب الى الجبال ويذكر القديس لوقا ذلك نفسه بالنقاط مختلفة قائلاً :

واذا رايت اورشليم قد احاطت بها الجنود فاعلموا حينئذ ان خرابها قد اقترب فحينئذ الذين في اليهودية فليهربوا الى الجبال والذين في داخلها فليخرجوا والذين في البلاد فلا يدخلوها

ان الانجيليين يشفون عن معاني اقوال بعضهم وان فساد هذه الآية سهل لدينا ان نتهم ان الرجاسة المذكورة في دانيال هي الجنود حول اورشليم وهكذا عبر عنها الاباء القديسون ويوبد لنا العقل مصداق ذلك . لان الرجاسة حسب عادة الكتاب تدل على الضم ومن ذا الذي يجهل ان الجنود الرومانية كانوا يعملون على الوتيم صور الهتهم وقباصرتهم الذين كانوا يعبدونهم اكثر من كل الالهة . وقد كانت تلك الالهة موضوعاً عظيماً على عبادة ما عليها ولما كان دخول الاصنام الى الارض المقدسة محرماً بامر الله لم تدخل ثمة العلامات الرومانية ولهذا نرى في التاريخ ان الرومانيين طالما اعتبروا اليهود لم يسمحوا بادخال علاماتهم الى اليهودية ولذلك عد ما عبر ويثيوس هذه المناظرة ليكر على العربية محارباً استناداً على رواية التاريخ كانت بقود جنوده دون علامات لان الرومانيين كانوا يحترمون وفتش دين اليهود ولم يكن من رغبتهم ان يحشوا هذا الشعب ما يناقض دينه

اما في ابان حرب اليهودية فلم يبق الرومانيون براعون شعباً عازمين على استنصاه وبناء عليه كان يكتنف اورشليم وقت حصارها اصنام توارى ما كان للرومانيين من العلامات ولم تبد رجاسة بهذا القدر اذ لا ينبغي ان نكون في الارض المقدسة وحول الهيكل

ويعترض على ذلك بان هل هذه العلامات العظيمة هي نفس ما وهب المسيح

تلاميذه وهل كان الوقت يمكنهم من الأركان إلى الفرار لما أخذ نفوس يحاصر اورشليم
 قائلًا أبوابها غير ممكنة لأحد منها الخروج . فعلى هذا عيى فتوقف غرابية هذه
 النبوة فان اورشليم حوصرت مرتين في ذاك الحين فقد حاصرها في بادئ الامر
 سبتيموس والي سوريا سنة ٦٨ بعد المسيح وحاصرها مرة ثانية نفوس بعد ذلك بربع
 سنوات أي سنة اثنتين وسبعين ولم بعد في الحصار الاخير من وسيلة للفرار لان نفوس
 أخذ يذل الجهد في الحرب وياغت اليهود المتألمين في اورشليم وقت عيد الفصح ولم
 يكن لأحد من وسيلة إلى النجاة . وقد أحبطت المنرسات التي أقامها حول المدينة أمل
 الأهل في الأركان إلى الفرار يذاته لم يرتشأ من ذلك في حصار سبتيموس فانه أقام
 عليه حصاراً في حيز بعيد عن اورشليم ستة أميال وكان عسكره يحيط بالمدينة غير
 مشغول لسبيل ذلك أخذوا أو منرسات بل كان يوجه الحرب دون اعتناء وليست على
 ذلك إلى أن بارحة الفرصة من فتح المدينة فان الروع والمنازعات الداخلية وكثيراً من
 حزب الرومانيين كانوا ذريعة لافتحها فلم يكن في ذاك الايمان من لم يحاول النجاة بل
 ان الخارج يذكروا صريحاً ان كثيرين من اليهود خرجوا من اورشليم . فكان اذ ذاك
 وقت الخروج والعلامة التي أعطاهما ابن الله تلاميذه ولذلك قد ميز بكل صراحة بين
 الحصارين فان المدينة تكون بالحصار الاول محاطة باليهود فقط ولا تكون محاصرة
 حقاً فيكون للذين في اليهودية ذريعة إلى الفرار إلى الجبال وتكون بالحصار الاخير محاطة
 بمرسات وإخاديد فيكون القضاء على الذين داخلها بالهلاك

فامتثل المسيحيون كلام سيدهم وإن يكن قليل كثير منهم في اورشليم واليهودية فلم
 تعثر تارخ يوسيفوس أو سواه على أن شيئاً من ذلك العدد كان لدن افتحها وعكس
 ذلك ان المسيحيين لجئوا إلى مدينة يلا في الجبال الدانية من التفار على حدود اليهودية
 والعربية وذلك كله مقرر في تاريخ الكهنة وكل ما نقله الينا الآباء الاقدمون

ومن ذلك يمكن ان نستنتج كم من مرة احتذر المسيحيون بنوع صريح اذ لا شيء اهم
 من انفصال اليهود الذين لم يؤمنوا بالمسيح من الذين آمنوا به فان منهم من قطن في
 اورشليم ليعاقب عن ائتمارهم من ترح من المدينة كما ترح لوط من صادوم ولجئوا إلى مدينة
 حبيزة ومنها كانوا يراعون وم في روع وهول كل مفاعيل غضب الرب واحكامه التي
 شاء ان ينقذهم منها

وقد يوجد عدا نبوات المسيح نبوات تلاميذه منها نبوات القديسين بطرس وبولس وذلك لان اليهود لما كانوا يبرحونها بالعذاب الاليم وما شاهدان يسوع المسيح المنبعث من الاموات اندرام اذ لحوها للام بدثارم القريب وقالان اورشليم لابد من ان تفوت من الاساس وان اهله يهلكون جوعاً وقحطاً ويننون من ارض آباءهم نفياً موبداً ويمسون متشعبين في كل المسكونة كالاسرى ولذلك اجل قريب المآتي هذه المصائب برمتها سوف تحمل عليهم لانهم هزئوا بآية وامتنعوا بعد ان بدالديهم بمجرات عظيمة

هذه النبوة قد حفظها الآباء الاقدسون عن لسان الرسل وتمت حالاً بنوع صريح وقد فاه القديس بطرس بنبوءات كثيرة وهي اما ان تكون قد اوجبت اليو بنوع خاص او عند تعبيره كلام سيده فان فليقون احد مولفي الوثنيين قال حسب ما يشهد اوريجانوس ان كل ما فاه به هذا الرسول قد تم بكل دقة

وعلى هذا لم يكن يحدث شيء لليهود الا تنبأ لم عه وتبدل ديننا علة مشقاتهم بمخاوفهم ليسوع المسيح وتلاميذه لان ابان النعمة والرحمة جرى عليها القضاء وكان قد ازف ابان الهلاك

فاصبح اذاً جديفخوس في انفاذ اليهود والمهكل عبثاً فان الحكم عليهم كان قد صدر من العللاء فاصبحت حجارة البناء كالحجارة المنشور

وان يكن احد الملوك الرومانيين قد جرب عبثاً ان يبع دنار المهكل فقد جرب سواء عبثاً ايضاً ان يهضه وقد فكر جوليانوس المجاهد الذي شرع ان يحارب ضد المسيح بان يكذب نبوءاتوه ولما قصد ان يقيم للمسيحيين اعداء الذاء من كل ناحية تنازل وانقض ضدهم اليهود المردولين من العالم وبعثهم على ان يقيموا هيكلهم وقدم لم مبالغ عظيمة وعصدهم بكل قوة الدولة الرومانية . فاصح الى هذا الحادث باسدي وانظر كيف الرب يرد الملوك الجبابرة فهذا يشعرنا بوجع الآباء القديسين والمؤرخين الكنائسيين ويبينونه بأثار لا تزال من ازمانهم . واقضى ان الوثنيين انفسهم يخفون ذلك لان اميانوس مارسيلينوس الوثني الدين والمدافع بفترة عن جوليانوس يبيننا عن عن هذا الحادث بقوله لما كان اليهوس يعصده والي الاقليم ويسرع بهار البناء على قدر امكانه من الاساس كرات نارية وزعزعت اركان العاريجات قوية واحترق

الفعلة الذين آثروا الى اعمالهم وقد اصبح من المتخيل الدنوس ذلك الحبل فنبذوا
العمل

واما مومرخوا الكتيبة فيوردون النبا عن ذلك الحادث بدقه كبرى ويذكرون
ان نار السماء خامرت وقتل نار الارض . وقصارى القول ان كلام المسيح اصبح ثابتا
وذلك ما حمل يوحنا الذهبي الثم على ان يقول ان الرب اقام على الصخرة بيعة لا
تزعزع ودار الهيكل ليس بوسع احد انهاضه اى لا احد يمكن له ان يتوض ما اقامه
الرب ولا احد يمكن له ان يقيم ما قوضه

ولقد عن الان اورشليم والهيكل وزنون الى الشعب نفسه الذي كان انقا
هيكل الرب الحي واصح الان عرضة لغلبة ومن المفرات اليهود اصبحوا اكثر
سقوطا من هيكلهم ومدبتهم لان روح الحق لم يبق بينهم وبطلت النبوة وبرحت المواعيد
التي كانوا يستندون عليها آمالم ولم يبق شيء قائم في ذلك الشعب ولم يترك من البناء
حجر على حجر

وانظر الان كيف سلوا غوسهم الى الضلال وإلى اية درجة اتصلوا فكان المسيح
قد قال لم انا اوت باسم ابي فلم تقبلوني وان اتي اخر ماسم نفسه قبلتموه ، فبعد ذلك
الحين استولى عليهم النشل حتى انهم صاروا متأهين ان يسلموا انفسهم لانه لم يكنهم
ان الانبياء الكاذبة سلوا المدينة الى نيجوس فان اليهود واصل اياهم من اليهودية
طردهم منها لان حبيب لا اورشليم حل كثيرين منهم على ان يتخذوا مثاوى في رسوبها
العافية . وهاك مسيحا اخر دجالا ياتي ويسم خرايم لانه بعد ان مضى على افتتاح اورشليم
خمسون سنة شرع برخوخياس المرذول اللص المحرم بقول في الهيكل نفسه الذي مات فيه
مخلصنا انه كوكب يعقوب المذكور في سفر العدد لان معنى اسمه ابن كوكب وتقدم
للهمد كانه المسيح ففنا اثره اكيباس اشهر الربانيين وكل الذين يدعون اليهود حقا
ودخلوا في حزب هذا الرجل دون ان يمت لديهم علامة تدل على بئس . غير ان اكيباس
كان يقول لم ان المسيح لا يلبث الا ان يبدو وقام اليهود من كل الدولة الرومانية
واجازوا الى برخوخياس الذي كان يعدم بملك العالم قتل ادريانوس منهم نحو من
ستة الف ووضع على عواقبهم نير العبودية ونظام من اليهودية نفا موبدا ومن ذا
الذي لا يدري ان روح الكذب قد استولى على قلوبهم فاقامهم لم يقبلوا بحجة الحق

والخلاص ولذلك يبعث اليهم الله بعلم الضلال حتى يصدقوا الكذب فبها كان
الغش فانه كان كافياً لخداعهم فقال في هذه الايام احد منافقي الشرق عن نفسه انه
المسيح فاخذ اليهود يجمعون حوله ويهدنهم في ايطاليا وهولندا والمانيا وماس يتأهبون
ليسمعوا انتعهم ويتركوا كل شيء ويتبعوه وفكروا حالاً انهم مزعمون ان يستولوا على
العالم لما بلغهم ان مسيهم أسلم وترك دين موسى

الفصل الثالث والعشرون

في ضلال اليهود النابع لما انف وكيفية تعبيرهم عن الانبياء

لا ينبغي من سقوط اليهود في هذه الفرة ولا من تعميقهم في هذه العاصفة بعد ان
جنفوا عن طريقهم فهدى الطريق كانت قد رسمت لهم في النبوءات ولا سيما في النبوءات
التي كانت نوعاً الى وقت ماني المسيح فنزلوا هذا الامم يرمون شجرة ولهذا نراهم
وقتلهم جاثمين الى الانك مزورين عن الطريق

ايذن لي ههنا كي ارفع لديك تسلسل غرهم وكل كدهم في ولوج الحق وان
الطريق التي يضل بها تنصل بالطريق العظمى واذا اعتبرنا ذلك من حيث ابتداء
الضلال امكن لنا السعي في الطريق المستقيمة بكل تأكيد

فقد راينا ياسيدي ان قد يوجد نبوءتان تبيينان لليهود وقت ماني المسيح وهما نبوءة
يعقوب ونبوءة دانيال وكلفاهما تشير الى آثار ملكة يهوذا في وقت جيئة المسيح الا ان
دانيال يبين ان دلائره هذه الملكة التام سوف يكون ناتجاً عن موت المسيح وقال
يعقوب بنوع صريح ان المسيح الذي يكون رجاء اللام اي مختصاً لم ياتي وقت سقوط
ملك يهوذا وبهم له ملكة جديدة لا تكون موهنة من شعب واحد بل من كل شعوب
الارض وان كلام هذه النبوءة لا يمكن ان يخرج لتعبر معنى ويتج تعبيره من تقليد اليهود
الثابت بهذا الخصوص

ومن ذلك نرى الاعتقاد الذائع بين الربانيين الاتديين والمذكورين في التلمود
وهو انه في الوقت الذي ياتي فيه المسيح يطل وجود القضاة اي انه لاشي اهم عندهم
لمعرفة مجي المسيح من ملاحظة وقت سقوطهم في هذه الحالة العجيبة التي ذكرناها

وحقيقة الامر ان بداهتهم كانت حسنة. ولو لم تكن افكارهم متمسكة بالعتقة الدنوية لما كان امكن لهم ان يجهلوا المسيح الذي كانوا يخالونه بسلطة كذبه حتى يشتركوا بملكه فالركن الذي وضعوه كان مفرراً حالاً عندما جاز هيرودس الاول وحدوث التغيير في حالة مملكة اليهود ايان لم وقت سقوطهم المرسوم في النبوءات فلم يكن عندهم من ريس في عبي المسيح وفي ظهور هذه الملكة الجديدة لانه كان مزمعاً ان يجد فيها كل الامم وما تقرر لديهم صريحاً ان قد نزع منهم كل سلطان بالموت والحياة وهذا كان لديهم تديراً عظيماً لانه قد كان محفوظاً لم دائماً الى غاية ذاك الحين مها كان السلطان الذي رخصوا له حتى انهم في بابل في اثناء اسبابهم لم يبرحوا مسئوليت عليه وما يبين ذلك تاريخ سوسان وهذا كان تقليداً ثابتاً عندهم وقد نبذ ملوك فارس الذين اتهموا الى اوطانهم هذا السلطان بموجب اوامر خاصة قد لاحظناها في محلها وقد ذكرنا ايضاً ان الملوك السلوسيديين قد ضاعفوا هذا التمييز وما اقتضوه ولا حاجة هنا لذكر ثانية ملك المكابيين لان اليهود قد عتقوا واصبحوا اشداء ورمية في قلوب اعدائهم وقد اكتفى بومبايوس الذي اوتهم كما ذكرنا ان يفرض عليهم جزية ويحلبهم بحالته تمكن الشعب الروماني ان يتصرف فيهم لدى الاقتضاء كما يشاء. ولذلك قد ترك لم ملكهم وابنى له كل سلطته ومن البين ايضاً لدى الجميع ان الرومانيين كانوا يعصفون هكذا وكانوا لا يسمون الحكومة الداخلية في البلاد التي كانوا يتركون فيها ملوكها الوطنية

وغاية الامر ان اليهود انفسهم يدعون انهم فقدوا هذا السلطان بالموت والحياة ارمين عاماً فقط قبل دنار الميكل الاخير ولا ريب ان هيرودس هو اول من اضرب بحريتهم رجاء ان ينم من مجلس السنداران لانه اضطر هو نفسه ان يتحاكم فيه قبل ان يصير ملكاً. ثم لكي يجمع اليه كل سلطة اخذ بنقض هذه الجمعية التي كانت كجمعية المشايخ المشبك من موسى وكجلس مشورة الشعب الدائم اذ كان يجري السلطان العالي. فمن ثم فقد هذا المجلس رويداً سلطانه حتى انه اضاعه قريباً عند عبي المسيح الى العالم فصارت الاحوال سيئة جداً في عهد اولاد هيرودس لما صارت مملكة اركيلاوس التي كانت حاضرها اورشليم تحت ولاية معددين من قبل ملوك رومية. وفي هذه الحال السيئة لم يبق لليهود ادنى سلطان في الموت والحياة حتى انهم اضطروا الى ان يلتجئوا الى يلاطوس ليمتوا يسوع المسيح الذي كانوا يرغبون في موته في اية حالة كانت ولما

او عز اليهم هذا الرأى الواهم ان يقتلوه ثم اتهم اجابوه بصوت واحد لا يسوع ان
 ثبت احد

ولهذا قتلوا يعقوب اخا يوحنا بوساطة هرمودوس والتوا ايضا القديس بطرس في
 السجن . ولما ازعموا على موت القديس بولس السلوة للرومانيين كما صنعوا يسوع المسيح .
 ولما نذر ذوي الفجرة الكاذبة (اى الذين آكلوا على نفوسهم ان لا ياكلوا ولا يشربوا
 حتى يقتلوا الرسول) فبدل على انهم كانوا موقنين بيهوط سلطانهم ليقتلوه شرعاً وان
 يكونوا قد رجوا القديس اسطفانوس بالحجارة فذلك كان ناجماً عن نور لم يكن
 للرومانيين الحكم من ردعها لان المؤيدين تلك الثورات كانوا من المدعويين بذوي
 الفجرة

وبناء على اصبح من الثموم المثبتة من المؤرخين ومن اقرار اليهود واحوالهم ان
 نحو وقت ما نى المسيح ولا سيما لما شرع يسوع بالتبليو كان اليهود قد فقدوا السلطة الزمنية
 وما امكن لهم ان يشاهدوا فقد هذا السلطان الا تذكر كون نبوة يعقوب التي كانت
 تذمر ان في زمان المسيح لا يبقى بينهم سلطة ولا قضاء ولا سلطان . وقد لاحظ احد
 مؤرخيهم الاقدمين هذا الامر واقتر ان الصولجان قد خرج من يهودا ولم تبقى السلطة
 بايدي مشايخ الشعب لان السلطان العام نزع منهم ومبط مجلس السنداران ولم يستمر
 اعضاؤه يعتبرون كقضاة بل كعلمين وهكذا قد حان الان حسب اعتقادهم لمسيح
 المسيح . وبما انهم كانوا يشاهدون هذه الملامات المتفرقة لما نى المسيح الملك الجديد
 الذي يبتدأ ملكه فوق سائر الامم فكروا بالتحفة انه مزيج ان بانى قشاع النبأ
 عنه في البلدان الدانية واكدوا في الشرق كله ان سوف يخرج من اليهودية من ملك
 الارض عن قريب . وذكرنا سبت وسياتون هذه الاشاعة المستندة على آراء مفرقة
 ونبوة قديمة في كتب اليهود المقدسة وذكر يوسفوس هذه النبوة بالحرف الواحد وقال
 ايضا مثلهم انها في الكتب المقدسة ولا ريب ان اعتبار هذه الكتب كان عظيماً جداً
 في الشرق لان قد شوهد مراراً عديدة ان ما تنبأ به يو كان قد تم بانواع مختلفة
 وظروف متباينة وان اليهود كانوا متيقنين اكثر من غيرهم لبراعوا هذه الحوادث التي
 كتبت لتعليمهم ولهذا قد عرفوا زمان ما نى المسيح الذي او عز اليه يعقوب وحده
 بسقوطهم وهكذا ملاحظاتهم بشأن حالتهم كانت موقعة ولم يزهقوا بزمان ما نى المسيح بل

عرفوا انه مزعم ان ياتي في الوقت الذي اتي به بالحقيقة . ولكن بالعب من ضعف
 البشر وتكبرهم اللذين سبوا جهلهم النطبع . فاضى تواضع المخلص عن هؤلاء المتكبرين
 العظة الحق التي كان يلزمهم ان يحدوها في المسيح بل انهم كانوا يرغبون في ان يكون
 ملكاً كملوك الارض ولهذا قال مدهنوا مبرودس الاول انه هو نفسه الملك الموعود
 به لليهود لانهم كانوا في دهشة من عظة هذا الملك وفخره لانه اغنى اليهودية ولو كانت
 جائراً وهذا ايضا ما سبب يدعة المبروديين المذكورة في الانجيل مراراً وعند الوثنيين
 انفسهم لان الشاعر برس وشارح اشعاره يخبرانا ان الاناس كانوا يحتفلون في اليهودية
 ميلاد مبرودس الملك كما كانوا يحتفلون نهار السبت وذلك كان في زمان نبرون
 ايضاً

وقد سقط في هذا الخطأ عليه ايضاً يوسفوس المؤرخ فان هذا الرجل العالم
 بالنسب كما يقول عن نفسه اذ كان كاهناً ومن اخلاق الحكمة انه يرى بمجيء هذا
 الملك الموعود به يعنوب وان ذاك النبي كان يقاتل لوقت مبرودس لانه يبين لنا
 بكل اعتناء دثار اليهود البين ولكن بما انه لم يرق في امنوشنا يوافق افكاره ذات النظام
 كما ظن في المسيح اخروفت النبوة وبماها لوسباريانوس مؤكداً ان هذه النبوة تدل
 على هذا الملك الذي صار امبراطوراً في اليهودية .

وعلى ذلك كان يعاكس معنى الكتاب الاقدس لبوطد دهانة لفياله من اسمه
 البصرية فقد ودان ينقل امل يعنوب ويهوذا الى الامم ويطلب يوسفاربانوس ابن
 ابراهيم وداود وبني لملك وثي من هو مزعم ان يبر العالم وينقذهم من الاصنام
 وكانت ظروف الزمان تنوم بناصره ولكن يفا كان بني يوسفاربانوس ما فاله
 يعنوب عن المسيح كان ذور الغيرة الذائبون عن اورشليم ينسبون ذلك اليهم وبالفوكوه
 على هذا المبدأ وحده كانوا يعدون نفوسهم بملك العالم وبويد ذلك يوسفوس وبهذا
 كانوا ارضن منه لانهم كانوا لم يحالوا انهم قصد ان يطلبوا تنعيم المواعيد التي اعطي
 آباءهم اياها

فلماذا لم يتحوا عيونهم عند سماعهم هذه الاشاعة العظي التي كانت تفرح اذانهم لما شرع
 الرسل يندرون الامم بالانجيل وينبذون ملك المسيح في كل الارض
 وايه مملكة اعز من هذه المملكة فانها تفيض على زمان النوى ويتصربها الحق

على الاصنام وبشر بها بالحياة الازلية للامم الضليلة وان مملكة التباينة لم تكن سوى
زهاء باطل بالنسبة لهذه المملكة المحنفة. بيد انه لم يكن لهذا الملك الزهو الكافي لدى عيون
العالم.

فجيب على المرء ان يقصي عنه الافتخار البشري لعرف المسيح. ومن الثابت ان اليهود
كانوا يعرفون الزمن ويرين الشعوب المدعويين لاله ابراهيم يسوع المسيح وتلاميذه
حسب نبوة يعقوب ومع ذلك لم يعرفوا هذا المسيح المعلن لم يجمع الادلة ولوانه ثبت
ارسالته في مدة حياته وبعد موته بكل انواع التجليات فحمده هؤلاء السبع لانه لم يبد
يو الا العظمة العارية عن كل الظواهر التي تؤثر في الحواس ولانه كان آتيا لقمع
مطالبهم لالتفاتهم بناصرها.

ومع ذلك كانت الظروف والحوادث تفرض على ان يتجاوزوا اسمائهم اوهاهم قسراً
عن عمه قلوبهم. وكانت الانبياء تعد بظهور المسيح في وقت السيد له الفرز حتى انهم
فكروا ان يوحنا المعمدان يكون هو المسيح لانه ادمشهم ببسطة القسنة والمحارقة العادة
والعجبة وبدا انهم اكتفوا برهو هذه الحياة العجبة لانهم لم يجدوا عظمة العالم كلها كانوا
يطلبون. واما حياة المسيح البسطة والاعتيادية فكانت تجعل هذه العقول الساذجة
والمترامية تائف من لانهم لم يكونوا يثابرون الا ما يؤثر في حواسهم. وخلا ذلك
فما انهم كانوا قاصدين عن كل ما يؤول الى ارتدادهم الحنفي لم يشأوا ان يعقبوا الا ما
يعتبرونه امراً لا يقتدى به. وبناء عليه لم يتفوا يوحنا المعمدان الذي فكروا ان يكون
مستاهلاً ان يكون المسيح لما هدام الى المسيح الحنفي. واما المسيح الحق الذي كان
يقسم على اقتفاء اثره عند وثوقه به بدا لديهم دينياً جداً لدن تستهم به.

وبناء على ذلك القصور الذي قام باعبائهم اليهود لدى بدو المسيح في تلك الانبياء
كان عزيزاً جداً حتى ان ذلك استغرق فيهم اكثر من عصره فخالوا ان نعمة
النبيات لا بد لها من سعة. ولا يتفهم ان تكون محصورة في معنى مقرر ولذلك لم يكن
ينور فيهم مدة نحو من مائة سنة الا عن المسيحيين الافاكين الذين كان الثوم يغفونهم او
عن الانبياء الافاكة الذين كانوا يذرونهم. ولم ير شي من مضاي ذلك في الاجال
الماضية ولم يتفاني اليهود باستعمال اسم المسيح الى وقت ان كان يهوذا المكابي يغوز بالظلم
بظفر عظيم او وقت كان اخوه سمعان يعظم من نير عبودية الامم او وقت ان كان

هيركان الاول يفتح البلاد مقدراً عظيماً لان الوقت وهذه الادلة لم تكن توافقاً واخذوا في وقت المسيح يتكلمون عن كل هولة المصحاء وإما السامريون الذين كانوا يطالعون في خمسة اسفار موسى نبوة يعقوب تغذوا لم كاليهود مصحاء لانه بعد ان تقدم على ماتي المسيح زمن قصير اقتنوا اثر المبتدع دوزينه

وسيمون الساحر الذي هو من تلك البلاد كان يزعم ايضاً انه ابن الله وكان يدعي تلميذه مناندراته مخلص العالم وكانت الامراة السامرية تعتقد منذ ايام يسوع المسيح انه سوف يأتي لانه كانت مقرراً لدى الشعب وكل من يقرأ نبوة يعقوب ان المسيح مزعج ان يبدو لدى احوال كذلك

ولما مضى الزمن وشق عليهم ان ينتظروا امراً عرف اليهود بالاخبار ان المصحاء طراً الذين تباينوا لم يكن منهم الا يغذوهم فقط من مشاقهم بل انهم تناولوا عليهم فطال عليهم الزمن حزيناً دون ان يبدو بينهم مصحاء حديثاً ، وإما برخوخياس فهو آخر من اقروا بارساليو في بداية الاعصار المسيحية الا ان القائلين القدم لم يرجع تماماً وبدلاً من ان يعتقدوا بظهور المسيح كما فعلوا في اياك الملك ادريبانوس اخذوا بتفوهون في عهد خلفائهم الانطونيين ان المسيح يبرز في العالم لكنه لم يبد لليمان لانه متطهر اليها النبي ليكرسه وذاك القول كان ذاتاً بينهم في ايام جوستينيانوس . وقد نرى في التلود نعلماً آخر اقترحه اقدم علمائهم فانه يقول ان المسيح قد أتى حسبما قال الانبياء لكنه متوارف في رومية بين المتكلمين ذوي المسكة

يبدأ ان هذا اليوم لم يزل لدى القول قبولاً وقد التزم اليهود ان يقرروا ان المسيح لم يات في الوقت الذي كان يحق لم ان ينتظروه فيو حسب النبوات اللدنية تمهطوا الى لجة اخرى واوشكوا ان ينتظروا من مائاه لتقدم الزمن على وقتو وقد اقتفى الكثير منهم قول احد الربانيين المشهورين المخطوط في التلود فانه لما رأى ان الوقت قد مضى قضى على ان الاسرائيليين لم يعد لم ان ينتظروا المسيح لانه قد بعث اليهم بنال حرقياي الملك وخزنة الامر ان هذا الرأي لم يكن لدى اليهود مديداً بل كان عدهم مكروهاً لكن لما تعمس عليهم ان يعرفوا الاوقات التي عيدها الانبياء ولم يمكن لم ان يخلصوا من حباله تلك الورطة اعتمدوا تلك الالفاظ التي في التلود وغذوها كمنفعة لاعتمادهم وفي : ان كل اجل معين لماتي المسيح قد اصبح فارطاً وبناء عليه ان كل

من يعين زمن مجيئ يصح ملحوناً ومثل ذلك مثل سفينة ماخرة في اليم اجتنها الريح
عن تسيارها المستقيم فقط الريان من سلامتها فيترك حينئذ الامور تجري في اعتبارها
ويزع التفاد يرشري حسب هواها

ومنذ ذاك الحين انطوا غارب الجهد ليلقوا النبوات التي تعين وقت مجيئ
المسيح ولذلك لم نصف وجوههم من ملاشاة تقليدات اباؤهم وكل ذلك من دأبهم اذا
استمروا على نزع هذه النبوات من ايدي المسيحيين

وقد افضى بهم الامر الى ان قالوا ان مغزى نبوة يعقوب ليس منوطاً بالمسيح واما
كتبهم القديمة فتنب على قولهم هذا تكبراً فان التلود يعزو هذه النبوة للمسيح وشرحا
لمغزاهما بطابق شرحهم الذي حازلده بهم اكثر اعتباراً وذلك اننا نرى في تلك الكتب
هذه الالتاظ نفسها وهي ان اخلاف يعقوب وكل شعب اسرائيل سوف يخلصون في بيت
يهودا وملكة يهوذا ويخرج من هذا البيت قضاة وروساء الى ان ياتي المسيح ويصير ملكة
جديدة مؤلفة من كل الشعوب

وذلك ما كان يشهد به امام اليهود في بداءة الاجيال المسيحية اعلامهم الذين
ذهب صيغتهم بالهرة والاعتبار فيما بينهم وعسر عليهم ان يلغوا بغية هذه التقليدات المقررة
ولهذا لم يخترى اليهود على ان ينكروا ان نبوة يعقوب منوطة بالمسيح اولو كانوا قد
انكروا انها تطابق لما ناه ولم يركبوا من تلك الجراءة الا بعد ان مضى على ماتي المسيح
زمن طويل يوم كان المسيحيون يصفقون عليهم بالمجدال وكانوا قد رأوا ان تقليداتهم
نفسها تحديق بهم شرراً

واما نبوة داود فكانت تخصر مجيئ المسيح في حيز اربعماية وتسعين سنة منذ السنة
العشرين لحكم ارغشتا ذي البد الطويلة

ولما كان هذا الحيز ينتهي في سنة اربعة الاف للعالم كان لليهود تقليد قديم وهو ان
المسيح سوف يبدو نحو آخر سنة اربعة الآلاف للعالم ونحو الذين سنة بعد ابراهيم ودليل
ذلك ان رجلاً عظيماً شهيراً لدى اليهود يدعى الياسميراليا النبي علم ذلك قبل بلاد
المسيح ولم يبرح تعليمه محفوظاً في التلود.

فقد رأيت ياسميراليا ان هذا الاجل قد تم مجيء مخلصاً لانه بدا بالحقبة نحو الذين
عاماً بعد ابراهيم واربعة الاف عاماً للعالم ومع هذا كله فلم يعرف به اليهود . ولما حطمت

آمالهم زعموا ان آثامهم قد اُخترت بمجي المسح الذي كان مزعماً ان ياتي ومنطوق التاريخ
مقرر بنفس اقرارهم فما اصفى اوجههم واجهلهم فانهم قد علقوا بارادة البشر حلول
اجل عينه الرب صريحاً في نبوة دانيال

ومن المشاكل التي تعرفل اليهود ان دانيال يرى ان وقت مجي المسح يكون قبل
دثار اورشليم وبناء طوبى فلما تم هذا الحادث الاخير اقضي ان يكون الحادث المزمع
ان يتقدمه قد تم ايضاً

فجلب يوسفوس عن جادة الصواب وذلك قد حسب جيداً الاسابيع التي يتأق
بعدها دثار اورشليم ولما رأى طول هذا الحزن اذ انقضى نفوس الحصار حول اورشليم
ذهب عنه الرب في طول الوقت لدار هذه المدينة يذانه لم يعتبر ان هذا
الدار اقضي ان يتقدمه مجي المسح وموته وبناء عليه لم ينهم الا نصف النبوة

واما اليهود الذين غضبوا فارادوا ان يصلحوا هذا الخطا فاعتمدوا رجلاً من نسل
ميرودس يدعى اغريبا كان الرومانيون قد امانوه قبل دثار اورشليم بقتل من
الزمن وزعموا انه المسح ولما علموا انه ملك ايقنوا انه المسح المذكور في نبوة دانيال التي
لكن ذلك دليل عمه بصائرهم اذ من المحال ان يكون اغريبا هو الصديق وقدس
القدسين وانتهاء النبوات كما كان مزعماً ان يكون المسح الذين نبأ عنه دانيال وخلا
ذلك فان موت اغريبا الذي كان اليهود ابريما منه لا يمكن ان يكون موت المسح المذكور
في دانيال. فبناء عليه ان ما يزعمون ليس سوى اقايصس فارغة. فان اغريبا الذي هو
من ذرية ميرودس لم يبرح ان يكون من حزب الرومانيين وقد نظر اليه ملوكهم بعين
الرعاية والرفق ولذلك قد نولى الامر رسماً مديداً في احدى مقاطعات اليهودية بعد
افتتاح اورشليم كما ينهد بذلك يوسفوس ومعا صروح

وعلى هذا ان كل ما يقترحه اليهود لبطلان هذه النبوة بشمول الخزيهم وهم انفسهم
لا يثبوتون بهذه التخللات السخية وان امنن مجن لادفعهم هو في المبدأ الذي اعتمدوه ان
لا يحسبوا ايام المسح وبهذا تمسح عيونهم عن الحق اختياريًا. ويكررون النبوات
حيث الروح القدس نفسه قد حسب السنين ولكن في اثناء ما هم بكروتها اصبحوا
يؤمنونها ويبنون حنيفة منطوق هذه النبوات عن عمه قلوبهم وهبوطهم

فليبين على النبوات كل ما يشآدون وقصارى الكلام ان دثارهم

الذي اوعزت اليه قد تم في الوقت المعين والمحادث اقوى من كل تفسير فانه لو لم يات المسيح في هذه الاحوال السبعة لكان الانبياء الذين يتقون بهم قد ظالمون وخادعون

الفصل الرابع والعشرون

في ظروف ذات بال تمت وقت سقوط اليهود وفي تفاسيرهم الفاسدة يقتضي باسدي ان تلاحظ امرين طرأ وقت هبوط اليهود وقت مجي المسيح وذلك لتقيم انهم . الامر الاول ان وراثة الكهنوت التي استمرت لابة منذ هارون قد انتهت وقتئذ والثاني ان التمييز في الابطاط والعيال المرعي الى ذاك المحن قد بطل حينئذ كما يفرون انفسهم .

وذلك لان هذا التمييز كان امراً ضرورياً الى وقت ما في المسيح اذ كان يقتضي ان يخرج من نسل لاوي خدمة اللاوي المقدسة ومن نسل هارون الكهنة والاحبار ومن نسل يهوذا المسيح نفسه فلو كان هذا التمييز لم يلبث الى وقت دنار اورشليم وما في المسيح لكانت ذبايح اليهود التي قبل حينها وحطت آمال داود وانحطت بمن بان يدعي باي المسيح لكن لما بدا المسيح شرع به الكهنوت الحديث حسب رتبة ملكيصادق وبدا الملك الجديد الذي ليس من هذا العالم فلم يكن حينئذ ينتقل الى هارون ولا الى لاوي ويهوذا وداود واخلائهم . ومن الثابت ان هارون لم يكن منتصباً في الوقت الذي تلقى فيه الذبايح حسب دانيال وكان داود وبيته انما ما فرض عليها لما خرج منها المسيح ابن الله وكان اليهود انفسهم مجدوا املهم مشوا في هذا الوقت عموماً الى العيال الذي دعوه الى غاية ذلك الايمان بكل عناية واحترام ديفيد .

وليس من دأبنا ان نضرب هنا صفحاً عن احداثة مجي المسيح الذي هو امم واخص لوادركنا ذلك وان كان لدى اليهود موضوع العثرة والكراهية وهو مغفرة الآثام باسم مخلص متالم مخفض الجناح راضع الى الموت وكان دانيال قد اوعز في الاسابيع الى هذه السبة السرية التي راعيتها حيث كان المسيح يزعم ان يقتل ويشرع الجهاد هو وتنفذ قوة الذبايح القديمة وان احرزنا نبوة دانيال الى البرهة اشعيا نرى ذاك الحق نفسه لاننا سنرى انه رجل الاوجاع وحامل خطايا الشعب وقدم حياته لاجل الخطايا

وشتينا نحن نرحبوا . فاقم عينيك ايها المجاهد وانظر اليس باسم يسوع المسيح المصلوب
تسروك بمغفرة خطاياك ومن ذا الذي فكر ابدأ بهذا الروم ذا غير المسيح من برع
بمحو الخطايا بدموان كان مقدماً عليه او متأخراً هل اسلم ذاته عبوةً للصلب ليحصل على
فخر باطل ويتم هذه النبوة الماثلة فلذلك يلزمك الصمت وان تغر متعباً لهذا التعليم
السامي الذي هو في الانجيل اذ لا يمكن ان يخطر في فكر انسان لو لم يكن حتماً .

فارتباك اليهود من هذا القيل عظيم جداً لانهم يرون في كتبهم آيات كثيرة
نوعز الى آلام المسيح ولكن كيف يتعبر عن الآيات التي تشف عن مجده وانتصاره

فحل هذا المشكل هو ان يتصل الى الانتصار بالانصاف وبناج الحجة بالآلام لكن
مالا يتصدق هو ان اليهود ليشوا يستمدون بمجاء وذلك لاننا نرى التلود وكتبنا
اخرى قديمة تضاهيهم انهم يتظرون سيمياً معذباً وسيمياً مجيداً الاول مات وقام
من الموت والثاني لا يزال سعيماً مضبوطاً مظهر الاول توافقه كل الآيات التي نوعز الى
الوهن والضعف والثاني تليق بالآيات التي تشير الى القوة والعظمة الاول ابن يوسف
اذ لم يمكن لم ان ينكروا صفات يسوع المسيح والثاني ابن داود بيد انهم لم يشاؤوا ان
يتجهوا ان المسيح ابن داود يقتضي له ان يرجع من الوادي قبل ان ينهض رأسه اي ينهض
ان يتالم قبل ان يتظفر كما يقول هو نفسه : باقيلي الهم وبطبي القلب في الايمان بكل
ما نطقت به الانبياء اما كان ينبغي للمسيح ان يتالم هذه الآلام ثم يدخل الى مجده

وفضلاً عن ذلك فاننا لو عزونا للمسيح هذه الآية حيث انما يعرب لنا عن رجل
الاجاع مضروباً كالابرص بخطايانا لكان ذلك باستنادنا على تقليد اليهود القديم
والنفيلدات الحديثة لانه فسرنا عن اوهاهم يرى في التلود فصل بيننا ان هذا
الابرص المنفل بخطايا الشعب هو المسيح نفسه لان اوجاع المسيح المسية عن خطايانا
مذكورة في الفصل هذا وفي اسفار اليهود الاخرى ويذكر ايضا مراراً دخوله الجهد
والشواضع الى اورشليم واكياً انما وتنسب اليه نبوة زكريا المشهورة . فقلاي امر يشكى منه
اليهود فان كل شيء كان قد تصرح لديهم جلياً بانبيائهم لان تقليداتهم القديمة قد
رعت الشرح الطبيعي لهذه النبوءات المشهورة ولا شيء احق من هذا التفسير الذي
كان يونهم به المخلص قائلاً . اذا كان المساء قلتم صحو لان السماء مغمورة كالحة .

افعلون ان تميزوا وجه السماء وعلامات الازمنة لاستطيعون ان تعرفوها

فيخ من ذلك ان اليهود قد قضا صواباً اذ قالوا ان وقت ماتي المسيح قد عبر
لان يهوذا لم تلبث مملكة ولا شعباً وان الشعوب الاخرى اذ عني بالمسيح المزعج ان يرسل
مات يسوع المسيح قد بدا لدى الامم وبهذه العلامة قاطروا الى ال ابراهيم وامتدت
بركة هذا الاب في كل الارض وانه بشر برجل الازعاج وغفرت الخطايا المعد بموته
ومضت كل الاسابيع وتم خراب الهيكل والشعب عقاباً لموت يسوع الصديق ونهاية
الامر ان قد ظهر المسيح بكل الصفات المعزوة اليه بتقليدات اليهود واحاديتهم ولم يبق
لم عنبر على عدم اوائهم .

ولهذا نرى منذ ذلك الحين كل ادلة ردلم التي لارسل فيها لانهم استمروا منذ زمان
المسيح على ان يبطوا من يوم الى اخر خاضعون في لجة الجهل والشقا ليجرحهم من
تلك الورطة الاثنية مشافهم وروعم بتكاثف سقوطهم في الضلال وبالاخرى تنفذهم جودة
الرب وحدها لما ياتي الوقت المعد بمكمنه تعالى ليعاقبهم على سجدهم ويقع تكبرهم ومع
ذلك لم يزالوا سخرية لدى الامم وكراهية عندهم دون ان هذا الاسر الطويل
يحملهم على ان يشوبوا الى نفوسهم ويشعروا في حالتهم ولو كانت هذه الحالة كافية
لان تقسمهم .

لانه قد يمكن لنا ان نخطيهم بما فاه يو النديس ابرونيوس وهو ما ذل ننظر يا ايها
اليهودي الضال قد افترقت من الجرائر كثيراً في عهد النضاء وصبرتك عبادتك
للاصنام عبداً للامم المجاورة لكما الرب رافك ولم يطلو من ان يعث اليك بمنذيك
فضاعفت للاوثان عبادتك في عهد الملوك واما الائم الذي هو بيت يو في ايام احاز
ومسي فلم يعاقبك الرب عليه الا بالعباء سبعين عاماً فاني حينئذ قورش واعاد اليك
وطنك وهيكلك وذيابحك ثم بهظلك في زمان ويسار يانوس ونخوس ثم شعت شملك
ادريانوس خمسين عاماً بعد ذلك ولقد مضى عليك اربعماية سنة وانت رازح تحت
اوقار العبودية . فذلك ما كان بقوله ابرونيوس فقد تعزز هذا اليرمان لانه اضاف
اليو الف وخمماية سنة على دنار اليهود فلنل له اذا بدلاً من الاربعماية عام ان من
تسعة عشر جيلاً لم يبرح دنارهم وسباوهم دون ان يتخرج عن عواقهم نهر الاسترقاق .
فاذا صنعت يا ايها الشعب الجاحد المتعبد لكل الشعوب وكل الملوك دون ان توهدي
الاخذ العربية خدمة فكيف نسيت الرب الذي اصطناك والى اين ذهبت رحمة

التي هي فاي اثم واية جريفة اعظم من عبادة الاوثان التي تنزل عليك غائباً لا يمكن لها ان تخلصك منه انصبت لا يمكن لك ان تدرك ما هي الجريمة التي تقضي عليك شفقة بارتك تذكر كلام اباائك الثائلين فليكن دمة طينا وعلى اولادنا وايضاً ليس لنا ملك سوى قيصر . نعم ان المسيح لا يصبر لك ملكاً ارفع جيداً ما اصطفته امك عبد القيصر وسائر الملوك حتى يدخل ملء الام وبذلك يخلص كل اسرائيل

الفصل الخامس والعشرون

في بعض ملاحظات منوطة بارتداد الام وعمق مقاصد الرب الذي اراد ان يردم اليو بصليب يسوع المسيح وبرهانات مار بولس في كيفية ارتدادهم على هذا النمط

ان ارتداد الام كان امراً ثانوياً ينتهي حدوثه في وقت مجيء المسيح ودليلاً صريحاً على ما ناه فند نوهنا كيف تنبأ الانبياء عن ذلك واية صراحة كان ذلك وقد تحققت كل مواعيدهم في زمان المخلص ومن المقرر ان ذلك قد تم في حينه لا قبل ولا بعد وايضاً ان اثني عشر صياداً بعث بهم يسوع المسيح بعد ان شاهدوا نهوضه من الموت اهدوا الام وهذا العمل المأثور لم يستطع الفلاسفة ولا الانبياء ولا الشعب اليهودي الذي كان تحت اكاف حماية الرب ومعصا بناموس وذلك لان ارتداد الام لم يكن معرضاً لعمل الفلاسفة والانبياء بل كان منوطاً بالمسيح وهو ثمره صليبه

وقصارى الامران المسيح ورسله اقتضى ان يخرجوا من اليهود وان يذاه انتشار الانجيل تكون من اورشليم وكما قال اشعيا . يكون في اخر الانام جبل بيت الرب مستعداً في رؤوس الجبال وهذا هو البيعة المسيحية وتجميع اليه شعوب كثيرة ويقال الرب وحده في ذلك اليوم والاصنام تتحق البتة

واما اشعيا الذي رأى كل تلك الامور فقد رأى في الوقت نفسه ان التاموس الذي يقضي على الام يخرج من صهيون وكلمة الرب المزمعة ان تصلح الشعوب يخرج من اورشليم وهذا ما بعث المخلص على ان يقول ان الخلاص من اليهود وقد كان من الموافقة

ان النور الجديد المزمع ان يبر الام الخائضة في عياب الجهالة يتد في كل الامصار
من المكان حيث كان لا يبرح فيه الى غاية ذاك الحين . وقد كانت الام مزمنة ان
تبارك وتقدس يسوع المسيح ابن داود وابراهيم وقد لاحظنا ذلك مراراً حتى بيد اننا
لم نلاحظ العلة التي بها كان يسوع متكبداً غوائل الصلب والعذاب وحده مفقداً
لللام وظاهراً على الاصنام . ففسرنا القديس بولس هذا السر العظيم في الفصل الاول
من رسالته الى اهل كورنثية فمن الثورين الخطيرة ان تنهم هذا الكلام من اوله لانه قال
لان المسيح لم يرسلني لاعمد بل لابشر بالحكمة الكلام لئلا يبطل صليب المسيح فان كلمة
المالكين جهالة واما عندنا نحن المختصين ففي قوة الله لانه قد كتب سايد حكمة الحكماء
وارذل عقل العلماء فاين الحاكم واين الكاتب واين فاحص هذا الدهر اليس الله قد
جهل حكمة هذا العالم . فلاربية في ذلك اذ لم يمكن للانسان ان يتخلص من اعباله
غيره فاذا كان العالم وهو في حكمة الله لم يعرف الله بالبرهان فتدبحس لدى الله ان
يفقد الحكمة اي سر الصليب حيث الحكمة البشرية لا يمكن لما ان تدرك شيئاً الا بومن
ما رآب الحكمة الالهية العجيبة ان الله جعل الانسان في العالم حيث حكمة الخالق تبدو
لديه كيف امال بصن بكل عظمتها وغناها ونظامها الكامل ومع ذلك لم يعرفه
الانسان لان الخلاق التي كان يقتضي ان تستنص افكارنا الى العلاء قد اوفنتها واصبح
الانسان الاعى عبداً بكل جهالة وخشونة ولم يتدفوا ان بعد عمل الرب بل افضى به
الامر الى ان عمل بديه وقد كان دينة متوقفاً على افاصيص ذات هزه ومخزية
كالافاصيص التي تداولها الصبية الاحداث فتجف عن الجادة النورية وجعله الرب يساه
بوجه اخر لان العمل الذي يوول الى حكمته لم يوشرفه تأثيراً

فقرض عليه عمل اخر حيث عقله لا يمحيط علماً ونجارياً الفكر وليس ذلك الا صليب
يسوع المسيح ولا يمكن ان يدرك هذا السر بالبرهان بل باسر العقل نعمت طاعة الايمان
وهي قادرة على هدم الحصون فيهدم الآراء وكل علو يرتفع من معرفة الله

فاذا نهم في هذا السر حيث الله المجد حامل المار والحكمة الالهية تعامل معاملة الجنون
وحيث ذاك الثابت يعظم الطيمية لكنه اخطى ذاته اخذاً صورة عبده صائراً في شبه
البشر وموجوداً كبشر في الهيئة فوضع نفسه وصار بطيع حتى الموت موت الصليب . فمن
ذلك تلبيل افكارنا وحسب قول القديس بولس لاشي اجهل من هذا لدى من لم

يكن سيرا من الملا.

فهاك الدواء الذي اعده الرب لشفاء داء عبادة الاصنام لانه كان يعرف عقل الانسان ويعلم انه لا يلائي بالبرهان الضلال الذي لم يكن البرهان وضعه واضاليل تستط بها مبرهين لان الانسان يريدك احيانا بقياس وبرهانه. اما عبادة الاوثان فقد تأتت من علة منافضة لتلك لانها طرأت لدى ضعف الحكمة والقياس وتسلب الحواس التي كانت تدل لو فعمل كل شيء من الصفات للتأثر بها وبهذا قد اصحبت الالهة محسوسة مادية فكساها البشر همتهم وانجلى من كل ذلك عيوبهم واموارهم ولم يكن القياس له دخل في هذا الضلال المين بل كان ذلك انقلاب الحكمة والصواب ونسلط الجنون والعمق فان دارلت رجلاً معنواً بالقياس او امانته الحكمة عن خطة الصواب ثار هاتجا واستولى عليه الداء العباء فما عليك الا ان تبرز مزاجه وتكلم حنفاً والخلق الذي يبر ذاك الدوران . وبناء على ذلك لا يبرأ جنون عبادة الاصنام بوما الذي ناله اللالاسنة بقطيهم القصية وانفاسهم السامية ومراهمهم السديفة فهل قوض افلاطون بنصاحته المدعوة حاوبة مذبحاً واحداً من مذابح هؤلاء الالهة الثرية التي كانوا يعبدونها بل كان ذلك بعكس الامر فانه اقام هؤلاء المذبح وكل حكاة الجبل مذابح للانك وزاغت عن الهجة انكارهم واظلمت قلوبهم التي لا تنفذ انهم اصبحوا جهالاً بعد القول عنهم انهم حكاة لانهم عبدوا الخلائق قسراً عن انوار غفولهم الطبيعية

افلا يلقى لبولس الرسول ان يهتف باية اخرى قائلاً : ابن الحكاء وابن المكاتب وابن فاحص هذا الدهر اليس الله هو الذي جهل حكمة هذا العالم . وهل امكن لم ان بلغوا خرافات الوثنيين وهل فكروا ان قد ترتب عليهم ان يعارضوا هلنا كل التمجيد وقصارى الامر ان ينجسوا الاعنات بل على الاقل الامانة لتثبت الحق ومع هذا فلم يقوموا بمسء ذلك بل انهم كتموا حق الله وتخذوا مبدأ يتقنونه وذلك انهم يقتدون بالشعب بالاشياء الدينية . ومن المقرر ان هذا الشعب الذي كانوا ياتلون منه اصبح مقدماً عليهم في امور خطيرة في مسائل الدين اذ كان ييدي غابة الافتقار لكل نورهم .

فما جدى لك ايها الفلاسفة الم يقل الرسول ان الله يظهر جلاله حكمة هذا العالم وسيد حكمة الحكاء ويرذل فهم النها .

وعلى هذا قد ابان الرب بالاخبار ان انقضاء عبادة الاصنام لا يتم بالبرهان
البشري ولم يستند عليه بشفاء هذا الداء بل انه قد اتم تربيته بسر الصليب وقد عالج
في الوقت نفسه الداء فنجح به الدواء فاستأصل علته .

فلو رحنا طرف الطرف في عبادة الاوثان لرأيناها ناجمة عن تعلتنا بذواتنا
وذلك ما بعثنا على ان نتجرب لنا الهة تضاهينا ليست سوى بشر قد تعرضوا للشهوات
والوهن والمعائب وقد كان الامم يعبدون افكارهم ولذائذهم واعوامهم بعبدة الالهة الافاكة
اما يسوع المسيح فقد اوجنا في طريق جديد لان قافته وعاره وصلبه نجعله طراً
مكروماً لدى حواسنا وان انقض بنا الامر الى اتباعه افترض ان نجالي نفوسنا ونبتذل كل
امر ظهرياً ونصلب لاجل كل شيء ومضى نمرى المرء من كل ما يملك اليه فساد بصبر
اهلاً لان يعبد الرب وحقيقته الازلية المزمع حينئذ ان يقنوكل فروضها

فلنست ذلك نباد كل الاصنام والاثان التي كانوا يعبدونها على المذابح والتي
كانوا يسرونها في خرائن القلوب لان هذه قد اقامت تلك
ولقد كانوا يهودون للعبادة للزهراء لان غرام الحواس كان مسئولاً على الانسان
الذي كان يرد سلطانه

واقم لياخوس مذابح لانه اله السرور وكان الانسان يطوح نفسه الى ملذات
الحواس ويندم لها الذبايح لانها كانت لديه لذية أكثر من معاقبة الخير . فاني المسيح
بسر صليبه يرمخ في القلوب محبة الآلام بدلاً من محبة اللذائذ فتبددت حينئذ الاصنام
التي كانوا يعبدونها خارجاً لان التي كانوا يهودون لها العبادة داخلآ لم يبق لها من
وجود لان ذوي القلوب النقية يعاينون الله كما يقول المسيح نفسه .

ولم يبق الله يكدر في ان يجعل الالهة تضاهيه بل قد اصبح مجده نفسه في ان
يكون مضاهياً لله بمقدار ما يحس له الضعف البشري

ان سر يسوع المسيح قد ابان لنا كيف يمكن للالهية ان تلبس ضعفنا وتعد بطبعنا
دون ان تفقد لان الكلمة قد تجسدت والذي كانت به صورة الله وطبيعته قد تلبس
بصورة العبد دون ان يفقد ما كان له لانه غير قابل للتغير في ذاته فاتحد بطبع آخر
انا طه يو

فيا ايها الانسان قد رغبت في ان الالهة تكون مثلك بشراً مفسوداً فقامت

بذلك ألا ذوعى ميين فالان تعرض لديك عبادة جديدة هي عبادة الله وانسان
معا . وبالاخرى انسان لا ينفذ شيئا ما كان له بانتفاذه ما هو لنا فالالوهية لا يعرفها
تغير ولا يتول عن جلالها وليس يوسعها إلا أن ترفع ما اتعد بها

لكن ماذا الذي يكون الرب قد اخذ منا اعورينا ووصياتنا جل شانه عن ذلك فانه لم
ياخذ من الانسان سوى ما صنعته . ومن المقرراته لم يصنع فيه الوصيات او العيوب بل
صنع فيه الطبع فمالك ما اخذه ويمكن لنا ان نقوه قائلين ان صنع الميثونة وما يصحبها من
الزهر احق عقاب على الخطيئة وان لم يكن ذلك في اليد من ما رب العلي . وبناء عليه
نحسب اعمال الله العادلة ولذلك لم يتأخر عز شانه عن اخذها وبما انه تغذ عقاب
الخطيئة لا الخطيئة ابدى انه الصديق الذي بني سواه وصاوا لاجرم الذي يستحق
التصاص

وبناء عليه بدت كل الفضائل في الله . ونسب بدلا من الرذائل التي كانت
البشر يعرفونها الى المهتم ولكي يبدو ذلك في الامتحان الاخير بدت فيه العذابات المبرحة
فلا تطلب اذا الهما اخر محسوسا سواه لانه وحده قادر ان يبد كل الاصنام وعلى صليبه
يلوح الظفر للزعم ان يندرج اليه

ومعنى ذلك ان الانتصار معاني على جهل . يامر لان اليهود كما يقول القديس
يونس : اليهود يطلبون الايات التي بها يزرع الله بشدة كل الطبيعة كما صنع لدى
خروجهم من مصر ليعلم بنوع يامر ظاهرين على كل اعدائهم واليونانيون يطلبون
الحكمة اي خطبا مظلمة على نفس خطب افلاطون وسقراط فاما نحن فنكرر بالمسيح
مصلوبا شكلا لليهود وجهالة عند الامم لا بايات وحكمة واما المدعوين من اليهود
واليونانيين فالمسيح قوة الله وحكمة الله لان مستحيل الله احكم من الناس ومستضئوا الله
اقوى من الناس .

فمالك الضرية الاخيرة التي كانت يقتضي ان يصوبها طينا عقابا لتكبرنا وجهلنا
الظلم لان الحكمة التي تقاد بها قد عزت سوا حق انها اصحبت تدول لدينا غواية وجهالة
لدى حكمتنا ونظامها سام حتى انه اصبح يبدو لدينا ضلالا

لكن وان كانت هذه الحكمة الالهية لا تدر كما بصائرنا تدول لدينا مفاعيلها لان
الصليب قد خرجت منه قوة بددت كل الاصنام وقد شاهدنا هبوط ذلك على

الأرض تسراً عن السلطة الرومانية التي كانت تقوم بناصرها ولم يتم باعيا هذه الآيات
العظيمة حكما أو شرفاء أو اعزاء هذا العالم .

بل أن عمل الرب قد سرى حسب مجراه لأن ما كان قد بدا بعار المسيح قد تم
بذل تلاميذه وعارهم وماك ما قاله القديس بولس في رسالته إلى أهل كورنثية انظروا
دعوتكم أيها الاخوة انه ليس كثيرون حكماء بحسب الجسد ولا كثيرون اقوياء ولا كثيرون
شرفاء بل اختاراه الجاهل من العالم ليخزي الحكماء واختاراه الضعيف من العالم ليخزي
القوي واختاراه الخسيس من العالم والمحترى وغير الموجود ليعدم الموجود لكي لا يتفخر
ذو جسد امامه

ان الرسل والتلاميذ كانوا من احقر العالم وانهم كانوا كأنهم ليسوا بوجودين ان
نظرنا اليهم باعين بشرية يدانهم كانوا يظهرون على المارك والملكة الرومانية وكان
البشر قد نسوا تكوين الخليفة فجدده الله لما ابرز من العدم بعنة التي اتاح لنا قوة عظيمة
ضد كل ضلال ورذل مع الاصنام عظمة البشر التي كانت حينئذ يدافع عنها وصنع هذا
العمل العظيم بقوة كلمته كما صنع العالم كله

الفصل السادس والعشرون

في انواع عبادة الاصنام المتنوعة وفي ان الحواس والصوامح والجهل
واحترام الآثار القديمة الباطل والسياسة والفلسفة والبدع
اخذت بناصرها فظهرت اليمة على كل ذلك

ان عبادة الاوثان تبدو لدينا واهنة بذاتها وتبصر علينا ادراك القوة التي انقضت
لنستطوع وعكس ذلك ان هذه الحماقة عينا نين كل الصعوبة لردعها لان هذا الانقلاب
العظيم الذي طرأ على الجنس المشترك يدل على التصادم العميق الذي صار في اصل
القطر لان العالم قد شاخ في عبادة الاوثان وبما انه كان معيبا باصنام اصبح كاسم
لا يسمع لصوت الطبيعة الهائلة ضد هذه العبادة فكمن القوة كان ينفضي لتبنيهم
ذكرى معرفة الله الحق الذي كانوا قد ضربوا عليه حجاب السباب وزلزلوا التواقي

الذي كانوا يلازمونه

فان الخوارج والشهوات طرأوا لاغراض النفسية تذبذب عن عبادة الاوثان لان هذه العبادة كان جل نشاطها بالذات فان الطرب والملاهي والفساد كانت تغامر الفرائض الدينية وكانت اعيادها تصرف بهرج ولم تكن مثابة للاجتماعات البشرية الا يكون الاحتشام فيها مفتاحا باكثر اعتناء مما كان في الاحتفالات الدينية فكيف يمكن ان تعتمد هذه العقول المنسودة على نظام الدين الحقوقي الطاهر المناقض للخوارج ولم يكن له تعلق الا بالخبرات غير المنظورة ولما كانت بولس الرسول يتاحي فليكس والي اليهودية في البر والعتاف والدين المزعج ان يحدث استولت عليه الرعدة جزعا وقال اما الان فاذهب ومتى سمحت لي الفرصة دعوتك لان هذا الخطاب كان عمرا على رجل يود ان يتجمع بالذات دون وسوسة وباهي وجبر كان

اتريد ان تنظر الان كيف تتحرك الفائدة اعظم تحرك للامور البشرية فاصح الاف لان فعلة الدين كانوا عاتشين ببناء هياكل من فضة للاله ارطاميس في افدوس وقت ستوط عبادة الاوثان التي سبها وعظ القديس بطرس في اسيا ونهض اعظمهم وابان لم ان مكسهم لا يلبث ان يزولهم وقال لا يخطر في بالنا ان يملك فقط علينا الامر بل هيكل ارطاميس الكبيرة ايضا يحجب كانه غير مذكور وبأخذها تلك الهياكل كلها التي يسجدون لها في اسيا وكل المسكونة بتلاشي

فبالفائدة من قوة عظيمة وبالحا من جراءة اذ يكون الاستناد على جميع دينهم ولم يبق افتقار الى غير مرابين لتتبع اولئك النملة فلما سمعوا ذلك النطوا غمضا وطفوا يصيحون ويقولون عظيمة ارطاميس الاقوسية واخذوا يحرقون القديس بولس ورفقاؤه الى المشهد حيث اجتمع الشعب وحينئذ ضوعت الصباح وفي اثناء ساعيتين هتفوا فانثين عظيمة ارطاميس الاقوسية واصبح القديس بولس ورفقاؤه بكادون لا ينجون من ايدي الشعب لان العصاة شق عليهم انقاذهم حيث كانوا يرمون ان يحدث بلبلة اعظم من ذلك وزد فائدة الكهنة المزمعين ان يستطوا هم والمنهم على فائدة اولئك الذين لم مصالح خاصة وعلى هذه زد مصالح المدن التي كان الدين الافلاك يجعلها شهيرة كمدينة افدوس التي نالت امتيازاً عظيماً بواسطة هيكلها واثرت بواسطة تقاطر الثرياء اليها وبناء عليه كانت الزوينة التي ثارت على البعثة الجديدة عظيمة جداً . ومن ذا الذي يتعجب

بعد هذا بان يرى الرسل مضروبين ومرجومين بالحجارة ومغروكين كالملوك وسط الشعب
لكما فائدة اعظم من تلك اذ صنعت ان يجمع اعظم واسطة هي فائدة الدولة التي تنبر مجلس
شيوخ الرومانيين والشعب والملوك ضد البيعة .

وكان يرى في زمان قديم اوامر في مجلس المشايخ تمنع الاديان الغريبة في الدولة
والملوك ادخلوا في هذه السياسة عنها المداولة العظيمة .

لان الموضوع كان لتصلح المعائب التي دخلت في الحكم فمن القوانين الاساسية التي
عرضها مساناس على اوغسطس ان يمنع الاديان الجديدة التي كانت تسبب في الدولة
بلايل فان هذا المبدأ هو حقني لانه لا يوجد شيء يجمع العقول باكثر شدة ويحلمهم على
ارتكاب الكبائر اكثر من المذاهب واما الله فقد شاء ان يبين ان تشيد الدين الحقني
لا يسبب هذه البلايل وذلك من المعجزات التي تبين ان الله هو الفاعل ذاك الصنيع
لان الكل يتعجبون اذ يلاحظون انه في برهة ثلاثمائة سنة كاملة احتملت بها البيعة كل ما
اقترحه غضب المضطهدين لعذابها لم يكن احد من المسيحيين ابراً واثراً فخرباً ضد
الملوك ولا مغاراً الى الثورات العديدة والحروب المديدة التي طرأت وتتلذذ وبطالما
المسيحيون من الداء اعنائهم ان يسموا رجلاً واحداً ولم يتم قط منهم احد الى هذه الحروب
لان التعليم المسيحي كان يرهل تابعه الاحتمال نحو السلطة الدينية لان كلمة المسيح كانت
الثرت في العقول نائراً عظيماً يتوهم اعطوا ما ليفسر لتبصر وما لله

وهذا القول اتاح للعقول نوراً ساطعاً . ولهذا لم يبرح المسيحيون يحترمون صورة
الرب في الملوك المضطهدين الحق وصفة هذا الخضوع تبدي في كل ما كتب للدفاعهم
عنه النظام العام ويلوح ايضاً ان المسيحيين لم يتظروا تشيد الدين المسيحي الا من الله
وهؤلاء البشر الذين هم على امية الموت ومشترون في كل نحاء المملكة والساكنم يسوا
نفوسهم ويشبوا مرة واحدة في كل هذه الاجيال التي تعذبوا فيها ولم يكونوا فقط يهون
نفوسهم من التمرد والعصيان بل عن التذمر ايضاً لان يد الرب كانت في هذا العمل
وليس سوى يده يمكن له ان يحبس البشر الذين حملهم الجور وهاجمهم على ان ينصلوا الى
هذا الحد |

وبالحقيقة ان قد كان يشق عليهم ان يعاملوا كاعداء الدولة والملوك طالما لا يمتنون
الاخضوع ولا يطلبون الانقاذ الملوك وسعادة الدولة ولكن كانت السياسة الرومانية

نظن ان اركانها ترعرعت لما كانت تشاهد انهم يحضرون انها لان رومية تتخرب بانها مدينة
مقدسة منذ تشيدها ومكرمة منذ البدء للعناية الالهية ومكرمة من مؤسسها لاله الحرب
وكانت تخال ان المشركي يستمر حاضراً في الكايتول أكثر من الاوليك وكانت
تعزو انتصاراتها الى الدين لانها بواسطة عبادتها قد ظهرت على الامم وانها لانهم كانوا
ينكرون هكذا وقتئذ حتى ان الالهة الرومانية كانت مزعومة ان تسلط على سائر الالهة
كان الرومانيون كانوا مستولين على سائر الامم . ولما قعت رومية ببلاد اليهودية حسب
اله اليهود بين الالهة المموعة وبما عليه فمن يشاء ان يولييه يكون يشاء هدم اركان الدولة
وباتف من انتصارات الرومانيين وشوكة التسب . وعلى هذا ان المسيحيين الذين كانوا
اعداء الالهة كانوا بعدوهم في الوقت نفسه اعداء الدولة ولذلك كان الملوك يتمكنون
في امتصاصهم أكثر من البربريين والمركومانيين والداسيين وكانوا يذكرون في توارخهم
ذئار الدين المسيحي بأكثر افتخار من نصر السرماتيين بيد ان افتخارهم باستئصال دين
ذهب ادراج الرياح فانه كان يهوى من يوم الى اخر في ظلال السيف والثار وقد تالت
عليه القنينة والجور فكان ذلك عبثاً فانهم كانوا يهيمون اناساً يظنون بالفضيلة الفاتحة
بارتكاب رذائل فانف منها الطبيعة لانهم كانوا يهيمون بارتكاب الفجاء مع الاقارب
اولئك الذين لا يلتذون الابالعة . وكانوا يهيمون المسيحيين بأكل اولادهم وانهم هم
الذين كانوا يحسنون الى مبغضهم ولكن قسراً عن هذا البغض العام كانت قوة الحقيقة
تأزم اعداءهم ان يؤدوا لهم شهادة حسنة وليس احد يحول ما كتبه بلينيوس الشاب الى
تراجان الملك عن فضائل المسيحيين وبهذا بدت برامهم ولكن لم ينفهم من العذاب
والموت اذ كان يلزمهم بهذه المعاملة الاخيرة لتكملة صورة يسوع المصلوب فهم لانهم كانوا
مزعمين ان يذهبوا الى حيث يصلوبون بموجب حكم جلي يقرر برامهم

ان عبدة الاوثان لم تكن مصوبة كل قوتها بالسف والجور بل كانت ترغب في
بعض ادلة وان كان ركنها الجهالة وقساد الحس المشترك لانه كم من مئة جهدت في ان
تخفي نفسها ولم قد تقتصت وتنتقلت لتخفي عارها فاحياناً كانت تظاهرها بالاحترام نحو الالهة
لانها كانت تقول ان كل ما هو الهى غير معروف ولا احد يعرف اللاهوت الا اللاهوت
وليس لنا - واغية ان تنفوه بامور سامية كهذه وبناء عليه يقتضي ان كلاً يقفوا آثار
الافنديت بالدين الذي في وطنهم هذه الآثار بل اصبح الضلال ذو الكثر

المستولي على الارض عياناً وانجس صوت الطبيعة الذي كان يشرب باله حقيقي منقطعاً
ولقد كانوا يجهلون ان ومن الفعل الرابع عن قوم الحجج يحتاج الى سلطة تنبئ الى
الاصل وبناء عليه يقتضي ان يتعلوا الذين الحق من الاجيال الدائرة ولهذا قد ابنت
لك باسدي تسلسلها التوهم من ابتداء العالم اما الوثنيون قباية قدمية يتفخرون ومن
منهم كان يطالع تاريخ وطنه ولا يرى فيه ابتداء الدين والالهة . فقد ابان فارون وشبشرون
هذا الاصل دون ان تذكر سواها من المواطنين او انما تعتمد هذا العدد الذي لا يحصى
من السنين متعاً من خرافات المصريين واقاصيصهم السفينة ولقد كانوا يعتمدونه
ليلوحو على ان قدميتهم هي موضوع فخارهم . وعلى كل كانت الحقهم تولد وثلاثي وعسر
على هذا الشعب ان ثبتت قدميته دون ان يبين بدائة الهة

وهناك هيئة اخرى للعبادة الاصنام هي انهم كانوا يودون لو يودون العبادة لكل ما كان
يعتبر الهياً فقد كانت السياسة الرومانية تكرر فسرّاً عن مآسة الاديان الاجنبية وتاذن
بعبادة الهة البرابرة بشرط ان تكون تلك الالهة تحت حيازتها وعليه فقد كانت ترغب
في ان تنظام بالعدل نحو كل الالهة كما كانت نحو كل بني الانسان . ولقد كانت آونة
ندم كياه الجور لاله اليهود مع سائر الالهة ودليل ذلك اننا قد عثرنا على كتابة من
جوليانوس المجاهد فيها اباحة منه لليهود بان يوطدوا المركان المدينة المقدسة ليستظم فيهم
للقدمه الذبايح للاله الحق ولقد اسلفنا ان الوثنيين كان في عزيم ان يودوا العبادة لله
لسكن مشركاً . ولم يتوقف على الملوك بان يسوع المسيح نفسه الذي كانوا يشهدون تلاميذه
ان يكون له مذايح لدى الرومانيين ولم يروموا ان يعتبروا اعتباراً له ذاك الذي حكم
عليه قضائهم بالعذاب والقي عليه اعباء العار كثير من موطنهم فلا تعجب من هذا
الامر الذي لم تخافه قط ربية ولكن يقتضي ان تميز في باديه الامر ما بنوه به المرة
لدى بضائهم السماوية من الحوادث المفرة التي يخال انها مبرعة لديهم . ومن بين ان
الرومانيين لم يكونوا يعززون الى يسوع المسيح جريمة خاصة ولو كانوا اصدروا عليه حكماً
ولذلك قضى عليه يلاطوس دون طيبة خاطر بل قد قسره على ذلك اتحاح اليهود
وتوعدهم . ومن الامور التي تبص على الحكمة والاحتجاب ان اليهود انفسهم الذين كانوا
علة لصلب المسيح لم يشعروا في كتبهم القديمة اقل عمل له بل حبانته ولم يكن من وسعهم
ان يحدوا فيه جريمة تعزيمهم بالايجاب او الاقوله ان المسيح ابن الله وما تراه في الانجيل

يصدق على ذلك

وحقيقة الامر ان تاسكتوس يبتنا عن عذاب يسوع المسيح في عهد ييلاطوس والملك طباريوس لكنه لم ينو لنا عن اقل جريرة اوجبت له الموت الا انه مومس بدعة تكتم للحس البشري بالقضاء او انها مقنونة لديه فما هو ذائم المسيح وتلاميذك ولم يمكن لالد اعدائهم ان يتهوموا الا بالفاظ مبهمه دون ان يبينوا اقل حادث مقرر لما كانوا يتهومون به

ولاريد ان الوثنيين الذين لم يروا لم من جريرة يتهمون بها المسيح وتلاميذك اذاعوا في اثنا الاضطهاد الاخير وبعد يسوع المسيح ثلاثمائة سنة اخطارات ييلاطوس المكاذبة التي بها حاولوا ان يخلعوا للمسيح ذنوباً قضت عليه بالصلب ولما كانت هذه الاخطارات لم يسمع بها في الاعصار الفارسي لا في عهد دوميتيانوس ولا في عهد نيرون اللذين قبضا على زمام الملك في بداية الدين المسيحي وما من الاعداء المكاشحين للدين اصبح من مقرر الامر انها اختلعت فيما بعد اقتراحاً ولم يكن لدى الرومانيين ادلة قاطعه ضد المسيح حتى ان اعداءه قد ابتدعوها اعتباطاً

فما لك قضية اولى هي براءة يسوع المسيح غير المدنس وزد عليها قضية اخرى هي قداسة حياته وتعاليمه المعروفة وان احد ملوك رومية العظام ابي اسكندر سفاريوس كان منهشاً من يسوع ولطالما كتبت بامر بعض آيات من الانجيل في الدوايح المرفوعة على الابنية العامة حتى على قصره وانه قد كان يثني على المسيحيين الذين كانوا يظنون على الاحباطات التي من شأنها انتخاب خدمة للارباب المقدسة ولقد كان يعرض بها لتكون افودحاً ولم يكنف بذلك كله بل كان في قصره بيعة صغيرة كانت يقدم فيها قرابين كل يوم صباحاً واضعاً فيها غنائيل الارواح المقدسة بظلها صورة يسوع وابراهيم بقرية من صورة اورفيوس وكان له بيعة اخرى اصغر من الاولى اقام فيها صور اشيل وبعض الانام المشاهير اما يسوع فقد كانت له المنابة الاولى بين تلك الغائيل فذلك ما نصه احد الوثنيين ويومئذ كلامه بشهادة احد المولدين المعاصرين لاسكندر الملك الموما اليه فقد شهد لهذا الحادث اثنان . وهما ك حادثاً اخر يجمل على العجب كالاول وهوان بورفيريوس وان يكن قد جاهر لدن محبة الدين المسيحي انه عدو له بقر في كتابه المدعو الفلسفة بالنبوءات بان قد يوجد نبوءات توافق قداسة يسوع المسيح . بيد ان مجد ابن

الله يحل أن تكون النبوءات الكاذبة طرائق من شأنها إيقاظنا على كبره فقد جعلها لدن مجيئه معقودة اللسان فان هذه النبوءات التي ذكرها يورفيرسوس لم تكن سوى اختراع رجحت لكها بهما امر فرد وهو ما ذا كان الوثنيون يزعمون بكلام الهتهم في يسوع المسيح . فيحقق يورفيرسوس انه كان يوجد نبي يدعى يسوع المسيح وهو رجل بر اهل لان يكون خالداً . واما المسيحيون فانهم بعكس الامر اناس يخافونهم الفساد والفرور ثم يذكرونا نبوءات الالهة هكيات بانها تنوء عن المسيح انه رجل تعاطت تقواه وان جسده الميت به العذابات المبرحة وصعدت نفسه الى العلايين الارواح الطوباوية وقد كانت تقول الهة يورفيرسوس ان هذه النفس لا تحيط بها ادراك وقد اغرقت في لجة الضلال النفوس التي لم يفررها الحظ مواعيد الالهة ومعرفة المشتري العظيم ولهذا أصبحت ذواتها من الدعاة الالهة فلا تنددوا في المسيح بل تأسوا على ضلال اولئك الذين اتبأكم عن سوء عظم فلا ريب ان هذه الكلمات الخفية نقتل عنها المعاني لكها تدل بكل صراحة ان مجد مخلصنا قد ارغم أعداءه ان يجامروا بهدو

وقد برى في يسوع المسيح امر ثالث خطير عدا به وقد استو وهو مجرأته التي قد تقرر ان اليهود لم يشدوا عليها تكراً فاننا نرى في ظهور التوبة عن بعض الجنايات التي قام بها تلاميذه باسمو لكم اذ اعاد امل ان تستر تحت غشاء الخفاء انه كان يصنع بالسحر الذي تعلمه في مصر او باسم الله غير المعروف الذي لا تذكر اوصافه والذي يصنع كل شيء بقوة حسب اليهود وانه حطى به في قدس الاقداس باسم لا يحيط به ادراك اولان المسيح هو احد الانبياء الذين تنبأ عنهم موسى ومزمعون ان يفرخوا الشعب بعبادة الاصنام بمجرأتهم الهائلة . واما يسوع الظاهر بالاصنام الذي يبتئ انجيله في كل الارض ان لا يوجد الا اله واحد ليس يعوزه ان يبرأ من هذه الهمة وان الانبياء المختفين لم يبدروا بالوهية اقل من الوهية وبناء عليه ان ما يجي من شهادة اليهود هو ان المسيح قام باعباء المعجزات ليثبت ارساليته

ودخلى الامر ان اتهام يسوع بانه صنع الجنايات بالحرقشيق به موسى نفسه فكان الاخرى بهم ان يعيدوا ذلك طرقة من نظر الفكر وقد كان ذلك اعتقاد المصريين القدم الذين اخذتهم الدهشة من المعجزات التي اتاحها الرب في بلادهم ليد موسى ولذلك كانوا يحكمون عليه بانه من اكبر السحرة . ويمكن لك ان تثق على كنه ذلك في بلينيوس

وأبولوس حيث يذكر موسى مع الساحرين المضربين بييس وجمعه المذكورين في رسالة
مار بولس للذين ردلها موسى بجهائده وأما جواب اليهود فلم يكن بصعب فانهم قالوا ان
غرور السحرة لم يكن له مفعول ثابت ولا يكون له غاية لغير عبادة الله الخفي كما صنع
موسى فضلاً عن ذلك ان الله يقبض على ازمة الامور ويصنع ما يستحيل ان يقبض
به العدو وهذه الحجج نفسها تبرى بسوع المسيح من هذه التهاات الباطلة ولذلك لا نفيد
كما قد لاحظنا الا ان ثبت ان عجائب المسيح غير منكورة

والحق يقال ان هذه العجائب مفرقة تفرقاً محضاً حتى ان الوثنيين يفسر عليهم
كاليهود انكارها فان سالس الد اعداء المسيحيين الذي اوسعهم طعنًا مفرقًا لذلك كل
ضروب المداغة من البداعة لم يكن له ان ينكر كل عجائب المسيح ولو انه طلب بكل
اعتناء كل ما يناقض الدين المسيحي لكنه كان يقول في سبيل المدافعة كاليهود ان
المسيح غفد هذا السر من المصريين اي بالسحر وانه رام ان يعزوا الى نفسه القوة الالهية
بالمعجزات التي كانت يبوخاها بهذا النوع الذريع ولهذا السبب نفسه كانوا يعتبرون
المسيحيين كاليهود ولم تزل عبارة من بوليانيوس المجاهد بوخذ منها انه بانف من عجائب
المسيح لكنه لا ينكرها ويقول قوليتريانيوس مثله برسالتوا الى القديس اوغسطينوس وهذا
القول كان ذاتاً لدى الوثنيين كلهم

فبناءً عليه لاستغرب ان الوثنيين اقاموا المسيح بين الهتهم اذ انهم معتادون ان يعتبروا
البشر الذين يصنعون اموراً خارقة الهة ولوعتر طباريوس الى مجلس الشيوخ ان يهودوا
لسوع المسيح اكراماً الهياً اذ انه الانبياء عنه من اليهودية وذلك لاراية فيه فان نرتوليانيوس
يذكره كامر شائع في المدافعة التي ابرزها باسم البيعة الى مجلس الشيوخ ولم يشأ ان
يضعف دعواه البادي حقا باستاده على اشياء منكورة يسهل دحضها وان رغبت في
شهادة المؤرخين الوثنيين بقل له لم يريد يوس ان ادريانيوس اقام لسوع المسيح هياكل
كانت لا تزال في حيز الوجود في عصره وان اسكندر سفاريوس اراد بعد ان ادى له
ما اثر الاكرام خصوصاً ان يشيد له مذبح عام وموقعه في عديد الالهة

ومن المقرر ان نوقف ايماننا بالمسيح على ما نقله اولئك الذين لم يتعضوا الى لفوف تلاميذه
امر خارج عن خطة العدل فان ذلك يكون وسيلة لطلب الايمان من غير اهل
والوقوف على كنه الدين بواسطة الذين لا يعتبرونه امراً خطيراً لانهم يمكنون على كل

شيء سواء ومن المتيقن ان مجد يسوع المسيح اصبح فاسطبح زاهر حتى ان العالم لم يتمكن من ان لا يهودي له بعض شهادات وليس من سعي ان اورد لديك شهادة الله احق من شهادة اولائك الملوك

ومع ذلك فاني اتق ان قد كان لم بذلك منصد خارجي لان بعض امور عبادية كانت تبعد على اكرام المسيح فانهم كانوا يزعمون ان الاديان طراً اتحدت في النهاية وان كل الالهة البدعية تندوشاية لدى الجميع . اما المسيحيون فلم يكونوا يسلطون بهذه العبادة المتزجة ولم يكونوا يمتثلون مراعاة السياسة الرومانية اقل مما كانوا يمتثلون ما فيها من الجور والقوة لكما الرب اراد ان يبدأ اخري يحمل الوثنيين على ان يتركوا الهياكل التي اعدتها الملوك ليسوع المسيح لان كهنة الاصنام اعطوا الملك ادريانوس حسب قول المؤرخ المذكور انفاً انه اذا كرّس الهياكل المشيدة للمسيحيين تنجر كل الهياكل عنها وان الجميع يمكنون على الولوج في دائرة الدين المسيحي لان عبادة الاوثان نفسها كانت تشع ان فيه قوة ظافرة لا يمكن للالهة الكاذبة مقاومتها وثبت حقيقته ما قاله الرسول واية موافقة بين المسيح وباعال واية الله لهيكل الله مع الاصنام وعلى هذا اصبحت عبادة الاوثان حليفة الدثار بقوة الصليب ومردولة بذاتها وان وحده الله اخذت بقرار حتى ان عبادة الاوثان لم تكن في نهاية الامر فاصية عن هذا الاعتقاد فكانت تنجر ان الطبع الالهي متناه في العظمة والسعة حتى انه لا يمكن ان يعبر عنه بلفظة واحدة او صورة واحدة وان المشرقي ومرس وجنوس واية اخرون ليسوا الا الهاً واحداً نضع قوته غير المتناهية ونمثل باسماء متباينة لكنهم كانوا يحملون الدين الى رمز لما كانوا يصلون الى هذه التواريخ المدتة بالالهة وتوليد المردول وعشقم الناس واعبادهم واسرارهم التي لم يكن لها اساس الالهة الخرافات القريبة . واما هذا الاله الوحيد فكان العالم او الشمس او النجوم او الهواء والنار والماء والاراب واجزائها المختلفة المستورة تحت اسماء الالهة او العشي فماله من ملجأ وامن ذريع فانه فضلاً عن ان هذه الخرافات كانت عشرة للجميع وكل هذه الرموز مجاوزة الحد وقبيلة قد كان لا يرى رؤاها الا الاله واحد هو العالم باجزائه حتى صار ركن هذا الدين الطليعة نفسها وعليه اصبحت عبادة الخلق موضوع الخلق .

ان الاعتذارات الواضحة عن عبادة الاوثان لم تنفع لدى الفلاسفة موقع القول وان

يكن مأخذها من فلسفة الستوسيين اما سالس وبورفيروس فقد طلب عضداً آخر في
 تعليم افلاطون وقيناغوروس . وهالك كتيبة موافقتها لروح الله مع تكرار الالهة الدائمة
 فكانا يقولان ليس الاله عظيم وانه منام في المقدرة حتى انه لا يتنازل ان بهم
 بالاشياء الدنيئة بل انه اكفى ان يصنع السماء والكواكب ولم يتنازل ان يصنع يده
 على هذا العالم الخفي بل خول امره للذين تحت يده وليس الانسان صنعة يديه وان
 يكن قد خلق ليعرفه حيث انه عرضة للموت ولهذا يستحيل الوصول اليه لانه ناور في الملا
 وقاص جداً عنا واما الارواح السماوية التي صنعنا في كوساطة بيننا وبينه ولذلك
 يقتضي ان نؤدي لها العبادة

وليس طيبان ان تدحض تخيلات الافلاطونيين التي كانت ايضا توهي من تلقاها
 ذاتها لان سر المسيح كان بلائها من اساسها فكان هذا السري لم البشر ان الله الذي
 صنعهم على مثالو لا يات منهم البتة وان كانوا يفكرون الى وسط فلوس ذلك بسبب
 طبعهم الذي رآه الرب كما برأ كل الاشياء بل بسبب جوارهم التي هم انفسهم اقترعوها
 وفضلاً عن ذلك فان اطباعهم لا تقتصهم عن الله لانه يتنازل ويعد معهم فيصير انساناً
 وبهم وسيطاً ليس الارواح السماوية التي بدعوها الفلاسفة ابالسة والكتاب المقدس
 ملائكة بل رجلاً تشبه في القوة الالهية والطبع الانساني الضعيف ويصيح دواء
 شافياً لداننا

ولو كان تكبر الافلاطونيين لا يستطيع ان يتنازل الى ذل الكلمة المتجسد ولكن
 الم يكن يجب عليهم ان يدركوا على الاقل ان الانسان قادر ان يملك الله كالملائكة ولو
 كان اخر منهم قليلاً وبناء عليه فان الانسان مواخ للملائكة اكثر ما هو خاضع لهم
 ولذلك لا يقتضي ان يتعبد لهم بل يعبد معهم بالاشتراك الذي صنعهم جميعاً على مثالو
 وان قدمة الانسان الذبايح لغير الله لم تكن من الدناة فقط من تكران جميلو
 ولا شيء يوازي غرة الوثنيين بهذا الشأن فانهم بدلاً من ان لا يعبدوا الا الله كانوا
 يعبدون الابالسة

ولاسيا في الاحوال التي ابدت عبادة الاوثان وضعها لما كانت في الورطة الشديدة وفي
 انتهاء الاضطهادات لما تح المسجون على بورفيروس التجا ان يقول ان الذبايح ليست
 من العبادة السامية فانظر الى اية درجة من الفباوة قد اتصل فانه كان يقول ان

الأرض قسراً عن الساطة الرومانية التي كانت تقوم بناصرها ولم يقم باعيا هذه الآيات
العظيمة حكماً أو شرفاً أو اعزاه هذا العالم

بل ان عمل الرب قد سرى حسب مجراه لان ما كان قد بدا بعار المسيح قد تم
بذل تلاميذه وعارهم وهالك ما قاله القديس بولس في رسالته الى اهل كورنثية انظروا
دعوتكم ايها الاخوة انه ليس كثيرون حكما بحسب المجد ولا كثيرون اقوياء ولا كثيرون
شرفاء بل اختار الله الجاهل من العالم ليعزى الحكماء واختار الله الضعيف من العالم ليعزى
القوي واختار الله الخسيس من العالم والمختار وغير الموجود لعدم الموجود لكي لا يتفخر
ذو جسد امامه

ان الرسل والتلاميذ كانوا من احرار العالم وانهم كانوا كانوا لهم بوجودهم ان
نظروا اليهم باعين بشرية بيد انهم كانوا يظهرون على الملوك والملكة الرومانية وكان
البشر قد نسوا تكوين الخليقة فجدده الله لما ابرز من هذا العدم بيئته التي اناح لها قوة
عظيمة ضد كل ضلال وذل مع الاصنام عظيمة البشر التي كانت مجتأ بها دافع عنها
وصنع هذا العمل العظيم بقوة كفته كما صنع العالم كله

الفصل السادس والعشرون

في انواع عبادة الاصنام المتنوعة وفي ان الخوارج والصوامع والجمال
واحترام الآثار القديمة الباطل والسياسة والفلسفة والبدع
اخذت بناصرها فظهرت البيعة على كل ذلك

ان عبادة الاوثان تبدو لدينا واهنة يذامها ومع ذلك يتعصر علينا ادراك القوة
التي اقتضت لسنوطها وحماقتها عينا تبين ما كان من الصعوبة في ردها لان هذا
الانقلاب العظيم الذي طرأ على الحق العام يدل على التصادم العميق الذي صار في
اصل النظر والمال قد شاع في عبادة الاوثان وبما انه كان مسمياً باصنام اصبح كاصم
لا يسمع اصوات الطبيعة الهائلة ضد هذه العبادة فكم من القوة كان يتقضي لتبنيهم ذكرى
معرفة الله الحق الذي كانوا قد ضلوا عليه حجاب السيان وتنسل النوع البشري

من رعدة الفساد التي تهور بها

فان المحاسن والشهات طراً والاغراض النفسية تدب عن عبادة الاوثان لان هذه العبادة كان جل نشأها للملذات فان الطرب والملاهي واطلاق عنان الفساد كانت جزءاً من الفرائض الدينية ولم تكن الاعياد الا ملاعب دنسة كالم تكن الفة بشرية اصبح الاحتشام فيها مثقلاً باكثر اعتناء بما كان في الاسرار الدينية فكيف يمكن ان نعتاد هذه العنول المنسودة على نظام الدين الخفي الطاهر المناقض للعواس والذي لا تعلق له الا بالمخبرات غير المنظورة ولما كان يولس الرسول يناهي فيليكس والي اليهودية في البر والعفاف والديونة المثبة استولت عليه الرعدة جرماً وقال اما الان فاذهب ومتى نحت لي الفرصة دعوتك لان هذا الخطاب كان عسراً على رجل يود لو يتمتع بالملذات دون وسوسة وباي وجه كان

انريد ان تظر الان فاعلة المنافع والمصلحة في الامور البشرية فاصغ الان فان النعمة اللذين كانوا عاشين بينها هما كل من فضة للالهة ارطاميس في افسوس وقت سقوط عبادة الاوثان التي سبها وعظ القديس يولس في اسيا ونهض اعظمهم وابان ارفقائه ان مكسهم لا يلبث ان يزولم وليس هذا فقط بل ان همكل ارطاميس العظيم نسي محترقاً وثلاثي شيناً فشبنا هذه النعمة المحجود لها في اسيا وكل المسكونة (كما في اعمال الرسل فصل ١٦)

فما اعظم قوة المنافع وما اقوى جوارها متى نتجبت بنقاب الغيرة على الدين فان اولئك النعمة لم يفتقروا الى غير برامين لتعظيم فلما سمعوا ذلك انظروا غيظاً وطلقوا يصيحون ويقولون عظيمة ارطاميس الاقصوسية واخذوا يجررون رفقاء القديس يولس الى المشهد حيث اجتمع الشعب وحينئذ صرعت الصباح واستمروا ساعيتين يهتفون قائلين عظيمة ارطاميس الاقصوسية واصبح القديس يولس ورفقاؤه بكادون لايخجلون من ايدي الشعب لولامداركة الوالي اتناذم خيبة ان يحدث مجس اعظم من ذلك وزد فائدة الكهنة المزمعين ان يستطوهم والهمهم على فائدة اولئك الذين لم مصالح خاصة وعلى هذه زد مصالح المدن التي كان الدين الافناك يجعلها شهيرة كمدينة افسوس التي نالت امتيازاً عظيماً بولسطة هيكلها واغناها نقاطر الغرباء اليها وبناء عليه كانت الزويرة التي ثارت على البيعة الجديدة عظيمة جداً ومن ذا الذي يحب

ومدير الوحدة وأصل السلطة لم تقتصر إلا عليها فكل أولئك الذين كانوا ينادون بها كانوا قد اقرؤا أولاً ولم يكن يمكن لهم أن يحضروا علامة تجديدهم وسمه ثردم وكان الوثنيون انفسهم يعتبرونها كالفن أو كالمجموع من حيث تفرعت الاجزاء أو الجذع الحي الذي كانت الفروع المنفصلة تتركه على اصله وإما سألني الذي كان يونس المسيحيين على انفسهم فقد كان يرى بيعة واحدة متنازة عن غيرها تستمر اقوى من غيرها بيت الكنائس المنفصلة ولهذا كان يدعوها البيعة العظيمة لانه كان يقول ان بين المسيحيين من لا يسلم بالخالق ولا التلميذات اليهودية وهذا كان يشير الى المارسيونيت وما كان يقول انهم يحوزون لدى البيعة الكبيرة قبولاً ولم يتعسر على الملك اوريلانوس ان يعرف في غضون الليلة التي سببها بولس السموزاني الكنيسة الحقيقية التي بناط بها بيت البيعة سوى ان هذا هو محل الصلوة او بيت الاسقف فحكم بها للذين كانوا مشتركين مع اساقفته ابطالية واسقف رومية لانه كان يرى ان للبيت المسيحيين مستمر كل حين في هذا الاشتراك. ولما كان الملك قونسطان يبلل كل البيعة كان الاضطراب الذي القاه بسبب دفاعه عن الاريسوس لم يمنع امبارو مرسلينون الوثني من ان يدري ان هذا الملك كان جانياً عن المحبة القوية الملهة للدين المسيحي البسيط والمقرر بقواعدها وبهذه وذلك لان الكنيسة الحقيقية هي ذات جلاله واستقامة لا يمكن للبدع ان يقتدوا بها او يتكسوها بل انهم كانوا يمكن الامر يشهدون لها تسراً عن ارادتهم! فان قنسطان الذي كان يضطهد القديس اثناسيوس المدافع عن الدين القديم كان يرغب حسب قول كيليوس في ان يحكم عليه بسلطة اسقف رومية الثانية كل ما سواها وكان يبين بطلان الاستناد على هذه السلطة للوثنيين انفسهم ما كان يقتض بدعته وبهذا يكرم الكنيسة التي كان الاريسوس قد انفصلوا عنها وعلى هذا كان الوثنيون يعرفون ان يبنوا الكنيسة الكاثوليكية ولو اقتضى الامر ان يطرح احدٌ لديهم سؤالا قائلاً اين مجالها وما هم اساقفتها فلا يخطئون بجوابهم اما البدع فلم يكن يمكن لها ان تفرغت من الجهد ان تنطص من اسم مشيدها فكان السباليون والبوليانيس والاريسوس والبلاجانيون وغيرهم ينظرون غيظاً من الالهاب التي تعطي لهم وكل ذلك كان عيماً. اما العالم فكان ينطق بالصواب رغماً عن ارادتهم ويسمي كل بدعة باسم مبتدعها لكن نظراً الى البيعة الكبيرة اي الكنيسة الكاثوليكية الرسولية فقد كان من المستحيل ان تعطي اسماً غير اسم مشيدها يسوع المسيح. وعلى هذا فرغاً

عن كل ما افزع المتدعون من السعي لم يمكن لم ان يواروا هذا البيعة عن الوثنيين ولذلك كانت تبسط اليهم حجرها في كل انحاء البسطة وكانوا يتقاطرون اليها سرايات ومن الامكان ان البعض كانوا يزورون في بعض مسالك مخوفة لكها البيعة كانت عهد الطريق الشاسعة حيث كان اكثر الذين كانوا يطلبون المسيح يلجونها وبين ايضا من الاختبار انه قد من عليها بان تجتمع اليها كل الامم وهي وحدها كانت هدفا لطنع الملوك الملطدين فان اوريجانوس يشنا ان ليس في المتدعين الا نزر قد اضطهدوا حبا بالايمان ويلاحظ القديس جوسبينيانوس الذي كان قبله ان الاضطهاد لم يلحق بالمرسوبيت والمتدعين الآخرين لان الوثنيين لم يضطهدوا الا البيعة التي كانوا يرونها ممتدة في كل اصقاع الارض ولم يكونوا يعترفون بكيسة يسوع المسيح سواها فاذا افرقت عنها بعض فروع فليس ذلك امرا خطيرا فانها لا تنفد اذ ذاك تضارعا بل انها تنحج الى جهة اخرى وان ما نزع عنها من الايمان طيب ثمارها وخفيفة الامر اننا اذا نفرنا في تاريخ البيعة نقرر لدينا ان كل بدعة اخذت تناصبها لتضعف قواها عوضت عن خسائرها من جهة اخرى بامتدادها خارجا وقضاغف النور والقوى فيها داخلا اثناء ما كانت ترى الفروع المنفصلة عنها تدوي في عمل متصل لان اعمال البشر اضعلت رجحا عن الحجم الذي كان ياخذ بايديهم فدام عمل الرب وظهرت الكيسة على الاصنام والفضالة

الفصل السابع والعشرون

في ملاحظات عامة تناط بتسلسل الدين والطباق بعض الكتب المقدسة على البعض

ان هذه الكيسة التي تعرض دائما للندح غير مدحورة في كاتجوبة مسخرة وشهادة ساطعة لاحكام الرب غير المتغيرة لانها لاتزال ثابتة وسط اللابل البشرية بقوة غريبة تقضي باننا نراها متصلة بيسوع المسيح بتسلسل متواصل منذ الف وسبعائة سنة فاذا اخذت الخلافة عن الشعب القديم وتحد مع الانبياء والاباء وعليه نوبل كل هذه العجايب المدهشة التي شاهدها العبرانيون عيانا الى تثبيت ايماننا حتى الان وان الله الذي صنعها

لم يثبت وحدته وقدرته قايماً امر كان يقتضي له لحفظها أكثر من ذلك والسندات التي
 تبينها أخرى من أن يسلطها بين أيدي شعب يرمي والتي صار نصها حسب تسلسل
 الأوقاف وهناك ما نجد في الآثار القديمة أي الكتب المتنامية في القدمية
 في العالم التي حفظت لنا من الآثار القديمة معرفة الله الحقيقي ونظام عبادته في هذه الكتب
 التي رعاها اليهود باحترام ديني ولم يرحلوا يحفظون عليها إلى الآن في كل اصقاع البسيطة
 فيعجز لنا بعد هذه أن نثق بحرفات مولفي الامم الاوغاد في اصل هذا الشعب
 الخطير على قدر قديمته وقد لاحظنا ان تاريخ نشأته وملكوته ينتهي حيث ينتهي تاريخ
 اليونان حتى انه لا أمل لنا بروية امر يعضدنا على ايضاح حوادث العبرانيين . ومن
 المثير ان اليونان لم يعرفوا اليهود ولا دينهم الا بعد ان ترجعوا اسفارهم الى لغتهم واخذوا
 يعلّمون المدائن اليونانية أي نحو ما بين اورثلاثية سنة قبل المسيح وان جهالة الالهة
 كانت عظيمة جداً لدى الوثنيين حتى ان اعظم مولفهم لم يكونوا يعرفون من هو الله
 اليهود ولقد كانوا يعززون الى المتنامين في العدل بينهم وبين الوهة الماء والعلاء حيث
 كان اليهود يتخصون بابصارهم الى المحل الذي كانت تبدو فيه قوة الله العلية وفيه مشابهة
 عرشه وعدا ذلك فان دين اليهود كان غريباً جداً ومناقضاً لسائر الاديان وان
 سننهم وسننهم واعوادهم وكل اخلاقهم كانت متنازة بمقدور الهم محمد الامم الفاطنين
 بينهم وبغضاهم وكانوا يعتبرونهم امة تاف من كل الامم وان ما فرض عليهم من
 الطهارة التي يشتركون بها مع الامم صوبت عليهم الكراهية منذ ما يحرقهم الجوع ان
 الاتحاد الذي كان متصلاً بينهم وسراعتهم باحترام ديني لصلاتهم بروساء ملتهم أي
 باورشليم والهيكل والاحبار والميات التي كانوا يحشون بها من كل نحو وصوب كانوا
 يحصلان فيهم رية للامم فضلاً عن بغضة المصريين القديمة فان هذا الشعب قد عامله
 ملوك مصر معاملة سيئة ولم يخلص من ايديهم الا بمجزرات شق وتبين لديك من ذلك
 العلة التي لاجلها عكفوا على خرافات بشأن اصوله . فان كلاً يذهب كما يشاء وفي هذا الامر
 وفي تفسير احتمالاتهم التي كانت تدهش من لم يكن يعرف لها اسماً ومصدراً . وليس بخاف
 ان اليونان كانوا ذوي عيار في خداع نفوسهم وقد كانوا يتلون بالمشاهدة وذلك اصل
 الخرافات التي في جويستان وناسيت وديودور الصقلي وغيرهما من مؤلفات المعاصرين
 الذين تكلموا عن اليهود . وان يكن من الامور الجلية انهم كتبوا بالاستناد على اشاعات

غير مقررة بعد مر اجبال شئ دون ان يعرفوا شرائعهم ودينهم وفلسفتهم ودون ان ينظروا كتبهم ولربما دون ان يتصفحوها

ومع ذلك قرعنا عن الجهالة والوثني فكان من القابض ان شعب اليهود وحده قد عرف من بداية اصوله الله الفاطر السماء والارض وفيما بعد كان وحده مستودع الاسرار الالهية ورعاها باحترام وإهمية دينية رائدين لان الكتب التي كان المصريون والشعوب غيبرم يدعونها مقدسة كانت قد فقدت من زمن مديد وكانت بعض آثار لا تكاد تكون مهمة في التاريخ القديمة وان كتب الرومانيين المقدسة التي كتب اسرارها مشيد دينهم نيا اناتها الرومانيون انفسهم وامر بها مجلس الشيوخ ان تحرق خشية ان تكون عاتقاً على نفوس الدين . وغادر هؤلاء الرومانيون السبيل مهمل وان تكن نعد عندم منذ ايام قديمة ككتيب محترمة تشتمل على نبوءات لانهم كانوا يودون ان الناس يعتقدون ان في دولتهم ما رُب الالهة ومع ذلك فلم يبنوا للشعب نسخة ولا آيات بهذا الشأن بل ان اليهود وحدهم رعو كتبهم التي كانت معروفة وقد انيطت بهم رعاية اثار ديانتهم الاصلية دون سائر الشعوب القديمة وان تكن هذه الآثار منعمة من ذكرى مجدهم وخيانتهم وخيانة آياتهم ايضاً واستمر هت الشعب على وجه البسطة ليأتي سائر الامم حيث تسلسل دينو والعجائب والنبوءات التي تجعله غير مزعزع

فلما اتى يسوع المسيح وهت يو ايوه بنهم مواعد السن ثبت ارساليته وارسالية تلاميذه بمجرات جديدة تفيدت بهذا التدقيق عيو لان هذه الاعمال ذاعت في كل الارض . ومتنضيات الزمان والاشخاص والحال فضت بان يكون البحث عنها سهلاً على كل من اهم بجماعة ناسو لان العالم قد فخص وامن وكل من تحرى الامور ونفر في اثار البيعة ولو قليلاً اذعن انه لم يحكم قط على قضية باكثر من واكثر معرفة

لكنما يوجد في الاتصال الذي بين الهدين فرق يقتضي ملاحظته وهو ان الكتب القديمة قد كتبت في ازمان متباينة ودليل ذلك ان اسفار موسى تختلف عن اسفار يشوع والقضاة وعن اسفار الملوك ايضاً لان الاسفار التي تني عن فتوحهم الارض المقدسة ومكثهم فيها بمجرات بادية . ولكي يظهر الرب على خيانة شعب عاكف على الحواس تناول عدداً من الاجبال حيث وزع مجراته ونبوءاته ليجدد مراراً الشهادات البادية التي كان بها ثبت حقائقه المقدسة . اما في العهد الجديد فقد اتبع طريقة اخرى لانه لم يكن

يريد أن يوحى بلى* جديد الى البيعة بعد يسوع المسيح لان فيه النكال والتمام ولهذا
كتب في ايام الرسل كل الكتب المقدسة التي آلفت في العهد الجديد

اي ان شهادة يسوع المسيح واولئك الذين اراد ان يصطفهم كنبود انعمائهم من
الموت كافية لدى الكنيسة المسيحية وكل امر طراً بعد ذلك كان آيلاً لتشيدها لكنها
لم تعتبر كوحى من الله الا ما كتبه الرسل او ما اثبتوه بسلطانهم . اما في الترق نفسه
التمام بين كتب العهدين فقد راعى الرب دائماً هذا النظام وهو ان تكتب الحوادث في
وقت حدوثها في الان الذي يذيع فيه ذكرها . وعلى ذلك فكل اولئك الذين كانوا
يعرفونها كتبوها والذين لم يكونوا يعرفونها اعتقدوا الكتب التي تضمنها وتشهد بها
وسلوها طراً لاختلافهم معتبرينها حوادث ثبته فراعته الاختلاف حرمتها كل الرعاية

وبذلك تألف مجموع الكتب المقدسة في العهدين الجديد والقديم واعتبرت هذه
الكتب من البدء كحقيقة لكل امر معطاة من لدن الله نفسه ولهذا استعملت كل ذاك
الاعتناء واعتقد ان من غير منها او حرف كان كافراً فظيماً وعليه انصلت البناء في لازل
معمرة غير متغيرة او تقليدات اليهود الثابتة او تقليدات المسيحيين الصحيحة والوثوق بها
مفر لايتها ثبتت بدماء الذين كتبوها وباشهادهم وبشهاد الذين قبلوها

ان القديس اوغسطينوس وغيره من الاسماء يسألون عن المسألة الذي به تسب
الكتب الدنوية لازمة مفررة ومولدين مختلفين فكل يجيب على الفور ان الكتب
تتاز بالانسابات المختلفة بالشرائع والعوائد وتواريخ بعض الازمنة الخاصة والمؤمنين المخصوصين
وفضلاً عن ذلك بالاستناد على الشهادة العامة والتقليدات الثابتة فكل هذه الوسائل
تتحد لتقرر حقيقة الكتب المقدسة وبمزاياها وتبين موثوقيتها وان ما بذلوا من الجهد
لحفظها على كيانها هو مقدار ما يكون التقليد الذي ابقاها لنا دون ريب وبناء عليه لم يكن
ذلك معروفاً فقط لدى الكاثوليك بل ايضاً لدى المبتدعين انفسهم ولدى غير المؤمنين
لان موسى لم يبنأ يعتبر في كل الشرق ثم في العالم قاطبة انه مشرع اليهود ومولف الكتب
التي نعزى اليه وان السحرة الذين اخذوها من عشرة الابطاط المتصلة رعوها بكل احترام
دينهم كاليهود انفسهم وان تقليداتهم وتاريخهم في غاية التبرير بذلك الشأن وان شئت
تحقيق كل التسلسل فعليك بمراجعة بعض فقرات من الجزء الاول

وان هذين الشيعين المتناقضين لم يخلق احدهما منها الكتب الالهية بل انهما كليهما

أخذها من أصل واحد أي من أيام سليمان وداود وإن الأحرف العبرانية القديمة التي
 حفظها السمرق إلى الآن تدل على أنهم لم يتبعوا عزرا الذي غيرها وبناء عليه خمسة أسفار
 السمرق وخمسة أسفار اليهود هي نسخ أصلية كاملة لا يتعلق البعض منها ببعض الآخر
 والمطابقة الكنية التي تبدو في جوهر المتن تبين استقامة الشعين الذين أصبحوا شاهدين
 عادلين متفقين بالشهادة دون ارتباط أو بالأحرى أنها يفتان قسراً عن عداوتها وإن
 التقليد الوثيق وحده غير المتغير يوفق جنبها بفكر واحد وإن الذين شاوروا أن يتفولوا
 وإن لم يكن لتفول من سندان هذه الكتب قد قننت أو لم توجد قط أو صححت أو تلفت
 حديثاً أو غيرها عزرا فضلاً عن أن عزرا نفسه يكذبهم فندحض دعواهم أيضاً خمسة
 أسفار موسى التي لم تزل إلى الآن بين أيدي السمرق وإطلع عليها في بداية أجيال الكنيسة
 أو سايروس النبطري والقدس ابرونيموس وموطنوا البيعة الآخرون وهي لم تزل على
 ما كانت عليها في بداية الأمر. ويبدوا أن هذه الشبهة المحيرة لم تكن زماناً مبدئياً على
 هذا الدوال الآتية في شهادة مقدمة موسى

وإن المولدين الذين كتبوا الأناجيل الأربعة لم يحصلوا على شهادة أقل من رضى
 المؤمنين وغير المؤمنين والمتدينين بالاتفاق لأن هؤلاء الأم الكبري العدد والخطفي
 الأجناس ترجوا هذه الكتب الإلهية حالاً بعد أن سطرت فجمعهم يتفقون على ما يناط
 بتاريخها ومولفها وإن الوثنيين لم يتأقمووا هذا التقليد لاسلس الذي ندد فيها نحو
 بداية الدين المسيحي ولا جوليانوس المجاهد وإن لم يكن مجهول شيئاً مما يثبتهم كما أنه لم
 مجهول شيئاً من ذلك الأمر ولم يرتب أحد من الوثنيين في حقيقة هذه الكتب بل أنهم
 نسبوا إليها المؤلفين الذي نسبهم المسيحيون ولم يحترقوا المتدينون أنفسهم أن يزعموا أنها
 ليست من تلامذة المسيح وإن كانت سلطانها تفل عليهم. ودخلة الأمر أن قد كان يوجد
 حديثاً وأثر من هؤلاء المتدينين وقت بداية البيعة وقد سطرت الكتب المقدسة أثاراً
 أعينهم وبناء عليها فلو كان يرى خداع بهذا الشأن لكان انكشف عن مفرقة وما كان
 نال نجاحاً

ولاريب أن قد اجتراً ماريوس وماسس أرفح المتدينين طراً أن يتفولوا بعد مجي
 الرسل حين كانت البيعة تمتد في كل أطراف الأرض أن ثلاثة الأناجيل مصنوعة دون
 صحة وإن أنجيل القديس لوقا الذي كانا يومئذ على غيره دون ابرازعة لذلك مزور

وهذا الرأي مناقض لتقليد الرسل الذي قفاه تلاميذهم والاساقفة الذين خلفوهم في مناصبهم ولعمل الشعوب وقد قبلت البيعة كلها هذا التقليد مجمعة عليه

ولكن على أي رأي كانا يستندان فلا ريب أن استنادهم كان على روى وهمية لا على حوادث مفرقة فكلما كانا يقولان أن كل ما هو مناقض لرأينا لابد أن يكون مختلفاً اختلافاً من غير الرسل وكانا يوردان كبحر قاطعة لزعمنا نفس آراء المنكرة عليهما هذه الآراء نفسها كانت مناقضة للصواب حتى أنه لم يعلم كيف انبجحت عنقولا بشرية . ولكي يمكن الرب في امانة البيعة كان ينبغي عرض نسخ اصلية تخالف نسخ الكيسة او ايراد ادلة قاطعة يعتمد عليها ولما مثل هذان الارتكبان وتلاميذهما ان يقدموا مثل هذه البراهين افهموا جواباً وادوا سكوتاً ومن نفس سكوتهم تبين صريحاً ان لم يكن يوجد في القرن الثاني الكيسة اذ كانا يكتبان اقل دليل على كذب الاسفار المقدسة او تزويرها ولا اضعف قرينة تخالف تقليد البيعة

وماذا الذي نقوله في اتفاق الكسب المقدسة والتهادة العجيبة القاطعة التي نود بها ائمة بعض الرب بعضها لبعض فان اوقات الهيكل الثاني تنعقد اوقات الهيكل الاول ونودنا الى سليمان وتبين ان السلم لم يقات الا بعد احتدام الحرب وبوصلنا فتوح شعب الرب الى الفشاء وشوع والمخرج من مصر وعندما نلاحظ كثرة خروج شعب برئتو من البلاد كان فيها غريباً تذكر كثرة دخوله اليها ثم تذكر الاثني عشر اياً ونصورنا ان هذا الشعب الذي لم يكن يعتبر نفسه الا كعائلة واحدة بنودنا الى ابراهيم الذي كان اصل هذه الامة طراً . لست شعري هل عرفت هذا الشعب على الهداية ولم يعكف على عبادة الاوثان بعد ابايه من بابل فذاك منقول الغائب الذي صوبه عليه جبرائيل وان كان يتفخر بأنه رأى في غصون اجيال شتى مجزأت شتى لم يكن لشعب سواء ان ينظرها فيمكن له ايضاً ان يتفخر انه كان منذراً بعرفة الله .

فعلى ماذا تدل الخيانة وعيد المظالم والفسح وغيره من الاعياد التي كان الشعب يحتفلها منذ الزمان القديم البس على ما هو منوّه عنه في كتاب موسى وهل يمكن ان يكون شعب ممتاز عن غيره من الشعوب بدينه وسجاياه الخاصة وقد رعى منذ البدء تعالماً سامياً ومثابرة وذكر أحياً في تسلسل الحوادث المرتبطة طبعاً وفي الاختلافات المنظمة

والعوائد العامة مستنداً بذلك على مبادئ التكوين والايان بالعناية الربانية فلم يكن
شعب مثل هذا ان يكون دون تاريخ يبيّن عن اصل نشأته ودون سنة تقيّد عاداته من
الف سنة مكث فيها في مملكة واحدة وهل يحتمل ان عزرا شرع على الفور بفرض عليه
باسم موسى تاريخ اثاره القديمة والسنة التي دُمست اخلاقه وذلك بعد ان اصبح اسيراً
وشاهد استئصال مملكته فليت شعري اية حكاية تنأى عن الصواب أكثر من هذه في
هذا الافتراض ومن يمكن له ان يعتقد بذلك دون ان يكون جاهلاً جاحداً فليكن يمكن
فقد هذه الثريفة بعد ان اعطيا هذا الشعب كان من المنتضي استئصال هذه الامة او
ان يكون طراً عليها تغيرات عديدة ومختلفة حتى تشوش معرفتها باصلها ودينها وعوائدها
فان كانت هذه البلى قد حلت في شعب اليهود وان ستم المروفة صريحاً على
عهد صديقها قد فقدت شئناً عاماً بعد هذا الملك رغباً عن اعتناء حزقيال وارياهو وباروخ
ودانيال الذين كانوا دائماً يستندون عليها بمنزلة ركن قوي للدين وسياسة شعبهم فاذا
فرضنا ان هذه السنة قد فقدت قسراً عن هؤلاء الصديقين وغيرهم وفي الوقت نفسه
الذي كان كثيرون فيه يتألمون اكليل الشهادة حياً بهذه الشريعة كما تبين ذلك من
الاضطرابات التي المت بدانيال والثنية الثلاثة فان كانت فقدت بوقت وجيز كهذا
رغباً عن كل من ذكر واصبحت هكذا ضرورياً عليها حجاب النسيان وان عزرا انصرف
بها حسب مولد وهواه فيكون قد التزم ان لا يواف سراً واحداً فقط بل كان يلزمه
ان يواف في الوقت نفسه كل كتب الانبياء الاقدمين والحديثين اي الذين كتبوا
قبل السبي وبعده وفي مدته وكتب الذين قد شاهدوا الشعب بكتيبات واسفار
الذين كان الشعب يبيّن ذكرهم وليس كتب الانبياء فقط بل كتب سليمان ومزامير
داود وكل اسفار التاريخ لانه لا يكاد يوجد شيء في كل هذا التاريخ حادث خطير او
فصل واحد من الكتب يمت ثبوته اذا فصلناه عن اسفار موسى فان كل الاسفار
تشكك عن موسى وكل ما فيها موسى على ما كتبه موسى ولا يمكن ان يكون بخلاف ذلك
لان موسى وشريعته والتاريخ الذي كتبه هو الاساس والعماد في اعمال شعب اليهود
ونظامه العام والخاص فيكون على عزرا مشروع غريب وحديث في العالم بان
يورد اشخاصاً كثيرين يمكنون باساليب وانواع مختلفة . وكل منهم يتكلم بما يكون
مطابقاً للآخر ويبحث شعباً برمه على ان يعتقد على الفور ان هذه الاسفار

هي الاسفار القديمة التي كان يوردي لها احتراماً والمجديرة التي شاهد من نصها وذلك كانه لم يكن قط يسمع شيئاً وإن معرفة الازمنة الحالية والغايه القميه نجاة . فذلك في المعجزات التي يندب ان يسلم بها من لا يسلم بها حسب الرب ولا يقبل الشهادة التي تفرجها انه قد قيل عن شعب برموانه قد نظرهما بنثبه .

ولكن فان كان هذا الشعب لدن اباؤ من بابل الى ارض آباءو جديداً بمقدار كذا وجاهلاً حتى انه كان لا يكاد يتذكر وجوده لانه قبل دون فحصر كل ما شاء عزرا ان يسأل في كيف نرى في الكتاب الذي نوحى عزراً كتابه كلها وفي كتاب نوحياً معاصره كل ما بقوله في الكتب المقدسة . ومن ذا الذي كان يمكن له ان يسمع ما يتكلمان عن شريعة موسى في محال منباية علانية كان ذلك امر معروف لدى الجميع . وكان الكل يتداولون هذه الاسفار ولقد كانت في وسعها ان يربوا الاعمار والديانخ والاحتفالات وصورة المشيد ثابته والدينية والنظام وقصارى الامر ان كل شيء كان يتم لدن قولها حسب نص في شريعة موسى عبد الرب

واما عزرا فهدى في الكتاب كعلم في الشريعة حسب الرب اسرئيل وبوساطة موسى وذلك بموجب هذه الشريعة والتواوين التي كانت على يده وامرو ارغشتنا ان يزور الشعب ويرتب ويصلح اموره ومن ذلك يتأتى ان الامم انفسهم كانوا يعرفون شريعة موسى باعتبار شريعة لكل الشعب وكان كل علمائهم يعتبرون هذه الشريعة كل آن انها قاعدة لا عالم ودستور لهم لان الكهنة واللاويين مبددون في المداخن وترتبت وظائفهم ومراتبهم آنفاً حسب نص في شريعة موسى وان كل الشعب يندم تائباً فذلك لسبب انه مبدع الشريعة وان كان يحدد الهدى مع الرب بتوقيع خاص من قبل كل الأشخاص فذلك بالتوكيد على الشريعة عنها التي كانت على هذا السبب علانية بكل صراحة صابحاً ومساءً مدة ايام حجة امام كل الشعب الذي كان يلتمس ليصبح لمنطوقها وهو يعتبرها كشرعية آباءو . وكان العديد الاوفر من الرجال والنساء يسمعون القراءة ويعرفون التواوين التي تعلموها منذ نعومة اظفارهم فاذا كيف امكن لعزرا ان يلو امام كل شعب كتاباً معروفاً وهو نفسه الله ورتبه حسب هواه ولم يعتبروا احد على ادنى وصية او تحريف او نصف فانهم كانوا يملكون تاريخ كل الاجيال الماضية مبتدئاً من سفر التكوين ومنتهاً في عصرهم وكان الشعب الذي ازاح عن عائقه مراراً حجة نير هذه

الشريعة تجعل هذا الشعب القابل دون معارضة لانه مبر الامور وايقن ان احتقاره لهذه الشريعة جذب اليه كل اصناف المشاق التي كان يشكدها لانه منع الرباه حسب نص الشريعة وذكر الناطها وحل ما كان قد عند للزبيحة ولم يبد احد نحو مقاومة فلو قدر ان هذه الشريعة لم تكن في حيز الوجود او كانت منسبة لما رايت شعبا من الفطرة الانسانية يسعى بوجهها من مجرد طبعه

ولقد كان هذا الشعب يرمو بصح لكلام حي وكرها ولها الذين كانوا وقتئذ يفتشون واتداه بالانبياء سلهم لم يكونوا يذكرون الا موسى وشريعة الرب التي اعطاه اباها على جبل حوريب وذلك امر معروف في كل الازمنة وشعبة الامة . وان لم يكن ذلك كذلك فاذنا يقال في هذا الزمن عمو لدن انشاء هذا الشعب بانه قد اعجب من نعم نبوة ارميا في ملك السبي سبعين عاما فكيف اصبح سترارها الذي صنعه عزرا او غيره من الانبياء يوحذ بفتنة بعين المصدق . فبانه خديعة امكن له ان يقع شعبا يرمو والشيوخ الذين كانوا قد نظروا ولم يزلون متظرين انتاذهم العجيب الذي اندرم عنه في كنيه لوندرا ايضا ان عزرا ونصحا لم يكتبنا تاريخ عصرها بل كنه باسمها مؤلف اخر وان اللذين قد صفا كل اسفار العهد القديم وما تلا من الاجمال عحصد لما حتى ان مزورين آخرين قد قدروا لها تاريخا ليدرروا ما اختلقوه من التزوير

وما تلك الاحاقة تبعت على الخجل قديلا من ان نقول ان عزرا ابرزا الى الوجود فوراً كل هذه الاسفار الخباية عن بعضها نقاشا وزمانا يقولون انه ادخل اليها الهجائب والنبوات التي تفري الناس بان تعتبرها الالهة فتكون هذه الضلالة اشتر من الاولى لان هذه الهجائب والنبوات هي مشفرة بمقار كذا في كل الاسفار ومكررة ومنسقة بمبارات مختلفة كثيرة الاستعارات عظيمة الوقع وبإيجاز القول انها داخلة ضمن الاسفار هكذا معتبرين ان يقتضي ان لا يكونوا قد تصفحوها اذ لا يسهل عليهم ان ياتوا بما يضاهاها بان يضمونها امورا لا يود المحدثون ان يروها فيها ولو ضموا كل ما يطلبونه . فكل ما فيها عجيب والافني ركن الكتب المقدسة حتى انها تبدو فصرا عن كل اجهاد . ولو قدرنا ان عزرا اضاف بعد الحادث النبوات الى ما كان قد حدث في زمانه فمن يكون اذ ذاك قد اضاف الحوادث التي تمت قيا بعد على عهد اميوخوس والمكاريون وغيرهم وطلب من الممكن ان يكون الله قد من على عزرا بروح النبوة حتى يظهر خداعه مضاهيا للحق

وعلى ذلك يؤثرون ان يكون ذلك قروياً على ان يكون قاموا بشعيا او ارميا او دانيال
 او ان كل جيل كان مطوريا على مزور ذي سعادة يصيح له كل الشعب ومزورين
 حد بين يكونون قد انحازوا الى الكتب المقدسة محبة في الدين حتى انه بعد ان يكون
 القانون قد تم وتكون الكتب قد انتشرت في كل الارض بين اليهود وترجمت الى كل
 اللغات الاجنبية يكون ذلك لدار الدين في سبيل الفجرة على تشييده . فخل من الممكن
 ان شعباً برمه يسمع دون عناء بكل ما يعتنه المهاجرون كان اعتقاده بذلك خطأ او
 صواباً وهل يتأتى ان احداً تمكن له ان ينفع المسيحيين او المسلمين ان يضيئوا الى الانجيل
 او القرآن فصلاً واحداً ولربما ان اليهود كانوا يسهلون مثل ذلك اكثر من غيرهم
 وانهم كانوا لا يهتمون كتبهم المقدسة كديهم . فيها لها من آراء حاملة تشبه بها لما
 نشأ ان نلني عن عقائنا غير السليمة الالهية ولا نرتاب حواسنا واخلاقنا الا بعقلنا الفاضل

الفصل الثامن والعشرون

في ان المصاعب التي يتخلونها للكتاب المقدس بسهل دحضها
 لدى ذوي العقول الثاقبة

ليس من دأبك ان تقول ان البحث في هذه الامور صعب لانه لو كانت صعباً
 لاقتضى ان نسل اما بسلطة الكعبة او بالقلوب المتواترة منذ اجيال عدينا ونكتب فاحصين
 الى النهاية ولا نتنكر اننا نسلص من هذا التفتير لدى قولنا ان يستلزم وقت تنكرته اكثر
 مما نريد لخلاص نفوسنا ودخيلة الامر انه بدون ان نقلب بعيننا عظيم كتب المدين
 بقضي ان نرى رسائل القديس بولس الحجة البديعة المحاوية سائر حوادث الوقت
 والاشغال والحركات التي تمت وتنتظر والتي لها صفات خاصة ولا ريب ان هذه
 الرسائل التي كانت متبولة في الكتابس التي ارسلت اليها قد انتهت في غيرها من
 الكتابس هذه وحدها تكفي لتفنع العقول المستنيرة ان كل شيء حق في الكتب
 المقدسة التي سلها اليها الرسل .

وعلى هذا نرى ان بعض هذه الكتب يقوم بناصر البعض منها لان اعمال الرسل

نابعة للأجمل وتقدره طبعاً رسالاتهم ولكن فلكي يكون كل شيء بالمطابقة نستلزم
 أعمال الرسل والرسائل والإنجيل في كل مصر كتب اليهود القديمة لأن القديس
 بولس وغيره من الرسل يستشهدون دائماً بقول موسى وما كتبه وما قاله الأنبياء أو كتبه
 بعده لأن يسوع المسيح يستشهد بموسى والأنبياء والمزامير معتبراً أنها شهادات للتحقق عنها.
 متى أراد أن يفسر أسرار يهوشا والأنبياء وأذ يقول لليهود أن موسى كتب عنه
 يحمل ما هو أكثر تحقيراً لديهم أمّا وبذلك يقوم إلى جرثومة تقليدناهم . ومع هذا كل
 فلسفياً الآن لتقف على ما يفترضون هذه الشهادة المعروفة وما هو مقبول لدى كل
 الأجيال أذ لا يجب أن نؤمن أقوالهم بحجة قدمية هذه الأسفار لأنهم اجتمعوا في إيماننا أن
 ينسروا تعاليم في كل اللغات ضد الكتب المقدسة . فإذا الذي يعمدونه ليشتوا ابتداء
 الأسفار الخمسة وما ذا الذي يفترضون به هذا التقليد الذي مضى عليه ثلاثة آلاف من
 الأوهام ولوس له من عنصر سوى قوته الخاصة . وبوخذ من تواتر الأمور إن لاشي من
 أقوالهم متابع ولاشي لديهم محقق ولا خطر بل ما يفهمون به بشأن التعداد والجمال
 والأسماء كلة أوهام وإن هذه الملاحظات التي لا تعتبر في أي موضوع كان كدخالات
 باطلة ليس لها قوة تشبه بها جوهر الأمور فإنها تلغ اليها ببراهين قاطعة ضد أسماء
 متناهية في الأهمية . يزعمون أن قد يوجد صعوبات عظيمة في تاريج الكتب المقدسة
 صعوبات لا تبرز إلى الوجود لو كانت الكتاب غير قديم أو قام بأعباء رجل ماهر
 حصف كما يقولون وكذلك أن هذه الصعوبات لم تكن لو كان الشعب الذي نقله اليها
 غير مدقق في رعايته على كيانها ولو كانت له الحرية في تقليل صعبه وعدا ذلك فيه
 الصعوبات التي تقيم من طول الزمان أذ تغير الحال بالنظر إلى إيمانها وأحوالها والتواريخ
 تكون قد تناسلت ولم تعد تواريخ العيال تعرف ولم تصح الاغلاط المتأناة من النسخ المهمة
 أو أن بعض حوادث نصيبها النوع الإنساني بقي بعدها الإبهام في جزء من التاريخ ولكن
 هذا الإبهام هو في تسلسل الأمور أو في ركنها فكلاً فكل الحوادث متناصلة وإن ما هو مهم
 يفيد قدمية الكتب المقدسة وجوب تأدية الاحترام لها

يقولون أن قد يوجد تغير في النص لأن الترجمات القديمة لا تنطبق على بعضها
 وإن النسخة العبرانية عنها فيها مناقضة بين بعض فقراتها في محال شي وإن نسخة السمرية
 تختلف أيضاً في مواضع عديدة عن نسخة اليهود عدا الكلمة التي يهتمون بتغييرها

عمداً بشأن هيكلهم على جبل غريزيم والذي يستجونه من ذلك هو ان اليهود او عزرا
 يكونون قد زوروا خمسة اسفار موسى بعد الابواب من الهي فكان من المنتضى ان تكون
 النتيجة عكس ذلك لان الاختلاف الذي في النسخة السامرية بقيد تثبيت ما قد قرئناه
 وهو ان نسخهم لا علاقة لها بنسخة اليهود ولا يمكننا ان تصور ان هؤلاء المنفصلين قد
 اتخذوا شيئاً عن اليهود وعزرا اذ نراهم بالعكس لم يختلفوا الا بقصة اليهود وعزرا وانه
 من الهيكل الاول والثاني روايتهم بشأن غريزيم ومن ذا الذي لا يرى انه لو صح زعم
 المحدثين لكان هؤلاء المنفصلون اهمى اليهود باخلاق الكذب ولم يتعمموا لكن هؤلاء
 المحدثين الذين رفضوا عزرا وكل الانبياء وهيكل اليهود الذي شاده سليمان واعده
 داود وعين عمله فيماذا يخدمون في خمسة اسفار موسى الا قدمتها السابقة عزرا والانبياء
 وسليمان وداود القديمة المجمعة عليها الاثتان اليهودية والسامرية فما اعز سلطة موسى وما
 اقوى حجة اسفاره الخمسة التي بدلاً من ان نزعزعها الاعتراضات تشبها بقوة عظيمة
 لكذلك نقول من اين هذا التباين في النصوص والترجمات المتنوعة لعمري انه لا
 يتبقى الا من قدمية الكتاب نفسه وكيف انفصلت سلامة الذي تداولته اباذي الناسخين
 منذ اجمال حجة واللغة الذي كتب بها بطلت ان تكون مستعلة ولندع هذه المنازعات
 الباطلة ونثبت الجهدال بكلفة واحدة وهي قبل كل شيء ماذا يتبع من كل هذه الترجمات
 ومن كل المتن الا الشرايع نفسها والمجرات عينها والنبوءات نفسها وتسلل تاريخ نفسه
 وتعليم واحد بعينه وقصارى الامر جوهر واحد نفسه . وبناء عليه فما هو الضرر الناجم
 من اختلاف النصوص وما الذي يهنا سوى ثبات هذه الكتب المقدسة وما ذا الذي
 يمكن لنا ان نطلبه من الحكمة والعناية الصمدانية اكثر من ذلك

واما من قبل الترجمات قبل من سمات التروير والمحدوثة كون لغة الكتاب
 المقدس قديمة بهذا المقدار حتى اننا لا نستطيع دقائنها ولا يمكن لنا ان نعبر عنها بقصاحة
 او بلاغة او بكل القوة او الدقيق الواجب للعمري بل ان كل ذلك يهله وضحية على
 قدمية الكتاب ومن شاء ان يتفر في الامور الخفية فليقل لنا هل يمكن له ان يثبت
 بالبرهان او بالتقدير احد المشاكل التي يراها في بعض فقرات فلا اعتماد بذلك على
 صحة النسخ وبما ان الاعتماد لم يدع التعليم الوثيق بمرض للتصادف فانت وجدت اغلاط
 اخرى فتفيد للبرهان على انه لم يكن احد يحدد شيئاً بهذه الكتب بروحه الخاص

وعليه فإليك قوة الاعتراض الم يضاف شيء الى ما نصه موسى فمن أين
يتأتى ان نرى قصة موته في آخر السفر الذي يعزى اليه والجواب أي عجب
من ان الذين اتوا تاريخه اضافوا قصة موته السعيد الى كل أعماله لكي يعزوا من
الكل مجموعاً واحداً

ولننظر في الإضافات الأخرى فأحصيت أي سنة جديدة أم طمس حديث أم
قاعدة للإيمان أم عجيبة أم نبوة فإما من أحد أفكر بزيادة شيء من ذلك ولا يوجد شيء
بمعلنا على الظن ولا شيء يدلنا البتة لأن هذه الإضافة تكون قد ضمت الى
عمل الرب والكريمة حرمت ذلك ومن يكن قد صنع ذلك فلا ريب ان يكون
سبب عنده رائحة فإذا نقول اذا فيمكن ان يكونوا قد اتوا تاريخ نسبة بأشرو أو
انهم أو ضمن اسم مدينة حرف ثوائر الزمان ومن ذلك انهم قرروا الوقت الذي
بطل المن السماوي بعد ان اقتات منه الشعب اربعين عاماً لأن هذا الحادث أثبت
في سفر آخر هو سفر يشوع فقامت عليه الملاحظة في سفر موسى فتمسكت حادثاً
مقررًا ومشهوراً لدى كل الشعب . ويوجد اربع او خمس ملاحظات او حواشي على
هذا الخط مأخوذة عن سفر يشوع او صموئيل او بعض الانبياء الاقدمين وبما ان هذه
الملاحظات او الحواشي لا تشير الا الى حوادث مروثة لدى العامة وليس بالتسليم بها
من صعوبة فلا عجب من ان تكون قد اثبتت في المان ووصلت اليها بالتقليد مع غيرها
فلا يبقى اعتراض ومع ذلك لا ينافون عن انهم عزرا وان تكن المنفعة السامرية تبين
لنا ان هذه الملاحظات ذات قدمية تروق قدمية وقدمية انشفاق الاسباط العشرة فلا
يعباون بذلك بل يعزرون في اية حالة كانت كل امر الى

وان كانت هذه الملاحظات عظمى في جبل اقدم فاستار موسى الخمسة تكون
أكثر قدمية وترداد رعاية المحرمة لهذا الكتاب المقرر للملاحظات نفسها بتقدمية متناهية ثم
على هذا يكون عزرا قد كتب كل شيء ولكن ذهب من فأكترته ان قصده ان يعمل
موسى يتكلم ويكرن جملته يكتب بكل خشونة امور لم تتم الا بعده وعلى ذلك ايضا يعود
لأننا ان نقول ان كل التاليف تخلف وزور بسبب زيادة عبارة عليه وان شهادة كل
الاجيال والتسليم العام ولا تجديد شيئا من المنفعة . والامر بالعكس فان هذه
الملاحظات التي يستندون عليها هي براهين جديدة على حقيقة الاسفار ولتدق اولئك الذين

قاموا بها وللذين نقلوها وهل حكم بذلك على تحقيق كتابهم كان
بالاستناد على براهن ضعيفة ولم يكن ذلك إلا لأن هذا الكتاب هو علو الجس
البشري لأنه يقرر البشر على أن يرضوا لمقاصد الرب ويقع أيضاً شهادتهم غير المنظمة
فيما عليه يقتضي محوه في أي وجه كان ويلزم تفحصه لراحة القاصد البشري

ولا تخال أن الكفر يتأ في دونه عونه في كل هذه الأمور المستحيلة التي شاعته
قد خامرها وإنما تنكر على موسى والأنبياء المرؤفين أسفارهم رغبا عما بينه النوع الانساني
وكل قواعد الفعل السليم ونجد تاريخهم لأن له منقولا عظيما في هذه المادة لأميرين وهما أن
هذه الاسفار متصلة من كل هذه الحوادث العجيبة المزدانة بكل ظروفها الخاصة والمعروفة
بأنها حوادث دائمة وحاضر فإذا أمكن تكذيبها سهل نكرانها والحكم بأصحتها ولو لم
تؤكد على ذاتها لكانت هت من زمان مديد بذاتها ثم بعد أن ثبت تاريخها لا يبق
امكان لا تمضاء العلامة الثابتة التي تدل على الوحي الالهي الذي آثاره في أكثرها ولا
يكرر تسلسل النبوات الشهيرة التي تكاثرت فيها

ولكني يمتنعوا هذه الاعاجيب وهذه النبوات عكف الكفار على الأمور المستحيلة التي
يعتبرهم على الدهشة ولكن لا يجب أن يقال أنهم بذلك فلتصوا من أيدي الرب لأنه
ابق لاسفاره المتقدمة دلالة الملة ليس من الممكن إزالتها وهي العلاقة بين العهدين . ولا
رب أن ليس من أحد ينكر أن كل العهد القديم كتب قبل الجديد وأنه ليس هنا عزرا
المرحوم بل اليهود على أن يحتجوا أو يذروا كتبهم المقدسة ثنائيتا للمسيحين الذين يضطهدونهم
ولسا محتاج إلى حجة أخرى . ويتبين من تواصل العهدين أن كتبها من الوحي الالهي لأن لها
مقصداً واحداً وتعلماً واحداً فإن أحدهما بعد الطريق والكمال والاخر يظهرها ووضحها
واحدهما بنيد الأساس والاخر يتم البناء وقصارى الامران أحدهما يتبأ عما بيده
الاخر كاملاً ومصنوعاً وبذلك ترى كل الازمنة مرتبطة ببعضها ويتبين لنا من هذا
التسلسل مأرب الهي وأن تقليد اليهود والمسيحين لا يتأق منها الآدين واحد وأن
اسفار العهدين ليسا إلا مجموعاً واحداً وكتاباً واحداً

الفصل التاسع والعشرون

في وسيلة سهلة للترقي الى اصل الدين والوقوف على كنهه

ان هذا كله يضع لدى كل من يعبرها جانباً من الانبياء ولكن بما ان كل العقول ليست بقادرة ان تفهم هذا القياس فلنقد العقول الواحدة قيادة يدوية لتوصلها رويداً رويداً الى الاصل

فلنعتبر الناس الشرائع المسيحية من جهة والشرائع اليهودية من اخرى ونطلبوا اسمها ويأثروا ما ألقوا عليه من الشرائع المسيحية وينظروا بالتدقيق الى القوانين التي تنعرب عليها اخلاقنا ويلاحظوا كتبنا المقدسة اي الاناجيل الاربعة واعمال الرسل والرسائل الكاثوليكية ورموزها القدسيين يوحنا والاسرار والديجني والعبادة ومن الاسرار السر العباد حيث يرى تكريس الانسان باسم الثالث الاقدس والافتخار بسمنا اي السر الموضوع لحفظ تذكركم موت المسيح ومفكرة الخطايا المتعلق بها وتدبير البيعة المسيحية عموماً والبيع خصوصاً والاساقفة والكهنة والشمامسة الذين دعيتهم للقيام باعباء شماسها . وكل هذه الامور الحديثة المتردة العامة لابد لها من اصل ولكن ما هو اصلها وابتدائها ايكون ذلك غير يسوع المسيح وتلاميذه لاننا اذا تدرجنا من جبل الى اخر رأينا ذلك فيه لا في جبل رقبه وتكون هذه الامور قد ابتدأت مشفوعة ببداية الاسم المسيحي فاذا قررنا ان لنا معبودية وافتخارنا وكل ما ذكره فالواضع لذلك لابد من ان يكون المسيح وهو الذي من على تلاميذه بارتقاء الدرجات وذكر اعماله واسطة نعمته . وان كل الاسرار المقدسة كتبت برمتها من عهد الرسل لا قبل ولا بعد وتنفع منها اصول السلطة الاسقفية وليس لها مصدر سوى ذلك . ولا غرو ان كان في اساقفتنا رأس فذلك كان بين الرسل فمن هو الراس والاول بيننا فهو معروف هكذا من بدء الدين المسيحي كخلفته من كان الاول والرأس في عهد يسوع المسيح نفسه اي بطرس

انني اجترى على ان اثبت هذه كلها واما الامر الاخير فهو كامر مقرر لا يمكن ان يلم به نزاع او يخاف من ريب لدى سليم النية ويستعمل ان يرتأى في الاحوال الاخرى ويسهل بيانها من كلام الذين غالوا في اقامة الجدل فيها ولا فرق في ذلك ان كان بسبب

المجمل أو بسبب حجة المناقضة

فذلك في مبادئ الشرائع المسيحية ونظام المذهب فليست درجته الآن في هذا الطريق
عينو لنصل الى مبدأ الشرائع اليهودية وأصلها وبما أننا وجدنا تلك الملحج دون أن
تتطال الى ما وراء ذلك نتجى أن تتصل موسى بالطريق نفسه والبراهين عينها أو أن
تصل بالأصل الذي وضعه

أن اليهود وأما شرائع وعوائد وأسراراً وكتباً مقدسة وأخباراً وكهنة وعبادة في
الموكل وأن أكثره لم تزل مرعية عند . وأن الكهنوت كان قد ترتب في عائلة
هرون أخى موسى وبقي الفرق بين الطغمة الكهنوتية من هرون وأولاده إذ كل يتعلق
بقصته وكلهم يصدر من هرون دون إمكان أن يعزوا الى من قبله . وأن النصح
والإعجاب الباقية ليست بأقل قدمية وفي هذا النصح كل شيء يذكر تلك الليلة حيث
شعب الرب قد قتل من يهر عبودية مصر . وأن عدد الأيام نفسه يفصل هذين العيدين
ثم عهد المظالم المتنامة بفصول خضراء التي كان الشعب يقطن فيها من زمن مدينته
كل عام سبعة أيام وسبع ليالٍ تذكرنا لكم في البرية أربعين سنة . وقصارى الأمر
أن لا يوجد عند اليهود عهد ولا سر ولا احتفال إلا وضعه موسى أو قرره . أو أن يكون
موسوماً بنوع ما يبد هذا الشارع العظيم

ولكن كل هذه الشرائع الدينية ليست من زمان واحد لأن الخيانة وحظر أكل
الدم ورعاية الميت في قبل موسى وقبل السنة المكتوبة كما نفع ذلك من سفر الخروج .
وأما الشعب فكان حافظاً هذه العوائد وموسى نفسه نقلها الى كتابه لأن الخيانة تأتي من
إبراهيم ابى الأمة ومن المعاهدة وحظر أكل الدم متصل بنوح والطوفان . وتواتر السبت
بوصلنا الى تكوين العالم وإلى اليوم السابع الذي باركه الرب وحفظه ثم عمله العظيم .
وبناء على فكل الحوادث الخطيرة التي نومول الى تعليم المؤمنين وتنبيههم كان ذكرها
مرعية لدى اليهود وأن هذه القواعد القديمة كانت تحرز في شعب الله بامتزاجها
بالقواعد التي وضعها موسى قواعد دين الاجيال الماضية برمتها

وإن قسماً من هذه القوانين التي كان اليهود يهودون رعايتها لم تبقى مرعية بينهم في
هذه الأيام لأن الهيكل قد دثر وبطلت به الذبايح والترايب والكهنوت القديم الشرعي
لأن أولاد هرون لم يبقوا معروفين بين اليهود إذ كل الأسباط اختلطت معاً ولكن

فإن كل هذا كان لا يزال برمه لدن ما في المسيح الذي كان دائماً يعزوه كلها الى موسى لا تحتاج الى غيرها من البراهين ليتحقق لدينا ان كل هذه الامور تأتي من عهد قديم ومن اهل الامة نفسها

وان لم يكن ذلك كذلك فلسفر في الامور مدقنين ونزوين الى كل الفوارخ اذ يمكن لنا الوقوف عليها ونقول قبل كل شيء لابد من ان نصل الى عزرا . لان المسيح قد اتى قبل اقامة الهيكل الثاني . ومن المقرر ان هذا الهيكل شيد في ايام عزرا . وان المسيح لم يذكر في انجيله الا اسفار اليهود القانونية ولكن حسب تقليد الامة الدائم ان هذا القانون قد تم وانتهى في ايام عزرا دون ان يضيف اليه اليهود ادنى شيء فيما بعد . وكل هذا ما لا ريب فيه بل مسلم من الجميع فبناء على كون هذا العصر كتاريخ مضاعف او محط عظيم له اهمية كبرى لتاريخ اليهود وخصوصاً لكنهم المقدسة . الا انه قد تكرر لدينا بكل صراحة انه لا يتنفي التوقف هنا اذ في هذا العصر يعزى كل شيء الى مبدأ اخر . اذ اسم موسى يبدو دائماً كاسم رجل يحترم الشعب اسفاره وكتبه وكل الانبياء الذين كانوا يعاصرونه او كانوا قبله واسفاره هذه في اساس دين اليهود فلا تعتبر الا ان هؤلاء الانبياء موحياً بهم من الهاء بل اناساً بدوا ازمة متباينة في عهد ملوك مكدون . وان الشعب اصاغ لكلامهم معتبراً انهم مفسرون للدين فيجزم من ذلك ان خلافتهم وخلافة الملوك الذين يتصل تاريخهم بتاريخهم تقودنا بصراحة الى اصل موسى الذي انتهى اليه . لان ملاخي وحجي وعزرا وذكرى الذين يعتبرون شريعة موسى انها موضوعة في كل آن يتصلون بزمان دانيال حيث يبدو صريحاً ان هذه الشريعة كانت معروفة لدى الجميع ويتصل دانيال نفسه ياربيا وحرقاً اذ لا يبدو الا موسى والعهد الذي عقد مع الرب والاذنارات والعقوبات المعلقة لمن لا يدين لها . وان الجميع يحدوثون بين الشريعة كانتهم يعرفونها منذ صياهم . ولا يذكرونها فقط كانوا امر مقبول في حيز الكيان بل تزام لا يهاقون على عمل ولا يؤمنون بكلمة الا يكون لذلك علاقة مكونة بهذه السنة

ان ارميا يوصلنا الى يوشيا حيث اخذ بنياً وكانت شريعة موسى متعارفة وقتئذ ومشرقة لدى الجميع بانها من تأليف ذلك النبي الذي كان الشعب يتفخها بتقليده وشوايد التي كان يسعها باذنيه . وقصارى الامر اي شيء جعل تقوى ذلك الملك

مشهورة في الخارج اليس عكوفه من صغرس على خدم كل حياكل الاصنام التي
اقامت عليها شريعة موسى تكبرا ولقد احتفل باهتمام خاص بالاعياد التي ابرمتها . منها
عيد النصح وكل العبادات التي لم تزل مكتوبة في شريعة حرقيا ولرعد هو وشعبه
اذ شعرائهم خالفوها غير عابئين بالرب الذي سنها ولكن لا يجب ان تتوقف هنا .
فان حرقيا قد احتفل احد اجداده بعيد النصح بكل اعتبار لاثني قاضيا الارب بان
يتبع شريعة موسى . ولم يفتأ اشعيا النبي يوعز اليها وقد اقتفاء بذلك غيره من الانبياء
ولم يكن ذلك في عهد حرقيا فقط بل احتياطا طويلا في ايام سلوه . ولما اصاب احد
اجداده يوشيا بالبرص طرده الشعب من الهيكل تطبيقا لنص الشريعة وفصاوه عن
الشعب بكل الاحباطات التي قامت بها

فان هذا المثل المشهور في شخص ملك عظيم يدشنا ان الشريعة كانت دائما
منخضة لدى ابحار الشعب ومعروفة عندكم كي لاناني من جرثومة اقدم منه واس
يشق علينا لثرتي من اماراس ويوشافاط واذا وايما ورجعنا الى سليمان ابيه الذي
يفري برعاية شريعة اباؤنا بكلامه في سفر الامثال وهو : ارج يا بني وصية ابيك
ولا ترفض شريعة امك اعتقدها في قلبك في كل حين واعصها في عنك وفي عهدك
في سرك وتحافظ عليك في رقائك واذا استنبطت فهي نغذتك لان الوصية مصباح
والشريعة نور وتوبيخ القاديب طريق الحياة وفي قوله هذا لم يصنع شيئا سوى انه كرر
ما كان قد قاله ابيه داود : شريعة الرب كاملة ترد النفوس وشهادة الرب صادقة
تحكم الغبي . امر الرب مستقيم بفرح القلب ووصية الرب نية تبر العيون وكل هذه ليست
سوى تكرار ما تقوه به هذه الشريعة تنسها واجراوها وهاك ما نقوله . ولكن هذه
الكلمات التي انا امرك بها اليوم في قلبك وكررها على بيك وكلهم بها اذا جلست في
بيتك واذا مشيت في الطريق واذا نمت واذا قممت واعتقدها علامة على يدك . ولكن
عصائب بين عينيك واكتبها على عضائد ابواب بيتك وعلى ابوابك ومن ثم قد ارثينا
ان تاتي هذه الشريعة بوسائل خفية او ان في الامكان مزاولها للتكر بعد ان كان من
المتعم ان تكون مالوفة ومتفاقلة بين ايدي الجميع . ومن مفاعيل الخديعة انهم طفوا كل
الشعب والجشوة ان يدعن بان هذه الشريعة هي شريعة اباؤنا دون ان يري في كل
الامرنة آثارا لارية فيها فذاك رأي محالي

وأما الآن فبما أن كلامنا مقصور على داود وسليمان نقول أن صنعها العظيم الذي لم يبح ذكره من بين الشعب هو الهيكل . ولكن ماذا الذي صنعه هذان الملكان عندما أعدا الهيكل وشيئا هذا البناء الذي لا ضرب له قاتنها لم يصعها شيئا سوى ما نصته شريعة موسى التي كانت قد أوعزت أن يتحبروا مكانا يمثل فيه عبادة كل الأمة وتقدم فيه كل الذبايح التي اندر بها موسى . ويقام فيه تابوت العهد الذي أقامه في البرية وينوع لائق فيه العهد التي شاهدها موسى لتكون رمزا للهيكل الآتي وعلى ذلك لم تكن ساعة إلا كان فيها موسى وشريعته حين . وإن تذكر هذا المشرع الشهير يتدرج من ملك إلى آخر ومن سنة إلى أخرى حتى يتصل إليه

فلنذكر إذا أن تقليدات موسى في أجلى بيان وأنها تمت على أن تكون متنوعة وأنها عرية من طائفة التزوير دون ريبة ومراء وإن الزمان الذي تاتي منه هذه الاختلافات يتصل ببعضه البعض الآخر كي لا يبنى فيه أدنى فاصل أو خلل يتكفلان بالتزوير فليت شعري علام نفوه باسم التزوير فإنه لا يسوغ أن نقول وجوده لو كنا انتهت على شيء من الصواب . لأن كل شيء ممتلئ من شريعة موسى وسنادها بها ومعه نور منها ومن أسفارهم ويستحيل أن تكون قد ناست في برهة وجيزة . وقد أقيمت حجج راهنة على أن النسخة التي أقامها في الهيكل حقا الكاهن العظيم في السنة الثامنة عشر الملك يوشيا وتقدمت له كانت وحدها باقية وقتئذ وذلك لأن ماذا الذي يكون قد فنى على باقي النسخ بالبقاء . وما يكون قد طرأ على أسفار موسى وإسحاق وإسماعيل وعاموس وإسحاق وغيرهم من الذين كتبوا قورا قبل هذا الحين وإسفار كل الذين انتنوم بالعمل والقوى . فبناء عليه أين يكون أرميا قد تعلم الكتب المقدسة وهو الذي كانت قد شرع ينسب قبل هذا الاكتشاف ومنذ السنة الثالثة عشر الملك يوشيا لأن الأنبياء كانوا يشكون من أن الشعب كانوا يخالفون شريعة موسى . ولم يكن أفضى بهم الأمر إلى أن فندوها ولا تقرأ أيضا في الكتب أن أحاز ومنسى وعمون وأحد الملوك الكفرة الذين كانوا قبل يوشيا حاولوا اختلاف هذه الأسفار لأن شروعا كهذا كان يبعث على الجنون والحال للندار ما كان فيه من الكفر . وإن ذكر هذا العمل لا يمكن أن يكون قد زال مطلقا ولو أنهم راموا محو هذه الأسفار في مملكة يهوذا . بيد أن سلطتهم لم تكن تمتد إلى أراضي مملكة إسرائيل حيث تكون قد رُعت هذه الكتب . ويضح من ذلك أن السفر الذي أتى به الكاهن

العظيم لذلك يوشيا ألا نسخة مدققة ومختة أكثر من غيرها يكون قد نص على عهد -
 ووضعه في الهيكل أو بالأحرى أن هذه النسخة إنما هي النسخة الأصلية التي أمر بها هذا
 الفارح الحكيم أن تنام جانب تابوت عهد الحرب لتكون ثم عليهم شاهداً : وهذا ما يشير
 إليه كلام الكتاب المقدس وهو : وجد حلفاء الكاهن من نورا الرب بخط موسى . ومما
 كان المعنى الذي توهم اليه هذه الكلمات فمن البين أن لم يكن شيء أقدر من هذا
 يتيقظ به الشعب الذي ونحى غيرته بتلاوة الشريعة التي كانت كما ظن مهلة ومن أكبر
 الوسائل التي تتلى بها النسخة الأصلية المهمة الموضوعة في الهيكل بإتمام موسى وإمامه كشاهد
 على نرد الشعب ومخالفة الوصايا دون أن تلجأ إلى أن تنحل الأمر غير الممكن أي أن
 شريعة الرب أصبحت منسية أو لم يوجد منها إلا نسخة واحدة . لكن ذلك بعكس الأمر
 فقد يتضح أن اكتشاف هذه النسخة لم يند الشعب شيئاً جديداً بل يجعله على أن يصيح
 لصوته : مرفوع لده وهذا الأمر حمل الملك على أن يقول : اذهبوا فاستلوا الرب لي
 وللباقين في اسرائيل وبهذه من جهة كلام السفر الذي وجد لانه عظيم غضب الرب
 الذي انصب عيناً لاجل أن آباءنا لم يحفظوا كلامه ليعملوا بكل ما كتب في
 هذا السفر

وبعد كل هذا لا يقتضي أن نعى أن نخص بنوع خاص كل ما خاله عديم
 الايمان والعلماء الدجالون والمفتدون الزاهقون بشأن تزوير اسفار موسى لان هذه
 الاشياء الخالية بعمر عليها في كل مكان وكل زمان لاسيما في عهد عزرا فعزى في الشعب
 نفوراً لا يمكن قمعها فيعتقد كثيرون قد تم ما لم يكن سمع به البتة وكثيراً من موسى
 معروفًا مقررًا ما يكون قد وضع حديقاً بين اياديهم

ويلاحظ أيضاً أن لا يزال الفكر ما يوطء بالمشقة الاسباط وهو الأمر الذي لا يكثر
 تعداده لان هذا التاريخ هو من أهم الحوادث المنوطة بتاريخ الامة فان مملكة اسرائيل
 الجديدة تكونت حينئذ وانقسمت شطرين وهما مملكة داود ومملكة سليمان . وعليه فاذا
 كانت اسفار موسى مكتبة في الامنين كارت عامر فلاربية انها انت من آباء القيتبين
 قبل الانشقاق وبناء عليه فانها انت من سليمان وداود وصموئيل الذي كرس ملكاً
 وعالي الذي تعلم صموئيل في آيابه وهو طفل عبادة الرب وحفظ الشريعة التي كان
 داود يتشددها في مزاميره التي كانت عرضة لغناء الجميع وسيدان في احكامه التي تداولها

ابادي كل الشعب وقصارى الامر انك كلما تاخرت في الاجيال ترى دائماً شريعة موسى متغيرة ومعروفة لدى الجميع ولا يمكن ان ترى مقراً الا في سفر موسى نفسه وفي الاسفار المسيحية . ولا مثراً الا في زمان المسيح والرسل

ولكن ماذا الذي نراه في هذا المقر او ماذا الذي نراه في هذين المقرين اللذين لا يحولان وهما زمان موسى والمسيح . فانا لا نرى اذ ذاك سوى الاعاجيب الساطعة والمجرات الرائعة التي تبين كما سبق القول ارسالية هذا وذاك . فمن جهة ترى ضربات مصر وعبور البحر الاحمر والشريعة التي من بها الرب على جبل سيناء واقتتاح الارض وكل المجرات الاخرى التي كانوا يتولون عنها للشعب انه شاهدها باعينه . ومن اخرى ترى شفاء الامراض العديدة وانبعاث الموتى ويسوع المسيح نفسه الذي اثبت اتباعه الذين شاهدوه وحققوه حتى الموت اي كل ما تنهأه لتفريضة حادثة لان الله نفسه (ولا اخشى ان اجترى على ان افول ذلك) لا يمكنه ان يصنع شيئاً اكثر وضوحاً لتثبيت حقيقة حادثه الا بان يعرضه على شهادة الكواكب ولا ان يبرز برهاناً لتصدق الشهود اقوى من برهان موت في معصية العذاب

ولكن بعد ان تصعدنا من التبتين اليهود والمسيحيين وصلنا الى جرنومة مفاهيمية في الاوهة والفراية حتى لم يبق علينا شيء لشككنا صنعنا الاتيين ان رابط هاتين التدرجيتين اثبات من لدن البارئ تعالى ولا ريب انه يقتضي ان يكون رابط بين افعالهم وان كل شيء يكون صادراً من مقصد واحد وان الشريعة المسيحية التي انت اخر الامر يجب ان تكون متصلة بالاولى وذلك امر لا يمكن لاحد نكرانه . ولا ينكر احد ايضاً ان اليهود كانوا يحفظون المسيح ولم يزالوا يحفظونه وان النبوات التي عندهم لا تنوع ان ترتاب بان المسيح الذي وعد به اليهود هو نفسه الذي نعتقد به

الفصل الثلاثون

في ان النبوات تنحصر في ثلاثة حوادث بيّنة

وان مثل ابن الله يقرب ارتباطها

بما ان البحث في النبوات الخاصة يناط بمجوادث كثيرة لا يستعمل الجميع ادراكها

وان تكون ذات انوار باهرة قد اصطفى الرب بعضاً منها جعلها محسوسة لدى الذين
توغلوا كثيراً في عباب الجهالة والعمية فهذه الحوادث الساطعة التي شامعها العالم كافة
هي التي قد بذلت غاية الجهد في ان اسلمها لديك . وجلبها دنار شعب اليهود وارتراد
الامم وكلاهما حدثا معاً في الوقت الذي انتشر فيه الانجيل وبدا يسوع المسيح

فهذه الامور الثلاثة المتحددة في تسلسل الزمان كانت أكثر اتحاداً في تسلسل احكام
الرب فقد شاهدتها جارية معاً في النبوءات القديمة . واما يسوع المسيح المنصر للنبوءات
وارادة الرب ايمو فقد ابان لنا هذا الاتحاد باجلى بيان في انجيله لانه قد صرح ذلك
في مثل الكرمة ذات الاوراق لدى الانبياء قائلاً ان سيد بيتي غرس هذه الكرمة
اي الدين الحق الموطن على عهده واكل بها علة يحرسونها اي اليهود ويحنون ثمرته وارسل
عبيده مراراً وهم الانبياء . واما الصلة المجاهدون فقد اغوتهم نفوسهم بان تعدوا قتل
عبيده . وكمثيرة حوادث بعث اليهم ابنه فامتنعوا اكثر من التمسك فذلك العجايب الرب ان
يقترع من ايديهم الكرم ويكل به علة غيرهم اي يقترع عنهم نعمة ميثاقه فسلها الى الامم
فاقتضى اذ ذاك ان تحدث هذه الامور الثلاثة معاً وهي ماتي ابن الله ودخل اليهود
ودعوة الامم ولم يوجه مثل لزيادة الابضاح بل ان وافى الامر يتكفل بيوانه .

قد وقع لديك بايدي ان اليهود يدعون بان مملكتهم اخذت تدحر في ابام هرودوس
لكن ماتي المسيح الى العالم واما اذا كانت مخالفتهم لشرعية الرب تلقى بهم الى ورطته يمتد
في الساطعة فدناهم الاخير الذي لم يبرح في حيز الكيان لانه ان يكون عقاباً على اعظم
جريرة . فهذه الجريمة رائد بيانها وهي جرحهم المسيح الذي كانت قد اتى لعلمهم وعلمهم
من نير الاسترقاق فذلك قد اتى على عوائقهم نير عبوديتهم باعظ لا يطمنون الرزوح

نحنه ولولا ان الرب برى وجودهم بعد مواعيد المسيح الذي اذاقوه مرارة الصلب لبادوا
وهالك حاداً ثباتاً عاماً هو دنار مملكة شعب اليهود طراً في زمان يسوع المسيح
وارترداد الامم فقد كان ذلك يقتضي له ان يتم في الوقت عينه ايام كانت العبادة
القديمة تلتشى في اورشليم وانتشر الهيكل فاخذت اذ ذاك عبادة الاوثان تنقص في
كل الجهات وهب الشعوب الذين كانوا قد نسوا خالقهم منذ الوف سنون من ثبات
رقادهم المستمر

ورجاء ان كل الاحوال تنطبق على بعضها طفتت المواعيد الروحية تنتشر باعتبار

الانجيل ايام كان شعب اليهود المشهور والاسير في افاحي البسطة فقد المواعيد الزمنية وحطت آماله بالحصول على العظمة الجديدة . ومن ثم انذر بالسما كل الذين يتأسون بحمل الاجتهاد في سبيل العدل واخذوا يكشفون اسرار الحموة الاتية موقنين ان السعادة الحقيقية قاصرة في هذه الارض عن مثوى الموت حيث تنكاث الخطايا والشرور والمشقات ومن لا يرى هاهنا رايًا سرمدياً متيناً وتسلسل احكام الرب الذي اعد منذ بدء العالم ما يتم في اخر نهايه وقرر امام اعين البشر العصابة المقدسة حيث بدء ان يؤدوا له العبادة في الممالك المتشابهة بخلافه سرمدية ثابتة فمن لا يرى هذا لا يستحق ان يرى شيئاً بل ينطوح الى عم التلب كأن ذلك اعدل العذاب واصره

وامل ان يكون تسلسل شعب الله ساطعاً امام قلوب البصيرة انهم قبضة بان يكون محوساً وبنياً بمجوات لا يمكن لاحد ان يفهم عليها تكبراً الا اذا غص مغلبوا اختيارياً كي لا يرى الحق لان العبرانيين كانوا معطرين المسيح فاني ودعا الامم كما قد تنمي عنه والشعب الذي وثق بجهنم اشجار الى الذي كان يستظلل بدون ان تحسن الانصالات ساعة واحدة واصبح هذا الشعب ممنداً في كل البسطة ولم تهرج الام تقار البو وهذه البيعة التي شادها المسيح على وجه الارض وغما عن الحجب لم تزعزع البتة

الفصل الحادس والثلاثون

تابع لما انف بشأن البيعة الكاثوليكية وبانتصارها على كل البدع

بالهامن تعزية عقلى لبني الرب وباله من تأكيد عظيم يوطد الحقيقة وذلك اذ يرون انهم مستطيعون ان يرتفوا احتراماً منذ توشنوس التاسع المستوي وقتنر بكل فخر على اول كرسي البيعة الى بطرس الذي اقامه السيد المسيح رئيساً على الرسل ومن ثم اخذ الكهنة الذين كانوا في عهود الشريعة الموسوية يتصلون الى هرون وموسى وبعد ذلك الى الالاء وابتداء العالم . فباله من استغراء عظيم وباله من تقليد جميل وباله من تسلسل عجيب فان كانت عقولنا بالطبيعة في ريب واضحت بسبب ترددها العوبة حججها الخاصة فنحن ان نفررو ونفتيت بسلطة محققة في المشاكل المختصة بالخلاص . انبوجد سلطان اعظم من سلطان البيعة الكاثوليكية التي تخرز في ذاتها كل سلطان الاجيال

الآفة وكل تقليدات المذبح الانساني الى ابداء تكويده
وبناء عليه ان الجمعية التي وطدها المسيح المنتظر في كل الاعصار القابرة على الصفة
حيث القديس بطرس وخطابه مزعمون ان يخلصوا باسم تثبت تسلسلها وهي حاملة
بليتها المستمرة يد الرب

وهذه الخلافة عنها ليس بإمكان مرتبة او بدعة او لغة اجتماعية ان تستائر
بها بل ذلك موقوف بيعة الرب ولا ريب ان الاديان الافاكة امكن لها ان تنتفي آثار
اليعة في امور شتى واربابها يزعمون ان الله وحده شيدم ولم يكن هذا الكلام الا فارغاً
لان الله اذا كان فطر الجنس البشري وخلقته على مثاله فكيف يخدمه ويكرمه . وبناء عليه
فكل شيعه لا توضح خلافتها من ابداء العالم ليست من الرب ولذلك نغمر امام اليعة
المقدمة كل الجمعيات وكل الشيع التي شيدها بنو الانسان في النصرانية وغيرها

والمجدعون الذين قاموا باعفاء شيع جديدة بين المسيحيين امكن لهم ان يساهوا
الامان باقل رضوخ بخدم للاسرار التي تنوق الجنس وامكن لهم ان يخطوا البشر بطواهر
التقوى وان يذروهم بفصاحتهم واهوائهم ويحذوهم بحداثة المذهب والتمسك سواء كان
عقلياً ام خلقياً . وقصارى الامر امكن لهم ان يخطوا نفوسهم او الغير اذ لا شيء ينطبق على
الطبع البشري اكثر من هذا ولكن فضلاً من انهم لم يخطوا من ان يتفقدوا بصنيع
معجزات مشهورة او يهضم مذهبهم في حوادث مقررة يشهد لها اصحابهم بوجود ابداء امر
يشق عليهم ليس في وسعهم ان يستقروا وهو امر حدثتهم . وهذا يبدي لدى كل بني
الانسان ان قد انفصل مذهبهم وتابعوه والشيعه التي وطدها عن هذا الجسم العظيم
وعن اليعة القديمة التي اسماها يسوع المسيح حيث بطرس وخطابه استولوا دائماً على
اول مركز وخدم كل المشيعين جالسين فيه . ولم يفتأ وقت الانفصال مقرراً حتى ان
المجدعين انفسهم لا يمكن لهم ان يذكروه ولا يفتخروا ان يحاولوا الخروج من الجرنومة
عنها فبسلل لم يكن قد انتطع اليعة . وبهذا يقوم ومن كل البدع التي ارتكبتها الانسان .
وما من احد يمكن له ان يغير الاجيال القابرة لو بقي له سلفاً او يزعم انه وخدم افتناه
ان اليعة الكاثوليكية تستولي وحدها على كل الاعصار القارطة باستفرا لا ينكر
عليها لان الشريعة سبقت الانجيل ولم تكن خلافة موسى والاباء الا لسلسلة واحدة متصلة
بخلافة المسيح . ومن اجل صفاته التي تنق بها غاية الوفاق في ان يكون ماناه متروكاً .

وتعترف به ذرية نكثت الى انتهاء الاجيال لان يسوع المسيح هو انس والهم والى
مدى الدهر

وفضلاً عن ان البهية المسيحية موطنة وحدها على اعاجيب الهية كتبت علانية
غير محشية عليه من ان نكذب في الوقت الذي حدث فيه . فهناك العجوبة اخرى
تستمر في سبل تعزيز اولئك الذين لم يكونوا في ذلك العصر . وهذه العجوبة تفرز
ما سواها من الاعاجيب وهي قائمة بتتابع الدين الذي لم يقا بفوز بالضللال الذي
حاول ازالته وزد عليه نتيجة اخرى هي نتيجة عقاب اليهود البادي المستمر لانهم لم يقبلوا
المسيح الذي وعد به آباؤهم . ومع ذلك كله فلم يزالوا يترقبونه وانتظارهم الباطل جزء
من عذابهم ويبدون بارتقائهم اياه انه كان دائماً مستظراً وبفروروت حقيقة الدين
كانهم حاملون كل نسل الدين مرفوعة على جباههم . وترى بلخطة كل من كان
آنفاً فلماذا صاروا كما تراءى . والى اي شيء هم معذون . وعليه فان اربع او خمس
حوادث مفرقة تنوق نور الشمس وضوحاً ايات ان ديننا قديم كالعالم ويدي تالي
الزمان ان لانتفاة لما بغير خالق العالم القابض على كل شيء يد وهو وحده . ولكن
انه ان يباشر هذا الماروب وبقيته الى الغاية في كل الاجيال

وبناء عليه لا يقتضي ان ياخذنا الهيب كما يحدث اعباداً من ان الله يعرض على
اعتقادنا مفداراً كهذا من الاشياء الثلاثة بشانه وهي فوق قوة العقل البشري ويتضي
اينا بان تاخذنا الدهشة من وجود اناس في العالم يعمون قلوبهم كي لا يامنوا بعد
العلم ان الباري وهد الايمان على اسر يتأق في الوطود والراحة . فملة هذا كله اموالونا
المتردة واستخسا كما بالحوادث وكبرياونا الشائعة ولهذا نؤثر ان نخاطر في كل شيء
على ان نسر نفوسنا على الرضوخ ونؤثر ان نغالي في الجهل على اقرارنا بالحق ونؤثر ان
نرضي رغبتنا الفاحشة ونرضي في عقلنا الشرد حرية الافكار في كل ما نشاء على ان نرجح
تحت انقال السلطة الالهية

ومن ذلك نعيم ان قد يوجد عديد وافر من الذين لا يفتنون والله يسمح بذلك
لتعليم ابائه لانه اولاهمو القلوب والفانصون في لجة النوحش وغير المؤمنين الذين في
حجر اليعبة لما كنا نعرف صريحاً تصاد طبعنا العظيم ولا الوهنة التي نضلنا منها المسيح .
فلو كانوا لم يعارضوا حقيقته المقدسة لما كانت ابصارنا وقعت على هذه العجوبة التي

رعاهما قسراً عن كل المناقضات ولكننا نبتا أخيراً أننا فزنا بالنعمة فالأنت عدم أمانة
 البعض يحمل البعض الآخر على الضعة ويدي القردون الذين يقاومون ما رآه الرب
 القدرة التي بها يتم مواعيد للبيعة فاضاً الطرف عن كل امر آخر
 فما الذي نرتقب لنرضخ انترصد من الله معجزات جديدة يجعلها عذبة الافادة بتكرارها
 وإن يحبط بها ابصارنا كما اعتادت على سير الشمس وكل عجائب الطبيعة . فأننا ننظر
 صمت الكثرة والنعمة . وإن الصلاح والصلاح بعزاً من معاً الرضوخ للحق . وبوش بنو
 الانسان قاطبة على امواتهم واطوارهم . وإن العلوم الفاسدة التي تغطي البشر بقوة حداتها
 لا تستقر تداهيم . الا يكفينا ان نرى البشر غير قادرين ان يناووا الدين الا باظهارهم
 بضلالهم المبين بطلان احكامهم . وإن دفاعهم لاسند لها الا الجهل والتكبر فالبيعة
 التي فازت بالعصار والضلالة ليس في امكانها ان تظهر في عنوانها على الحجج الزائفة التي
 نستظهر بها على مقاولها . ولا يمكن للمواعيد الالهية التي نرى تنبئها كل يوم ان تصعدنا
 فوق المشاعر

ولا يتفقد الناس علينا بقولهم ان هذه المواعيد تنوف تنبئها ولا يمكن لنا ان تظهر
 بتنبئها الا بانتهاء العالم اذ انها تمتد الى مهابو . وعكس ذلك ان ما قد تم بتبنا عما
 هو مزعج ان يتم وكل النبوات القديمة التي تمت بكل صراحة تبين لنا ان كل شيء
 سوف يتم وإن البيعة التي لا يتوى عليها الحميم حسب مواعيد ابن الله تكتمل الى الابد وإلى
 انتهاء العالم لان المسيح الذي صدق بكل شيء لم يضع نهاية لكتباها

وهذه المواعيد عنها تؤكد لنا المحبة المستقبلية لان الله الذي صدق بتبني ما يناط
 في الزمان الحاضر لا يكون اقل صدقاً بتبني كل ما يناط بالزمان المستقبل فكل ما
 نشاهد ليس سوى استعداد له وإن البيعة سوف تكون على البسيطة غير مقنوعة ومزعزعة
 حتى ان كل بنينا يحنمون ونشغل بهم برمتها الى السماء منوها الحق

وقد اعد للذين هم خارج هذه المذبة السموية تبرج - رمدي وان يتي لم
 الا عذاب ابدى اذ انهم فقدوا مجربهم سعادة ابدية وبنه عليه سوف تتم احكام الرب
 ومواعيد بحال لا يتصورها تغير وإن وعوده صادقة وحقيقية وكل ما يقفه في الوقت
 يقرر ما يامرنا بامله او بالخشية منه في الابدية

فهاك بايدي ما نبشنا عنه تسلسل الحوادث الدينية كما رفع لديك بوجيز العبارة .

وبما حطة الزمان يقودنا الى الابدية فعمرت على نظام حكم في مآرب الرب وسعة سلطته
 البينة في استمرار شعبي وعلمت منه ان الية لها عضو دائم الوجود لا يمكن الانفصال عنه
 الا بهلاكها وان الذين معتزلون بهذا العضو وقائمون باعماله لا ثقة بامانتهم يفررون
 انفسهم حيلة اذلية

فهمر تسلسل حوادث الية التي توطد لديك كل مواعيد الرب واحكم على ان
 كل ما ينصل عن هذه السلسلة ويزايل هذا الاستمرار وكل ما يرتفع بذاته ولا ياتي
 حسب المواعيد المنوطة الية منذ ابتداء العالم مكروه . وانفرغ ما عندك من الجهد فخر
 الى هذه الوحدة كل من يكون قد زايلها اغرب الجميع بان يرضخ للية التي بها ينطق
 الروح القدس بنبوءه

وان سؤدد اجدادك ليس قائم بعدم تركهم اياما فقط بل بانهم قاموا بناصرها
 ايضا واسأهلوا بذلك ان يدعوا بنبيها الابكار . فهذا من اعظم القاميم المحيية . وليس لي
 حاجة ان احذثك عن كلوفيس وكارلوس العظيم والتدريس لويس بل اعتبر العصور
 الذي انت فيه ومن هو الاله الذي اراد الله ان تولد منه . وقد امتاز هذا الملك العظيم
 في كل امر بامانيه اكثر من - ان صفاته المحيية فتراه يدرا عن الدين داخل المملكة
 وخارجها وفي اطراف العالم . والشرايع التي منها هي من اعظم منبرسات الية ولا تباين
 سلطته الموقرة بسبب صفاته الشخصية وجلالة صوته بان ملكه موثقة باكثر احترامه الا
 لدن مدافعتها عن حقوق الرب فذلك حمز عن سماعنا صوت التجديف واخذ الكفر
 بفرق خوفا ولا ريب انه الملك الذي اوعز اليه سليمان مدد الشر بنظره وان كان
 يغم البدعة بكل هذه الوسائل اكثر ما صنع اسلافه . لا بما انه يجثى منها على عرشه لان
 المسكنه احاطت الكل وطلما الجميع امام سلاحه غير انه يحب شعبه ويعرف ان يد
 الرب اجلسه على عرشه ليس فوقه عرش . فيجيم من ذلك ان احسن وسائر يقوم بها
 هو ان يستقدم لسلطته ليشفي قروحات الية

فانفب يا سيدي هذا المثل الصالح واسئلو لذريتك وانذرهم بالية اكثر من هذه
 المملكة العظيمة التي حكمها اجدادك منذ اجيال عديدة وان حرائك التي هي اجل
 ما يكون في العالم تكون اول مدافعة عن حقوق صديقه وتنهط في العالم اجمع ملك
 يسوع المسيح الذي يفيض لك ملكا مجددا

الجزء الثالث

في الممالك

الفصل الاول

في ان تقامات الممالك رتبها الباري عز وجل لتقع تكبر الملوك
 ان لم يكن شيء يضاهي نسل البهيمه الحثيثة الذي اوقفك عليه مع ذلك ان
 نسل الممالك الذي قد عهد في بسطها لديك لا تعدي منة لمن هو نظير جلالكم
 من الملوك او للانفراد الذين ينظرون في هذه المواضع العظيمة اسرار العناية الصمدية
 أولاً — ان هذه الممالك لها شديد الوثاق بتاريخ شعب الله لانه تعالى اتخذ
 الاشوريين والبابليين آله للانتقام من الفرس لخبائثه وعوده الى اراضيه والاسكندر
 وخالفاه الاولين للدفاع عنه وايثوخوس ايقان وخلفاءه لتعويده على احوال الددائد
 ثم الرومانيين ليدروا ملوك سوريا الذين لم يكونوا يتكبرون الا باسصال الان بذلك
 رعاية حريتهم . ومكث اليهود حتى مجي السبع نحت شوكة الرومانيين . وبعد ان محمود
 وصاحبو اعانه الرومانيون على الانتقام الالهي دون ان يتكبروا بذلك وجعلوا ذاك الشعب
 العتوق هباء منثوراً واذ ازمع الله ان يوطئ شعباً جديداً من كل الامم ضم ملك
 الارض والبحر الى هذه المملكة واتخذ كل تلك الانصالات المتباينة التي لم يكن لها رابط
 الى ذاك الحين وسيلة لشر اغيولو . فاذ كانت الدولة الرومانية قاست في هذا الشعب
 الجديد منة ثلاثية سنة اضطهادات عظيمة فوطد هذا الجور اركان البهيمه المقدسة وادى
 مجدها وايمانها وصبرها . وهكذا اقربت المملكة الرومانية بالرضوخ اذ وجدت ما فاقها
 ظفراً وخضعت لهذه الكيكة التي طالما كانت عرضة للاضطهاد الشديد وكما ان
 القياصرة صرفوا اقصى جهدهم في اخضاع البهيمه كذلك اصحيت رومية عاصمة المملكة
 الرومية التي اراد المسيح ان ينشرها في كل المسكونة
 وبعد ان تزعمت السلطة الرومانية واعتراها دغما عن وعدنا لنفيها بالخلود ما

اعترى الممالك السابقة من الدثار اذ أصبحت قريبة للبرابرة لم تنزل رومية على عظمتها
 نزعائها للدين المسيحي لان الامم التي اغارت على المملكة الرومانية واسنولت عليها
 اقتبست منها رويداً رويداً الدين المسيحي الذي الان عرائك رجالها ولم يجد متوكفا
 الذين خللوا القباصة ما يولهم اكثر مجداً من ان يدعوا محامين للدين المسيحي
 وعليها ان تطلع على غوامض الاحكام الالهية بالنظر الى المملكة الرومانية ورومية
 نفسها. وقد اوضح هذه الاسرار الروح القدس لبوحنا وهذا الرسول المنعم من روح النبوة
 والانجيل فسرهما في روميا فكان يعز على رومية ان تنبذ عبادة الاوثان جانباً اذ شاخت
 وهي مستكة بها. وزيادة على ذلك فان مجلس التدو كان بحسب محاماة آله رومالوس
 التي كان ينسب اليها انتصارات الشقيقة القديمة جداً وقرراً وقد سمى القباصة من طلب
 هذا المجلس على ابدي مبعوثي الفناء النصرانية وتشديد اصنامها لانه كان يخال ان درة
 رومية عما كانت عليه من الخزعبلات عاراً يلتحق بالامم الروماني. ومن ثم لم يكن
 انذار الانجيل وغمره من النبوءات الصادقة وازداداد المملكة قاطبة الى النصرانية مع
 ملوكها الذين مهدوا الطريق الى هذا الدين كفوا لردع هذه العصبة الشهيرة المنصوية
 على اعظم رجال رومية واشهرها خاصة وعامة عن غيرها. ولم يكنوا من ان يلحقوا
 بها عاراً وينسبوا اليها كل ما آلم بها من المخطوب والزبا. ولو كانت القباصة تعتد
 قهرهم لكانوا جددوا الاضطهادات القديمة. وكانت الامور دائمة على عورها في الجبل
 الرابع اي السنة المائة بعد فسططين اذ تذكر الله الاحكام الدموية التي طرأت على
 المسيحيين. وفي الوقت نفسه هب الشعب الروماني الرابع في مراحمهم عند مشاهدتهم
 دم المسيحيين فلم هذه المدينة الظأى لدم المسيحيين حسب قول بوحنا الحبيب الى
 البرابرة وانزل بها البلايا الذرية التي ابعثها بابل قصاصاً لها. ولذلك دسوا رومية
 بهذا الاسم. وهكذا سقطت بابل الجديدة كالقديمة وكان منوطها عظمتها لانها تسبت
 بالقديمة بازدهانها لدى القوز وبقمارها بالاموال والملاذ وتدنست مثلها بعبادة
 الاوثان وضهدت مثلها لشعب الله. وانبا بوحنا الحبيب عن دمارها مترقاً فعبثت
 اذ ذاك من المجد الذي نالته بتقواها المتجهة الى الهاتها وامست مضغة في وسكانها في
 اقوال البرابرة الذين توثوها اربع سنوات بعد ان نهوها وذهبوا برسومها ولم يعف
 البرابرة الا عن المسيحيين ولم يتم انتصار المسيح الا بعد هجوم البرابرة فبرزت مدينة

مسيحية من دمار رومية القديمة وأمسّت معابد الاوثان مضروباً عليها سراق النسيان
بعد غفو رسومها

وعلى هذا فتسلسل الممالك عائد على الدين بالنفع وعلى شعب الله بالرعاية. وقد أبدى
عز جلاله لانيانو تسلسل هذه الممالك كما أبدى لم حالة شعبه المختلفة. ورايت من هذه
النسب ما يشمر بتدوم مختصر كانه رجل معد للانتقام من الشعوب المتناهية في
الازدهار. ولاسيما الشعب اليهودي العاق وقبل ان ولد قوروش بنتي سنة اشير اليو باسو
انه يكون ملكاً معداً لارجاع شعب الله وقصاص كبرياء بابل. ومنها دنار نينوى المخبر
عنه بنوع صريح ورهبان الذي دانيال اذ بسيط لدينا بوجيز الكلام كل ما يحدث
لمملكة بابل والمدايين والفرس والاسكندر واليونان وبوعز الى عنوا اتموخص ايمان
وقباحتة والى ظهور شعب الله العجيب على هذا المضطهد للثيم. وتنشوق فيها ايضاً الى
هبوط هذه الممالك بالتتابع اما الملك الروحي الذي كان المسيح رمزاً ان يشهد فاشار
اليو بصماتوا الخاصة كي لا يستطيع احد ان يشد عليه تكبراً وهو ملك قدسه الله يثبت
وحده خالداً وان طرأ الدنار على باقي الممالك لانه ملك ابنه

وقد عرفنا من قول بوحنا احكام الله التي لم تخف عنا على اعظم مملكة في ملكة
الرومانيين وامست رومية كهرها من المدن الشهيرة النموذجاً للمدل الالي اذا هبط
عليها نواب مدلهمة الا انها لم يفتق بها ما الفتق بضرها اذ لم تنن الى الابد لان
البلايا التي الملت بها تنتها من بقايا الاوثان وفي الان قائمة بالدين المسيحي الذي نبشر
يو في العالم كله وعلى هذا النمط ترى ان كل الممالك التي مر ذكرها قد آلت الى نفع
الدين ومجد الله كما اعلن ذلك تعالى الى انيانو

وعندما ترى في تأليفهم ان الملوك يلجون الى حجر البعثة ويصبرون لها عضداً يتبين
بك من ذلك دليل على انه تلجع الى التياصرة والملوك المسيحيين وبما ان اجدادك
اشتهروا بالذهب عن الكنيسة وبغيرتهم في نشر اعمالها فلا يفتق علي بان اخصصهم
صريحاً بهذه النبوات

ولما كانت في قصد الله اتخاذ هذه الممالك ذريعة يذرع بها الى قصاص شعبه
او هدايته او ائتماره او حمايته اراد ان يوضح انه مبدا هذه التدابير العجيبة اذ اعلن هذا
المرلدي الانبياء. ولذلك مكهم من ان يثيروا الى ما كان في عزيمه ان يبرمه وقد

تشاؤنا عن مسير هذه الممالك كما تشاؤنا عن تسلسل شعب الله الخاص اذ لها ارتباط شديد
معهما لما هو في قصده

وليكن لديك يقينا انه كلما احدثت على استقراء هذه الحوادث العظيمة واعادتها
الى مبدئها باخذ بك الحب كل ماخذ لدى اطلاعك على هذه الاحكام من لدن
النهاية الالهية وينبغي ان تقيس منذ حدثتك هذه المعارف التي تعجلى رويدا في عقلك
بانعلم ان نعيد الى نظام الحكمة الالهية الامور الدنيوية المتعلقة بها

ثم انه تعالى يريدنا بهذه الامثال الشهيرة ما يصنع بغيرها رجاء ان نعلم لنا دائما
مدينته على ايدي انبيائه في ما يباط بالملوك والممالك التي يوطدها او يدمرها كما صنع
بالممالك التي تكلمنا عنها وبعلم الملوك حقيقين جوهريتين وهما انه منشأ الممالك ومنهوها
ان يشاء وانه مستقدها لما تصده في ما يباط بشعبه في الزمان والنظام المبدئين وهذا
ما يلزم الملوك ان يمشروا انفسهم تحت سلطان مطلق وبجمعهم متبهرين لاوامر الله لكي
يكونوا في كل فرصة تسع لهم مضافرين ما يؤمل لخدمته

اما تسلسل الممالك وان اعتبرناه نوع عالمي فيجدي تقعا عظيما للمالك خاصة
لان الكبرياء الملازمة لهذه الممالك السامية تسقط لدى هذا المشهد واذ كان مشهد
موت الملوك يبعث النوع الانساني على ردع اهلهم فكم بالاحرى يجب ان يؤثر فهم
سقوط الممالك عندها وهل في الامكان ان يبدى باطيل العالم اكار من هذه
وعندما ترى القباصة والملوك والممالك التي ماتت لما الارض تمر كسبح العصر
وترى الاشوريين قديمين وحديثين والماديين والفرس واليونان والرومان يمتدحون
بالتتابع ترى دوي سقوطهم يوضح ان لاشي ثابت بين البشر وان التقلبات والاضطرابات
في من خصائص الامور الدنيوية

الفصل الثاني

ان تقلبات الممالك لها خصائص يجب على الملوك النظر فيها
ان تعلم ما يباط بارتفاع المالك وهبوطها واسباب نجاحها وانحطاطها بين لك
ان هذا المشهد اريد جدها واكل عظمتها لان الذي هو مبرم ارتباط العالم ودائم مع

عظم قدرته ان يشيد النظام بان تتعلق بعض اجزائه هذا المجموع ببعضها . اراد هو نفسه ان يكون لجرى الامور العالمية تسلسلاً ونسباً وذلك انه اقتضى ان يكون مناسبة بين صفات الشعوب والامم والمجتمعات السامية التي اعدت لهم . وهكذا لا يحدث تغير عظيم دون علة انت في الاجيال الفارقة عدا تلك الضربات المفارقة العادة والعظم الطبيعي اذ يريد الله ان يربط عمل يده وحدها

وبما ان لكل الامور ما يقوم بابرازها ويبحث على اجرائها ويؤيد عليها بالنفع والمجدها فمعرفة الخارج قائمة بامعان النظر في النظامات المكتونة التي هيئات الانقلابات العظيمة وفي الحوادث الخطيرة التي كانت سبباً لحدوثها

ولا يكفي ان نرغب الى الامام اي ان نعمن في هذه العوارض التي هي بغية امر الممالك بل ينبغي للمرء ان يتوخى الامور ويتشوق الى الشعوب العالمية ان رام كمال معرفتها وعليه ان يتخص الاميال والعوائد ولا سيما خصائص الشعوب المألوفة عموماً والملوك خصوصاً وكل مشاهير الرجال الذين كانوا سبباً لانقلاب الممالك والمهنة الاجتماعية بارتفاع مقاماتهم في العالم الى ذرى المجد والسيادة

وقد افرغت من الجهد كثيراً رجاء ان استدرجك من هذه الافكار المهمة المدرجة في اول جزء من هذا الخطاب . وقد امكن لك ان تطلع على اخلاق الشعوب والرجال العظام الذين تولوا امورهم . وقد ابدت لك الحوادث التي كانت ذات مفعول في المستقبل املت ملاحظات خاصة ذات نتائج قليلة الاهمية وذلك لانه افكارك الى النظر في تسلسل الامور العالمية العظيمة التي وددت لو انهمك اياها خاصة

وبما اننا مررنا بسرعة على حوادث شتى لم نعرض من الفكر جانباً حسب مقتضاها لتعلقنا بتسلسل الامور فقلنا ان بان تشبه خصوصاً الى هذه الحوادث وتعود عقلك ان يمتدح عن القاعيل في عالمها القاصية . وهكذا تنبئ ما هو ضروري المعرفة حتى انه اذا لم تنظر الا في هذه الانتقافات الخاصة بان انت التفادير وحدها انتهت تشبه الممالك وخرابها واما اذا توخينا الامور عموماً فنرى انه يحدث غالباً ما يحدث بلعب الميسر اذ يستظهر اللاعب الماهر على خصمه بطول المدة . وواقع الامر ان ذلك هو الذي استدرك الامور عن بعد واهتم اكثر من غيره وادمن زماناً طويلاً على اشتغاله العظيمة وقصاري الكلام انه التي بنفسه الى اشد الورطات والمخاطر . وان رعاية ذاته

في هذا السبب الدموي الذي حدثت به النجاة بين الملوك على الملك والسلطة في
مرجعة في النهاية حتى انه استقدم الافكار لتتيم مقاصده

فلا يعلق بك فتور ان تبحث عن علل الانقلابات العظيمة حيث لا شيء يقول
الى تفنيك مثل ذلك ولكن اجبت عنها خاصة في تسلسل الممالك العظام التي توضحها
كثيراً الحوادث العظيمة

الفصل الثالث

في السببين والحجش والمصريين

اني لا اعد هنا بين الممالك العظيمة ملكي باخوس وهرقل اللذين اغتصبا الهند
والشرق فليس ياربعها شيء يسر من الفقة ولا بافتتاحها شائع وانما نكل امر مدحها
الى الفعراء الذين جعلوها موضوعاً حملوا عليه حكاياتهم . واني لا اتعرض لذكر مملكة
ماد المذكورة في تاريخ هيرودوت وهي تضاهي بامور كثيرة مملكة هندابروس
المذكورة في تاريخ ميفستان ومملكة نيناس الموما اليها في تاريخ بوسينوس وقد شاهدها
هذا الملك زماناً وجزاً في اسيا الكبرى . فالسبتون الذين تولى عليهم هذا الملك
قهادة الحرب قد طردوا من الارضين شيئاً كثيراً ومع ذلك فلم يفهموا بنتوجات
تشتت اليها نظراً ولم يكن واجهم مملكة الماديين ومهم اهلها واسبلولهم على هذا
النم الذي عليه توطدت احكامهم الا بما قدر لهم الزمان من ملائمة السباريين ولم
يمالك هؤلاء الفاتحون الا ثمانى وعشرين سنة . وقد قضى عليهم طمعهم وكفرهم ونوحشهم
يفقدان اسيا فبعد ان نزعوها من ايدي سياكارين فاراخرات ظهر عليهم وطردهم .
وكان ذلك مبنياً على الخداع اكثر منه على القوة فانه لا ياحد اطراف مملكته التي
اهلها الظافرون او بالاحرى لم يتمكنوا من الاستيلاء عليها وترى هنالك صائراً
مرتباً الزمان الذي يغير هؤلاء الفاتحون قيمة البغضاء العامة ويقفون بايديهم الى
الملك لئلا يسبب عدم نظام حكمهم . ويوجد في تاريخ استرابون اسم ملك الجيش المدعى
تباركون فقد نقله هذا المؤلف عن ميفستان ويدعوه الكتاب المقدس طارق وهي
الذي التي رعة سلخته في العالم كله في زمان سشاريب ملك اثور ووصل بنتوجات

الى عواميد هرقل التي على شواطئ افريقية واجتاز من ثمة الى اوربا ولكن ماذا الذي افوه به عن ملك لا يذكر عنه المؤرخون الا ببعض الفاظ ولم يكن اساق السلطان. واما الحبشيون الذين تولوا زمان الامروقتد فينتا عنهم همدودوت انهم كانوا ذوي باس. وهما كل اجسادهم كبيرة وعقولهم ثاقبة لكنهم لم يعتنوا كثيرا بتثقيفها بل كانوا يفتنون كثيرا بقوى اجسادهم ويشد اذرعهم وكانوا يتحبرون ملوكا بالا قفراع ويجلسون على العرش الملوكي من كان اكبر جسما واعظم قدرة. ويمكن كل من معرفة مجايام والحكم عليها بمجاذب رواء لنا المؤرخ همدودوت وهواه لما بعث اليهم ملك الفرس كاميس سفراء يتجسسون عندهم ويخدعونهم واصعبهم بهدايا يتهادى بها الفرس وفي اثناء من ارجوان واسورة من ذهب وروائح عطرية هزئوا كل الهزائن اذ لم يجدوا فيها شيئا يعود على الحياة بالمداء والمنفعة وابتهاوا السفراء اذ اتذوم جوابس كما كانوا حنا. غير ان ملكهم رام ان يسدي الى ملك الفرس مدية حسب مرغوه فاخذ يده قوسا كان احد الفرس يكاد لا يستطيع حملها ولا يستمكن من ان يوترها فاوترها هو نفسه بحضور السفراء وقال لهم: هذه هي النسيبة التي يتصح بها ملك الحبش لملك الفرس. فتمنى استطاع الفرس ان يستعمل قوسي التي هي كبيرة وصلبة هكذا بسهولة تمت بها انا فليأتوا الى مناصبة الحبش ويجزؤون عساكر ازيد من عساكر الملك كاميس ومتى نالوا هذه البقية فليؤدوا الشكر للالهة التي لم تغول الحبش الرعبة في اعتداد شوكتهم خارج انصارهم

واذ قال ذلك حل القوس وطرح بها الى السفراء. ولا يمكن لنا ان نلف على صحة هذه الحرب الا ان كاميس غضب من ذلك وهرول الى بلاد الحبش كانه متوجه دون نظام اوتروي في العواقب فملك عسكر جوعا في البادية قبل ان يدنو من المدور. ومع ذلك فلم تكن شعوب الحبش عادلة كما كانوا يباهون ولم يكونوا محصورين في بلادهم فان المصريين الجاورين لم قد اخبروا مرارا قوة احطنهم وعرفوها. ولم يكن اساق في امور هذه الامة الوعرية. وان تكن الطبيعة قد ابدت فيها بداية بدء شعائر حسنة فمع ذلك لم تجز قط ما بدأت به. وبناء على لا ترى بيت اولئك الشعوب الا اشياء قليلة يمكن لنا ان نستقدمها ونجري على مثالها فلتقتصر عن التكلم عنها ونلج قليلا عن الشعوب المتهدية

فان المصريين هم اول من وجدت عندهم اصول الاحكام فان هذه الامة الرعينة
قد عرفت غاية السياسة الرائعة التي من مبادئها ان تجعل المعيشة غسرة والشعوب
سعيدة . وان حالة هوا البلاد غير المتغيرة قد جعلت القنول ثابتة لا يعتريها اضطراب
وبما ان الفضيلة في الركن لكل هيئة اجتماعية فقد اتفقوا بكل اعتناء وكان مصدر
فضائلهم معرفة الجميل وان السوءدد الذي اتالم الناس اياه لمقاتلهم في معرفة الجميل
اكثر من جميع البشر يوحدهم من انهم يودون الالة . فالجميل وثاني يرتبط به الاتفاق
الخاص والعام . وان من يعرف الاحسان يود ان يوليه احداً فاذا ساد الفضل
استمرت الملائكة بعمل الحسنى خالصة حتى اننا لا نرى ذريعة تصدنا عن التعود بها .
فشرائع المصريين كانت ساذجة متعمدة عدلاً وهي الوسيلة التي تجعل الانتماء سائداً
بين الوطنيين . فمن اجل مبادئها ان رجلاً استطاع انقاذ غيره من مخالب العجبات ولم
يفعل ذلك عوقب موتاً بصرامة يجازي بها القتال الجاني . واذا لم يستطع انقاذ
الصعلوك من ورطة فعليه ان يبذل الجهد في البحث عن قاتل الجريمة معه وقد عينوا
حدوداً لمن لا يتم هذه الفرائض فلذلك كان الوطنيون يترافعون . وكانت كل الملكية
مثابة القلوب على الاشتياق وكل من بينها منسوراً عليه ان يأتي باسم يعود عليها
بالمنفعة والشرعية تعين لكل هيئة التي تليق له وراثة من الاب الى الابن ولم يكن
في وسع احد ان ينفك بيمين ولا ان يغير حرفته . وكانت الحرف كلها ذات حرمة
وكرامة . وقد اقتضى الامر ان يوجد مصانع وانخاص متفاوتة كما انه اقتضى ان يكون
في الجسمان عمول لا يكون ضماؤها علة لانه ان الرجل والرجل واعضاء الجسم القوي فكذلك
كان للكهنة والمساكر بين المصريين سات اكرام خاصة . وكانت الحرف كلها خطيرة
وحقيرة منظوراً اليها بعين الاعتبار والناس يجالون انهم لا يستطيعون ان يمتنعوا
وطناً ان لم يكن اقترف جريمة بها كانت اعماله بشرط ان تؤول الى النفع العام .
وبهذه الوسيلة كانت كل المنون زاهرة حائرة كمال الاتقان وان الشرف الذي كانوا
يتطوقون به كان متمزجاً بكل شيء . وكانوا يصنعون احسن ما كانوا يترصدون صنيعة
فعاولوا ذلك كثيراً وترونا عليه منذ الصغر . ولكن كانت لهم شغل عام وهو درس
الشرائع والحكمة . وان من كان يجيئ الديانة ونظام البلاد لم يكن معذوراً من الدنيل
مهما كانت احواله . ومع ذلك فكانت كل مقاطعة لها هيئة منوطة بها . ولم يكن يحدث

أدنى انزعاج في بلد سعتها ليست كبيرة وكان الكسالى لا يمكن لهم ان يمشوا على
قطعة من الارضين يتوارون بها اذ يرون هذا النظام الحسن . وكان كل شخص
يعود على رعاية اعظم هذه الشرائع الحسنة وكلها بدت عادة جديدة كانت كأنها العجوبة
في مصر لانهم كانوا دائماً يصنعون الشيء نفسه وكانوا يحفظون الاشياء الكبيرة بسبب
الدقة التي يقومون باحفاظها من الاعياء القديمة ولهذا ليس قطر كصر ثبت شعبه على
رعاية عوائله وشرائعه زماناً طويلاً . وان نظام الاحكام كان يضاف على تخليد هذا
المبدأ ووقع الاقتراع على ثلاثين قاضياً من المدن الأصلية التاموا جمعية سود على
الملكية وتنفي عليها . واعناد الشعب الأبرى على هذا المنصب الأعدل اهل البلاد
واكملهم وكان الملك يعين لم دخلاً كافياً حتى اذا عتقوا من ارتبا كانت امر المعيشة
قضايا اوقاتهم كلها في ان يجاموا الشرائع مرعية . ولم يكونوا يخصون انفسهم بشيء من
الدعوى اذ لم يخطر لهم ان يحملوا العدل حرفة لكسب المال . وحذراً من الخديعة كانت
الاعمال ممتعة ومدونة في هذه الجمعية وكانوا يلعبون عن النصيحة الآفكة التي تهي
القلوب وتثير الشهوات ولم يكن من الممكن ايضاح الحقيقة الا بنوع خال من الزخرفة .
وكان رئيس المجلس يزين بطوق من ذهب وحجارة كريمة يتدلى منه على صدره صورة
تدعى الحق وكان تقلده بذلك دليلاً على ابتداء المجلس ومن كسب دعواه لدن المرافعة
كان يضع عليه الرئيس الصورة علامة لاصدار الحكم ومن وسائل المصريين للحفاظ
قواعدهم القديمة انهم كانوا يصنعون لها بعض احتفالات بكل ترو ورضوخ . ولم تسمح لم
اخلافهم الرضوية ان تضي كاحتفالات ساذجة ومن لم يكن له اعمال وكان سلوكه حسناً كان
المجلس ينفض الطرف عن فحشه عنه فحشه الصارم ولكن كان في مصر نوع من
الحكم غير اعتيادي لم يبلغ احد منه . فمن قضى عليه بشرب كأس المنون واسمه معتبر
عند قومه كانت له بذلك تعزية كبيرة . فذلك امر وحيد من الامور الدينية لا يستطيع
الموت سلبه ولم يكن متاحاً في مصر ان يرى الموتى اسوة فينضي ابرار حكم عام ليتأني
المحصل على هذه المأثرة الخطيرة . وبعد القضاء على رجل بالموت كانوا ياتون به
للحكمة فتحة كان المدعي العوي يصدر الدعوى فاذا كان في امكانه ان يبرز ادلة بينة
على ان معرأه كان سيئاً عوقب ذكره والى اولا الامران بدقنوه وحظروا . ان بنام
له صريح . وكان الشعب يتعجب من ساطعة الشرائع التي لاتزال المرء حياً اوجياً وكان

كل يفرق من ذلك بروحه هناك ذكر وعائلته وإذا لم تثبت على الميت جريفة كانوا
يدفونوه بكل تكربة واحترام وكانوا ينظرون **■** ولما يذبحون فيه شيئاً من مولد وكانت
كل مصر شريفة ولم يكن فيها أحد ينال اطراء من المدح ان لم يكن اهلاً لذلك
وكن يعلم كم كان المصريون يحفظون اجساد موتاهم فدرى الى الان اجسامهم
المحطة . وكانت معرفة الجمل نحو اقاربهم غير زائلة وكانت الالباء اذا نظروا اجساد
جدودهم يذكرون فضائلهم التي اقر بها الشعب العام ويستغفرون لخبثه الشرائع التي
ينزكونها لهم . ولما العاربة التي منها تولد النكل والخذاع والنزاع امر الملك اشيس
بان لا يتاح لاحد ان يستعير حاجة الا بشرط ان يرهن المستعير جسده اليه عند الاستعارة
منه ومن لم يسترجع هذا الرهن الثمين سريعاً ينقض عليه بان يكون ارتكب عاراً او كذباً
وكان كل من ترمق روحه قبل ان يقضي هذا الغرض المم بجرم من الجنابة والدفن
وكانت الملكة تنقل بالارث والملوك مقضياً عليهم ان يسروا حسب الشرائع اكثر
من غيرهم وكان بعض الشرائع خاصة منها احد الملوك وهي اسم من الكتب المكرسة ولم يكونوا
يشاحنون الملوك ولم الحق بان يسروهم ويضربوا عليهم بل كان الشعب يحترمهم ويكرمهم
كالالهة فان العيشة القديمة نظمت الامور كلها فلم يكن يحظر للرعية ان يعيشوا مع الخلق
اجدادهم وكانوا يحملون بلا مشقة ثياب كثة اللحم ومنادى الكل والشرب اذا كان من الامور
الاعتيادية في مصر ان يكون الجميع متقنين . والمناخ يحلمهم على التساهة وكانت كل
ساعاتهم ممتعة لا يشاء يصنعونها فاذا هوى من النوم يكره قراً وانحارهم اذ العقل يكون وتنتد
صافياً والافكار رائدة مريجة فيأتي لم اذ ذاك تصور جلي الحق في اشغالهم التي يتعمقون فيها
ولكن ارتدائهم اليهم كانوا يذهبون الى الهيكل لتندمة الضجة وهناك اذ كانوا
يحاطون بخدمةهم والذبائح على المذبح كانوا يحضرون الصلوة الملكة حكمة فيطلب ثمة
الكاهن من الالهة ان يحب الملك الفضائل الملوكية اعني ان يكون متعبداً للالهة لطيفاً
نحو الصالحين خطير النفس صادقاً صافياً متعبداً عن الكذب حراً ضابطاً ذاته معانياً
أقل من الذنب ومجازياً أكثر من الاستغناء وبعد ذلك يتكلم المهر عن الزلات التي يمكن
ان يسقط بها الملك ولكنه كان يقتض ان الملوك لا تقع بها الا بالخذلة او الجهل ولبعض
الوزراء الذين كانوا يقدمون لم الصالح السينة ويحذرون عنهم الحق . وهكذا كانت طريقة
تعلم الملوك وكان الناس يخشون ان الثريب يغضبهم وان الويلة التي لها النافعية في

تلقينهم الفضيلة في امانة ما يتوجب عليهم بدائع تطبيق على الشرائع بلفظ بها بكل احترام
امام الالهة فبعد الصلوة والتفحيط كانوا يخلون امام الملك في الكتب المقدسة نصائح
الرجال العظام وانعالم ليحكم مملكة حسب قواعدهم ويحفظ الشرائع التي جعلت لسلالة
ورعاياهم بعدهم

والدليل على ان هذه النصائح كانت تصنع وتسمع بكل احترام هو لانها كانت ذات
مفاعيل رافعة . فبين النيايين اي بين السلالة الملوكة الاصلية حيث الشرائع كانت
مرعية بكل دقة . وكانت منسلطة على الكل كان الملوك اذ ذاك اثبت الناس واعظم
برعايتها والمركيزان اللذان اخترعا العلوم والترتيبات المصرية كانا من ملوك نيا وكان
حدهما قريبا من زمان الطوفان والاخر المدعوا ترميا جيس او عظيميا ثلاث مائة
كان معاصرا لموسى وقد استنادت كل مصر من تعاليمها وما اللذان كانا باعاديها
سببا لان تحصل نيا على ملوك امثيا غلبت وكان ان من بعدهم عن الملوك الاردباء مث
حياتهم لانهاء الراحة العامة ولكنهم لم يكونوا يتقاعدون عن اصدار احكام عليهم بعد موتهم
وكان بعضهم يحظر دفنه غير ان من كان يتندي بهم قليل . ومع ذلك فان الخلب
الملوك كان الشعب يودهم كثيرا حتى ان كلاً كان يذرف الدموع على فناءهم كأنه
يبكي على ابيه او اولاده وكانت عادة الحكم عليهم تدو كأنها مقدسة لدى شعب الله بنوع
انه قد استمر على مارسها . وانا انرى في الكتاب المقدس ان الملوك الانشياء كانوا
يموتون من الدفن في الجود اجسادهم . وبنينا يوسفوس ان هذه العادة استمرت الى
زمان المكابيين وكانت تعلم الملوك انه اذا كانت السلطة رفعتهم عن الحكم البشري مدة
حواتهم فانهم يجارون به لدن مساواة الموت ايام بساتر الناس

وكانت غنول المصريين جاتحة الى الاختراع غير انهم كانوا يستقدمونه للشعوب
المسيحية وكان المركيزان اللذان حكماهما قد ملا مصر من الاختراعات العجيبة ولم يتركها الناس
يجعلون شيئا مما يجعل الحياة سهلة . اما انا فلا اترك للمصريين وحدهم المجد الذي اولوه
اوزيريس يكونه اخترع الفلاحة لان هذا الفن قد وجد في كل الازمنة في البلاد القديمة
من الارض التي انتشر الجنس البشري ويظن انه اخترع منذ ابداء عالم وان المصريين
يجعلون زين اوزيريس في الاجيال الحالية اذ يبدو جليا انهم قد خطوا زمانه بابداء
العالم وقد راموا ان ينسبوا الى ذاك الزمان امورا كان اجها قبل كل الازمنة المعروفة

بتاريخهم لكن ولو كان المصريين لم يخترعوا الفلاحة وسائر الننون التي نراها قبل
 الطوفان فقد انقوتها غابة الاقان واقرعوا الجهد في سبيل تجديددها بين الشعوب
 الذين قد انساهم اياها ونحسبهم ليس يعدم بذلك اقل ما لو كانوا اخترعوها . واخترعوا
 فنونا كثيرة الاهمية ليس في امكاننا ان نذكرها عليهم . وما ان يعدم لم تكن متشعبة
 وما ودم كانت صافية لا تقبلها غيوم كانوا اول من راسب سيرا الكواكب ونظم حساب
 السنين وهذه الملاحظات قد اوصلتهم الى علم الحساب . واذا كان ما يقوله افلاطون
 صحيحاً من ان الشمس والنجم علما البشر معرفة الاعداد اعني انه بدى بالحسابات
 المربنة بحساب الايام والاشهر والسنين . فان المصريين هم اول من صنع ذلك وقد
 عرفوا ايضا الساعات وغيرها من النجوم ووجدوا هذه السنة التي جلبت السماء الى
 جدبها والمجنوا الى معرفة علم مسح الارض وجاء ان يعرفوا اراضهم التي كانت مياه
 النول تغشيها واتصلوا بذلك الى الهندسة وكانوا يراقبون الطبيعة مراقبة حسنة وكانت
 قوية وغريبة بينهم بسبب الهواء الجيد والشمس الحارة وهذا ما جعلهم ان يخترعوا الطب
 ويتقنوه فبذلك كانت كل العلوم لديهم خطيرة جداً . وان مخترعي الاسماء الملية كانوا
 يحصلون قبل موتهم وبعده على جزاء نستحقه انما لهم . وهذا الذي جعلهم ان يعتبروا كتب
 المراكيب مقدسة وجعلوها كتابها كتب الهة . فاول شعب حاز المكتاب هو الشعب
 المصري وان ما نلده من الانقلاب بعث الناس قاطبة على المسارعة الى ولوج الامصار
 المصرية والبحث عن مكنوناتها وكانوا يدعونهم كنوز ادوية النفس فان النفس كانت
 نشفيها الجهل الذي كان فيها مرضاً عيياً وجرثومة كل الادوية . وان الامور التي
 كانت لها المقام الاول في عقول المصريين هي اعتبار الوطن والمجنوح اليه وكانوا
 يقولون ان الوطن هو مسكن الالهة التي حكمت فيه احكاماً كثيرة غير معينة وكانت
 الوطن انشأ ارباطاً كثيرة وحيوانات متباعدة ترويه مياه النيل مع ان سائر الارضين
 كانت غفيرة . واما الحكمة الذين كانوا يكتسبون تاريخ مصر مع توالي الاجيال غير
 المحدودة ويأثرونها حكايات وانساباً الى ائمتهم فكان قصدهم من ذلك ان يرمخوا في
 عقول الشعب قديمة بلادهم وشرقها ومع هذا فان تاريخهم الحق كان منضماً حدوداً
 راسية ولكنهم ارادوا ان يقالوا في فصحات شاسعة من الزمان الذي يدبرهم من الاولية
 ولذلك كانت محبتهم للوطن لها الاس الوطيد وكانت مصر اجمل بلاد العالم واخصبها

أرضاً وانقضا بلداً بفنونها وانقضا شعباً وانقضا مدينة واحدة واحسبها محلاً واعطها ملوكاً
وكان كل امر من اعالم ومقاصد عظيم وبصر تصديق ما قاموا به في نهر
النيل فان المطر لا يهطل في مصر كغيرها من البلدان ولكن هذا النهر الذي يستلها
بفيضاته المظم يتوم مقام الامطار والثلوج التي تساقط في غيرها من البلدان
وقد ادخلوه مصر باقية لا تحصى طويلة عريضة جداً . وكان بقي قوى الارض
بما هو النافعة ويوصل المدن ببعضها ويتروى البحر الكبير بالبحر الاحمر ورعى التجارة
داخل الملكة وخارجها ويتروى على مكاشحة الدور وكان متيناً للبلدان وعامياً لها .
وكان الناس يفادرونه بسفح في البوادي غير ان المدن كانت مترفعة عنه باعالمها
القريبة كأنها جزائر في وسط المياه ترى وهي رفيعة كل المقول مغمورة بمياه من تحيها .
ولما كان ببعض نوع خارق المادة كانت البحيرات العظيمة التي انشاها الملوك تمد
اقوامها الى ان تزدد بماء المشرق وكان قد هي مصر هذه البحيرات التي كانت
تغنيها وتغنيها سدوداً لدن انتشاء الحاجة . ولم تكن المياه تسمر على الارض الأريها
تجعلها غنصة . وهكذا كانت استعمال البحيرة العظيمة التي تدعى بحيرة مريس
أو مريس وهو اسم للملك الذي امر بانشاها . وتعتري الدهشة كلاً من الناس عند
شعوره ان قد كان هذه البحيرة مائة وثمانون فرسخاً امتدت من ناحية لبية لثلاث
بالارض الجيدة خسارة لدن حفرها . وكان الملك يكتسب من الصيد شيئاً كبيراً . ولما
كانت الارض تبت شيئاً كان الناس يتخذونه كوزاً يغمرون عليها المياه وكان ثمة
هرمان على كلب منها عرش عليه شخص عظيم الكنة احدها تثال مريس والآخر
تثال امراته وكلاهما يرتفع ثلاثمائة قدم فوق ماء البحيرة ولها الطول نفسه تحت غمرات
مياهها وذلك من الادلة على انها انشئت قبل ان يتلى جوف البحيرة . وان الناس
انشئوها رحبة في عهد ملك واحد . ومن لا يعرف الى اي حيز يمكن تدبير الاراضي
وزوفرها يحسب ان ما يقال عن تعداد مدائن مصر اقاصيص وحكايات . ولا يمكن
ان يصدق ما في عليه من الغنى ولم يكن وقتئذ مدينة غير مفعمة من المياه كل
العظيمة والصور الشائخة . وكان فن البناء يبدو في كل اين سوسرة البسط
والعظمة التي فلا العنول وتدرجها وكانوا يسطون في مرادفات كبيرة القائل
والنفوس التي كان الوثنيان يتخذونها قواعد وكانت فيه تنامي اجل مدن العالم . وان

ابوابها المئة التي انشدها اوديسوس الشاعر كان الجميع يعرفونها وكانت كثيرة السكان
مقدار ما كانت رحبة . وقد قيل ان عشرة الاف محارب يخرجون اسوار من كل
بابها . وان يكن في هذا التول مغالاة فان شعبها كان عسرا احصاء . وامتدح
اليونان عظمتها وكبرها لما راوا دنارها لعظمة الاثار التي كانت فيها

ولا مرأه ان حجاج عصرنا لو وصلوا الى ذلك المكان حيث كانت تلك المدينة
موطة لكانوا عثروا على اثار لا فريب لما بين طولها لان اعمال المصريين من
شأنها ان تغاي الزمان والمخطوب المدفنة . فكانت تماثيلهم تضاهي الاجرام الكونية
وعواميدهم شتى شاهقة . وكانت الملكة المصرية تدأب في الياء والعظمة وترغب في ان
تدهش عن بعد الابصار مع انها كانت نفراً برومية هندامها وقبائلها الحكمة
واكتشف الناس في الصعيد هياكل وقصور لم تزل الى الان في حيز الوجود بها
عواميد وتماثيل لا تحصى وما يبعث على الحيرة والدهشة فصر لم تستمر طولها الى الان
الا لزاله مجد الاعمال العظيمة كافة

فارعة من الاروقة الشامخة المزينة على كلا المحدثين باي الملوك المؤلف من
مادة نادرة بعظمة جرمها في كعابر لاربعة ابواب تحمير الافكار بسموها ، فيما ارحبها
واعظمتها . وان الذين وصلوا الى هذا البناء العجيب لم يقض لهم الزمان آناً يجولون
فيه حولة وليسوا على اثبات من رومية جانب منه ولكن كل ما راوا منه مذهل
وغريب . فاحدى القاعات المشيدة في وسط هذا القصر الباذخ كانت مركبة على ستة
وعشرين عموداً يحيط بخن الواحد منها اثني عشر ذراعاً ومثمنة الكبر الا انها متزوجة
بمئات صامت الدهر ولم يستطع اعباطها وما زالت الالوان قائمة بين اثار هذا البناء
الغريب وحافطة الى هذا الان حداثها وجمالها الاول طالما كانت مملكة مصر تقطع
بافعالها سعة الخلود . وما ان الان قد ذهب في العالم اسم الملك اويس الرابع عشر وذاع
في كل الاقطار البسيطة وهو يد بعيداً المباحث التي يغد منها اجل اعمال الطيعة
والفن امسى من متبادر الامر ان يكون ذلك موضوعاً يلقي هذه الرغبة السامية اي ان
تكتشف الخامن المطورة على قنار بلاد الصعيد وان تريد في هندسة ابتينا باختراعات
المصريين . فما الشوكة او ما هو الفن الذي استطاع ان يصير هذه البلاد اعجوبة العالم .
واذا رأينا هذه الامور الغريبة في البلدان الناحية فاذا الذي عسانا ان نراه في العاصمة

وانما على مملكة مصر وحدها ان تقيم آثار فاخرة محنة فلم تزل مسلاها الى هذا
اليوم اجل ربة في مدينة رومية سواء كان بزهاها او بارتقاها . وقد آيست السلطة
الرومانية من مضاهاة المصريين وحسبت انها تريد فخرا على تخرم اذا تسنت بمآثر
ملوكهم . ولم تكن مملكة مصر قد شاهدت من الابنية الشاهنة سوى برج بابلى لما
ابندعت الاهرام التي نالت بهمتها وعظها راية الظفر بالاجيال والبراق . وان ذوق
المصريين السليم حذاهم منذ ذلك الزمان الى مجرد ود المكنانة النظام في الفن . ليست
الطبيعة توجب من تلقاء نفسها الى هذه الهيئة البسيطة التي يخفى على البشر جدا العود
اليها اذا ما افسد الذوق حب الطرق الجديدة والاندام القريب ومهما كان من
الامر فان المصريين لم يبدوا سوى اقدم مرتب لانهم لم يطلبوا اختراعا ولا طريقا
الا سبغ هيئة الطبيعة المتنوعة ونقشها غير المحدود وطالما انفقوا انهم وحدهم الذين
ابدعوا كالاته اعمالا خالصة . ولم تكن الكتابات التي على الاهرام اقل اعتبارا من هذا
الصنيع نفسه . وكانت كتابها تناسج الناظرين اليها واحدهم المني من الآجر كانت
يحذر الجميع من مقايسته على غيره وانه يسمو علوا على سائرهم كما ان المشتري يتمالي
على جميع الالهة الا انه منها اجهد البشر نفوسهم فلا يلبث ان يبان ومن قوامهم وعدمهم
في كل ابن . وكانت هذه الاهرام رموسا غير ان الملوك الذين شادوها لم يكن من
سلطانهم ان يلحسوا فيها وهكذا لم يهتموا بالحصول على الحدود

ولم يكن من دأبي ان اتكلم عن القصر الهلي المدعو لايرستلو لم يثبت لنا هيروdot
انه يفوق الاهرام جدا . فانه شيد على ضفة بحيرة ميري ونح منظرًا موافقًا لعظمى وعدا
ذلك لم يكن قصرا واحدا بل لفيقا من القصور البهية تعدادها اثنا عشر قصرا متصلة
ببعضها على غاية النظام . وكان يكشف ذلك الف وخمسة قاعة متدرجة بالسلوح متظلة
حول اثني عشرة بحيرة لانيي محرجا لمن دام دخولها قصد الزيارة وكانت بقدر ذلك
ابنية تحت الارض مهيأة لان تكون رموسا للولك ومكانا لعائلة التامسج المقدسة التي قد
وجدت لها هذه الامة الفاتنة بنور الحكمة الطبيعية . ومن يمكن له ان يرى ذلك ولا يعتبره
تجمل بل يتوكل على عمه العنل الانساني

فلما نأخذك الدهشة بايدي عندما ترى كلما عظمة في رموس المصريين . ففضلا
على انهم شادوها بان تكون آثارا مقدسة لثري الاجيال المستقبل ذكر الملوك العظام

ويعدم بحسبها أيضاً كتناوي سرمدية . فمن الحق ان الديار غدت فنادق بقطنها
المسافرون ابدأ بقضوت بها حيوة وجيزة لا تتج لم يتوال جميع مرغوباتهم وانما الديار
الحقيقية هي الرموس التي ازمعنا نحن ان نقطنها منذ احتباب شتى

ومن المنذر ان كدح المملكة المصرية لم يكن منصوفاً على الجاهلات بل كان جل
اهتمامها متوقفاً على تثقيف البشر . وقد ايقن اليونان كثيراً ان رجالهم الشهيرين كهوميروس
وفيساغوروس وافلاطون واكوركوس نفسه وسولون المشفقان النحريران وكثيرون
غيرهم ليس هنا موضع بسط الكلام عنهم ذهبوا فاكبوا على تعلم الحكمة في مصر ورام الله
ان يمدى ويثقف على حكمة المصريين لانه شرع بذلك يكون قدبراً قولاً وخلاً لان
الحكمة الحقيقية تستقدم كل شيء والله لا يرغب في ان الذين يرحي اليهم يهاون الوسائل
الانسانية الناشئة عنه تعالى على وجه آخر

وقد درس حكام مصر السياسة التي تجعل العقول ناقية مكينة والاجسام قوية
البنية متينة والنساء كثيرات النسل والاولاد اقوياء اشداء وهذا كان الشعب يهو وتزيد
قوته وعدده

ولاريسب ان البلاد مائة طبة الا ان الفلسفة طلعت اهلها ان المرء لا بد له من ان
يضاعف الطبيعة ويكون مظهرها . ومن الذين ان قد يوجد فن تثقيف الاجسام كما وجد
تثقيف العقول وقد عرف الاندون جيداً هذا الفن الذي اشد لنا عليه جلاب
الدوالي بعد ان انفصل اليه المصريون . ولقد طالما مارسوا الصناعة ولاسيا الاشغال في
سبيل هذه الغاية الماثورة . ففي احد مضامير الممارك العظيمة التي شاهدها هيرودوت
عوماتيين ان جماع الفرس كانت تسلك النصب وجماع المصريين صلدة جداً تحاكي العقور
التي حولها فذلك يدل على رخاوة جيش الفرس وقوة المصريين وبطشهم اللدني
يتأثران عن الصناعة والاشغال الشاقة . وقد اجري في مصر بهارة عجيبة السمر على
الارجل والخبول والعجلات ولم يكن في البيضة كلها اناس جذرون بامتطاء الخبول
كالمصريين . واما اشعار ديودوروس ايانا ما هم ابداً السكفاح بان يكون تمريناً يجلب
قوة خطيرة سر بعة الزوال فهو عزوه الى كنفاح المصريين المتجاوز الحمد الذي عابه اليونان
وتخذوه غير لائق بالاحرار مع انهم توجهوا في ملاعبهم الفانزين مراراً . الا انه يليق باهل
المكرمة اذا اجري بهدالة . واشعرنا ايضاً ديودوروس نفسه ان مكرور اله المصريين

أبدع أصوله مع فن تزييف الاجسام . فقلنا ان نصح ايضا لما يقوله هذا المؤلف نفسه
 فيما يناط بهن الموسيقى فقد اهتم المصريون كثير الموسيقى المؤدية الى الرخاوة واحسبوا
 ذريعة لترفع الشجاعة من الابطال وقالوا ذلك يودي بهم الى التثت والرخاوة وسهونة
 الامر ان هذا الفن العظيم يرفع قوى العقل ويطرب القواد بالحنانة المتسفة وليس من
 الحق والصواب ان يناف منه المصريون . فقد روى العلامة دبودوروس نفسه ان قد
 اوجع اهلهم مكرور وقد ابدع ايضا رمآلات الطرب . وفي احتفالاتهم وهم حاملون اسفار
 ترسما جست كان يسير المرثل في مقدمتهم ويذكر رمز الى الموسيقى الا علم لي به لو كانت
 التسايح . وخلاصة الامر فان المصريين لم يجازم افكارهم شيئا من شأن ان يذهب العقل
 ويرفع شأن القواد ويوقوي الجسم وكانوا يفهمون برواسب اربابا الف جتدي رعاية
 لانياء وطلهم الذين طالما تعودوا التمرينات الحربية وقد كانوا يحفظون شرائع الجندية
 بكل سهولة او بالاحرى كانت الضبعة تخولم ذلك فان الآباء كانوا يلتزمها على بنهم
 علما بانهم مزمعون ان يخشعوا بالهن الحربية كما يخلف الابن ابيه في سائر الوظائف
 وكان الذوم المشعون بردها الجندية مغشورا اليهم بعفت الاحترام والكرامة بعد ذرية
 الاحبار وكانوا يسمون شرفا على سائر الخلقين كما في بلادنا . وليس من داني الحكم على
 المصريين انهم كانوا في غابر الزمان امة حربية فجهدهم للجنود المظلة كان امرا زهوقا
 وكانت حارستهم الاعمال الحربية ومعاودتهم صورة الحروب عينا . انما لا يصير الناس
 جنودا مستعدين بالمواقع الا في المعارك الحقيقية وطالما وذا المصريون السلام لانهم كانوا
 يودون الانصاف ولم يكن لهم حاجة للجنود الا للدفاع عن انفسهم فلذلك لم يفكروا
 قط في ان يوجهوا نيران الرمي قصد الافتتاحات بل كانوا يكتفون بما هو لهم وبما ينحصب
 علام . وقد امتدت مملكة مصر من جهة اخرى وبشت غللات الى جميع الامصار
 انتشرت بهم الشرائع والآداب وتوافدت سكان المدن الشهيرة على مصر ليشتروا فيها
 ويعلموا عوائد اهلها القديمة ويجرعوا من ينابيع ادابهم الحسنة واستشارهم كثيرا في
 اصول الحكمة وذلك لما عزم سكان اليديا على تنسيد ملاعب الالومياك التي هي
 اشهر ملاعب اليونان بعثوا برسالية حافلة يطلبون بها تصديق المصريين عليها معهم
 وتلقوا منهم وسائل حديثة لاقفاء البسالة في افئدة الحارمين . وقد استولى المصريون
 بحكمتهم زمانا وبانت الشوكة لديهم اعظم من مملكة توخذت اركانها بتليل الاسلحة

وقوى الجنود وأما ملوك تائب وإن كانوا أقوى من ملوك مصر كافة فانهم لم يحملوا قط على الممالك الدانية . ومن سواغة الامر ان يقال انهم سلبوها من ايدي الاجانب لانهم استولوا عليها قسراً عن ارادة قاطنيتها والحال انهم فاقوا سواً على جميع الفاتحين بما اخذوا بفحون . ولست دائباً في كلاي الى اوزيريس هازم الجنود فمن المترانه باخوس نفسه او احد الابطال المتوجه في الافاصيص المروية فابوزوستريس سواء كان عمله بولر غريزي او بحت خلقى او سلطان هاتف كما يزعم المصريون قد ازمع على ان يصير ابنه من اشهر الفاتحين فشرع كعادة المصريين اي بالافكار السامية وامر ان ياتوه الى القصر الملوكي بجميع الصبية الذين ولدوا في اليوم الذي ولد فيه سزوستريس فاعتنى بتفنيهم وتدريبهم كاولاده وكان يقينهم على مائة واحدة بجانب سزوستريس فادبرهم الصفات المحيرة ولهذا لم يكن له وزراء امينون ذوو حمية لدن اخطار القتل نظيرهم . ولما حلن في السن حنكم بان الحرب اذ اضرم على العرب نار الوغى فالتجأ هذا الشاب حينئذ ان يكابد شدة الجوع والظلماء وارزح تحت يرشوكه من الامة المتوعدة في العصيان الى ذاك الحين وبعد ان عاود الاشتغال بحرية بافندامو على هذه الفتوحات وجد ابوه افكاره نحو غربي بلاد مصر ففهم على اقليم لبية وارضع تحت يده قسماً عظيماً من هذه البلاد السامية . وفي ذلك الوقت عثت به برائن الردى وتركه اهلاً لمباشرة كل ما يرغب فيه ففهم في فكر ان يفتح العالم بأسره الا انه قبل ان يراىل مملكته استدرك الامان داخلها وملك اثنته شعوبه بخائفو وعدلو وجعل الاحكام في نظام تام بمصانفو العظيمة ومع ذلك فقد كان يتأهب لمصادمة الاعداء في جيش الجيوش واقام عليهم قادة الشبان الذين رباهم والله معه على مائة واحدة وكان عددهم يتوف على الف وسبعماية كلهم جديرون بان يلقوا المحاربة واليسانة وروح النظام وحمية الملك في قلوب الجيوش كله . ولما اتم ذلك على هذا الاسلوب دخل بلاد الحبش واغرى الحبشيين بان يؤدوا له الجزية وهكذا ادمن على الفوز في اسيا - وابورشليم في المدينة الاولى التي شعرت بداهة عبده بيأس جنوده ولم يستطع رجيعام الجري الى مقاواته بل سلب منه سزوستريس خيرات ايو سليات وامواله فمكثا فضت العناية الالهية للملك الشرير عقاباً اليها ثم اقترى سزوستريس بلاد الهند اكثر من هرقل وباخوس ووصل الى اكثر ما وصل اليه فيها بعد الاسكندر العظيم لانه البلاد تقع التي وراء نهر السنج ومن ذلك يمكن لك ان تستنتج

هل قاومت البلاد الدانية عزه. فغلب على الميتين حتى نهر التنايس لان بلاد ارمينية
وكبادوقية رخصنا لاوامر ونواحيه فترك محلة في مملكة كولكوس القديمة حيث عوائد
المصريين لم تنزل ثابتة ومشفرة الى هذا الحين. وقد رأى فيرودوت في اسيا الصغرى آثار
ظفر من بحر الى آخر مع كتابات فاخته بشأن سزوسندريس ملك الملوك وسيد
العمادات

وقد وجد منها في اقليم تراسا ايضا. وامتدت مملكة سزوسندريس من نهر الكافج
الى نهر الطونة وانما صعوبة المعيشة صدت عن اقتناء بلاد اوربا فعاد بعد تسع سنوات
من سفره بثقله جميع الشعوب الذين ارهقهم بالغنائم والاسام فمهم من دافع ببسالة عن
استغلالهم وحررتهم واخرون سلموا دون ادنى مقاومة وقد صرف العناية سزوسندريس
بأن يوعز في آثاره ونواحيه الى اليونان بين هؤلاء الشعوب بأحرف رمزية تدعى
(ابروغراف) حسب عادة المصريين وقد اخترع الرسوم الجغرافية برسم عليها مملكة
واقام مائة وواحد شهيرة توطدت في سبل تسيح الالة الدائرة عن المدائن وجعل جل
ذلك منصورا على تذكاري فوزه واعلمت بكتابات هذه الاعمال العظيمة قد نجت دون
ان تعفى رعاياها وكان بعد من سوده ان براعيهم وان لايمك في آثار فوزه سوى
الاسرى. وقد اثنى بذلك افانوج الملك سليمان فلم يستقدم هذا الملك الحكيم في الاعمال
العظيمة التي خلادت اسمه وذكرى ملكه سوى الشعوب المستعبدين والموهدين الجزية
لحكومتهم. على ان الرعية اعدت لالاعمال اخرى اعظم واشرف فكانوا يعملون من
الحرب واصدار الاوامر للجندي ولم يستطع سزوسندريس ان يقضي آثار اعظم من ذلك
فترجع في دست احكام مصر ثلاثة وثلاثين حولا وتتم بانتصاره زمنا طويلا. ولو لم نعتد
الكبرياء على ان يجعل الملوك الذين فهم يحرقون مركبة اسكان اعلا لكل مجدي وفخر.
ومن الذين انه انب من ان يموت كسائر الناس. ولما امسى لدن شيخوخته اعنى انهم
وغادر الملكة المصرية لثورة وبيرة ومع ذلك فلم تبلغ مملكته بعد موته النسل الرابع
الا انه بقي منها الى عصر طباريوس فيصر آثار منقحة تدل على عظمتها وسعة دائرتها
ان الملكة المصرية عادت فورا الى ما كانت عليه من طبعها وهو الرغبة في السكينة
حتى انه كتب ان سزوسندريس كان اول من اوهن عزيم المصريين بعد فتوحاته
خشية من وقوع العصيان وبناء عليه لم يتخذ هذه الوسيلة الا كاحتياط على خطاه. فانه

لم يكن ينجي من شعوبه بألفانهم كانوا يودونه ويخرون امام عظمه مجدا نظرا لما
 انطوت عليه سجاياه الحميدة من الحكمة والحلم ولذلك لم يكن هذا الفكر لائفا بملك
 اخذت منه العظمة والمهابة كل ماخذ ولو لم يكن كذلك لسكانت مفادرنه بسالة رعاياه
 في حيز الوهن ضرباً من عدم استدراك الوسائل الكبرى لتوطيد اركان فتوحاته . ومن
 المتراريضاً ان هذه المملكة العظيمة لم تثبت مطلقاً . ولا مندوحة للافتراض في امي وجه
 كان لان روح الانقسام والشعب اخذاً بمتدان في بلاد مصر . وقد اغار ساباكون الحبشي
 على هذه المملكة في عهد الملك انيزيس الاعني فعامل الشعب بالرفق والبرودة وقام
 بشئون خطيرة لم يبلغ اليها احد من الملوك الوطنيين فلم يربأبداً اعتدال كاستداله لانه
 بعد ان مضى خمسون عاماً من حكمه السعيد عاد باليمن الى بلاد الحبش انهباً لاوامر
 بعض الناصحين له فذلك امر خالاه افاماً من لدن الالهة . ومنذ ذاك الحين هبطت
 المملكة بايدي سائون كاهن فولكان المروق بالبر والني لانه قابل المعرفة عدم
 الخبرة في الامور الحربية . وقد اهل قوى الحندية اذ عامل الجيوش واهل الحرب معاملة
 سيئة ومنذ ذاك الحين لم يعضد المملكة المصرية سوى جنود اجانب ومن ثم اندثرت
 في مصر بلانيا عظيمة فان المصريين تغيروا لم اثني عشر ملكاً يقتسمون بينهم الحكم
 وهم الذين بنوا الاثني عشر صرحاً التي شالف منها اللايرت وان تكن
 المملكة المصرية لم تسدل على عظمتها القديمة ذبل السيان فقد امنت واهنة القوى
 بنشعبت في عهد هؤلاء الملوك الاثني عشر واصبح احدهم المدعو سامانيك ملكاً
 باعانة الاجانب له فقامت به المملكة واستمرت عزيزة قديرة مدة خمسة او ستة احكام
 ملوك . وقصارى الامر ان هذه المملكة القديمة بعد ان مكنت غنى من سخاية عام
 اصعب ملوك بابل وملوك الفرس قواها وامست فريسة لكاسير الذي هو اغني من
 الملوك طراً

ان الذين عرفوا جيداً اخلاق المصريين استدلوا انهم لم يكونوا امة حربية . وقد
 ارعنا اننا الى امة ذلك لانهم قد عاشوا في الطائفة غنى من الف وثلاثماية سنة لدن
 بروز الملك اثنتي عشر المهر اعني به سزوسنريس فهكنا قسراً عن ارادة جنودهم المرحبين
 بعناية جريئة راينا اخيراً ان قوتهم كانت قائمة بالجيوش الاجانب وهذا من اعظم
 اذقوام والمعائب التي يمكن للمالك اقتراضها . لكننا الامور البشرية ليست ابداً على كمال

ومن الامور العجيرة الوصول الى ذروة الكمال في فنون السلام والفوائد الناجمة عن الحرب ولكن ليس من الجهد الطفيف استمرار هذه المملكة ستعشر جيلاً وقد حكم في مدينة نائب هذه الفترة بعض الحبشيين ومنهم ما يكون قاراكاً حسب ظن الاكثرين الا ان المملكة المصرية اتخذت هذه الافادة من تقويم حالتها المنظمة وقوانينها المرئية غير ان الاجانب الذين اتفقوا غادروا عوائدهم جانباً ونسوا بعوائدهم . وعلى هذا لم يكن المهربون يفتقدون حكومتهم بتغير ملوكهم وحكامهم . وقد شق على مضر احوال الثرس واذا الرضوخ لبرهم القبل الا ان المملكة لم تكن ذات بطش وصوله كاتفنا للقوة هذه السلطة القديمة بقوة جيوشها . وقد النجا اليونان ان يهاوها لانها كم في امر آخر . وطالما امدوها بالاعانة سائنا وخادوا عنها وكانت تستقط دائماً في عهد ولاه ملوكها الاولين الا انها استمرت مستمكة بعوائدها القديمة وامست غير جديدة بان تعلو احكام ملوكها الاقدمين وشرائعهم ومع انها نسكت بامور كثيرة على عهد نبولماس وخانيانوخان اغيلاط عوائد اليونان والشرقيين كان عظيماً جداً حتى انه لم يبق امتياز بين عوائدهما وعوائد المصريين القديمة

فلا لسون اذا ان ازمة ماوك مصر القدماء غير محقة حتى في تاريخ المصريين انفسهم لانه يشق علينا ان نجد عملاً لذلك اوزيمداس الذي نرى منه آثاراً عظيمة بنينا دودوروس عنها وادلة ساطعة على حروبه وبلوح ان المصريين لم يكونوا يعرفون اباسوسندريس الذي لم يذكر هيرودوت ودودوروس وان شوكة نبات من الانار التي في العالم اكثر من نوازع وطيوم هذه النجج وغيرها تبين لنا انه لا يتنضي ان يصدق كلما روت لنا المملكة المصرية بشأن قدميتها كما كان يخال البعض مع انها هي فيها لا تعرف ازمة ملوكها الذين ملكوا ناصبة الشهرة اكثر من غيرهم

الفصل الرابع

في الاشوريين القدماء والحدشيين والماديين وقورش

ان مملكة المصريين العظيمة تعتبر كأنها منفردة عن غيرها وليس لها منفرد متصل كما نرى وما ينبغي علينا ذكره هو اكثر تحقيراً ونوازعاً اشد يقيناً

ومع ذلك فلم يبق علينا الا اشياء وجيزة مختفة ناطق بملكة الاشوريين الاولى
 ووجيز الكلام نقول : في اي اينر شاوروا ان يبنوا مبدأها اتباعاً لازاء المورخين
 الاشباينة جاء نينوس لما كان العالم مجترأ الى ممالك شتى حقيرة امراوها بنهمكون في ان
 ينظروا الى ذواتهم اكثر من ان يزيدوا قوة واذ كان يفوق من يدانوته في القوة
 والجرأة اضعفكم قوماً بعد قوم واقصى انتصاراته جداً في ناحية المشرق . ثم ان امراته
 سامريس التي احزرت في المطامع المنوطة بها غالباً بحبها مما لا يوجد اعتياداً بين
 ثبت افكار بعلمها الرحبة وانمت توطيد هذه الملكة

فلاريسب انها كانت عظيمة . وكبر نينوا الذي يفوق كبر بابل كما يزعم البعض
 بوضع ذلك جلباً . ولكن بما ان المورخين المدققين لا يذهبون الى ان هذه المدينة
 قدوة كما يذهبها لنا غيرهم لا يحكمون انها عظيمة بتداركها . فلو كانت قدوة ورحبة
 نظيفاً لقول المورخ الاماك كنارياس ومن له الثقة بكلامه يعلم ان المالك الصغيرة التي
 ينتمي لنا ان نقايسها عليها تستمر زماناً طويلاً . ومن المحقق ان افلاطون الراغب في
 البحث عن الاشياء القديمة والنظر اليها يضع ملكة تروادة على زمان بريام تحت ولاية
 ساطنة الاشوريين لكنه لا يرى شيئاً من هذا في موفقات اوميروس الذي كان طليو
 ان لا يهمل حادثة كنه لما في فصحة ان يسي مجد بلاد اليونان . ويمكن الوثوق بان
 الاشوريين كانوا معروفين قليلاً في جهة المغرب لان شاعر أكدا عالماً بحبها البحث عن
 الشومون ليزين اشعاره من كل ما من شأنه ان يناط بموضوعه لم يذكرهم فيها ابداً

ومع ذلك فحسب العدد الذي رايته اكثر موافقة للصواب نقول ان زمان
 حصار تروادة كان اعظم عصر الاشوريين اذ تمت فيه فتوحات سهراميس التي لم
 تنتشر الا في جهة المشرق فان الذين يصفونونها كثيراً جعلوها تحصر الحنفا في هذه
 الارحاء فانما شاركت نينوس في مقاصده وانتصاراته لانه جوسنين الذي يغالي في
 مدحها يجعله ينهي فتوحاته من جهات الغرب على حدود ليبيا

ولا علم لي في اي آن اتصلت نينوا بفتوحاتها الى تروادة اذ يرى ان نينوس
 وسهراميس قاما بنين مثل ذلك . وجميع خلفائهما عاشوا في زمن عظيم منذ ولدها
 نينياس ولم يقوموا الا باعمال نادرة جداً حتى ان اسماهم كادت لاتصل اليها . ومن
 العجب ان ملكتهم امكن لما الفرار مع اتنا لانتق بسعها . ولا ريب ان فتوحات

من زواري انفسها كثيراً . ولما كانت هذه الفتوحات قصيرة وليس لها من خلفاء
معد آل بنا الامر الى ان البلدان التي ملصوها من ابدي الاشوريين وهي معنادة على
احمال سلطتهم تكون قد آتت اليهم طبعاً حتى ان هذه المملكة استمرت ذات شوكة عظمى
مقمنة بالراحة والسكينة الى ان ابدي فيه ارباس رخاوة ملوكها المدميين على الزواري
في زوايا قصورهم ولم يفسد الامر بسر دانايل الى ان يكون محضراً فنعط لذي الرعة بل
قضى عليه الامر ان يكون غير مطاق

ولقد شاهدت المالك التي خرجت من دنار ملكة الاشوريين وهي التي منها
ملكنا نبو ويايل . فملوك نبو اسسوا بقلب ملوك اشور وكانوا يزيدون غهرهم قوة
وبأساً لكن كبرياءهم كانت تتجاوز كل حد لانهم افتخروا ملكة اسرائيل او السامرة ولم
يدروا من ان يفعلوا ملكة يهوذا في ايام حزقيا الملك الا يد الرب ومعجراته ولم يعد
يعلم في اي حيز يمكن ان تحصر شوكتهم اذ فازوا عما قلل بمدينة بابل التي تدانهم
وهي التي كلت فيها قوى السلالة الملوكية

واما بابل فكانت بيدوانها لم تبرز الا لتسولي على اقطار البسطة طراً والذليل
على ذلك ان شعوبها كانوا على جانب عظيم من سداد الرأي والمال وكانت الفلسفة
والعلوم بينهم رياضاً دانية التطوف ولم يكن في الشرق كله جنود تحاكي جنود الكلدانيين
وكان الناس يعجبون في الاعصار القديمة من تضارة هذه البلاد التي جذبت
اهال فاطبها حرانها . وحدها خصم الى ان تكون في ايام ملوك فارس القدماء
فما ثالثاً للمملكة وبناء عليه فملوك اشور افتخروا ونعظفوا من زيادة ملكهم بانضمام
هذه المدينة المثرية اليها فباشروا اذ ذاك مفاصد جديدة . وفكر مختصر الاول ان
مملكة لا تكون جديدة بان لم يل اليه العالم قاطبة . ورام مختصر الثاني الذي فاق
سلفه سموً بعد ان فاز فوزاً غريباً وفتح فتوحات مدهشة ان الرعة تؤدي له عبادة
الذاحرى من ان يحكم كملك . فآية صنع لم يتم باعابها في بابل واي اسوار واي
ابراج واي ابواب واي صيانة لم يباشروا . وقد لاح ان برج بابل القديم اوشك ان
يقعد بعلو هيكل باعال وان يختصر اراد ان يتهدد ثانية السماء وان تكن يد الرب
اهبطت كبرياءه فمع ذلك خامرت روموس خلفاء قانهم لم يتأسوا على احتمال سلطة
من يدانهم فقولوا على ان يرضخوا العديد الا وفتح نير عبوديتهم ولذلك انق

منهم الجاهلون واصبحوا يضيقون عن احتياهم ذرعاً فأُلب عليهم المحمد ملوك ماد
والنرس وقبلاً عظيماً من شعوب المشرق لكنا الكبرياء نجوت بسهولة الى
القسرة . وبما ان ملوك بابل كانوا لا يحسنون معاملة الرعية فغادرهم السواد الاعظم منها
وسادات عظام وانهاروا الى قورش والماديين لكنا بابل المعتادة على التسايط وقع
الاعداء لم تبال . طالب هؤلاء الاعداء المكاشحين لها . بيد انها بعد ان كانت تخال ان
لا تعمل بها ايدي القهر والقلبة است اسيرة بايدي الماديين الذين كانت تزعم انها
تتكلم اي تشكيل ثم التفت بها كبرياؤها الى هذه الهلاك

واما نصيب هذه المدينة فكان غربياً فقد دثرت بمياهها فان نهر الفرات كان
بيدي في سهولها التاسعة ما كان يديه نهر النيل في سهول مصر . ولكي يجعله الناس
سهول الاستخدام اقتضى الامران يفرغ في شأنه شغل وعناء أكثر مما استعمله مصر في
سهول النيل فانه كان يجري على خط مستقيم ولم يكن له كالنيل فيضان فذلك اقتضى
ان يصنعوا في البلاد كلها اقبية حجة ليشكلوا من ان يسقوا هذه الارضين التي زادت
في نشأها من الوسيلة فاصبحت غرضه نضرة ورجاء ان يتغنى زير مياهها الماشية لجسوا ان
يقعدوا مجرى باقية متناوبة وينشوا له مجرات كبيرة زائتها ملكة حكمة بيهاء غريب
فان يتوكرس والة لابيت المذهب بنابونير او بلسر ملك بابل الاخروي التي قامت
باعتها هذه الشؤون الخطيرة . غير انها لم تان يدي امورا اعظم من ذلك فانهم ارفعت
على نهر الفرات جسراً جدياً لضم طرقي المدينة اللتين كان يفصلها عرض النهر المتزايد
فاقتضى الامر ان تنصب مياه نهر كبير كذا بنحوها الى البحيرة العظيمة التي كانت
تلك الملكة قد حفرها ولدن ذلك اقامت الجسر المياة موائد المتينة وكست ضفتي
النهر خرقة من اسفل الى حذر متناوب من العلو وغادرت له درجات مكتسبة خرقاً ايضاً
ومزينة بشغل حسن يضاهي شغل اسوار المدينة . فالتجهد في هذا الصنع كان يضارع
عظمته عجايب الان من الملكة الحكيمة لم يطرقت ذهبا انها كانت من الوساطة تعلم
اعداءها كيف يتكلم الاستيلاء على المدينة فان البحيرة التي حفرها اتخذها قورش
وسيلة لان يحول اليها مياه النهر لما ليس من ان يجرب بابل بقوته لو بالاجاعة فتقع من
جفت المدينة سراً اشارت اليه الانبياء

فلم تصمد قط بابل لها وثلاثة كسائر الاشياء العالمية ولو لم تستأثر بذاتها استيفاراً

بعث على الضلال لما رماها الله في حيز العمالي ولما عسر عليها استدراك ما فعله قورش.
لان عملاً كهذا كان على وشك الحدوث وكادت توقع بالنرس برعايتها جميع المحدثات
لغيرهم لم ينهكوا بسوى الولائم والملاذ ولم يكن فيهم نظام او رئاسة صدق عليها وبذلك
تدثر الاستحكامات والقلاع والممالك القوية قائمة الخوف في كل ايام وزعمت روح
الملك الشرير واراد كرمونفون المنتسب بملك بابل الاخير ان يوعز بقوله الى بلشصر الذي
ارثا اياه دانيال بماقياً بمنطقة تبعث الراضين على العجب العجيب

واما الماديون الذين قوضوا مملكة الاشوريين الاولى قوضوا الثانية ايضاً كان
هذه الامة اقتضى لها ان تكون دائماً ساقضة لعظمتهم الا ان قبيلة النرس الراضة لاهكامهم
نالت بمسالة قورش الكبر فوزاً عظيماً في هذه المرة الاخيرة

وحقيقة الامران الفصل في ذلك لهذا البطل الذي قد ربي بالصرامة والظلم
حسب عادة النرس وم الشعوب الذين اخذوا وقتهم يكتون على النعم والفساد وقد
اعتاد قورش منذ لدونة المحدثات على معيشة قسوة وحريه. ولقد كان الماديون يتمكنون
بداهة بدء في الانهال والعكوف على اصلاء نيران القتال فاحترام الوهن لكثرة نعمهم
واصبحوا مغترين جدا للحصول على قائد كهذا فقد قورش غنام وحبب انهم في المشرق
مظهراً له وعناداً الا انه كان يبيت امل نجاحه على الجنود الذين فادهم من بلاد فارس
فقتل في اول موقع ملك بابل وكسر الاشوريين فطلب الظافر مبارزة الملك الجديد
واذ ايان شدة بأسا بدى انه ملك حكيم شديد الحرص على دماء رعيته وامرن الصياحة
بالنجاعة. لانه خشيته من ان تدثر تلك البلاد الخصبة التي كان بعدها غصمة باردة
بعث الفرقيون على ان يعنفوا عن الحراة ثم انه اثار حسد الشعوب الدانية على دولة
بابل المتكبرة التي اوشكت ان تنقرض الممالك طراً وقصارى الامر انه احرز تحت اعلامه
الفر الذي اتجه مجلوا وعدلوا وقوة السحب وهذه الامور الخطيرة اخضع لسلطوه هذه
الامصار الفاسدة من الارض التي فرغ منها مملكته

وبذلك اوتت هذه المملكة فصرها قورش قوية جداً حتى اصبح من الامور
الواجبة ان تزيد في ايام خلفائه ولكن اذا شئت ان نعلم علة دنارها وجب عليك ان
تقابل النرس وخلفاء قورش باليونان ولا سيما الامكندر

الفصل الخامس

في الكلام عن الفرس واليونان والاسكندر

ان الذي افسد عوائد الفرس كاسيتر بن قورش قابوه الذي نشأ وقت اصطلاح
الفرس والمغروب لم يهتم في تهذيب خلقه الذي كان مزعماً ان يخلقه على ولاء مملكة
عظيمة كاهذب هو نفسه . ومن المندر على الامور البشرية ان ارتفاعاً عظيماً بضر بالفضيلة
اما داريوس بن اسباب الذي تدرج الى العرش الملوكي من الحماة العامة فابدى خصلاً
حملة في ممارسة السلطة واهم في اصلاح اللابل الا ان الفساد كان قد صار عاماً وان
الظارة كانت قد افسدت في العوائد كثيراً ولم يبرح داريوس لدائه كنوا من القوة
ليتمكن من اصلاح غيره فاخذ الفساد ينمو في عهده خلفائوه ونقل الفرس فانت كل
الحدود

ولم يبرح الفرس على بعض انواع العظيمة والشرف وان يكونوا قد فقدوا كثيراً من
فضائلهم الندية بحكمهم في الملاذ بل حافظوا على شيء عظيم ذي بال . وهل يمكن ان
يرى اشرف من الالة التي كانوا يصومونها على النفاق الذي كان لديهم تاريخاً وعياً مشيناً .
ومن الامور المهمة عدم بعد الكذب ان يكون الانسان ذا دين فميشة ذياك المرء
كانت تبدو لديهم باعثة على الوصاات والمعائب ممتنة يتدار ما كانت تبعث على
الكذب ثم انهم كانوا يعاملون الملوك المدحورة بالثودة والوقار وذلك كرم مقروس
في جبايا سراهم ولقد كانوا يفادرون بني هؤلاء الملوك يقضون في بلادهم بكل خصائص
عظمتهم اذا كانوا قادرين ان يواظبوا الفاترين

وكانوا على جانب عظيم من الرزاة كراماً على القريبين لم الخبرة في استخدامهم
يعتبرون اهل الاستحقاق ولا يتقاعدون عن استخدام الوسائل في حيل امانتهم ايام اليهم .
لكن من الثابت انهم لم يصلوا الى غابة معرفة الحكمة التي نعلم كيف يحكمون فان دولتهم
العظيمة لم تنفأ مضطربة طول ايام حكمهم ولذلك لم يستطيعوا ان يجدوا ذلك الفن
العظيم الذي قد استخدم منذ ذاك الوقت الرومانيون وهو ان يمزجوا جميع اجزاء
الملكية ويصروها مجموعاً كاملاً

ولهذا لم يكتفوا زماناً مديداً دون خصام وإن كان فيهم شيء كثير من النظام فانهم كانوا يعرفون قواعد الانصاف والعدالة . ومن ملوكهم من اجتهد في رعاية الشرائع بكل دقة فكانوا شديدي العقاب على الوصحات والجرائم ولفرط عدالتهم ترام اذا غفروا لاحد ذنباً ثم أب اليه بعد المخفة ارفعوه عتاباً ألياً فكان لم قوانين شتى حسنة أكثرها نص فورش وداريوس بن استاسب وقواعد يتوكلون عليها في الحكم ومشورات مرتبة يستظرونها وترتيب عظيم في الوظائف حجة . ولما كانوا يقولون أن العظام الذين بالنون المشورة هم أعين الملك وإذامه كانوا يعززون بذلك الزعم أي أن وزراء الملك قضاي اعضاء الجسد فكما ان الاعضاء لا يدي أمراً لذاتها بل اعمالها مصروفة في سبيل خدمة الجسد هكذا الوزراء فانها لا تقوم بأمر غير منصوص على خدمة الملك الذي هو رأسها وخدمة كل المملكة فهو لاه الوزراء ينقضي ان تكون لم الخبرة بجميع قوانين الحكومة القديمة والحيل الذي كانوا يحتفظون به الحوادث الخفية كان دستوراً لدربيتهم يتبدون فيه كل الخداعات التي قام بها كل فرد خفية ان بقي دون مجازاة لأن ذلك تترسب على الملك وهار على الدولة وكان من عوائد الماثورة انهم يبحثون الافراد على صنع الخمر العام اذ يملونهم ان من فرائضهم ان لا يصفوا نفوسهم لنفوسهم بل للملك والمملكة فكان الملك يصرف عنايته في سبيل نجاح الحرثة ولذلك فان من كان في عهده ذلك الفن وكانت ولايته متفونة به أكثر من غيرها كان الملك يوثق على غيره بالمنة والانعام الباهظة . وكما كان لمراسة الجنود وظائف معينة كذلك كان مثلها للحرثة فكان الملك متفياً لهذا الفن وظفتهم احدها لحفظ البلاد والاخرى لحرثتها وكان يزود عنها سبيل بنشاط ورغبة حباً بالخمر العام . وإن الذين كانت تقلدهم الكرامة والحسنى بعد الذين فازوا في مضار الوثني م الذين اتبعوا اولاداً كثيراً وكانوا يغالون في الجاه العرس الى الرضوخ للسلطة الملوكة فان ذلك كان ينفيهم الى العباداة الوثنية وكانوا يدعون انهم عبدوا ليسوا كرعابا راضعين بالمعقول لسلطة شرعية فذلك كان من آراء الشرقيين وربما كانت طبيعة هؤلاء الشعوب الحادة يقضي عليها ان تكون مطلقة وشديدة القوى

وقد اخذ العجب افلاطون من كنية تربيتهم لاولاد الملوك ولا سيما اعطاهم اياها اليونان دستوراً للتمرية الكاملة . فلتد كانوا ياخذونهم من ايدي الخصبة لدن بلوغهم السنة السابعة من اجاتهم ليعلمهم ركوب الخيل وممارسة الصيد ولدن اربانهم اي وصولهم

التي السنة الرابعة عشرة كانوا يعينون عليهم أربعة رجال من أفضل أهل المملكة وأحكمهم
فقال افلاطون إن أولهم كان يعلمهم البحر في لغتهم أي عبادة الآلهة حسب القوانين
القدسية وشرايع زورواست بن أورومازو الثاني كان يعلمهم على أن يعتادوا على العقاب
بالحقبة والحكم بالعدل وإشالت كان يعلمهم أن لا ينادروا الشبهات فتوزجهم ليكونوا
دائماً أحراراً وملكوك بالحقبة وملكوك ذواتهم ولزادهم والراع كان يعزز شجاعهم على
الرمب الذي يعلمهم ارتقاء ويطلب منهم الثقة اللازمة جداً للحكم. وإن السادات المحدثين
كانوا يدرسون في دار الملك مع أولاده وكان أولئك المحدثون يصرفون في خدمتهم كامل
العناية لا يدعونهم يعمون أو يظنوا أموراً غير لائقة وكانوا يوردون للملك حصاناً عن
سلوكهم وكان إذا ذاك يعاقب كل أو يجازي حسب يستحق فالشبان الذين كانوا
يصادونهم كانوا يتعلمون بهم الفضيلة ومعرفة الطاعة والأمر

فإن كان برجي من ملوك الفرس وكبرائهم بسبب هذا النظام لواجبه وأن يرشدوهم
في كبرهم كما اجتهدوا في تعليمهم وقت صغرهم لكن عوائد الآلهة المنسوبة كانت تقود
هم الملائكة التي في وسع حسن التهذيب مناولها ومع ذلك ففسدوا عن رعاية الفرس
واعتنائهم في المحاسن والزينة بقضي أن نفرانهم لم يكونوا خاليين من المسألة لأنهم لم
يرحوا يتباهون بالمسألة ويبذلون بها أدلة عظيمة لأن فن الحرب كان مقدماً عندهم كما
يقع له لأنه فن يمارس في ظلال سائر الفنون ولكمهم لم يوصلوا أبداً إلى حقبة هذا
الفن ولم يعلموا أي مفعول في الجندية للتمرانة والنظام وترتيب الجيوش وقوانين الممر
والعسكر والوسائل التي تتخذ لتسيير هذه الجيوش العظيمة دون اختلاط في وقت مناسب
وكانوا يجالون أنهم أمرا المفسد لأن أحرارهم شعباً كبيراً كان يذهب إلى الحرب
بعزم كافٍ لكن بالنظام وكانوا يرتكبون بعيد وأقر من الأشخاص الذين لا فائدة
بهم فإن الملك كان ياتي بهم غير مثقل عليهم وكانوا على جانب عظيم من الرخاوة
والوهن. ولهم أرادوا أن يمتكفوا بين الجنود سيف العسكر على الكثرة والملاذ
كما يمكنهم عليهم عادة الملوك حتى أن هؤلاء الملوك كانوا ياتون إلى ساحة
القتال معهم نسائهم وبناتهم وخصيهم وسائر ما يستعملونه في سبيل ملذاتهم وكانوا
ياتون معهم بالآواني الذهبية والفضية وكل الامتعة الثمينة وكل ما يلزم للثوب وقصاري
الأمر كل ما يحتاج إليه الفرس المترفة. فالجندية التي كانت مواتية على هذا النمط

ومرتبة بعدد وان من المساكن كانت مثله بكثرة عدد الذين لا يجاربون فيها
الخمار لم يكن من امكانهم ان يسيروا بانفاق ولم تكن الامور تصدر في وقتها بل كانت
تجري في الموانع حسب التقادير دون ان يتمكن احد من اصلاح هذه الانقلابات
وفضلاً عن ذلك فقد اقتضى لم ان يمشوا ذلك حالاً ويتروا الى مقاطعة اخرى لان
هذا الجمع الغير المتنازع لم يكن له من التوت الضروري شيء يسير ولا ما يبعث على
المثاق ولذلك قضى عليه ان يباد في وقت وجيز ان لم يكن له من ذريعة تمكنه من
الحصول على الذخائر

ومع كل هذا الموكب العظيم كان الدرس يدهشون الشعوب الذين لم يكونوا اشد
منهم في الحرب واما الذين يحسنون معرفتها فكانوا يعدون ضعفاء لسبب انشاءهم او
مدحورين بكثرة اعدائهم. ولهذا اصبحت مصر راحة لشركة الدرس وان تكن عظيمة
قدوة ذات نظام وطيد وفتح منكم - زوسندرس مدائن كثيرة. ولم يكن خارجاً عن
استطاعتهم ان يغزوا باسيا الصغرى والمارات اليونانية التي اتسدها الوهن لكنهم لما
بلغوا الى بلاد اليونان راوا ثمة مقاومة لم يكونوا من قبل يفكرون بها وفي جندية مرتبة
وقادة ماهرون وعساكر قد اعتادت على قتال المعركة واجساد الالهاء فدانت
لدى قوتها المخاصات والممارسات العادية. ولا ريب انهم راوا جنوداً فلولت لكنهم
يشبهون هؤلاء الاجسام اللينة اذ جاز انهما منضوية على اعصاب قوية وعقول ناقية
وقضلاً على ذلك فان هؤلاء الجنود القليلون كانوا على جانب كبير من النظام يرصفون
لاوامر قادتهم ووافهم حتى انهم كانوا يظن بهم انهم روح واحدة اذ كانت حركاتهم
واحدة

اما اليونان فكان عددهم امر اعظم من هذا وهو ساحة ثابتة تستدرك الامور ويمكن
لم ان يسلموا بالهم وخطاروا ويدافعوا لدن الانقضاء. وما يزيد على ذلك فكان ان قد كان
فيهم شجاعة جعلها حب الحرية والوطن غير مقموعة. ولقد كانت الالهية والبسالة يجيزين
مفروستين فيهم ودمت اخلاقهم من قبل ملوك وتخل اتوا من مصر ونشروا بسبب
توطنهم منذ زمان. قد تم في ارجاء هذه البلاد الخيانية نظام المصريين الحسن في كل اين
ومن ذلك تعلموا الممارسات الجسدية والتمثال والتسار وانظمة الخيل وركوب العجلات
وسائر الممارسات التي ملكوها ناصيتها بسبب تيجان الاولمبيات الفاخزة. وعلمهم المصريون

أمرًا هو الرضوخ والتسليم للتريعة حيا بالخير العام لانهم لم يكونوا كمن لا يفكرون
 بسوى اشغال الخاصة ولا يشعرون بخطر الملكة الا متى لحقهم منها شيء او متى
 قلقت بها راحة عيالم . بل اليونان كانوا قد تعلموا ان يتخذوا ذوائهم انهم هم وعبالم
 عنصر لجسد واحد اي الملكة فكان الاباء يرمحون في عنقول بينهم هذا المبدأ وكان
 الاولاد يعلمون وهم موقوفون بقاط المهد انهم مترصدون الوطن ان يكون لهم أمًا
 تحرص عليهم في حجرها أكثر من الامهات . فان كلمة المدن لم يكن مغزاها محصورًا
 لدى اليونانيين في الانسانية والطف والامثال المتبادل الذي يربط الناس للالة
 الاحماعية بل كان الرجل المتمدن من يود الوطن ويعتبر نفسه كاحد اغضاء الملكة
 يسلك بحسب الشرائع ويحسد معها حيا بالخير العام غير معتد على احد . واما الملوك
 القديرون الذين نالهم بلاد اليونان في بلدان متباينة فهم سينوس وسيكروس ونامان
 وكركيوس واريسين وباروكل ومضارعون لم يغيرهم اذاعوا هذا المبدأ في الطائفة
 قاطبة وكان الشعب يودهم طرًا لانهم صنعوا له خيرا وملكو السنة لالائهم كانوا
 يصانعون .

فاذا الذي اتوا له عن صرامة احكامهم واي مجلس كان احفل من مجلس الادوياج
 الذي كانت البلاد اليونانية تؤمدي له الكرامة رمتها حتى افصى الامر بالناس فة
 الى ان يقولوا ان الالهة قد بدت فيه فكان مشهرا منذ الايام القديمة وقداة سيكروس
 الى نسط مجلس مصر . فلم يكن من جمعة حفظت زمانا مبدأ كذا شهر صرامتها
 الا انه وقد كانت النصيحة الخداعة قاصية عنها

لما نكث اليونان خالق ان في امكانهم ان يسوسوا نفوسهم فاصبحت حكومة اكثر
 المباشرة جمهوريات الا ان الشارعيين الحكماء الذين برزوا في بلدان متباينة وهم نالس
 وسفثودروس واوروكوس وسوارث وفيلولاس وكثيرون غيرهم من الذين يذكروهم
 التاريخ لظلم قدم الحرية عن ان تحول الى الساد لان السن المستوية بكل
 حصة حرصت الشعوب على تقيم الواجبات وحدثهم الى صنع خير البلاد العام .
 والاضمة الحرية الذي اولت هذا السعي فكان غربيا لان الحرية التي كان اليونان
 يقيمونها هي حرية راضية للشرائع اي الحق نفسه الذي يعرفه الشعب طرًا لانهم لم
 يسلطون ان الاشخاص يسلطون بينهم فان القضاة الزاهيين مدة تقيم واجباتهم

كانوا يصيرون كالأفراد الذين ليس لهم سلطة الا بمقدار ما يتخذونه من الحرية والعلم
وكانوا يتخذون الشريعة كسلطان فهي التي كانت ترتب القضاة وتحدد سلطتهم وفناهم
على تصرفاتهم السيئة

وليس من دأبنا ان نبحث هنا عن هذه الافكار هل هي راحة او زاهقة بل نقول ان
بلاد اليونان كانت راضية عن ذلك وكانت تؤثر سواعة الحرية على بواضع الرضوخ
الشري وان تكن هذه حقيقة الامراخف من تلك . فيما ان كل الفة اجتماعية لما فراد
منوطه بها فالنائدة التي كانت بلاد اليونان تنالها هيئة حكمومتها هي ان الرعية كانت
تود كثيرا الوطن حتى ان كل فرد من ابناءها كان في استطاعته ان يدرج الى احدى
المراتب

ان ما ابدته الفلسفة لرعاية بلاد اليونان غير قابل للتصديق . وطالما كانت هذه
البلاد حرة اقضى ان يترتب عليها مجتائق راحة قوانين العوائد الحسنة وقواعد الالة
الاجتماعية فان فيثاغوروس وثاميس واناكراغوراس وسقراط وارستيناس وافلاطون
وكرتوفون واريسطور وغيرهم مثقوا بلاد اليونان كثيرا من هذه المبادئ الحسنة .
ولاريب ان قد وجد عديد واقر من الهانين تلتبوا باسماء فلاسفة لكما الذين كانوا
يقنعون انهم هم الذي كانوا يعملون الناس ان يفتقروا من افعالهم الخاصة وحياتهم ايضا
الصالح العام وانقاذ الملكة . ومن احكامهم المتداولة ان يتنضي ان يجرى الانسان عن
الوظائف العامة اولا يلاحظ الا الخير العام

فلبت شعري علام تنصير كلامنا على الفلاسفة مفادير الشعراء جانباً فانهم هم
الذين كانت ايادي الشعب تسابق لداوة اشعارهم وكانوا يعملونها فترخ في ادمغتهم
وان اسكندر اشهر الفاعين كان يعتبر اومبروس انه معلم يوثق بوان من دأبنا ان بقري
بالرضوخ وحسب الوطن فهو وكثيرون غيره الذين كانت تالفهم جريالة الجده والقبول
لم يقنعوا منظوماتهم سوى النون الناقمة للعبوة البشرية ولم يقصدوا سوى الخير العام
والوطن والالة الاجتماعية وذاك الهدن والتهذيب العجيب اللذين تكلمنا عنها انفاً

ولما وصلت بلاد اليونان الى هذه الحالة كانت تنزوي الى اهل اسما ذوي الاجسام
التيقة والمتوشحين بالبحر الباطلة والزينات الخفة يصون الاسمان
واما كيفية حكمومتهم التي لم يكن لها حد - وهي ارادة الملك السائدة على جميع الشرائع

حتى على الشرائع المقدسة كانت تبحث اليونان على ان يتكسروا منها فانهم كانوا ينافون من البربر كل الافة

وولجت هذه الغضا فلوهم منذ ايام قديمة وصارت فيهم حجة . وما كان يشوق الناس الى انتظار شعر او ميروس هو انتباهه ظهور اليونان على اسيا . فكانت الزهرة تنبع الى اسيا ويعنى بالزهر الملاذ والعشق والرخاوة . ويخرج الى اليونان جيون ابي الرزاة والود الافغاني والمريخ ابي القضاة والمشتري ابي الحكمة المباسية . وكانت في عهد اسيا ايضا مدارس الموحش ذو الاخلاق الوحشية ابي الحرية المحرمة المحندة بكل شراسة . وفي عهد اليونان باللاس ابي الحرب المضطربة بنظام وبأس . يقبدها الغفل ومنذ ذلك الحين ايقنوا ان الفهم والشجاعة تساهما الطبعيان

وقد كانت الملاد اليونانية تضيق ذرعاً عن ان ترى اسيا تنوزيها ولو حملت على عاتقها هذا الهمزة لكانت اعتقدت انها اختصت الفضيلة اللذة والغفل للجد والشجاعة الكونية لقوة وحشية فائقة بكثرة الجموع وقد كانت متعمة من هذه الاعتقادات لما حمل عليها داربيس بن هستاناب وكريس مجروش لا يصدق الغفل عديدها الوافر . فتاهب لدر ذلك كل من اليونان ليزود عن حربهم . وقد كانت اذ ذاك اكثر المدن اليونانية جمهورية . ومع ذلك فقد تأملت برمتها تحت اواء الصالح العام . ففادى اهل اثينا مدبتهم بكل طيبة خا لـ مرضيها الفهم والحري في بعد ان اتفقوا الاولاد والشيوخ والنساء وجعلوا كل الذين كانوا اهلاً للقتال يركبون البحر . ثم ان شرذمة قليلة العدد من اللاحيدونيين قصدت توثيق عسكر الفرس عن السمار قارب مضيق صعب المملك . ولكي يتبين للفرس ما هم اليونانيون حملوا هم . وملكهم دفعة واحدة راغبون في ان يموتوا . وتلا لاسندوحة لم عنه ليفتحوا لوطتهم من هؤلاء الهاربة جمعا لا يحصى عديده . وفادروا لوطيتهم مثال جرقة لم يسمع بها من قبل . وقد رأى الفرس وهمهم لدى مقاومتهم هذه المساكر وذاك النظام وشعرت مراراً حجة لدى خسرتها بفضل النظام على العدد وعلم الترتيب بفضل الشجاعة التي تخامرها الفنون على شراسة ليس فيها ترف

ولم يبق حيلة للفرس المتوجعين مراراً سوى ان يلحقوا الشقاق بين اليونانيين . وكانت الحالة التي وجدوا بها بسبب انتصاراتهم تسهل لهم هذا المشروع . فكما ان الخوف

كان قد جمعهم كذلك النصر والإيمان قطعاً حبال الاتحاد . وبما انهم اعتادوا على الحرب والنزوح اجتمع بينهم يربان القتال بعد ان زال خوفهم من الفرس . لكن ينبغي ان نبين هنا بأسباب العبارة حالة اليونان واسرار السياسة فتقول

ان اثينا ولاسيدمونيا كانتا جمهوريتين لما الالهية الكبرى بين الجمهوريات التي كانت بلاد اليونان متألدة منها ولم يكن ذكاء اكثرهما كان في اثينا ولا قدرة اكثرهما كان في لاسيدمونيا . فاثينا كانت جاذبة الى الملاهي ولاسيدمونيا الى قسافة المعيشة والاشغال وكفاهما كانت تحب الحرية والمجد . اما في اثينا فكانت الحرية مقبولة ففوق الفساد واما في لاسيدمونيا فكانت الفرائع العارضة تشدد عليها . ومما كاد يضرثون عليها في الداخل كانت تحاول ان تتد بملكها خارجاً وكانت اثينا ترغب في ان تملك ولكن على غير مبدأ لان صاحبها كان محتلاً بالحد وكانت قاطبوها يهرولون في فن سلك البحار واصبحت ثرية بسبب البحر الذي كانت تائه سائفة وكانت تود ان يكون كل شيء لما راضة لكي تستمر وحدها مالكة البحار وتنفذ ما اليونان قد لفصول عليها اموالها التي التفت بها هذه الرغبة

اما لاسيدمون فكان فيها خلاف ذلك فان الاموال كانت منبهة لديها وكان شرائعها كانت ايلة لصنعها مشقة حرية كذلك كانت اللذة الوحيدة الآخذة بالسلب فاليها منصورة على السلاح . ولان ذلك كانت منهكة في الطمع وثابتة على حكمها ووارثها بسبب عيشها المرنية . وكانت اثينا تقوتها بمدة الطمع وكان الشعب متوغلاً في زمام الحكم . ولا ريب ان قد كان للفلسفة والفرائع في هذه العقول الذكية مفاعيل حسنة الآن الرشيد وحده لم يكن كفواً ليدبرهم . وقد افادنا احد عنايتهم الخبير اخلاق بلاده ان الخوف كان راجعاً هذه العقول الحادة المتوغلة في عباب الحرية ولم يجد وسيلة لسياسة عند ما ظهور سالامين ازال خوفهم من الفرس وحيث انهم شتان وما يجد افعالهم البينة وظلمهم انهم في طائفة ولم يعودوا يصيغون لكلام الحكم . واذ كانت الفرس تحت سلطة اشديتة جداً كانت اثينا (حسب قول افلاطون) مصابة بحرية غارقة العديد وهاتان الجمهوريتان المختلفتان بعوائدهما وسلوكهما كان البعض منهما معرثلاً البعض الآخر قصد ان تخضعاً كل اليونان وكانت كنهما عدوتين بسبب اختلاف مصالحهما لايعدم مؤالفة طابعهما

ولم تكن مدن اليونان تنبل سلطة احداهما لانه فضلا عن ان كل مدينة كانت تود ان تحافظ على حريتها كن جميع مدن سطة هاتين الجمهوريتين شديدة عليهن فان سلطة لاسيديون كانت شاقة وصارمة وكانت عوائد شعبها تراهي لدى اليونان انها قريبة من الوحش ثم ان حكما معتنا كان يجعل المغول مكبرة وتجيرة جدا عدا ان الناس كانوا عازمين دائما على مواصلة الحرب بلا انقطاع

فكان اللاسيديونيون يودون او يحكمون والناس يرهون لهم احكاما . اما اهل اثينا فكانوا يوقونهم لطفا وحسنا ولم تكن لثة تقارن لثة النظر الى مدينتهم اذ كانت فيها الاعباد والملاعب مستمرة . وان يكن الذكاء والحريه والشهوات تحدث بينهم مشاهد جديدة فان سلوكهم المتقلب لم يكن يرفعي مواخيرهم وكانت الرعية تجلم المشاق فاذا قضي عليهم ان يخلصوا غيرة ملوك شعب مصانع فاي شيء اكثر خطرا من غرائب ملك مفسود بالمصانعة

ولم تكن هاتان المدينتان نيجان لليونان ان تسمر معتقة بالسكينة . وقد شاهدت ياسيدي ان حرب البلايون وغيرها كانت من اسبابها حمد اثينا ولاسيديونيا وهذا الحمد نفسه الذي كان يعكراحة اليونان كان عناقا لها يضافرها على السوط تحت سلطة احدي هاتين المدينتين

ونظر الفرس الى حالة اليونان فكان سر سياستهم قائما برعاية هذا الحمد بين اعدائهم واثارة الشقاق بينهم . وما ان لاسيديونيا كانت مطاعا فانها كانت اول من جرم الى خصام اليونان وكان قصدهم هذه المداخلة ان يستولوا على كل الامة ولما بذلوا ما عندهم من الجهد ليرونها اليونان بعضهم مرتقين زمانا يجهلونهم بوبنها لكون وابتدأت حيثنة مدن اليونان ان تأتي نظرها على ملك الفرس الذي كانت تدعوه الملك الكبير او الملك بالذات كانتا اتخذت تعد نفسها من رعاياه . ولم يكن في امكان روح اليونان التقدم ان يجرأ من تخلفهم اذ اشرفوا على السوط تحت نير العبودية وبين ايدي البرابرة . واخذ ملوك صغار من اليونان يقاوون هذا الملك الكبير ويخربون ملكه . فلذلك اهرب اجريلاس ملك لاسيديونيا هو وملك قليل يعرف نظاما وجيرا قلوب الفرس ويات انهم يستطيعون ان يفلتوا ولم يضع لافتاحاته حدا لانسحاق اليونان . وفي هذا الوقت حدثت ثورة فورش الصغير على اخيه ارخششتا وكان معه عدة

الآلاف من اليونان لم يمكن تفرقهم بزيمة عسكر العامة وقبل انه قتل يد اخيه واصبح
اليونان لانصرهم لم بين الفرس في تواحي بابل ولم بقدر ارتعشتنا على ان يفرهم بالسليم
اختياريا وارغامًا فازعوا طرًا بقلوب صلبة على ان يغرقوا ملاده مشين الى بلادهم
فقالوا بذلك وطارهم . فكتب هذا الخارج كينوقوس في كتابه المدعو بعودة عشرون
الآلاف او بفرقة قورش الشاب . وقد شعرت أكثر من قبل ان اليونان يربون جنودًا
لا يهرون ولا يدحرون ولا يرغمهم لعدو ضعيف يقاتلهم لدن الاتحاد سوى اشتاق
بطرا بينهم

وقد احتفظ فيليب المكثوني الباسل الحصيف على ما تائق له من مملكته الصغيرة
الخفية من التقدم على المدائن والجمهوريات وذلك لان السلطة الملكية لم تكن وتنتشر
متوبة . وقد اصبحت حصانه وسائه مظهرًا لانه اقدر ملك في بلاد اليونان . ونصر
اليونانيين على ان يسروا تحت لوائه لحاربة العدو العام الا انه قتل في اثناء هذه الحوادث
وخلفه ابنه الاسكندر بملكه واطارهم فرأى المكثونيين اقوامًا حكيمًا الايام عليهم خوض
المعالم يسودون على سائر اليونانيين بالشهامة والظام ويشهد لذلك فوزهم مرارًا فصاروا
اليونانيين بنورم بالفرس ونظراتهم وكان داريوس النابض على زمام الملك عادلاً في
زمانه شجاعاً كريماً توده الرعية ولم يكن خائفاً عليه فتبعه مآرو عتلى ولا عزم لكنا
اذا اردت ان نقابله بالاسكندر فترى في هذا عتلاً ثانياً سامها وشجاعة غير معهودين
قبل ورغبة شديدة في اذاعة الاسم التي صبرته بفضل التهاقت على المخاطر والاعمال
والموت على اضاعه ادنى درجة من الحمد . ولقد كانت له ثقة بان كل شيء يرفع له كانه
رجل منرد اصطفته الشجاعة ان يكون رجلاً في سائر الناس وكان ياتي هذه الثقة في
قلوب قادته حتى في قلب ادنى جندي من جنوده الذين كانوا يظنون هذه الذريعة .
وان قامت مشاق فذلك يمكن لك الحكم لاني من القئين يكون الفوز معداً واذا
زدت على ما ذكرناه فضل اليونان والمكثونيين على اعدائهم لا تبنت ان الفرس لا يهزم
من تفرم ملك اذا حمل عليهم سطل كهذا بهك الجنود قلدن ذلك ترى الاسباب التي
آكلت الى دنار الفرس ونجاح الاسكندر . وما سهل قوزه موت ممنون الرودي القائد
الوحيد الذي كان الفرس قادرين ان يقاتلوه به . ولقد كان يحق للاسكندر ان يجر
نوب الفجار فوزه بهذا القائد الشهير لدن مبارزته وذلك لان ممنون كان يؤثر على

الخطار بمركة عامة ضد اليونان ان يازعم كل المسالك ويجمع عنهم الزاد وبحارهم
في بلادهم ويتسرم بشدة عزمه على الاياب اليها ليدافعوا عنها فاستدرك الاسكندر
ذلك وغادر في مدينة اثينا طرا جوقاً كافية لرعاية اليونان ولأصه بخنه من هذه الحالة
فان ممنون مات لدن اغارته التي نفسر الاسكندر على الرجوع وتخيف اليونانيين فارضح
اذ ذاك الاسكندر كل شيء

ودخل هذا الملك العظيم بابل ببطية وفخر لم ير العالم لها من مثل . وبعد ان
نار اليونان واخضع بسرعة عجيبة كل المال التي تمت ملطة الفرس اغار على الهند .
وذلك اما ليوطد مملكته من كل ناحية او ليعمل اسمته اشهر من اسم باخوس وتقدم
باعتنا حثية اكثر من هذا المنتفخ العظيم الآن ذاك الذي لم تكن الانهار والبحال
فادرة على ان تبط قدميه اضطر ان يخضع لساكنو العانية الظالمة للراحة ويكفي
بالانهار الفاخرة التي غادرها على ضفة نهر الراسب عندما يرجع عساكره على غير الطريق
التي داسها وقع كل اللاد التي يجدها في طريقه

وعاد الى بابل مهيباً عترياً لا كمنفتح بل كاله الأ ان هذا الملك العظيم لم يبق
الذي شاده اكار من حياته التي كانت قصيرة فمات في اجل الثلاث والثلاثين سنة
وفت ان كان عازماً على تقيم مأرب غداً لها انساناً واعداً نفسه بأمال الفوز والنجاح . ولم
يكر في استطاعته ان يربب اشده تاركاً من بعده اخاً اباه واولاداً صفاراً يسوا اعملاً
لان يقوموا بهذا العسب العظيم الآن اتس شيء على مملكته ان قد غادر لها فادة
علم ان لا ينجوا الا الى المطامع والحروب وعلم ان يتقدموا على التعديبات عندما يغادر
الدنيا ورجاء ان يدراهم عنها وخشية من ان ينافقوا لم يحسروا ان يتم له خليفة او وصياً
لاولاده بل تبا ان اخذاه يختلون جازته بمعاك دموية وهكذا مات في لدونة الخدانة
مفتناً بالرزاء الويلة . ودليل ذلك انك قد شعرت بشطر ملكو وخراب بينو الرابع
فماغروا على مكذوبة التي حكها اجداده منذ ازمة مدينة كائنا ارث ليس له من
و. يث . وبعد ان اصبحت قريسة اقوام استولت عليها عائلة اخرى فبذلك ترى ان
هذا النافخ الذي كان اول من اقلته البسيطة اصبح آخر ملك من نسله . ولو كان لم
يخط بلاده لما دبت المطامع في قلوب قادنو . ولقد كان في امكانه ان يغادر لاولاده
ملك ابيه . بيد انه لما كان متقدراً جداً اصبح عنه لدنار اهلوه وهذه هي غرة هذه الفتوحات

وكان موته السبب الوحيد لهذا الانقلاب العظيم لئلا يجب ان ندع عن ما يعود على
 من وهو انه لو وجد على كامل الارض انسان اهل للتباعد هذا الملك الاسع والمتفتح حديثا
 لما كان سوى الاسكندر لان عقله لم يكن في ادنى درجة من بساطته ولا ينبغي ان نعزو
 ذلك كله الى الخطيئة ولو كانت عائلته قد سقطت به مراراً حجة لكننا نعزو ذلك
 الى الموت. الا اذا شاء الناس ان يقولوا ان رجلاً حمله طمعه على ان يقدم على الشموخ
 كما ليس في امكانه ان يقوم بامر تديروما

ومما يلك من الامر فاننا نرى في نموذج ان يوجد هذا العاط الذي يترفع الانسان
 بعبادته ويمكن له اصلاحه جهة واحدة لا تصظم تكث الملاصقة المقاصد البشرية وفي الموت
 لان كل شيء يتأق الى المتوسط فورا من هذه الجهة وهذا ما يلجنا ان نقول كما ان
 الاشياء المنبهة الملاصقة للامور البشرية علة للمتوسط كذلك من يتدر على ان يوجد
 مملكة ويرعاها بونن بالجد على من يفتح مملكة وينوز فوزا في المعامع

وليس حاجة ان اثبتك سببا عن فناء الممالك المتفرعة من مملكة الاسكندر
 اي ملك سوريا ومكدونيا ومصر والعله العامة هي ان الاهلين الجثوا ان يرضخوا لسلطة
 اقوى من سلطتهم وهي شوكة الرومانيين ومع ذلك اذا اردنا ان نبحث عن حالة هذه
 الممالك الاخيرة نرى حالا عل هيوطها المتوازنة وان اقواها وهي مملكة سوريا نزلت
 بها الضربة الاخيرة بسبب انشقاق ملوكها بعد ان ترعزعت بسبب رخاوة الامة

الفصل السادس

في الكلام عن دولة الرومانيين واستطراذ الدولة

فرطية واحكامها السينة

قد وصلنا الى هذه المملكة العظيمة التي طوت تحت جناحيها سائر ممالك العالم
 فمما خرجت الممالك العظيمة في البسطة التي غن قاطنوها ولم نزل الى الان نرى
 شرائعها التي يجب علينا ان نعرفها اكثر من غيرها. فلقد قرأت تاريخها المسهب
 الشهير بكل استمرامته. تأمل بعوائد الرومانيين والازمنة التي بها يناط قلب هذه
 المملكة الفسيحة منهم اسباب ارتقاء رومية وعلل الانقلابات العظيمة التي طرأت في

ملكها . فكان الشعب الروماني اشد كبرياء من كل قبائل الارض . اجراً من
الكل لدن الكدائد اكثر نظاماً في مشوراته واثبت في تعاليمه ولازيد كدحاً واجتهاداً
ليس مجزاعاً في وقت الرزايا بل اجلد من الشعوب طراً واذا في غتلاً من كل من داس
ادهم الارض . فمن اناس يكن ذكر تألمت الجندية التي كانت مبنية على السداد والنظام
بسياسة مثقلة من المحكة . ولا تخشى لومة لانهم اذا قلنا ان كل روماني كان حسب
حريته ووطه ميمناً في قيادته فاذان الامر ان كانوا بغرباء ومجبة غيرة لانه ان كان
يمس حربته فضي عليه وان يحب وطه بمثابة لم تشبع قلبه من الاحساسات الموشقة وكان
الرومانيون واليونانيون يتصورون تحت اسم الحرية مملكة لا يكون فيها احد عبداً
للشريعة والشريعة فيها اقوى من كل شيء . ومع ذلك وان كانت رومية منذ بروزها
تحت لواء ملوكي فكانت لها ايام تحكم فيها ملوكها بحرية لا تلوق بمملكة ذات نظام .

وقد كان الشعب يتغير فيها الملوك ويتوزع هونفسه الشرائع وبين استخدام نار الوشي
او نشر الوية السلام ويشهد بذلك نيلس هو سليل الذي لم تكن له الجبراة ان يقضي
على اوراس او بيرره . فان اوراس ارندى برداء الجدد لانتظاره على كورياس واخوته
لكما لحه العار العظيم بتلو اخيه . فلذلك غادر الملك امر القضاء للشعب . ولم يكن
اذ ذاك للملوك الا الولاء على الجيوش والسلطة في الجمعيات الشرعية فاعطية وعرض
الاشغال عليها ورعاية الشرائع واجراء الاوامر العامة . ولما فكر سرفوس نيلوس ان
يحمل لرومية مشيئة زاد في افئدة الشعب الذي كان قد احمى حراً بحجة الحرية
بكمالها في ايام التناصل . ونفرق خوفاً اذ نقرأ في التاريخ لبات برندوس الكتييب
لما امات امام عبيده اولاده الذين اطلقوا التركيبين على الدساس التي قاموا بها في
رومية رجاء ان تتولد بذلك سلطتهم . وزاد الشعب بالحرية ثباتاً بعد ان رأى قصصه
يضي في سبيل الحرية عائلة الخاصة . ولا يتنضي ان تعجب من ان كل الشعب ومن في
رومية اجتهدات الشعوب الدانية الذين حاربوا امل ان يرجعوا التركيبين الذين
كانوا قد نفوا من رومية وجعلهم الملك يورسينا تحت كف حمايته عبثاً . وقد تافى
ان الرومانيين يودون بشانهم لوموتون احراراً وكان الشعب اشد ثباتاً من المجلس
وتوافد الشعب على الملك رفاعين اليه ان يتقاعد عن الاخذ بناصر التركيبين لان
رومية ازمعت ان تخاطر بكل شيء لرعاية حريتها . لئلا تؤثر قبول اعدائها داخلاً

على قبول ظالمها قلنا اعقب بورسينا من صلف هذا الشعب وجرأة بعض اهلوه غير
العادية عزم ان يترك الرومانيين يتمتعون بالحرية التي كانوا يعرفون ان يدافعوا عنها
حسباً وقد كانت مفضلة لديهم على كل كنوز ثروات الارض
قد شعرت ان الفقر لم يكن شيئاً لدى هذا الشعب منذ ابتدائهم بعد ان نجح في
اموره بل انهم كانوا يعتقدون ان الفروسيّة للاستعصاء بحريتهم الكاملة . فقامت
رجل اشد حربة من الرجل الذي يكتفي بسير من العيش ولا جوكاً على احد ياخذ
بيده . وليس له من عناد او نصير على كسب معاشه سوى نعبه وعمله . فهذا الامر كان
الرومانيون يتخذونه ديدناً فاقم كانوا يقتضون من المواشي يحرثون الارض ويتمتعون
عن كل ما كانوا يستطيعونه يعيشون بالاعتصاف والعمل . فمن كانت حياهم فذلك
كانوا يأمرون باود عائلاتهم ويعودونهم على اعمال . كمن
وقد حقق توت لبث المؤرخ بقوله . انه لم يرق قط شعباً استمرت فيه القناعة
والامساك والفقر بفرف وافتخار . وان اعظم ارباب المجلس وان كانوا يلاحظ سوى
ظواهرهم كانوا يختلفون قليلاً عن الفلاحين ولم يكن لهم سلطة او هيبة الا بين الصغار
والجلس ومع ذلك فكانوا يهتمون في امور الفلاحة وسائر متعلقاتها اذ كانوا يتدافعون
الى قيادة الجيوش . وهذه الامثال كثيرة في التاريخ الروماني فان كيربوس وقابر يسوس
القائدين العظميين اللذين ظهرا على الملك بيرسوس الفتي لم يكونا يملكان سوى آية
من ثمار اذ قدم السمينيون النصار واللين لكيربوس اجابهم ان لديهم ليست قائمة
بالحصول على النصار اما بالاستيلاء على من عنده ذلك . وبعد ان ظفروا واعياها الجمهورية
من غنية الاعداء لم يكن عندها ما بصرف في حيل دفتها . فاستمرت هذه القناعة في
غضون حرب القرطاجيين ايضا في اثناء الحرب الاولى طلب ريفولوس قائد الجيوش
الرومانية الاذن من المجلس للتروع الى دسكرو ليحرث ارضها لانها هجرت اثناء غيبته .
وفرى بعد دنار قرطاجية اثناً عظيمة تدل على السذاجة الاولى فان اميلوس بولوس
الذي زاد الخزينة العامة بكنوز ملوك مكدونيا القديمة كان يعيش بالقناعة القديمة
ومات فقيراً . واذا خرب مومبوس قورثية ضحى خيراها الوفيرة لشعة الناس طراً .
ومن ذلك ينجم ان الاموال كانت محقرة وان قناعة القادة الرومانيين وعظمت كانت
تلاميذ الحب في قلوب الشعوب المدحورة . ومع كل هذه المحبة المفرطة للفقر لم يوفر

الرومانيون شيئا لعظمة مدينتهم وجمالها . وكانت الاعمال العامة هكذا منذ ابتدائها . ولم تجل رومية منها ولواتها أصبحت ملكة البطة . والكايول الذي اقامه تركوين الحكيم والميكل الذي اقامه للشعري في هذه القلعة كانا اذ ذاك جذيرين بعظمة اكبر الافة ومجيد الشعب الروماني وكل ما هو عدا ذلك ينطبق على هذه العظمة . وان الهياكل العنبرية والاسواق والكنائس والاماكن العامة والشوارع العظيمة والاقبية ومجاري الماء واخاديد المدينة كان لها عظمة كبيرة جدا لا يمكن الوثوق بها لولا ان يشيها المؤرخون كلهم وتحفظها الآثار التي نراها الآن . وماذا الذي اقوله لك عن احتفال الانتصارات وطقوس الديانة والالعاب والمناظر التي كانوا يقومون بها في سبيل اللعب فمن المقرر انهم كانوا يبدلون كل ما يسمع لم الزمان بأسرانه في سبيل افراح القوم عموما وحملهم على الصور المظلمة بوطنهم العام . ولم يكن التفكير الا في العائلات الخاصة فكل من كان يزيد في دخله ويحصل اراضية أكثر خصبا يصنعون وشغلوا ولا يسرف ماله بل يمشي بقناعة كان يعد نفسه بفوق الجميع بالحرية والقوة وحسن الحظ ولا شيء اقصى من الرخاوة في هذه الحقبة . ولقد كانوا ينجحون الى الصرامة او التشافة وكل ما يتناقض مع الوحش والعجبة لكنهم لم يتفادوا عن ان يقيدوا انفسهم بشرائع حسنة . وهذا الشعب الذي كانت فيه الحرية فاضلة على مثالي في الشعوب كلها كان اذ ذاك ارضع شعب لا وياثي والسلطة الشرعية . فلا غرو ان ترتب جنود شعب كهذا يقتضي ان يكون عجيبا لان الطاعة المللية والنظافة كانت في اجسام جنود الاقوياء البنية والذائعي الصبغ بالجمالة وكانت شرائع الهندية قاسية جدا اليها كانت لازمة لان النصر كانت خطر وغالبا محبة الذين كانوا يفيضون عليها وهم خارقون سبيل النظام . وكان كل من يولي الادبار او يولي السلطنة او يتجاوز حصة بلقي فيلأ بايدي قومو حتى كل من يهرك او يمتل سيفه دون امر قائده كانوا يبدلون على الارض مقتولا وكانوا يفضون ايضا ان كل من يضع سلاحه امام عدوه او يسلم نفسه اليه اسيرا بدلا من ان يموت لاجل وطنه شريفا لا يوحش بين ولا تصرف في سبيل انفاذه مضائق . فكانوا يبادرونهم للاعناء حاكين انهم اعضاء قطعت من الجمهورية . ولقد تصفحت في تاريخي فلوروس وشيرون قصة ريفلوس الذي اوعز للجلس ان يترك الاسرى لاهل قرطجة مخاطرا في حياتهم . وفي الحرب التي اضمرت ضد انيبال وبعد غلبة الرومانيين اي في الزمان

الذي فيه رومية كانت قد وهنت لكثرة الخسائر ولم تكن لها عساكر كافية رغب
المجلس في ان يدرج ثمانية الاف عدي بالسلاح مخالفاً عادته اخرى من ان بشري من
الرومانيين الماسورين مقدراً من الرجال يقابل ذلك مع ان ذلك بطله لا بقدر ما كلته
اقامة هذه الجندية الجديدة وقد سوا ان لابد من ان كل جدي روماني يكون قائداً
وتخذوا ذلك سنة لا يباح لهم ان يخالفوها وبذلك كتت ترى الجيوش الرومانية ولو
لعبت بها ايادي الفريسي كانت تخرب بكل وسائله منضمة اطرافها نطلت تسببت في
الجمعة مادام فيها رمق من الحياة . وقد المع المورخ سالت ان قد كان بين الرومانيين
جنود كثيرين يعاقبون اذا حاربوا دون نظام اشد معاقبة من الذين يعادرون
مواضعهم ويهربون وذلك لان القادة كانوا ينددون في عذبت شجاعته اكثر من
اشارة رعايتهم . وكانوا يريدون على البسالة جودة العقل وقن الاختراع وعدا انهم كانوا
نبياء كانوا يتنبسون من كل ما كانوا يظنونه في سائر الشعوب من الترتيب والنظام
في الحروب . وقصارى الامر من كل ما يسهل المهارية والمدافعة . وقد قرأت في مؤرخات
سالت وغيره كل ما تعلمه الرومانيون من جيرانهم واحداً منهم . ومن ذا الذي لا يشتر
انهم تعلموا من اهل قرطاجنة اختراع القوارب التي ظهرها عليهم بها . وغاية الامر انهم
اقتبسوا من كل الشعوب الذين عرفهم كل ما يحتاجون اليه للانتصار عليهم . ومن الامور
المفردة لديهم ان الفوليين كانوا يوقونهم بقوى الجسم ولم يكونوا اقل بسالة منهم . وايضا
المورخ بوليب بان الفوليين الذين كانوا اكثر عدداً من الرومانيين اظهروا في جمعة
اسيرة جراءة عظيمة . يد انهم وان كانت عزائمهم قوية قد ظفروا الرومانيون لانهم
كانوا يعرفون ان يقيموا لم اقله اقوى من الطعنهم وبراعوا النظام ويتصدوا فرصة
الجموع في الجمعة وفرصة ملافاة الصفوف ويؤيد ذلك المورخ بوليب وقد شعرت
باسيدي بوقوفك على تاريخ قيصرا ان الرومانيين الذين كانوا تحت قيادة هذا القرم
العظيم فتحوا غالبا بسبب مهارتهم في فن الحرب لا بشجاعتهم وكان اذ ذاك المكندونيون
الذين لم الامتاع الكبير في رعاية نظام الجندية الذي قام بوقلبوس والاكندر يظنون
ان جديهم لم تكن تلب ولم يكونوا يخالون ان العقل البشري يمكن له ان يرى شيئا
اكثر من ذلك ومع هذا كله فان بوليب نفسه وثبت ليقت قروا بانهم اذا لاحظنا انقط
كيفية الجيوش الرومانية والجيوش المكندنية فلا بد لنا من ان نحكم بالانتصار للجيوش

المكدونية الذين لم يكونوا المفرقة واحدة مربية مكشوفة من الاشياء كلها غير متحركة
كانها قطعة واحدة وبما ان الجيوش الرومانيين كانوا منقسمين الى فرق متباينة وكثيرة
كانوا اسرع كثيراً ومتأهبين لكل نوع من انواع الحركات المجدية فلا يخلو ان يكون
الرومانيون قد تعلموا سريعاً نفس العساكر الى فرق كثيرة او عرفوا ذلك من تلقاء
انفسهم . وان يثبتوا ككتاب من العسكر متريضة في محوطة الاستظار رجاء ان تدافع
او تهاجم بايدي الخفرين والمتفرعين من اية جهة كانت من الجيش . وقررات هذا
النجم القوي الضخم يكون بالحقيقة هائلاً جداً اذا سقط على جيش غيره دفعة واحدة .
لكننا قال عنه بولس انه لم يمكن له ان يستمر على حاله زماناً طويلاً بخفاضة الطبيعة اي
بالمثانة واللبات اذ يلزمه محال خاصة اقيمت لشأن ذلك فان لم يكن له من ذلك
شيء لانفرقل او بالاحرى فتمت بحركته الخاصة فيحشد يعصر عليه الاكثام مرة اخرى . اما
الجيوش الرومانية المتفرقة الى كتائب صغيرة فترى جداء ومنفعة في كل الحال وتنظم
بها قائم يمدونها ويفترقون اليها حسب ارادتهم دون صعوبة ومخاض ولا مشقة .
ترام اعملاً لكل نوع من الانقلاب او الحركات العسكرية . وغاية الامرات
لم حركات متباينة ولما عمل وقوة أكثر من القوة المتجمعة ونجم من ذلك حسب
قول المؤرخ بولس ان الجيوش المتجمعة يلزم لها ان تخضع لم وان مكثرونها لابد لها من
الاندحار . فاننا نرى لذة عظيمة لدن تكلمنا عن هذه الامور التي رفقها اليك امير المعلمين
ونراها مستعملة بامر لوبس الكبير بكل عجب حتى اني لا اعرف هل الجندية الرومانية
تأتي لما نظام احسن من ذلك . لكن من قطع النظر عن تشبيه الجندية الرومانية
بالجندية الانفرنسية اكتفى بالقول انك رايت الجنود الرومانية سواء كانت بالنظر الى
معرفتها باستيلاتها على الحال الموافقة او الى حفظها الصارم كل اوامر الحرب فافت كل
الذين بدوا في الاعصار الحالية

ولاحاجة الى التكلّم عن اليونان بعد مكثرونها فانك شعرت بان المكدونيين كانوا
يقفون اليونانيين بامور كثيرة ومن ذلك يمكنك ان تحكم على الامور كلها فلم تدر انما
منذ زمان الاسكندر شيئاً فان الثوليين الذين فازوا بحروب كثيرة كانوا يوثرون
الطاعة على الحرية متوطنين في الضحية يوثرونها على الياس والبه الفوقد بذلت لاسيديونيا
جهودها في اضرام الحرب بعد نشأة كيومين ونشأ فيليومين بتحزب الاكانيين فان رومية

لم تترك الحرب على هذين القائدین العظيمین غیر ان قیلبومیون الذي كان في زمان
انیال وسیبون حکم بعد نظره الى صنع الرومانيين ان حرية اليونانيين ستنتهي وان
الرومانيين اتصروا على شجاعة التولبيين واليونان فان الشعوب الذين كانوا يهاقنون
على اضرار الحرب كانوا يظاغطون الروموس امام الرومانيين فضاقتهم على القول الادارة
المنظمة وقيادة انیال الذي استظفروا عليه فلم ير شيئا يساوي فخر جنديتهم ولم يكن
لم شيء في حكمتهم يفتقرون به نظرا لانتظامهم بنظام الجندية فاعتقدوا ان ذلك لابد ان
يكون اسما للملكهم وانه اول شيء بدا فيها واخر شيء فقدوه لانه كان منوطا بتأسيس
جمهوريتهم احسن امره في الجندية الرومانية ان لا يثنوا على البسالة الزائفة ولم تكن
مبادئ الفخر الباطل التي اودت بكثير من بني معروفه بين شعب ممثلي من الجند
وان نرى سبيون وقبصر اللذين كانا انتظم رجال الحرب واشجع الرومانيين انها لم
يتمرضا للخطر الا وقت الحاجة بل كانا دائما في الحذر المبين ولم يكونا يتظران شيئا من
قائمه لم يتمكن من امتلاك نفسه . وكانوا ينفون للخداسة الجندية في افعال الجراءة غير
العادية ولم يكن الرومانيون يرشون في اقتحام المعارك التي تؤدى بهم الى ارتكاب
المخاطر ولا في الانتصارات التي يثاق منها امراق دماء كثيرة حتى انه لم يكن اجرا من
الجووش الرومانية ولا أكثر خطفا منها وما انه لا يسوغ اضرار حرب اذا لم تكن
قوة كافية لذلك يقتضي ان نلاحظ سياسة الجنس الروماني القاصية فاذا جئنا عن
هذا الجنس في ايام الجمهورية نرى انه لم يكن وقتئذ جمعيات توحد الاعمال حتى
الزوجه فاحصة اباهما بنوره - رأ وعلنا ناطرة في عواقب الامور راغبة في الخير
العام

ولم يأنف الروح القدس من ان يثبت ذلك في سفر المكابيين وسمح كثيرا
سور حصانة من الجمعية المنفذية من لبنان الحكمة وما من احد يتخذ لنفسه السلطة الا
بنور العقل . وكان جميع اعضائها المتدينين تحت راس واحد يتجهون في ما من شأنهم
خير الموم غير متفرعين او حاسدين

واما بالنظر الى رعاية السرفيذكرنا نيت ليف بشأن ذلك مثلاً سامياً وهو
انه بينما كان الناس هنالك يفكرون في ان يوجهوا على الملك ربي حراً راقى الى
رومية عدوه ملك برغام المدعو اوماس وانجاز الحرب الذي يتكشخ له بالفضاء اشهر

اللعنة الذين آووا الى اعماهم وقد اصبح من المستحيل الدخول من ذلك المحل فنبذوا العمل

واما مورخوا الكنيسة فيوردون النبأ عن ذلك الحادث بدقه كبرى ويذكرون ان نار الماء خامرت وقتئذ نارا الارض . وقصارى القول ان كلام المسيح اصبح ثابتاً وذلك ما حل بوحنا الذهبي الثم على ان يقول ان الرب اقام على الصخرة بركة لا تنزعزع ودار الهيكل ليس بوسع احد انهاضه اى لا احد يمكن له ان يفوض ما اقامه الرب ولا احد يمكن له ان يقيم ما قوضه

وذكر عن الان اورشليم والهيكل ونزول الى الشعب نفسه الذي كان آنفاً هيكل الرب الحي واصبح الآن عرصة لغضبة ومن المتررات اليهود اصبحوا اكثر سقوطاً من هيكلهم ومدينهم لان روح الحق لم يبق بينهم وبطلت النبوة وبرحت الموعود التي كانوا يستندون عليها آمالهم ولم يبق شيء قائم في ذلك الشعب ولم يترك من البناء حجر على حجر

وانظر الان كيف سلوا نفوسهم الى الضلال وإلى اية درجة اتصلوا فكان المسيح قد قال لهم : انا اتيت باسم ابي فلم تقبلوني وإن الى اخر ما سمعتم من قبله . فيند ذاك المحبون استولى عليهم القتل حتى انهم صاروا متآهين ان يسلموا انفسهم لانه لم يكنهم ان الانبياء الكاذبة سلوا المدينة الى نيقوس فان اليهود واصل اياهم من اليهودية طردوهم منها لان حبيهم لاورشليم حل كثيرين منهم على ان يخذلوا مشاوي في رسوماها العافية . وهاك سيجاً اخر دجالاً ياتي ويسم خرايم لانه بعد ان مضى على افشاح اورشليم خمسون سنة شرع برخوخياس المردول اللص المجرم يقول في الهيكل نفسه الذي مات فيه مختصنا انه كوكب يعنوب المذكور في سفر العدد لان معنى اسمه ابن كوكب وقدم لليهود كانه المسيح ففشا اثره اكياس اشهر الربانيين وكل الذين يدعوم اليهود حكماءهم ودخلوا في حرب هذا الرجل دون ان يبت لديهم علامة تدل على بطله . غير ان اكياس كان يقول لهم ان المسيح لا يلبث الا ان يدور وقام اليهود من كل الدولة الرومانية وانحازوا الى برخوخياس الذي كان يعدم ملك العالم فقتل ادرينانوس منهم نحو من ستماية الف ووضع على عواتهم تير العبودية ونظام من اليهودية نفياً موبداً ومن ذا الذي لا يدري ان روح الكذب قد استولى على قلوبهم فانهم لم يقبلوا بحجة الحق

والخلاص ولذلك يبعث اليهم الله بعمل الضلال حتى يصدقوا الكذب فمهما كان
 الغش فانه كان كافياً لخداعهم فقال في هذه الايام احد منافقي الشرق عن نفعه انه
 المسيح فاخذ اليهود يجمعون حوله وشهدناهم في ايطاليا وهولندا والمانيا وماس يثاميون
 ليسوعوا انتصمهم ويتركوا كل شيء ويتبعوه وفكروا حالاً انهم مزعمون ان يستولوا على
 العالم لما بلغهم ان مسيحهم أسلم وترك دين موسى

الفصل الثالث والعشرون

في ضلال اليهود التابع لما انف وكيفية تعبيرهم عن الانبياء

لا ينبغي من سقوط اليهود في هذه الفترة ولان تشبههم في هذه العاصفة بعد ان
 جفوا عن طريقهم فهدى الطريق كانت قد رسمت لهم في النبوءات ولا سيما في النبوءات
 التي كانت توعز الى وقت ماني المسيح فصدقوا هذا الان عمراً دون تسمية ولهذا نراهم
 وقتئذ جاؤهم الى الافك مزورين عن الطريق

ابذل في هذه كي ارفع لديك تسلسل غرضهم وكل كدحهم في ولوج الغنى وان
 الطريق التي يفضل بها تتصل بالطريق العظمى واذا اعتبرنا ذلك من حيث ابتداء
 الضلال امكن لنا السعي في الطريق المستقيمة بكل تأكيد

فقد رابنا يا سيدي ان قد يوجد برهانان نثبتان لليهود وقت ماني المسيح وهما نبوة
 يعقوب ونبوة دانيال وكلتاها تشير الى آثار ملكة يهوذا في وقت جبهة المسيح الا ان
 دانيال بين ان دثار هذه الملكة الثام سوف يكون ناتجاً عن موت المسيح وقال
 يعقوب بنوع صريح ان المسيح الذي يكون رجاء للام اي مخلصاً لم ياتي وقت سقوط
 ملك يهوذا وبقي انه ملكة جديدة لا تكون موهنة من شعب واحد بل من كل شعوب
 الارض وان كلام هذه النبوة لا يمكن ان يخرج لغرض معنى ويتبع تعبيره من تقليد اليهود
 الثابت بهذا الخصوص

ومن ذلك يتم الاعتقاد الدافع بين الرابانيين الاقدمين والمذكور ايضاً في التلمود
 وهو انه في الوقت الذي ياتي فيه المسيح يطل وجود النضاة اي انه لا شيء اهم عندهم
 لمعرفة محي المسيح من ملاحظة وقت سقوطهم في هذه الحالة النوبة التي ذكرناها

وحقيقة الامر ان بداهتهم كانت حسنة. ولو لم تكن افكارهم منهكة بالعظمة الدنوية لما كان امكن لم ان يحفظوا المسيح الذي كانوا يخالونه بسلطة كذبة حتى يشتركوا بملكه فالركن الذي وضعوه كان مفزعا حلالا عندما جاز هيرودس الاول وحديث التغيير في حالة مملكة اليهود ايان لم وقت سقوطهم المرسوم في النبوءات فلم يكن عديم من ريب في عجيء المسيح وفي ظهور هذه المملكة الجديدة لانه كان مزعما ان تجد فيها كل الامم وما تقرر لديهم صريحا ان قد تزع منهم كل سلطان بالموت والحياة وهذا كان لديهم نفيرا عظيما لانه قد كان محفوظا لم دائما الى غاية ذاك الحين مها كان السلطان الذي رخصوا له حتى انهم في بابل في انشاء اسبانهم لم يبرحوا مسئولين عليه وما بين ذلك تاريخ سوسان. وهذا كان تقليدا ثابتا عندهم وقد نبذ ملوك فارس الذين اتهموا الى اوطانهم هذا السلطان بموجب اوامر خاصة قد لاحظناها في محفلها وقد ذكرنا ايضا ان الملوك السلوسيديين قد ضاعفوا هذا التغيير وما انقصوا ولا حاجة هنا لذكر ثانية ملك المكابيين لان اليهود قد عثروا واصبحوا اشداء ورمية في قلوب اعدائهم وقد اكثروا بومبايوس الذي اوتهم كما ذكرنا ان يفرض عليهم جزية ويحلمهم بحالة تمكن الشعب الروماني ان يتصرف فيهم لدى الاقتضاء كما يشاء. ولذلك قد ترك لم ملكهم وايضا له كل سلطته ومن البين ايضا لدى الجميع ان الرومانيين كانوا يتصرفون هكذا وكانوا لا يمشون بالحكومة الداخلية في البلاد التي كانوا يتركون فيها ملوكها الوطنية

وغاية الامر ان اليهود انفسهم يدعون انهم فقدوا هذا السلطان بالموت والحياة اربعين عاما فقط قبل دثار الهكل الاخير ولا ريب ان هيرودس هو اول من اضرب مجريتهم رجاء ان بنم من مجلس السنداران لانه اضطر هو نفسه ان يتحاكم فيه قبل ان يصير ملكا. ثم لكي يجمع اليه كل سلطة اخذ بقوض هذه الجمعية التي كانت كجمعية المشايخ المشبه من موسى وكجلس مشورة الشعب الدائم اذ كان مجري السلطان العالي. فمن ثم فقد هذا المجلس رويدا سلطانه حتى انه اضاعه قريبا عند عجيء المسيح الى العالم فصارت الاحوال ستة جدا في عهد اولاد هيرودس لما صارت مملكة اركيلاوس التي كانت حاضرها اورشليم تحت ولاية معددين من قبل ملوك رومية. وفي هذه الحال السبعة لم يبق لليهود اذنى سلطان في الموت والحياة حتى انهم اضطروا الى ان يلجئوا الى يلاطوس ليمنوا يسوع المسيح الذي كانوا يرغبون في موته في اية حالة كانت ولما

أوعز اليهم هذا الوالي الواهن ان يقتلوه ثم اتسهم اجابوه بصوت واحد لا يسرع ان
تيمت احدا

ولذا قتلوا يعقوب اخا يوحنا بوساطة هرودوس والقوا ايضا القديس بطرس في
السجن . ولما ازمعوا على موت القديس بولس اسقوه للرومانيين كما صنعوا بيسوع المسيح .
واما نذر ذوي القبرة الكاذبة (اي الذين آكوا على نفوسهم ان لا يأكلوا ولا يشربوا
حتى يقتلوا الرسول) فهدل على انهم كانوا موقنين بهبوط سلطانهم ليقتلوه شرعاً وان
يكونوا قد رجوا القديس اسطفانوس بالحجارة فذلك كان ناجماً عن ثورته لم يمكن
للرومانيين التمكن من ردعها لان المؤيحين تلك الثورات كانوا من المدعين بلذوي
القبرة

وبناء على اصح من الدفون المثبتة من المؤرخين ومن اقرار اليهود واحوالهم ان
تخوفت ما في المسيح ولا سيما لما شرع يسرنا بجيلو كان اليهود قد فقدوا السلطة الرسمية
وما امكن لهم ان يشاهدوا فقد هذا السلطان الابطذكرون نبوة يعقوب التي كانت
تندرم ان في زمان المسيح لا يلقى بينهم سلطة ولا قضاء ولا سلطان . وقد لاحظ احد
مؤرخيهم الاقدمين هذا الامر واقر ان الصولجان قد خرج من يهودا ولم تبقى السلطة
بايدي مشايخ الشعب لان السلطان العام نزع منهم وهبط مجلس السداران ولم يستمر
اعضائه يعقرون كقضاء بل كعلمين وهكذا قد حان الان حسب اعتقادهم لحي
المسيح . وبما انهم كانوا يشاهدون هذه العلامات المفررة لما في المسيح الملك الجديد
الذي يندأوا ملكه فوق سائر الامم فكروا بالتحفة انه مزعم ان باني قشاع النبا
عه في البلدان الدانية وكذا في الشرق كله ان سوف يخرج من اليهودية من يملك
الارض عن قريب . وذكرنا سميت وسياتون هذه الانشاعة المستتة على آراء مفررة
ونبوة قديمة في كتب اليهود المقدسة وذكر يوسفوس هذه النبوة بالحرف الواحد وقال
ايضاً مثلهم انها في الكتب المقدسة ولا ريب ان اعتبار هذه الكتب كان عظيماً جداً
في الشرق لان قد شوهد مراراً عديدة ان ما تنبأوا به كان قد تم بانواع مختلفة
وظروف متباينة وان اليهود كانوا متيقظين اكثر من غيرهم لبراعوا هذه الحوادث التي
كتبت لتعلمهم ولهذا قد عرفوا زمان ما في المسيح الذي اوعز اليه يعقوب وحده
بسنوهم وهكذا ملاحظاتهم بشأن حالهم كانت موقعة ولم يزعموا زمان ما في المسيح بل

عرفوا انه مزعج ان باقي في الوقت الذي اتى به بالحقيقة . ولكن بالعجب من ضعف البشر وتكرهم للذين سبوا جهلهم النطع . فاضى تواضع الخلق عن هؤلاء المتكبرين العظيمة الحق التي كان يلزمهم ان يحدوها في المسيح بل انهم كانوا يرغبون في ان يكون ملكاً كملوك الارض ولهذا قال مدائن هيرودس الاول انه هو نفسه الملك الموعود به لليهود لانهم كانوا في دهشة من عظمة هذا الملك وفخه لانه اغنى اليهودية ولو كانت جائراً وهذا ايضا ما سبب بدعة الميروديين المذكورة في الانجيل مراراً وعند الوثنيين انفسهم لان الشاعر عريس وشاعر اشعاره يخبرنا ان الاناس كانوا يحتفلون في اليهودية ميلاد هيرودس الملك كما كانوا يحتفلون بهار السبت وذلك كانت في زمان يهرون ايضا

وقد سقط في هذا الخطاء عنه ايضا يوسف المورخ فان هذا الرجل العالم بالنبوءات كما يقول عن نفسه انه كان كاهناً ومن اخلاق الكهنة انه درى بمجيء هذا الملك الموعود به يعقوب وان ذاك الحبي كان يفارقت لوقت هيرودس لانه بين لنا بكل اعتناء دنار اليهود ولكن بما انه لم ير في امتوشنا بوافق افكاره ذات المطامع كما ظن في المسيح اخروفت النبوة ونهاها لويساباريوس مؤكداً ان هذه النبوة تدل على هذا الملك الذي صار امبراطوراً في اليهودية .

وعلى ذلك كان يعاكس معنى الكتاب الاقدس ليوطد دهانه فباله من اعمه البصيرة فقد ود ان ينقل امل يعقوب وهو ذا الى الامم ويطلب يوسف بانيوس ابن ابراهيم وداود وبني لماك وبني من هو مزعج ان يثير العالم وينتدعهم من الاصنام وكانت ظروف الزمان تقوم بناصرة ولكن فيها كان بني يوسف بانيوس ما قاله يعقوب عن المسيح كان دور الفجرة الذائبون عن اورشليم ينسبون ذلك اليهم وبالتوكيد على هذا المبدأ وحده كانوا يعدون نفوسهم ملك العالم ويومئذ ذلك يوسف وبهذا كانوا ارض من لانهم كانوا لم يتحلى انهم قصد ان يطلبوا تقيم المواعيد التي اعطى آباءهم ايها

فلماذا لم ينحوا عيونهم عند سماعهم هذه الاشاعة العظيمة التي كانت تفرح اذانهم لما شرع الرسل يندرون الامم بالانجيل ويشيدون ملك المسيح في كل الارض وايضا ملكة اعز من هذه الملكة فانها تفيض على زمان النبوة ويتصربها الحق

على الاصنام وبشر بها بالحياة الأبدية للام الضالّة وإن ملكة القباصة لم تكن سوى
زهاء باطل بالنسبة لهذه الملكة الحقيقية. بيد أنه لم يكن لهذا الملك الزهو الكافي لدى عين
العالم.

فيجب على المرء أن يقصي عنه الانفجار البشري لعرف المسيح. ومن الثابت أن اليهود
كانوا يعرفون الزمن ويمرّون الشعوب المدعوين لاله ابراهيم يسوع المسيح وتلاميذه
حسب نبوة يعقوب ومع ذلك لم يعرفوا هذا المسيح المعلن لم يجمع الأدلة ولو أنه ثبت
إرساله في مدة حياته وبعد موته بكل أنواع التجانس فمجدّه هو لا الهمان لانه لم يد
يو الآ عظيمة العارية عن كل الظواهر التي توتر في الحواس ولانه كان آتيا اقمع
مطامعهم لا للقيام بانصرافها.

ومع ذلك كانت الظروف والحوادث تفسرهم على أن يجالوا احسانا او هاهم قسرا
عن عمه قلوبهم. وكانت الاشياء تعد بظهور المسيح في وقت السيد ك العزة حتى انهم
فكروا ان يوحنا المعمدان يكون هو المسيح لانه ادهشهم بعيشته الشفة والحقارة العادة
والعجبة وبدا انهم اكتفوا بزمو هذه الحقبة العجبة لانهم لم يجدوا عظيمة العالم كلها كانوا
يطلبون واما حين المسيح البسطة والاعتيادية فكانت تعجز هذه القول الساذجة
والمتزاوية تائف من لانهم لم يكونوا ينثرون الاما يوترجف حواسهم. وخلا ذلك
فما انهم كانوا قاصدين عن كل ما يؤول الى ارتدادهم الحقيقي لم يشاؤوا ان ينجحوا الاما
يعتبرونه امرا لا يقتدى به. وبناء عليه لم يفلوا يوحنا المعمدان الذي فكروا ان يكون
مستاهلا ان يكون المسيح لما هدام الى المسيح الحقيقي. واما المسيح الحق الذي كان
يقسم على اقتفاء أثره عند وثوقهم به بدا لديهم دينا جدا لدن نسمهم به.

وبناء على ذلك الصور الذي قام باعبائهم اليهود لدى بدو المسيح في تلك الاثناء
كان عزيزا جدا حتى ان ذلك استمر فبا بينهم اكثر من عصره فخالوا ان شمة
النومات لا بد لها من سعة. ولا يقتضى ان تكون محصورة في معنى مقرر ولذلك لم يكن
ينفوخ بينهم مدة نحو من مائة سنة الا عن المسيحيين الافاكين الذين كان القوم يفتونهم او
عن الانبياء الافاكة الذين كانوا يندروهم. ولم ير شيء يضاهي ذلك في الاجيال
الماضية ولم يقالي اليهود باستعمال اسم المسيح الى وقت أن كان يهوذا المكابي ينفوز بالظالم
يظنر عظيم او وقت كان اخوه سمعان يعتقد من نهر عيودية الام او وقت أن كان

من الاتحاد لانها كانت في المحن الذي يشدها فيه الروح القدس في سفر المكابيين .
 واما مجلس ندوة قرطجة فكان بسبب غزوات قديمة متصفا الى شطرين لا يمكن اتفانها
 وكان هلاك انبال برذا وسلاماً على قلوب الاعيان والمظالم فيها . بيد ان رومية
 كانت فقيرة جداً تطلب على الحراة التي هي علة لانعانة جديدة باسلة لم تكن تقدر الا
 بالجهد والاسم الروماني مع ان قرطجة كانت مصرية بخارجها وكان اهلها منهمكون في
 الثروة والمال غير مفرزين على فن الحرب . وبما ان رومية كان جنودها الكثيرون
 من قاطنيتها كانت قرطجة لا تسع لما ساسها ان تعبد الا اجبيين وكانت الخشية تقع
 منهم احياناً على الذين اتخذوهم لهمتهم اكثر منها من الذين نذر الحرب عليهم . فكانت
 هذه الورطة متأنة من تاسيس قرطجة الاول ومن نوازل الايام فانها لم تنفاعد عن
 محبتها للمال والتي حتى ان اربسطو كان يونانيا كثيراً على ذلك فاثلاً ان هذا الامر
 ذريعتان بفضل سكانها النفوذ على التفضيلة . وقد قال هذا الفيلسوف ان هذه الجمهورية
 التي توصلت لاثارة الحرب قد اجمعت قواعدها ومارسيتها لكنها لا يلوح انه يونانيا اذ
 ليس عندها الا جنود اجبية لكنها يؤخذ من هذه القرائن انها لم تنفط في هذه الورطة
 الا بعد ذلك . الا ان كثرة التي تسوق بالطبع الحكومة الجمهورية الى ارتكاب مثل ذلك
 لان كلاً يود ان يتمتع بجهراؤه وانعامه متفكراً انه يعتبر على كل امر بغضاض ماله
 وعلى هذا كانت قرطجة تمد نفسها قوة لانها كانت مالكة عديداً وافرأ من الجنود .
 ولم تعلم من الاختيار ومن عثر جنودها المتكاثرة في الازمة الاخيرة ان لاشي يتكفل
 بهلاك دولة نظير استنادها على اجبية لهدود عنها مع انه يكون عارياً من كل غيرة
 ورضوخ وامنية

ولا يتكران سمو عقل انبال القاضى اصلى ما في مياحة دولته من الخلل . ومن
 الامور التي تبعث على العجب ان لم يحدث في جيش انبال المولف مجموع مختلف
 لم يكن البعض منهم يسمع للبعض الآخر بل انهم كانوا متعدي الكلمة واضيقون لاوامر
 قائدهم مدة ست عشرة سنة في بلاد اجبية الا ان مهارته لم تكن بقادرة ان تعضد
 قرطجة وقت ان هجوم على اموارها القائد سيون الماذاق واصبحت حبيطة دون قوة
 قاضى الامر باهلها ان يستشيروا بانبال الذي لم يجدد الا يجنود اضنكتهم اعتصارانهم
 اكثر ما اضنكتهم فوز الرومانيين . وزاد على ضعفهم ضعفاً طويلاً الصفر في البر والبحر

ولهذا انكسر انيبال وتفرقت طرطجة التي استولت انفا على افرقية والبحر المتوسط
وكل تجارة العالم فالتزمت اذ ذاك ان ترسخ للنهر الذي انشاء الظافريون على
عائنها . فذاك ما جناه من ثمر الجند والفخر جلد الرومانيين وصبرهم . لان الشعوب
الذين يملون ويغلبون في اثناء الدواب لا يأسون من انهم يتغلبون من حبات
المشاق المبرحة بشرط ان لا يفتقدوا املاً . وقد عرف بوليب المورخ ان فرطجة سوف
ترسخ ارومية واستتج ذلك من نظام الجمهوريين

فاذا كان الرومانيون لم يتخذوا كل هذه الوسائل السياسية والجندية الا لكي يرفعوا
دولتهم في مجرعة الراحة ويصدوا المعتدين على الذين يواخونهم وجب علينا ان نظرى
بالثناء على عدلم كما اطربنا على بسالتهم وحكمتهم . الا انهم لما ذاقوا حلو الظفر ارادوا
ان يحصلوا كل شيء راضيا لشوقهم . وجل . فاصدم كانت ان يستولوا على مجاريهم ثم على
العالم بأسره . واملاً بنوال مرغوبهم كانوا يعرفون ان يراعوا المعايين معهم ويطلبوا على
الاتفاق بينهم ويلتوا التتة والحمد بين اعدائهم ويتداخلو في افكارهم فيكشوا على نوابياهم
ليستدركوا اعمالهم ولم يكونوا يسهرون فقط على تصرف اعدائهم بل كذلك على نجاح
مجاورهم لانهم كانوا يرغبون جداً في ان يتمتعوا بالدول القوية والمناعة فوزم يستفدون
الوسائل لمناوئهم من جهة اخرى حفظاً للموزنة وبذلك اخطأ اليونان في عصر
بوليب المورخ عندما كانوا يبنون نوسيع رومية الى القنادير لالحكمة مفصودة وذلك
لانهم كانوا يودون مجد امهم . وكانت تدب فيهم الفيرة اذ كانوا يرون انما يفعلون
عليهم مجداً ولما كانوا يرون عن بعد المملكة الرومانية تتقدم وتنمو كانوا يعززون الى
العدفة حسب عوائد بني الانسان ففاعيل لم يكونوا يعرفون علها . ولم يكونوا قد دخلوا
في الاحكام التي كانت تحرك هذا الملك العظيم اما بوليب المورخ فبسبب عشرته للرومانيين
كان واقفاً على سياستهم المكونة وبسبب ملاحظته سلوكهم في المروب مع فرطجة حكم
بعذر على الرومانيين اكثر من غيره من اليونان ونسب فتوحاتهم لا للقادير بل
لمقاصد متواصلة مبنية على الحكمة لانه كان يشاهد الرومانيين من البحر المتوسط يرحلون
ابصارهم الى كل الانحاء حتى اسيا واسبانيا ويراقبون كل ما كان يجري ويتدرجون
خطوة خطوة ويولدون شوكتهم قبل ان يتسولوا ولا يحملون نفوسهم احمالاً كثيرة ويكتمون
برعة مقاصدهم ثم يعلشونها لدن الانتضاء فتريصدوا غلبة انيبال ليتهروا فليس المكشوف

مضافاً . ومنى شرعوا في امر لا يعاونون ولا يفرحون الا لدن انما ولا يتركون للمسكونين
فرصة يكون لهم فيها فرج وبعد ان ظهروا عليهم اعدوا الى اليونان من ازمة مدينة
تحت افعال العبودية الحرة التي لم يكونوا فيها يفكرون وبذلك بشوا في الامصار التاسعة
ثمهم وحرمة اسهم وهذا ما يبين صريحاً ان الرومانيين لم يسارعوا لنجح العالم بالنقادير بل
بحكمة متصودة

هذا ما شاعته بوليب في اثناء نجاح رومية . واما دنيس الكارناس الذي كتب
بعد تسييد الدولة الرومانية اي في عهد اوغسطس يستخرج من النتيجة عينها بعد ان تكلم
بداية عن ترتيب الجمهورية القديمة الذي هو قادر ان يربي بذاته شعباً اهدلاً للسلطان
ولا يعمل به ايدي الغلبة . وذلك كافٍ ليمالك تنقي راي هؤلاء المؤرخون وتدحض
راي بلوتارك المنحرف لليونان النامي الى النقادير عظمة رومية . واما عظة الاسكندر
ففسمها الى قوة حكمته وفضيلته

ولكن طالما بين هؤلاء المؤرخون مقاصد رومية المعتمد عليها الافتتاح يوضحون
ظلمهم لان هذا النص لا يترز عن المطامع بالسلطان ولهذا رذلة الانجيل المقدس انما
الفلسفة وحدها تكفي لان توضح ان القوة نالها بنو الانسان ليحافظوا على ما لم لا يفسدوا
ما افرم . وقد اقر بذلك شعرون والفوليين التي سنها لتقيم الحروب ترذل الرومانيين
جباراً . ولا ريب انهم اخذوا يعدلون في بداية الحكم الجمهوري لانهم كانوا يظاهرون
انهم شديدو الرغبة في اخراج الحرب التي حصروها في حيز العدالة والانصاف ولا
شيء اود من جمعية الناس يوكس اي الصفراء سواء كان عندها نوما تطبيقاً لما بنوه و
دنيس الكارناس او انكوس مارسيوس تطبيقاً لما بقوله تيف قيف فوك الجمعية قد
عندت لتبرز احكاماً سواء كانت الحرب عادلة ام لا . وقيل ان كان مجلس الندوة
ينهلك في تاجع الحرب او ان الشعب يتهاقت عليها كان الفحص العادل مصروفاً في
اسبابها ولما كان القيام بشأن ذلك بعدد عدلاً كان مجلس الندوة يسارع الى تقييده . لما
كان المحاربون يطلبون قبل شرعاً كل شيء من الخنافس ولم يكونوا يستقدمون الوسائل
الجبرية الا بعد ان يفرغوا كل انواع المساهلات

ولا ريب ان هذا النظام كان امراً مقدساً . وما يشين المسيحين ويرذلهم ان قد
عبط من الماء الذي لقي منهم سلاًماً فلم يمكن له ان يثبت في قلوبهم محبة . فاما القاتلة

اذا من القوانين المحسة اذا اصححت بمحصر القول صورة كاذبة . فان لك الفوز والحكم
 افسدت في الرومانيين ما كان عندهم طبعاً من الانصاف والاستقامة لان مداولة جمعيه
 الفاسيوكس لم تبقى عندهم الا صورة زائفة وان يكن الرومانيون يعاملون آتية اعداءهم
 بالرفق والودعة فان الطمع لم يمنح مبعاً للعدل ان يفوز في اراهم والتمامهم وفضلاً
 عن ذلك فان ظلمهم كان يبعث على الخطر المين لانهم لم يكونوا يستطيعين ان يواروا
 تحت ستار العدل . وكانوا يرزحون تحت اقبال رقبهم الملوكة والامم تحبهم بدافعون
 عنهم مع انهم كانوا ذوي قسوة بربرية نحو الذين كانوا يتدحجون عليهم تكبراً . وذلك
 من دأب الفاتحين الذين يملكون ان الرعية قائمة باكثر الفتوحات . افسوخ الحكم
 باسمه كذا هو . اللة قارطة في الامتلاء فبغدها بنو الانسان باعمال كنه بربرية
 وامل ان باقي الرومانيون المول في كل ابن كانوا يغادرون في المدن المنقطة مشاهد
 مرعبة تدل على قسوتهم وكانت مات الارهاق والتذلل ندو عليهم نحو الذين كان
 ينظر اليهم بعين التلى والشفاء . ولم يكونوا يعنون عن الملوك بل كانوا يبتونهم بقساوة
 غريبة عدا انهم كانوا يكرهونهم بالسلاسل لدن الثوز بهم ويحرقونهم بالعجلات كالعبيد
 غير انهم كانوا مع كل هك القسوة الفاحشة التي كانوا يستقدمونها في سبل
 الافتتاح كانوا يحكمون بعدالة الامم الراضحة لشوكهم لانهم كانوا يبذلون غاية جهدهم
 ليقبوا الشعوب المقهورة لذة احكامهم فظانين ان ذلك من احسن الوسائل التي تكفل
 بفوزهم . فكان مجلس التدق يقيد الولاة ويحكم بالعدل للام لان هذه اللجنة كانت ملاذاً
 للمظلومين ولهذا لم يطرأ سلب او عيب في الدولة الرومانية الا في اواخر الحكم الجمهوري
 والى ذاك الان كانت شهامة الولاة وقناعهم مدوحين في كل البسطة
 وبناء عليه فلا تعدت الرومانيين من زمة هؤلاء الفاتحين المطامع الذين لا تراخ
 نفوسهم الا الى التمس اولاً بوطد امتلاكهم الا على دنار البلاد المنتوحة . فلاريس انهم
 كانوا يحسنون احوال المدحورين ويوزدونهم ارباباً اكثر ما كانوا يسودون بينهم
 العدل والحرارة والتجارة والفنون والعلوم بعد ما كانوا يملونهم ذوق المانة
 وذلك مما اولاهم هك الملكة التي تفوق كل ممالك العالم برعايتها ونظامها وعظم
 اناسها فان حدودها كانت تمتد من نهر الفرات والنايس الى عوايد هرقل وعمر
 الاناتليك وكانت كل الامصار والبحار راضحة لشوكها . تجول ملاحوها في مجمع البحر

المتوسط فيجوزون كل ساحاته مستشرقين على كل الممالك التي حوله طولاً وعرضاً يحفظون عليه من طرفه لا يترروا الاتصالات في منكمهم . اما الان فياخذنا الذهب عند رومينا الشعب الذين هم ممالك عظيمة اسي غاليا برستا واسبانيا كلها وغالب بريطانيا الكبرى والبريا حتى شواطئ الدانوب وجرمانيا حتى نهر الالب واثرينيا حتى قفارها المربعة التي لا يدخلها احد وبلاد اليونان وتراسيا وسوريا ومصر وكل ممالك اسيا الصغرى والممالك التي بين البحر الاسود والبحر كاسيان والممالك التي اوعزت عليها اولم اشاء ان اذكرها لم تكن منذ اجيال متوالية الا مقاطعات من المملكة الرومانية التي كانت كل شعوب العالم حتى البربر تخضع شوكتها وقد بسطت في كل الانحاء سلطتها وشراعتها وتدها

ومن الغريب ان في مملكة كهذه رحمة مكنته اما شتى وممالك عظيمة شعوباً عظيمة كانت راضعة لما لا يدب فيها غرد الا قليلاً لان سياستها كانت قد جعلت بوسائل عديدة ارفع لديك محصلها بوجيز العبارة ان النحل الرومانية التي نشأت في كل ارجاء المملكة يكون لها مقولان عظيمان اولها انهم كانوا لا ينقلون على المدن التي كانت فيها عديد كبير من ذوي المعصرة . والثاني انهم كانوا يحافظون على الحال المهيبة ويعودون الشعوب الغربية على اخلاق الرومانيين وعوائدهم فهذه النحل التي كانت ترحل ومها كل الامتيازات الخاصة كانت تمكث متعلقة بالحكم الجمهوري منصفة المملكة من السكان الرومانية

وعند ذلك كان قسم كبير من المدائن كانت تهيئ سكانها حقوق سكان رومية متحدة بها بصالحها ساهرة على المدن المجاورة لغربها برعاية واجباها ثمحدث في اخر الابلام ان كل رعايا المملكة اعتبروا نفوسهم انهم رومانيون وان الشرط المنوط بالظافرين الحق فيما بعد بالمتحورين ففتح لهم مجلس الدوة ابوابه وبناوا اماهم على ان يركبوا مستقبلاً تحت الملك وعلى هذا اصحبت الامم بسبب حلم الشعب الروماني شعباً واحداً وامست رومية وطناً للجميع

فكم من ملائمة جرت هذا الاتحاد العجيب الى كل الشعوب المائدين في ظل سلطة واحدة للتجارة وسفر البحر فان الشوكة الرومانية كانت قد اكتسبت كل شيء . وعدا بعض مقاطعات على القوم كان المجاورون يقيمون فيها قبعة التلافل وكان العالم

برمه في السكينة والامن . ولا مره ان بلاد اليونان واسيا الصغرى وسوريا ومصر
 وأكثر مقاطعات غيرها لم تلبث دون حرب الا على عهد الرومانيين ومن هنا يؤخذ
 ان هذا الاتصال بين الامم كان آيلاً الى حفظ الرضوخ والاتفاق في كل جهات المملكة
 واما الجنود الذين كانت بهم رعاية القصور فكانوا يشبهونها داخلية كانوا يدافعون
 عنها خارجاً ولم يكن من عوائد الرومانيين ان يشدوا قلاعاً في امصارهم ولا ان يحصنوا
 قصورهم ولم يقوموا بهذا الشروع الا على عهد فلانتيانوس الاول لانهم كانوا آنفاً
 يحصرون قوة المملكة ورعايتها في الجنود الذين كانوا يعثونهم الى ارجائهم حيث
 يكونون قادرين ان ياحضوا بابادي بعضهم المعتين . وبما ان النظام كان يلزمهم ان
 يستقروا دائماً في المعسكر لم تكن المدائن تاذى بحضورهم . ولم يكن القانون العسكري
 يبع للعساكر ان يتجولوا في الحقول وعلى هذا لم تكن الجنود الرومانية تلبس الثعابة
 او الحرثاء . بل انهم كانوا يقيمون في معسكرهم اسواقاً لا تختلف عن سواها بالانشغال .
 بل كان النظام مرعياً بكل صرامة والامر بكل شدة . وكان هؤلاء الجنود مستعدين
 للعمل عندما تدعوم الى ذلك احدى حركة . وهذا امر كاف ان يجعل الشعوب
 راضين تشييم واجبايم لدن شعورهم ان جنودهم موهوبون دائماً للقيام باعمالهم
 ولم يكن شيء يسد الراحة والامن في المملكة اكثر من نظام العدل والمجلس
 الذي سب الحكم الجمهوري ونسره الامبراطوريون والفقهاء فكان الشعوب كلهم حتى البرابرة
 ينظرون اليه بعين الإعجاب والذهشة . وبهذه الشرائع وحدها كان الرومانيون
 جديرين بان يستولوا على العالم . وفضلاً على ذلك فاعدا كانت الشرائع الرومانية
 بدت مقدسة وان عظمتها لم تنزل الى الان رغماً عن دناء المملكة فلا يكون الا لأن
 الفعل يستقر في كل امم وأن لا شريعة تنطبق على مبادئ العدل الطبيعي نظيرها
 غير ان قسراً عن عظمة الاسم الروماني وهذه السياسة المكونة وكل النظام السامي
 الذي نشأ في هذه الجمهورية المشهورة كانت رومة تضمن في جوهرها علة دنائها
 وهي ديمومة حشد الشعب لمجلس الندوة او بالاحرى حشدهم للشرفاء . فرومبولس
 كان قد وضع لذلك امتيازاً اذا اقتضى ان يكون للفلوك انام متنازرون يناطون بشخصهم
 الملوكي بروابط خاصة ليحكموا في الشعب بواسطتهم . ولهذا اصطفى الشعب الشيوخ
 والقب منهم مجلس الندوة وكانوا يدعون شيوخاً نظراً الى سنهم ونساصيتهم ومنهم نشأت

عائلات الشرفاء . ومع هذا فبها كانت السلطة التي ابقاها روميلوس للشعب فانه
 اخصهم تحت ولاية الشرفاء بوسائل استخدمها في ميلب ذلك . وهذا الرضوخ اللازم
 للحكم المائكي حظوظ في ايام الملوك وحكم الجمهورية فانهم استمروا مقبولين من الشرفاء
 اعضاء مجلس الدولة وكانت الوظائف والولاية والرتب حتى الكهنوت منوطة بهم . غير
 ان الصيوخ الذين عتبروا رومية لم يضربوا صفحا عن امتيازاتهم فحدث اذ ذاك عنقارب
 الحسد ولا حاجة لذكر الكافاليه امي الخيالة الرومانية الذين كانوا مرتبة ناكه باخزون
 آونة بايدي احد المشاخرين ولونة بايدي الآخر الا ان السبب الحقيقي الذي كانت
 به رومية متعشة هو حب الحرية

لان مبدأ الجمهورية الاسامي كان قائما بان تعتبر الحرية انه غير منفصل عن
 الاسم الروماني وان الشعب الذي يكون قد الف هذا المبدأ او بالاحرى خلق
 ليستولي على الشعوب كلها (ودعاء نرجيلوس الشعب الملك) لا يوده ان يرضخ
 لشريعة لم يكن منها هو نفسه . وكانت سلطة مجلس الدولة امرا واجبا يعذل سلطة
 غيره من المجالس ولو ذلك لكادت المجالس كلها خيمجة الا انه كان بالشعب يناط
 تقليد الولاية الرياسة ويو تسن الشرائع وتخدم الحرب ويبرم الصلح وكانت له حقوق
 الملك الاسامي وتخذ اهانة الملوك وهذا كان يرغب في ان يوعز اليه ولكن لا يشاء
 ان مجلس الدولة يتصرف على امره . وعليه فكل ما كانت يدوي بهه العظم والامر
 او يرتفع عن غيره او كل ما كان يشين او يمس روح المساواة السائدة في دولة حرة يانف
 منه هذا الشعب المحرك الالفة . وهذا حب الحرية والمجد والتفوحات كان يقضي عاوه
 بعدم الانتقاد . والمجراة التي كانت تبعثهم على ان يباشروا كل الاعمال الخارجية
 كانت نسب لم انفسامات دخليه . وعلى هذا فان رومية المحرصة على حريتها
 شاهدت الشقاق ثائرا بين كل مراتب الامر . ولدن ذلك سري الحسد الراتع بين
 الشعب ومجلس الدولة والشرفاء لان منهم من كان يزعم ان الحرية المفرطة تبعد نفسها
 ومنهم من كان يخشى ان السلطة التي من دايها ان تكون دائما ممثلا مستعير جورا وعدوانا
 فلم ير الشعب ما بين هذين الطرفين حداً اوسط . والصالح الذاتية لم تيج لهم بان
 يستمروا في حدود الآراء العادلة . وان ذوي المطامع والعيان كانوا يغمرون روح
 الحسد ليتعنوا زمانا بالولف باغراضهم . وهذا الحسد الذي كان تارة متواريا

وطوراً يادياً حسب مقتضيات الأحوال لم يرحح جناً في القلوب حتى سبب الانقلاب العظيم الذي طرأ في أيام قيصر ومن خلفه

الفصل السابع

إيضاحٌ للانتقالات التي حدثت في رومية

يسهل عليك يا سيدي جداً أن تنقف على يواعها إذا كنت بذل جهدك بهد شعورك إجمالياً الرومانيين وتاليف جمهوريتهم بالإطلاع على بعض التي لها ارتباطاً وثيق . وإن كانت طرأت في أزمنة قديمة جداً فجميعها زيادةً للإيضاح وهي : أن روميلوس الذي حنكته المحروب وهو المدعو بابين مارس (اله الحرب) شاد رومية التي أسكنها من الناس مؤلفين من رعاء وعبيد ولصوص وفوائدوا عليها بمقدونها ملائداً لأن بابها مفتوح للواردين وإلى إليها الناس غفراً لم سعة بالفضل والنسب المظلم . فلقد ذلك اشعرت هذا الشعب العجيب روح الاندفاع على كل شيء بالقوة الشريفة حتى أنهم اتخذوا أسامهم بهذه الوساطة . وبعد أن مضى على ذلك مدة أسس الانتظام وألأن عرائكهم بشرائع مقدسة . فباشرا ابتداء الدين الذي كان يعتبره أمماً لذلك وجباً ذا وفاء وحظرة دخول المذاهب الأجنبية والديناخ التي لم يعاودها الرومانيون ثم تحولت هذه الشريعة التي كان صارفاً جل العناية في حفظها ألا أنهم ابتلوا منها شيئاً وتغيروا من الشعب اعظمه ليؤلف مجتمعاتاً دعاة مجلس الندوة والله من للغاية من الاعيان الذين زادوا فيما بعد جدداً . ومنهم خرجت العائلات الشريفة وما بقي كان سوقاً لوشعياً وكان على مجلس الندوة أن يحث عن الاشتغال ويعرضها لدى الشعب . وكان يست بعضها مع الملوك ألا أن أعما كان يبرز لدى الشعب فيصدق عليه . وبينما كان روميلوس في محفل طرأت ثورة على عمل فتسابق إليه الشعب وقطعوه أرباً أربالاً ثم وجدوه ناهياً بأوامره . ومن ذاك بدأ الاستقلال في تلك العصاة وشاع النبأ وقنع أن الأله اغتطف روميلوس إلى السماء قصد أن تحمد نيران غضب الشعب الذي كان يحب ملكه وإن يكون لذكوره في المدينة مقاماً سامياً . فشاد الرومانيون للميدلج . ثم أن نوما بوميلوس أكمل تنظيم عوائدهم وجماعاتهم وتنظيم الدين غير مفرق شيئاً من

الاساس الذي اقامه روميلوس وذلك بعد ان اخذت نار الفتنة واستمسك السلام .
وسمى تولوس هوستيلوس شرافع ثقيلة للنظامات العسكرية والحرية واصناف اليد خلفه
انكس مارتس احتالات مقدمة املاً بان تصير العسكرية مباركة ومقدسة وواصل
بعد تركوين القدم عدد الاعيان في مجلس الندوة الى ثلثاية . وما ذاك الا ليكون له
يو خصصة ويقوا على هذا العدد اجيالاً عديدة ثم باشر الاشغال الشاقة التي كانت
آية الى الراحة العامة

ونوى سرفوس تولوس على تأسيس جمهورية يترأسها حاكمان يخبرها الشعب جازماً
ان رياستها لا تتجاوز اكثر من عام . ونقضت الملوكة بغضة بناركوس الجبار وقويح اللذين
حاولوا ان يقيموا مرة اخرى مفذوقين باللعنات الوحشية وآلى الشعب على نفسه انه لا بد
من ان يسفر على حريته و اشار الى ذكر روتوس المورخ ونوع بهذا التغير كتابات
سرفوس تولوس . فكان الاتصال اللذان تخبرها الشعب ان يكونا من رزم الشرفاء
بساو بان الملوك بالسلطة الا انها كانا يتداولانها ملياً ويفتران كل عام .

فاصطفى لهذا المنصب السبع كلونيدوس وبروتوس لانها كانا مشتركين في الحرية
وان يكن الاول منها قريباً للكراس التي سبب موتها هذا التغير وانه كان يهذى اكثر
من غيره الاتهام من الاعانة التي تانت بها فلدن ذلك وقعت عليه الشبهة انه كان من
العائلة الملوكة فطرد واقيم بمنازل غاليريوس بعد ايام من غزوة انفذ بها وطنه من
الفياتين والامروسيين الا انه اتم به انه يرغب في الحكم الجوري لانه بدأ ان يشهد صرحاً
شامخاً على قمة آفة بادخة واذا ذلك لم يكتف بالعدل عن تنعيم البناء بل انه بعد ان عاد
والشعب بنظره بين الرضي والمودة من شريعة ان الدعاوي لابد من رفعها لدن
الاتضاء الى الشعب الذي يناط بآونة الجزم بالحكم فضغفت هذه السنة بدأة بدء
سلطة التناصل والسعت حقوق الشعب . وبسبب الاقتضات التي كان الاغنياء يعتنون
بها القراء لتحصيل الدين ناز الشعب على التناصل والجلس ولاذ بجمل اقتنينه وكان
مدار هذه الجاهرات نوال الحرية الا ان الشعب الروماني لم يعتبره حراً طالما لم
يكن له وسائل شرعية يقاوم بها المجلس فاجأهم الامران بقبول وكلاء مدعين يذودون
عن حقوقهم فيساحلون القناصل بالمناوأة والاستئناف فاما هؤلاء القضاة فرغبة في
ان تكون لهم السلطة كانوا دائماً يضرمون نيران الشقاق بين التناصل والشعب الذي

كانوا يصنعون القوم بقولهم لم ان اراضي البلدان المتبوعة والتي الذي اذي عنها لا بد
من تميز بين السكان ولم يبقا المجلس بقاوم هذه الآراء الابله الى دنار المملكة لانه كان
مزحاً ان يضع عن الارض في الخزينة الوطنية . وكثيراً ما كان الشعب يتقاد بمشورة
وكلائه البائين روح الشقاق الا انه كان ذا انصاف متجهاً من فضل الرجال الذين
كانوا يناقضونه . والعلة التي كانت تقوم بتحميد هذه الثورات حروب متواصلة خارج بلادهم
فمن الحروب كانت تمنع سير الشقاق الى حيز يسير العاقبة وفي اثناء ما كان الرومانيون
فائزين بحروبهم وموسعين خطوات فتوحاتهم دب الحسد والضيق فيهم وبعد ان سم
الحزبان مرة هذا الشقاق الذي كان يوعنا المملكة بالحرب اتفقا على ان يسنا شرائع ابله
الى راحتها والى تاييد المساواة اللازمة في كل مدينة حرة وكان كل منها يدعي ان
هذه الشرائع منوطة بفرزاد ذاك الحسد بهذا الادعاء وصموا براعي عام الية على ان
يعدوا سفراء الى اليونان للاطلاع على شرائعهم ولا سيما شرائع سولون لتعارفة لدى الشعب
كثيراً ووضعوا ان ذاك شرائع الاثيني عشر لوجاً الا ان الدسفيبراي القضاة العشرة الذي
نصوا هذه الشرائع نزعوا من وظائفهم لانهم تجاوزوا الحد باستعمال السلطة . وبما كانت
الراحة مستحقة وكانت القرائن تدل على ان تلك الصلة العادية توطد الى الابد الراحة
العامة احتدمت نار الشقاق بسبب ادعاء الشعب بنصب القضاة المنوطة الى ذاك
الحين بالضرورة الاولى فما بحث الشريعة للسوقة ان يتقلدوا مناصب كهذه الا ان اعضاء
مجلس الندوة اثروا على ان يقبوا ثلاثة حكام حديين يعطون سلطة القناصل ويدعون
تربيان على ان يتقلدوم شرف القضاة . فقبل الشعب هذه الرتبة الجديدة واذا اكتفى
بنوال حقوقه استعمل فوزه بشاعة واسم على ان يسلم الامرية الى الشرقاء وبعد سائرعات
طويلة ابوا الى القضاة واسمرك الحزبان مع تواتر الايام بهذه المناصب وان يكن الشرقاء
لم الامتيازات الكبرى بالانتخابات واستمرت الحروب متواصلة اياماً مديدة . واما الرومانيون
الظافرون القاطنون في فتح جبال السب ففازوا بعد تاجيح الحرب مدة خمسمائة سنة باعدادهم
الالاء وكل ايطاليا

وان ذلك ابتدأت الحروب الترمجية وتعاظمت الاحوال حتى ان كلا من
الشعبيين ظن ان لا وجود له الا بهلاك خصمه واوشكت رومية ان تنهت لانها لم تميزع
بل لبست في ساحة الغرم وحكمة مجلس افنكلل خيراً صبر الرومانيين باكلول الفوز وبشكل

فيهم قرطجة مبيون الا فرقي وانسقط احكام رومية الظائرة مدة ما بقي سنة
 رآ وجرأ ورشح العالم كله لسطوعها . وفي تلك الايام اي منذ خراب قرطجة اخذ المطاميع
 من الناس بطلبون الوظائف التي زادت عدداً وقيمة غير فاكرين الا بامالة الشعب
 مضاعفهم وبذلك تعكس الاتفاق الذي قد ابرم بين الفريقين منذ خراب قرطجة فان
 الكراكين كانوا علة ذلك الاضطراب ومطالبهم باكورة كل الحروب الداخلية . ومنذ
 ذاك الوقت اخذ الناس يحارون سلاحاً ويستقدمون القوة البحرية وكان كل يجهد
 في ان ينال فوزاً يحصمه بطريقة شرعية وحرية الا انه الان حكمة مجلس الندوة والحروب
 العظيمة التي طرأت اخذت تيران المحصورة . فاربوس الباسل الذي كان من السوقة
 اتار الشعب بنصاحة جندية وهيهم بخطبائه كان يقاوي بها الشرفاء وبذلك ارتقى الى
 اسمى المراتب واماسولا الذي كان من الشرفاء فقد تراس على الحرب الماضية واصبح
 ماريوس يزنو اليه بين القلي والحسد . واخذت جيشه المكابد والرشوة نستولي على
 رومية . وان حب الوطن واحترام الشرائع لم يعاد لها امر . فضلاً على ذلك فان حروب
 اسما علمت الرومانيين التبرج والطمع في الحصول على المال . ولدن ذلك اخذ قادة
 الجيوش يستميلون اليهم مودة الجنود الذين لم يكونوا من قبل ذلك يومدون لم تكمة
 الا لكونهم مفليدين السلطة العامة

واما سيللا فقد غادر عساكره يقولون في الحرب التي شبت بينه وبين متريداث
 ملك البون وما ذلك الا ليمرضهم . واما ماريوس فقد كان بعد معاضديه انه
 يقسم بينهم الدراهم والارض فبذلك اصحبا كلاهما مالكون زمام جودها . فادعى
 الاول انه يريد ان ياخذ يد مجلس الندوة والاخر ان يقوم بناصر الشعب فاضطربت
 بينها حرب مائلة داخل المدينة فحل في اعوان ماريوس واعوانه الويل والشار واكتسب
 حيا السلطة المطلقة ملتقياً باسم ديكتاتور . فقتل من الشعب عدداً عظيماً وعاملهم
 قولاً وفعلاً معاملة شديدة حتى في الاجاعات الرسمية . ولما نال معظم السلطة وثبت
 اعظم ثباتاً استعزل وآب بارادته الى درجة السوقة بعد ان ابان ان الشعب الروماني
 يمكن له ان يحنمل سداً

اما ماريوس الذي كان سيللا قد اسي مقامه فقد استقدم قسماً عظيماً من سلطته
 اذ كان يدا من تارة الشعب وطوراً مجلس الندوة أمل ان يبنى ثباتاً في منصبه . اما

ميله وغرضه الداعي رضاء بالحرب الأخير. واذ ظهر على القرصان والاسبابوليين
والشرقي بأسره صبح عظيم الدعة في الجمهورية ولاسيما في مجلس الدولة لكننا قصر
الذي أراد ان يكون له مساوياً انحاز الى الشعب. واذ كان يتقدي بتقليده الوظيفة
الفصلية بمحامي الشعب العاصي عرض لدى المجلس شرعة تقسيم الاراضي وشرائع
اخرى تقر بها تبون الموقفة. وانتاح غالبا اسما الى درجات شائعة من السوردد
والسلطة فاجتمع هورومبوس لمقاصد ذاتية ثم اعتزقا بمجدي ديب منها

وإذن ذلك نأجحت تهران الحرب الداخلية فظن بومبوس ان اسمه يمكن له وحده
ان يذهب عن حرب فيثور الى مهدات الخمول. وأما قصر البصر بعينه التدهر
فقد نال لواء النصر واحتوى على الدولة الرومانية. ثم اخذ بمجنون الامور لهرى هل
بمطامع الرومانيون ان يعاودوا الحكم الملكي فعداء هذا الاختيار الى ان يكون منها
لدى الامة. واخذ المجلس بمحنة اماماً لم ينها احد من قبله. وما ذلك الا ليزيد
بغضة الشعب له ولم يلبث ان اماتوه داخل المجلس بمحذبة ملكاً جائراً وقد كانت
لقصر اذ ذاك من الاجل تسعة عشر عاماً فتعبر الوقت لشارامه ويجلس على عرشه
خليفة له وما يرح بكه حتى اتخذ آل بيته اعداءه ومازجه حباً بتسليم مقاصده الخاصة.
فاصطفت جهود ابيه تحت لوائه رغبة في الانعام والمهبات التي من بها عليهم. واذن
ذلك قدمت السلطة عن مجلس الدولة فاخذ كل يتحصل حقه بالاثوة وبالعسكر
والجنود الذين كانوا يخدمون من يزيد في انعامهم فبهذه الحال المدينة بادت لسلطة
هؤلاء الرجال الثلاثة طاملاً كان في رومية اقرباء بتاومون العتو والكور. ثم ظهر قصر
وانطونيوس على بربنوس وكاسيوس فبادت معها الحربة فهذان الظافران اهلكا
بيديوس الواهن وايرمايتها اتحاداً واجتذا الملكية بينها مراراً. وما ان قصر كان
متناهي في المارة عثر على وسيلة تمكنه من الحصول على القسم الاوفر واحاز اليه رومية
ففاق بذلك خصمه. اما انطونيوس فقد جهد في ان يعزز سلطته لكننا ذلك كان
عيباً لان فوز قصر بأكسباك حرك كل الملكية لتكون تحت سلطه. ولما اخذ المياه
من رومية كل ماخذ بسبب كثرة المحروب المدينة التزمت ان تنبذ الحربة جانباً
املاً بالراحة

ولما نالت سرة التهاضر مامورية الجنود تحت اسم امبراطور قبضت على زمام

السلطة المطلقة . وأما روم فكانت في عهد النصارى مجتهداً بان تحرس ذاتها غير
مبالية بتوسيع قوتها . ولم تفرغ الا لندراً عنها البراريق الذين ارادوا الدخول
الى المملكة

ولدن موت غاليلأ اوشك مجلس الدولة ان يرجع الحرية والسلطة الفصليّة لولم
يصك رجال الحرب الذين ارادوا ان يكون عليهم رتباً مستمراً يندلونه عليهم السيادة .
واذ عتاهرون وعشا في الارض جائراً ثار المردوسون وتغير كل من الفخارين وازعاً
وعلمت رجال الحرب ان تقلد اللولاء سوطاً بهم فباعوا السلطة جهاراً من يودي لم
عنا ثمناً باعظاً وتعدوا ان يخلعوا عنهم رداء الطاعة فباد بذلك النظام معها واصبح
جهد الملوك الناضلون في رعايته عتياً فان رغبهم في ابقاء نظام الجندي الروماني
القديم حثهم على ان يمدق بهم اعدود صيون الشقاء واللى . ولدن تغير الملوك كان
كل جيش يجهد في ان يصطلي اليه ملكاً فيخضع حينئذ حروب مدنية ومذاخر هائلة
ولهذا ارتخت اعصاب المملكة ونظام الجنود . فهذه الانقلابات قلت هبة الجيش
الروماني وعظمت نفوذ البرت من ناحية المشرق باسم القريس الذين تنكروا في ما سلف
مراراً جهة ومن ناحية الشمال اسم كثيرة كانت فاطمة ارضي باردة جذباء حملتها عظمة
اراضي الدولة الرومانية على ان تترك عليها وعزم الجميع على الدخول اليها مراراً . وعلى
هذا لم يكن رجل واحد كافياً لان يحمل على عاتق مملكة كهذه شاسعة مجهوماً عليها من
الجهات كلها . فالحروب المتواصلة ورغبة الصاكر في ان يتراأس عليهم فهاصرة
وملوك كانت بواعث تكليم . وبما ان الملكة كانت احكامها اوثى تكاثرت الملوك طبعاً
بتكاثر الاولاد . فاركوس اورليوس شارك اخاه بالولاء ونصب سفاريوس ابنه ملوكاً
والجأت الضرورة ديوقليسيانوس ان يتم الغرب والشرق به وبين مكسيميانوس . ولما
راى كل منها ان الاشغال اضكته تغير له قيصراً . وسبب تكاثر عدد الملوك
والتياصر اصبحت الدولة مضبوكة بتقات باعظلة فاجتزأت اذ ذاك المسكة وكثرت
لحروب المدنية ثم ضم فلسطين بن كوروس الملكة ميراثاً بين اولاده وانجفت
ذريته آثاره من بعده ولم يبق بعد ذلك ملك سائر وحدث بالولاء

ان رخاوة اونوريوس وفلاطينيانوس الثالث كانت باعثاً كبيراً على لباداة مملكة
الغرب فتمت البراريق مراراً جهة ايطاليا ورومية واصبحت المدائن فيها فريسة لم . فوقع

الغرب حيث في هذه الاممال فاستولى التندال على افرقية والوزيقوط على اسبانيا
 والفرنسيس على غاليا والماسكون على بريطانيا الكبرى والمارول على رومية برمتها ثم
 قصها الوستروغوط فتولوا الملوك الرومانيون في الشرق وغادروا ايطاليا ورومية قريسة
 البرابرة . بيد ان المملكة الرومانية آتت الى ما كانت عليه من الباس والفتنة في ايام
 يوستينيانوس بسبب شجاعة باليزار وناريس . فرومية بعد ما اخذت مرات عديدة
 مكثت منوطه بالمملكة الرومانية . الا ان الشرافقة لما رأوا ما فيها من الشقاق وما في
 ملوكها من التواني ظفروا بها وسلبوها اعظم جزء في الشرق واذا فوها في هذه الساحة
 عذاباً مبرحاً حتى انهم لم يودوا يتكروا بايطاليا ولهذا استولى اللومبارديون على
 الحال الاكثر جهاً ونضارة في ايطاليا . فلما اصبحت رومية في ضيقة عظيمة لكثرة
 تعدياتهم المتواصلة ولم يدافع عنها ملوكها التقيأت الى الافرنسيس طالبة الاستغاثة منهم
 فاجازر بابان ملك فرنسا اجمال الالب وقر اللومبارديين وبعد ما درس كارلوس
 الكبير رسوم سلطتهم تولى عرش ايطاليا اذ قناعت انت بتايابسة لحفاء القباصة . وفي
 السنة الثماني والثمة بعد المسح اتقبة الرومانيون ملكاً واس ثانياً المملكة الرومانية .
 فاصبحت بعد هذا معرفة على سمورية وسقوطها امراهم الادراك فترى هذه المملكة
 الناشئة لاحتدام الحروب والمومعة للاعتداء على جيرانها درخت جميع اقطار العالم لانها
 اتصلت بالساسة ومن الحرب الى اسي درجة ثم المك ترى علل انشقاق الجمهورية ثم
 علل هبوطها التي جعلها حمد امالي الوطن ومحة الحرية التي اختبرت الحدود . فلم بعد
 يشق عليك ان تفرج جميع ازمته رومية ان كنت تشاء ان تلاحظها بذاتها او بالنظر الى
 سائر الشعوب فتري حيث تفر الغلطات التي هي مزعة ان تصدر عن ادارة الاشغال في
 كل زمان . فاذا لاحظتها بالنظر الى ذاتها تراها اولاً في حالة ملوكية مربية حسب الشرائع
 الاولى خاضعة للحكم الجمهوري عنوة فسهل عليك معرفة نظام الحالة الجمهورية ثم معرفة
 البداءة التي كانت لها في زمان سلطة الملوك ولا ترى باقل وضوح كيف كان ركن
 السلطة الملوكية المجدبة ينتهت في زمان الحرية لانه كما انك فهمت ان ابتداء المشيخة
 ومقاصدها نشأ في ملك سرفيوس تولوس الذي هو اول من اذاق الرومانيين طعم
 الحرية كذلك شعرت ان حكم سلا الجمهوري وان يكن موقوتاً وقصيراً يوضع ان رومية
 وان كانت شديدة الختروانة قادرة ان ترضخ تحت نير العبودية كالشعوب الذين استولت

عليهم

ورجاء ان تنعم البلماعة على هذا المجد النظيف عليك ان تنظر في الزمنين اللذين
عومها لك بنوع خاص وذلك ان احدهما وقت ان كان الشعب مفيداً في حدود
بسبب المخاطر التي كانت تنكشف من كل الاتجاه والآخر اذا لم يكن يحتمل من امر خارجي
فارغى العنان لشهواته. فالهيز الجوهري بن هذين الزمنين هو ان في الاول حجة الوطن
والشرائع كانت تنقد الافكار وفي الثاني كل شيء كان يتم بالفرض النفسي والثقة
الجمهرية. فمن ذلك نعلم ان في الزمان الاول منها رجال الامر الذين يتسلقون اعالي
المناصب بمسائل شرعية كانوا يقيدون الجنود في رعاية الضابطون يقومون متعلمين بالجمهورية
واما في الزمان الاخير يوم كان الاعتصاب بسود على كل شيء فما كانوا يفكرون الا
بمدارة الجنود لكي يشركوهم في مقاصدهم عما عن سلطة مجلس الدية. فبسبب هذه الحالة
الاخيرة التفتت نيران الحرب ضرورة في رومية وسواطة المهارة بشأن ذلك أصبحت
السلطة بيد رئيس واحد. انما متى تم الاشياء بالنوع تصح الشرائع خالية من الثقة والخور
وحيث يتكفل بصنع كل امر واصبح اشد الناس سائداً عليهم وفصارى الامر ان السلطة
أصبحت في يد رجل واحد

وهكذا كانت الاشياء في رومية تنقلب بدانها حتى ان سوابب المورخ الذي عمر
في زمان الجمهورية المتنامية في الزمور علم من مجرد نظاره في الامور ان الدولة الرومانية
لا تلبث برهة الا تعود الى الحالة الملكية وبسبب هذا الانقلاب لا تخمد جذوة الدناق
بين مناصب الجمهورية الا بسلطة مطلقة ومن جهة اخرى ان الحرية كانت موقوفة جداً
في رومية حتى لم يستقدموا الاعصاب والاكراه حياً بها فاقضى الامران بوهنومارويداً
رويداً يحمل متنوعة الى ان ياتي زمن يهدونها فيه بالنوع جعاراً فالتخداع يبدأ حسب قول
ارسطو بمدامة الشعب ثم بالظلم والخور لكنها عبطوا في ورطة اخرى لابد منها بسبب
رجال الحرب ولا يحمص من هذا الشر الناجم من هذه الحالة

فلا ريب ان هذه الملكة التي شادها التياصرة كثر فيها السلاح ولهذا اقتضى ان
تكون كلها حرية لتتظلم وتلبث بالامراطورية وفي من الانقلاب التي يتقلدها فادة
المجوش وامراء الصاكر. وبهذا يتبين لذلك انه كما كان الحسد يدب في الجمهورية
بين الشعب والشرقاء كذلك كان في مملكة التياصرة داء يبري في اعضائها وهو قباحة

جودها الذين كانوا يواعث على اجلاس كل فيصر على السدة الملوكية اذ كان من المستعمل ان رجال الحرب الذين غيروا الملك واقاموا بدلا منه ملوكا يستمرون زمنا مديدا غير فاكرين انهم هم القابضون على زمام الولاة ولذلك يتصرفون بكف برومون . ويمكن لك ان تلقى بالازمنة التي شعرت بها ما تدل على حالة المجندية وانقلابها وتبصر في الزمان الذي كانت فيه راضحة لمجلس الندوة والشعب الروماني والى الزمان الذي تعلقت بقادتها والايمن الذي فيه استدرجتم الى مدارج السلطة المطلقة تحت القاب امبراطورين ثم الى الحزن الذي فيه كان الملوك يابدينها ترفع مكاناتهم وعظمتها كما نشاء . فيضم من ذلك لديك الارتقاء والحدود والحروب التي انشبت عنها وازيادة الجنود والدولة الرومانية بأسرها . فمن هي الازمنة الاخيرة الشهيرة التي تدلنا على تغير الدولة الرومانية بذاتها واما الازمنة التي تشعبت عن حالتها بالنظر الى سائر الشعوب فلا يصعب عليها امتيازها انما يقضى عليها ان تنظر في الزمان الذي كانت فيه تجاهد نظيراتها وهي معرضة للاخطار . وقد استمر ذلك اكثر من خمماية سنة وانتهى بدثار الثوليين في ايطاليا ودمار دولة قرطاجنة . وفي الزمان الذي اضمرت فيه حروبا هائلة فانها كانت وتنتشر اشد وغير معرضة للاخطار واستمر ذلك ما يقرب من مائة سنة الى ان نشبت دولة القباصة . وفي الزمان الذي فيه كانت حريصة على شوكها وعظمتها . واستمر اربعماية سنة وانتهى في عهد نيودوسوس الكبير . ثم في الزمان الذي فيه دثرت من كل ناحية وهبطت رويدا وهذه الحالة استمرت اربعماية سنة فكان ابتداءها في عهد اولاد نيودوسوس الكبير وانتهى في حكم كارلوس العظيم

ولست بجاهل يا سيدي ان قد يمكن اضافة حوادث خاصة الى علل دثار رومية كجور الدائن على المدين فان بذلك ثورات عظيمة . وان كثرة السائقين والعبيد الذين افعوا رومية وايطاليا بسبب هيجانها عظميا وحروبا دموية . فاذا اومنت هذه الحروب الداخلية والخارجية قوى رومية شرعت تدخل الثرياء بين اهلها سواء كان بالاكراه او بطيبة الخاطر ومن كثرتهم تعمس عليها ان تعرف نفسها . وغص مجلس الندوة بالبرابرة ولهذا اخذدم الرومانيين ينتزع بغيره . وان حب الوطن الذي يواظبوا ارتفعت رومية فوق كل الشعوب لم يكن طبعيا بل انك الذين توافدوا اليها من الخارج ودب الفساد في اولادها بسبب هذا الاختلاط وكثرة الحجة بتكثير الوطنيين المحدين وعكف ذوي

الثقة على وسائل ليأثروا احتمالاً تبليد الأفكار

وفي الوقت نفسه تعاضد عدد ذوي المسكة والحاجة لكثرة الذخ والردائل
والكامل الذي نظموه في تلك العادات . وأما الذين كانوا في أسوأ حال لم يكونوا
يبدون وسائل تمكهم من أمر معاشهم الا اقيام بانثورات غور عاثين بخراب يثاني على
الكون بعدم وذلك ما حمل كتبنا على الاثارة قصد دنار رومية . نعمت داب
المطاميع الضعالميك الذين لا يخشون من فقدان شيء اثناء الرزايا ان يودوا الانقلاص
واستظهر هذان النوعان من السكان في رومية واصبح اصحاب الحالة الوسطى الذين كانوا
يعملون الامور اضعف قسم فيها ولهذا اقتضى ان يستط الحكم الجمهوري
ويمكن لنا ان نصيف على ذلك هارة خاصة في الاشخاص فانهم مبدوا حوادث
عظيمة وم الكراك وماربوس وسيلابمبوس وجوليوس قيصر وانطونيوس واغسطس
ولقد نوهت بعضها انما كان جل اعتناهم ان ايبن لك علل الشرور العامة ابي الحمد
بين المرتبتين وهو وحده كانت معرفته بهيك ونتائج خطيرة لذلك

الفصل الثامن

خلاصة الخطاب الآنف وبها يضح ان كل شيء معاده

الى فعل العناية الالهية

تذكر باسدي ان وثاق العلل الخاصة التي تقم الممالك وتبدها مناظ بامر
العناية الالهية السرية فان الله قابض من اسي الهاء على ازمة الممالك ويك فلوب البشر
فاطبة فائرة يكج الشهوات وطورا يطلق لها الاعنة وبهذا يترك كل الجنس البشري .
ايود ان يقم فانحين . فانه يبعث بالخوف امامهم ويلقي في قلوبهم وقارب جنودهم جراءة
توكل ذلك . ايود ان يقم قضية . فانه يبعث اليهم بحكمة خارقة وبصيرة وقادة
ويجعلهم يستدركون الشرور التي تسود المملكة ويوطدون اركان الراحة العامة فانه
يعلم ان الحكمة البشرية قاصدة من وجه فبهرها ويمد بافكارها ثم يفادها وجهها
فيحيها ويطررها ويرذلها بذاتها فتتلك بنصواعها الخاصة ويصعب احتباسها احبوة لما
ويستعمل بين الوسيطة احكامه الهائلة حسب قواعد عدلو الصائبة وهو نفسه يعدد المهامات

بالملل البعثة وهو سبب هذه الضربات العظيمة التي عن بعد تدعو مفاعيلها وحتى شاء
 ان يضرب الضربة الاخيرة ويبدد الممالك تنهش الآراء ونحن الثرة . فان مصر التي
 كانت في آنف الزمان حكيمة كانت تسير مشاغفة خيلا وتجبره بكل امورها فان
 الله اذاع روح الدوائر في ارائها فلم تدرك ما تمنع فهلكت . فلا تدخان الخديعة قلب
 بشري . فان الله يهدي من ضل ومن يحرف بضلال غمك يهوي الى هذه مدلهية .
 وليس يلزم الخداع عقلو الاحاد انهم النسيبة وبذلك يحكم الله على كل الشعوب فلا نفهم
 عن الخبث والصب . بل اذا تكلمنا عنها فليكن ذلك ذريعة الى ستر جهلنا . وان
 ما نعدده فعل الصدفة بالنظر الى آرائنا غير الوثيقة ثمعد حكمة سامية وهي العناية
 الازلية التي تتضمن كل العمل والمعلولات بنظام واحد ورتبة واحدة . وعلى هذا فكل
 شيء آبل الى غاية واحدة وانما لعدم فهمنا كل شيء نجد الصدفة او عدم الترتيب
 في الحوادث الخاصة

وبهذا يتحقق ما قاله الرسول وهو ان الله سعيد وهو وحده مستطع كل شيء
 وهو ملك المارك ورب الارباب . فطوبى له فان راحته غير قلقه ولن تلقى برى كل
 شيء متغيرا وهو ثابت بغير الاشياء بعباية لا تتغير وهو وحده يهب السلطة ويترعها
 وينقلها من رجل الى آخرون يست الى يست ومن شعب الى شعب وما ذلك الا
 ليوين انها لم تكن لمن تسلط الا على سبيل العارفة وبه وحده تقوم الطبايع وبذلك يشعر
 الملوك انهم راضعون لسلطة اسي من سلطتهم فاهم يصغون الاشياء بزيادة ترور اوباق
 فتتمكن الروم من مفاعيل لم يستدركوها من قبل ولا يمكن لهم ان يشكوا من النظام
 الذي قامت به الاجيال الفارطة في الاعمال ولا يمكنهم ان يستدركوا مجرى الاحوال
 مستقبلا ولا من فسر الامور لنتم حسب معرفتهم فهو وحده فاض على كل شيء
 يده ويعرف اسما ما وجد وما لم يوجد وهو الحاكم وحده في كل الازمنة ويسبق فيعرف
 كل المآرب والآراء

فان اسكندر لم يخالف فكره ان كل اعماله ستؤول الى جلاء قادو وان اختاحانه
 نسب دنارينه ولم يكن يرتوس بهالم ان كان يأتي في قلوب الشعب الروماني عبة
 الحرية الفاتنة بانه يأتي في الانكار مبدا هذه الجحرة العظيمة الذي به يضي الظلم الراغب
 الله في ان يبيده اشد ما كان في عهد الفاركيين . ولم يكن من داب القياصرة يداومة

جودهم ان يصيروا مستولين على المملكة وخلفائهم وقصارى الامر ان ليست سلطة بشرية
 الانخدع كرمًا لمقاصد غير مقاصدها والله وحده يصنع ما يشاء ولهذا اذا تعدنا الاشياء
 الخاصة بتبين لنا ان كل شيء عجيب. ومع ذلك فان الامور تتوالى بتسلسل وبين لك
 ذلك خطابنا هذا. ويكتفيك غير مكررين ما قلناه عن غير ممالك ان تنظر في تسلسل
 الحوادث التي طرأت في الدولة الرومانية وحدها من عهد روميلوس الى عهد
 كارلوس الكبير. ولربما تغفل اني اود اطالة الكلام عن شعب فرد وكارلوس الكبير
 الذي شاد المملكة الرومانية الجديدة. ففضلاً على ان تاريخ كارلوس الكبير قسم
 من تاريخ فرنسا الذي باشرت تأليفه انت نفسك وقد قدست فيه كثيراً فاني ابني
 ذلك الى تاريخ آخر اقوم بتأليفه اذ به اكون مقسوراً على ان اتكلم عن فرنسا وعن هذا المظفر
 الذي ضارح يمسألو كل الذين اشتهروا في الاجيال الدائرة بل قد فاقهم ببناء وحكمته
 وعدلوه يظهر لك ذلك علل فأتحن آخرين وان هذه المملكة التي نشأت قبل كارلوس
 بما بقي سنة نرى لها في خطاي عملاً أبسط فيه كلاماً عنها وقد ظننت ان من الخاليق ان
 ابدي لك بتسلسل واحد ابتداءً وانحطاطاً. وعليه فلم يبق شيء اتكلم عنه في القسم
 الاول من التاريخ العام فوقفت الان على اسراره واصبحت ملاحظات تسلسل الديانة
 والممالك العظيم حتى كارلوس العظيم منوعة بعهديك فانك تراها منقطة بذاتها
 والديانة قائمة بقونها الخاصة وتعلم حينئذ ما هي العظمة الثانية وعلى اي

استرني الرجل الحكيم آماله

تم



اصلاح غلط

ان تغيب مترجم هذا الكتاب ومعربه وسائر اعضاء الدائرة العلمية عن بيروت وقمت
طباعته لمصلحة مدرسة الحكمة اوقع اغلاطاً كثيرة فيه اوجبت عمل فرستها هذا والمحافه
بهذه الترجمة

وجه	خط	خطا	صواب
١١	١٦	تمالية	ترجالة
...	٢٣	كادموس	قدموس
١٤	١٢	انشاء	النشاة
١٨	٠١	ايام	ايها
...	٠٧	احاب	اخاب
١٩	١٦	لسبد يون	لسبد يون اي سبتا
٢٠	٢٣	هرقل	هرقلاوس وهو ابن المشتري
٢١	٠٥	لأنهم كانوا يزدادون بها	وكانت بلاد اليونان تزداد قوة وعهدياً
...	١١	يوناس	يونان
٢٣	١٦	سيراكيز في جزيرة سيبوليا	سيراكوزا في جزيرة صقلية
...	١٨	يونان	اليونان
٢٧	٠٦	فاقام قورش ابن اخته	فاقام قائداً على جيشه قورش ابن اخته مندانا امرأة كيمس ملك الفرس
٢٩	٠٢	اعقلها	اعظم
٣٠	٢١	بل	بابل
٣٤	١٦	بيرذا	بيروذا
...	٢٦	حافظها	حافظوا

وج	خطر	خطا	صواب
٠٢٥	١٢	اماتوها	اماتوها
٠٤٧	١٧	سليكوس... السلوسيديين	لوقوس... السلوقيين
٠٦٢	٠٩	فرصة	قرصة
٠٦٢	١٢	خوض ٨٦ المامع	خوض المامع سنة ٨٦
٠٦٢	٠٢	العدد	المدو
٠٠٠	١٢	كاثيلا	كاثيلا
٠٦٩	٢٠	لوان اغنياني الخصرة	لث اغنياني الخصرة وصبايته لم
٠٧٢	١٨	فكاشحه لدايوس الذي	فكاشحه داشيوس واهرق دمه
		اهرق دمه	
٠٠٠	٢٠	يدراعتها الملك داس	اما الملك داشيوس الذي كان يقيم
		الذوائب الدامسة	بناصر الملكة
٠٠٠	٢٢	قلم يلهمها عن الايقاع بالبيعة	فكانت مدة ملكها بسيرة
		سوى والائتم الملك	
٠٧٤	٠٤	سبالوس	سبالوس
٠٠٠	٢٢	زنوبا	زينب
٠٧٥	٠٢	السموذاقي	السمساطي
٠٠٠	٢٢	القديم	القدوة
٠٨٢	٢٢	ارغم ان يكون حاجدا	ارغم ان يلاين الاراطنة
٠٨٥	٠٦	٢٨٠٦	٢٨٦
٠٠٠	٠٧	لاتينانوس	والشبانوس
٠٠٠	١١	لنسا	لنسا
٠٨٦	٠٧	العبيب	العصب والحدة
٠٠٠	١٤	الفولفات	الفولفات اي السائرة او العامة
٠٩١	٠٩	البجان توكمان	البون او كين اي البحر الاسود

وجه	سطر	خطا	صواب
١٠٠	١٢	الانثيوخيين	الارطاخين
١٩٢	٠٧	القدس	القدس
١٠٠	١٥	يقال حوسنيوس	يقال له يوستينوس
١٩٨	١٢	الى مصب الفولغا	حيث مصب نهر الفولغا
١٠١	١٠	النايات	النايات
١٠٢	٠٧	مارلوس	مرتال
١٠٠	١٣	كبروتيم	كبروتيم اي الزلي
١٠٣	٠٨	مارناس	مرتال
١١١	١٤	وانه المحرك الاول الذي كان يعرفه	والمحرك الاول اللذين كان يعرفها
١٠٠	٢٢	الانبا	الانبا
١١٧	٢٣	النعاب	النعاب
١٢١	٠٣	لغتهم السجاف الاولى	لغتهم الاولى السجاف
١٤١	١٢	موسى (الثانية)	سليمن
١٠٠	٢٥	الصندل	الارز
١٤٥	٠٢	الشعوب	الشعوب
١٤٩	٠٢	سلته	وسلته
١٠٠	١٢	اليهم	اليه
١٥٠	٠٩	لغضب	لغضب
١٥١	٠٥	اسكلون	عسقلون
١٥٩	٠٢	ومفرغنا	ومفرغنا
١٦٢	١٨	اللاغيد يون... والسلايد يون	اللاغيد يون... والسلايد يون
١٦٦	٢٦	يونا	يكونا
١٦٧	٢٠	واليونانية	اليونانية
١٦٩	٢٥	يعني وجودها	يعبر وجودها

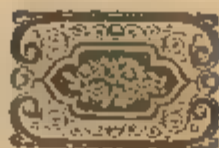
وجه	سطر	خطا	صواب
١٧١	٢٦	لذن تناضل على الكينوت	اذ تناضل على الكينوت الذي ...
١٧٤	٠٢	نمريض	هيراكان واريمتوبل ابراه
...	٢٦	لا وزن لماله وينطق به	لا مقياس لما هو حاصل عليه ويثبه
١٧٦	١٠	والى	بقياس الوالى
١٧٩	١٧	غير متنام	غير متساو
١٨١	١٠	بعضه	بفضه
١٨٤	١٥	لا	الا
١٨٩	٢٠	الدين	للدين
١٩٢	١٤	بطرس	بولس
...	١٧	الشعيا	اشعيا
١٩٥	٢٠	الرسل خلفائهم	الرسل وخلفائهم
١٩٩	١٧	تزوجوا (الثانية)	تزوجن
٢٠١	١٢	نيجوس	طيطوس وكذا بعد
٢٠٥	١٢	التي ترضع	التي لا ترضع
٢٠٨	٠٨	الماجوساني	الماجر
٢٢٥	٠٧	كله المالكين	كله الصليب عند المالكين
...	٠٩	العلاء	العنلاء
٢٢٧	١٥	لباخوس	ليخوس وكذا بعد
٢٢٢	٢٦	اف	انه
٢٢٦	٠٨	الس	شلسوس
...	١٨	انه الانبيا	اناه الانبياء
...	٢١	وان رغبته	ومن يرغب
٢٢٧	٠٨	موا	من

وجه	سطر	خطا	صواب
٠٠٠	٢٥	موضوع	موضع
٢٢٨	٢١	فقط من	فقط بل من
٢٤٠	٠٢	بها	ب
٢٤١	٠٧	المارسيونيت	تابع مرثيون او مرقيون وكذا في عمل اخر
٠٠٠	٠٩	السوداتي	السبساطي
٠٠٠	١٤	السبالون والبواياتست	السابلون والبولسبون
٢٤٢	٠٣	الاقواف	الاقواف
٢٤٤	٠٩	السيل عمل	كتب السيلات تباد
٠٠٠	٢٣	لائف	وعن
٢٤٥	١٥	الانواء	الاباء
٢٤٥	٢٣	الصخرة	الصخرة
٢٤٦	٢٤	مارموس ومانس	ماركيون وماني
٢٤٩	١١	صورة المجدد	صورة المذبح المشيد
٠٠	١٣	في الثريفة حبارب	في الثريفة التي حبا الرب اسرائيل بها
٢٥٠	٢٠	انها داخلة ضمن الاسفار	انها تقيم جرم الاسفار ولا يلزم الانسخ هذه الاسفار حتى يتسهل لا التكذيب بها بل ايجاد كل ما يكره المخدسون وجوده فيها واذا السلما بكل ما يقولون فيستمر بلا مناص اصل هذه الاسفار المبا
٢٥٥	٠١	وهل... كتاب كان	هل... كتاب آيا كان

وجه	سطر	خطا	صواب
٢٥٦	٠٢	يعبرها	يعبره
٢٥٨	٠٦	قبل	بعد
٢٦٠	١٥	الكامل	الكائن
...	١٧	مينا	مينا
٢٦١	٠١	يوشيا الا	يوشيا ان هو الا
٢٦١	٠٣	الحرب	الرب
٢٦٢	١٢	الا بات يمرضه على	من ان يجعله عرضة لشهادة الكواس
		شهادة الكواس	
٢٦٤	٠٢	انذر بالسما... الاجتهاد	وعند السما... الاضطهاد
٢٦٥	٠٨	فكيف يخدمه ويكرمه	فكيف يائف ان يعلمه طريفة
			خدمته وعبادته
٢٦٦	٠٤	عليه	عليها
...	١٣	لها	له
...	٢٤	بانيه	بنيه
٢٦٩	٠٦	لا تعدي	يعدى
٢٧٠	٠٧	رويام	روياؤ
٢٧٢	١٥	اهاليم	اهوائهم
٢٧٣	١٧	اهلست	واهلست
...	٢٤	ان ذاك هو الذي استدرك	ان الغالب هو من استدرك
٢٧٤	٠١	هي مريجة في النهاية	هي ما جعله راجعا في النهاية
...	٠٨	باخوس وهرقل	بئخوس وهرقل ابن المشتري
٢٧٥	٠٢	زمان	زمان
...	١٦	الرعية	الرغبة
٢٨٤	٠٨	ان يمدوى	ان موسى يمدوى
٢٨٥	٠٦	رم	لم

وجه	سطر	خطا	صواب
٢٨٦	٢٦	لانه البلاد قمع	لانه قمع البلاد
٢٨٧	١٢	واعلنت بكتبات	واعلان بكتابات
١٠٠	١٧	اعدت لالعمال	اعدت لالعمال
٢٩٠	٠٦	احرزت في المطامع المنوطة	احرزت المطامع المنوطة غالبا
		بها غالبا بحسبها ما لا يوجد	بحسبها مع الشجاعة التي لا توجد
٢٩٢	١٧	الذين	الذين
٢٩٣	٠١	العمالي	العمالي
١٠٠	٠٢	المحدرات	المحدرات
٢٩٥	٢٤	ترتيبهم	ترتيبهم
٢٩٦	٢٠	يرتكبون	يرتكبون
٢٩٧	٢٥	المجسدين	المجسدين
٢٠٠	٠٧	الحرية	الحرية
١٠٠	٢٢	شعرت ... خسرانها	شعروا ... خسرانهم
٢٠١	٠٢	اسرار الساسية	اسرار سواسهم
٢٠٣	٠٦	اللاسير هونيون	اللاسيد هونيون امي السبرتون
١٠٠	١٢	تعتبر منتهت	يعتبروا منتهين
٢٠٧	١١	تقاييف	تطوس لينوس
٢٠٨	٠٤	بمجد	بمجد
٢١٠	٠٢	الحركات	الحركات
٢١١	٠٩	بنيا	بنيا
١٠٠	١٨	في الخبر العام	في الخبر العام اكثر منه
٢١٢	٠٢	معلوما	محموظا
١٠٠	٢٠	الذين فازوا بالنصر فان	الذين انتصر الرومانيون عليهم
		روية لم يناس ولم تكن	لكنهم كانوا ياملون الاخذ بنارهم
		جزاعا من ان تاخذ بنارها	اذ كان

وجه	سطر	خطا	صواب
٢١٤	٠٤	مدينة	مدينة اريسي
٢١٥	٢١	عواصف	عواطف
٢١٨	٠٥	منهكون	منهكين
...	٢١	مجموع	مجموع
٢٢٠	٠٩	تيفيف	تطوس ليفوس
٢٢٤	٠٩	انه غير متصل	انها غير منفصلة
٢٢٥	٠٦	بعض التي	بعض الحوادث التي
٢٢٦	١٩	ينظر	ينظر
٢٢٧	٠١	اذى	ادى
٢٢٩	١٢	وقد كان لتبصر اذ	وقد كان لتبصر انه اذ ذاك
...	١٤	ذاك حتى اتخذ آل	حتى اتخذ اعداء بيته ومنازعيه مساعد بن
		بيته اعداء ومنازعيه	على تسليم
		حيثا بنعيم	
٢٣١	٠١	التفدال ...	البندالة والوار ينوط اي القطط الغريبين
		والوار ينوط	وبعد ما الاطرغوث اي القطط
			الشرقيون
...	١٤	التماني والمائة	التمانية
٢٣٣	٠٢	البائث	الباعث
٢٣٤	٠٧	تخطها	تخطها
٢٣٤	٠٥	كتسليها	كاتايا







(~~100~~)

021

.B745512

1882

Princeton University Library



32101 076415726